OLIN
DS
37
.7
B35

3 1924 067 520 746

محمد جميل بيهم
رئيس المجمع العلمي اللبناني
رئيس اخوان الثقافة
عضو شرف في المجمع العالمي للتاريخ بباريس

قوافل العروبة ومواكبها

خلال العصور

الجزء الثاني

مطابع دار الكشاف - بيروت

الطبعة الأولى
١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
ITHACA, N.Y.

المقدمة

اشرنا في مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب الى ان القصد منه وضع سفر يجمع بين تواريخ الشعوب العربية في ماضيها وحاضرها ، وفي مشرقها ومغربها ، يصح ان يكون ، من حيث الشمول ، تاريخ أمة ، وذلك سداً لهذا الفراغ في المكتبة العربية .

وقد تناول الجزء الأول تاريخنا القومي منذ العهد القديم حتى مطلع نهضتنا الحديثة ، فتضمن حضارة العرب في الاسلام ، وانحطاطهم ، من بعد ، ولا سيما خلال عصر العثمانيين ، وابان عهدي الحمايات والاستعمارات .

ويسرنا ان نقدم الآن الجزء الثاني من هذا الكتاب ، نستهله بالكلام على عصر اليقظة ، وتطور الوعي القومي ، ثم نختتمه بفصل عنوانه « الولايات العربية المتحدة في سبيل التحقيق » . وهو ، بين هذا وذاك ، يتناول الكلام على نضال العرب في المشرق والمغرب في سبيل الحرية والاستقلال ، كما يتناول دراسة عهدي الانتدابات والاستقلالات ، وتبيان تطورات قضية فلسطين حتى الساعة .

هذا وقد زخرت لدينا ، اثناء التأليف ، مواد البحث في موضوع الأحداث السياسية التي وقعت خلال عهد الاستقلال ، ولا سيما في سوريا ولبنان ، على ما فيها

من حسنات وسيئات . زخرت هذه المواد الى حد حملنا عـلى ان نختار لرجاء التبسط في موضوعها ، الى جزء خاص نفرده لها ، ولعله يكون الجزء الثالث من هذا الكتاب .

ولا يسعنا في الختام الا توجيـه الشكر للحكومات العربيات التي استقبلت بالتقدير الجزء الأول ، آملين ان يكون الجزء الثاني مرموقاً ايضاً بانظارها ، ومقبولا ، كالذي سبقه ، في اوساط العالم العربي ، هذا العالم العزيز الذي اوقفنا النفس ، قبل القلم ، على خدمته .

على انا ، مع ذلك ، لانتبرأ من القصور ، بل نتقبل بالسرور كل ملاحظة يوجهها اهل الفضل في نقد هذا الكتاب ، ونرجوهم ان يتحفونا بارسال ما يكتبون ، نقداً او تقريظاً ، قصد الاستفادة من ملحوظاتهم ، في الطبعات التالية .

المؤلف

الفصل الاول
عصر اليقظة

القضية العربية ضمن سلطنة آل عثمان

لما زحف السلطان سليم العثماني على الممالك المعروفين بالجراكسة ، حكام مصر والشام ، وذلك في مطلع القرن السادس عشر ، انحاز اهل هذين القطرين الى صفوفه ، على أمل ان يكون حالهم في العهد الجديد خيراً مما سبقه ، او على أمل ان يبرّ السلطان بما وعد ، فيمنحهم الاستقلال الذي ما زالت نفوسهم تتوق اليه .

بيد ان وعود الفاتحين ما كانت في يوم من الايام سوى برق خلب : وما ان تمكن العثمانيون بعهودهم ، حتى رأينا المستبشرين بالفتح العثماني في سوريا ووادي النيل ، وكذلك في العراق ، يخرجون على السلاطين ، ويواجهونهم جميعاً يناضلون في سبيل الحرية والاستقلال .

وقد حفل القرن الثامن عشر ، والذي تلاه بثورات عدة ، في البلدان العربية كانت قصد التحرر من ربقة الحكم العثماني. حتى اذا دخل القرن العشرون اصبحت هذه الجهود الاستقلالية قضية امة تساهم فيها الاقطار العربية باسرها : وقد اعتمدنا في تدوين موجز هذه الحركات الاستقلالية على الوجه التالي :

١ - خروج العرب على العثمانيين للاستقلال .

٢ - القضية العربية في مظهرها الحديث .

ومن المفيد الاشارة هنا الى ان تلك الجهود الاستقلالية التي كانت يبذلها بعض الامصار العربية في العهد الأول لم تكن نتيجة وعي قومي خالص ، بل كان الحافز اليها ما في الاستقلال نفسه من مغريات ، وما في الاستعباد من ضغط روحي ومس بالكرامة . هذا فضلاً عن ان قسما من تلك الثورات ضد العثمانيين ، كانت من عمل الدول الاجنبية ، أو بايعازها .

١ - خروج العرب على العثمانيين للاستقلال .

انقضى عهد الفتح العثماني العادل ، وخلفه عهد الانحطاط الأغبر ، وما فيه من ظلم عمال الدولة واجنادها ، فتبدلت ، من جراء ذلك ، العواطف بين الحاكم والمحكوم . وفضلاً عن ذلك فان فشل السلطنة في اكثر الحروب التي اتصلت بينها وبين اوروبا ، وذلك في عهد انحطاطها ، كان يغري الطامحين للاستقلال ، فسابقوا الى الخروج عليها منذ عهد السلطان احمد الاول (١٦٠٣ م - ١٦١٧ م) ؛ وبينهم العربي والكردي ، كما بينهم التركي . وهذه ابرز المحاولات الاستقلالية في الامصار العربية .

(في الشام) ما زالت بلاد الشام منذ غرة حكم السلطان سليمان القانوني مسرحاً لثورات ضد الحكم العثماني نذكر منها الثورة التي نشبت سنة ١٥٢٠ م خلال عهد هذا العاهل العظيم ، وثورتي نابلس (١٨٢٩) ودمشق (١٨٣١) . ولكن هذه الثورات لم تكن في الواقع ، ذات طابع قومي .

ولا يتسع المجال لايراد ذكر كل هذه المحاولات التحررية ، فنقتصر على ما كان منها في عهدي الأمير فخر الدين المعني الثاني ، والشيخ ظاهر العمر .

كانت الحالة الاجتماعية في لبنان وسائر ساحل الشام تساعد على الوقوف موقف الدفاع ، ليس ذلك من جراء حالة البلاد الطبيعية فحسب ، بل لأن هذا الساحل كان مأهولاً بعشائر اقيمت هناك الرابطة في وجه الأعداء . وكانت هذه العشائر تمارس القتال فيما بينها ، وهي وان تجزأت الى قيسي ويمني ، الا أنها تصبح غالباً كتلة واحدة في وجه العدو الخارجي .

وكان آل معن هم اصحاب مقاطعة الشوف في لبنان . وفي مطلع القرن السابع عشر كان الأمير فخر الدين المعني الثاني أميراً على لواء صفد التابع لايالة دمشق . وكان الباب العالي راضياً عنه لايفائه مرتبات الدولة في اوقاتها ، كما ان اصحاب الأمر والنهي في استامبول كانوا يعطفون عليه ، لما يبذله لهم من الهدايا والعطايا . لذلك فقد استطاع هذا الأمير ان يؤمن لولده علي ، سنجقية ، صيدا وبيروت وأغزير (غزير) في لبنان .

وراح الأمير ، في اعتماده على رضاء الدولة ، وخلال انشغالها بالحروب المتواصلة مع النمسا وحلفائها ، يؤمن النفس بالاستقلال ، خصوصاً من جراء الثورات التي شبت في اطراف السلطنة بعد فشلها في تلك الحروب . وقد باشر برنامجه هذا

بالتوسع في الاقطاعات المجاورة ، موهماً الباب العالي بأنه يستخلصها لقصد توطيد سلطة الدولة عليها . فألحق بمارته قسماً من اقطاع آل سيفا اصحاب ايالة طرابلس ، ثم استولى على اراضي آل حرفوش وبيت قرنبش في البقاع ، كما بسط حكمه ، في الجنوب ، على اقليم بانياس وعجلون . هذا فضلاً عن تجنيده الجنود ، وتحصينه الحدود ، وتصرفه تصرف المستقل المطلق ، ليس في نطاق الشؤون الداخلية فحسب ، بل في الامور الخارجية . من ذلك انه عقد معاهدة مع آل المديشيين اصحاب توسكانا بايطاليا لم تقف عند الحدود الاقتصادية فقط ، بل كانت هجومية دفاعية .

وقد كبر على الباب العالي هذا التحدي حتى لم يبق وسعه التغاضي والاستهال مراعاة لحالة السلطنة الدولية ، فنصب حافظ باشا الحافظ متولياً على ايالة دمشق ، وكانت بينه وبين المعني عداوة قديمة ، وأمره ان يحمل على الأمير . وكانت حملات لم يستطع الأمير الصمود في وجهها ، فغادر البلاد الى توسكانا حليفته .

وقد مكث الأمير فخر الدين في ايطاليا خمس سنين تقريباً ، كان يراقب خلالها التنظيم الحديث ، ويشاهد ابتداق الوعي القومي وتطوره ، وكان يستوعي نظره هناك اهتمامهم بالكتب ، ومنها العربية ، والعناية بطبعها ، ووجود بعض الجالية العربية ، وبينهم امراء اجتمع اليهم في حفلة . وكان من الطبيعي ان تترك هذه المشاهد في نفسه ، اثراً بالغاً من حيث النجدة والاصلاح ، وان تؤيد مبادئه ، في التحرر والاستقلال .

والواقع انه ما ان تمنى له الرجوع الى وطنه ، والاستقرار فيه ، حتى ركن الى « كتخداه » بالاستانة الحاج درويش أمر الحصول على فرمان من السلطان بمنحه الولاية على « عربستان » ويقول الخالدي (١) : « فأتته البشرى والفرمان السلطاني سنة ١٦٢٤ م على ان يكون متولياً على دورة عرب بستان من حد حلب حتى حد القدس ، وان يأخذ اسم جده المغفور له الامير فخر الدين « سلطان البر » على المقاطعات المذكورة . »

وما ان تم للأمير هذا ، حتى اخذ يعد العدة للاستقلال . وعاد لاقامة المعاقل والحصون بالاضافة الى تجنيد الاجناد . ولكن الباب العالي ظل ، مع ذلك ، يصانعه تحت تأثير المشاغل الدولية ، حتى اذا استجمعت الدولة قواها ، في عهد السلطان مراد

(١) الشيخ احمد بن محمد الخالدي في كتاب نشرته له مديرية المعارف بلبنان .

الرابع حملت عليه في البر والبحر واعتقلته ، ثم قتلته في عاصمتها سنة ١٦٣٥ م .

وقد ورث مطامعه الاستقلالية ، بعد جيل من ذلك ، عربي آخر في فلسطين ، واعني به الشيخ ظاهر العمر من مشائخ الزيادنة : خلف هـذا المقدام والده على بلاد الشاغور ، ثم اخذ بالتوسع ، وبعد انتصاره على جيوش الباشـا صيدا ودمشق ، فتح عكا (١٧٤٩ م) واتخذها مقراً لامارته . ولما نشبت الحرب بين السلطان مصطفى الثالث والقيصرة كاترينة الثانية ، دخلا الجو الاسطول الروسي للسيطرة على البحر المتوسط ، خصوصاً بعد احراقه الاسطول العثماني ، فاستعانت روسيا بأمير اسطوفا على اثارة كل من علي بك متولي مصر ، والشيخ ظاهر العمر صاحب عكا ، وأمدت هذا بالعتاد ، واوصلت اليه صناعاً للمدافع نقشوا عليها اسمه ، هذا فضلاً عن انها جعلت اسطوفا وهي اشارته . وبذلك استطاع الشيخ ظاهر ان يهزم جيشين كبيرين ساقتهما الدولة عليه ، وان يصبح السيد المطاع في الساحل السوري من حدود مصر حتى طرابلس ، كما اصبح مرجعـاً لاصحاب الاقطاعات ، مما حمل الباب العالي على الاعـتراف به سنة ١٧٧٤ م ، واقراره على ما ملك . ولكن ما ان تم الصلح بين تركيا وروسيا بعـد ذلك ، وارتفع الاسطول الروسي عن البحر المتوسط ، حتى امرت احمد باشا الجزار منسم صيدا ان يزحف على الشيخ ظاهر ، وامدته باسطولها ، فوسع صاحب عكا الا التسليم (١٧٨٠ م) ، وكان نصيبه القتل .

وبدأ منذ ذلك عهد الجزار في بلاد الشام . وكانت هـذا المتولي للعثمانيين كالحجاج الثقفي بالنسبة للامويين . وقد اعاد اليهم السلطة والهيبة في هذه الديار . غير ان الجزار الذي جمع بين ايالتي عكا ودمشق ، عجز مع ذلك عن اطفاء شعلة الحرية في حوران : فان حكام بني حمدان حمدوا في وجهه ، كما حمدوا في وجه الوهابيين والمصريين من بعد ، في الدفاع عن حريتهم . ثم جرى مجراهم خلفاؤهم آل الاطرش واتقنوا موقف الأبطال في مواقع مشهورة . وهم وان عجزوا عن دفع حملة ممدوح باشا سنة ١٧٩٧ م ، ثم حملة سامي باشا سنة ١٨٠٨ م الا انهم تركوا آثاراً خالدة في التاريخ في صعيد الدفاع عن الكرامة والاستقلال .

* * * * *

(في العراق) لم يشذ آل عثمان في العراق بالاستقرار الذي اتبعوه في بلاد الشام ، وذلك لقربه من ايران ، على ما بين الفرس وعراقيي الطائفـة

الشيعية من العلاقات الوثيقة ، هذا فضلاً عن اتساع مساحته وبعده عن العاصمة ، وانتشار البداوة في تسعة اعشار نواحيه .

ومنذ بداية القرن الثامن عشر حتى سنة ١٨٣٠ م كانت تتناثر بحكم العراق حكومة المماليك متمتعة بشبه استقلال . ولكن هذه الحكومة ما استطاعت ، مع ذلك ، اخضاع بلاد الرافدين على ما تريد ؛ فقد كان آل مهنا في الجانب الجنوبي الممتد من النجف حتى الفلوجه كملوك مستقلين ، بينما كان آل ابي ريشه بعانه يبسطون سلطانهم على منطقة تمتد من هيت الى بيره جك . واستمروا حكام تلك البلاد ، حتى انتزعت عشيرة شمر منهم السيطرة لنفسها .

واما في المنتفك ، وسائر الناحية الجنوبية ، فقد استقل آل شبيب مدة قرنين ، وظلوا ينازعون مع آل عثمان على البصرة ، ودخلت هذه المدينة في حكمهم اكثر من مرة ، على ان آل شبيب وان اخفقوا للسكينة في عهد حكومة المماليك بالعراق ، إلا انهم استأنفوا الجهاد الاستقلالي تحت لواء الشيخ سعدون ، مؤسس اسرة السعدون المشهورة . وقد تمكن دكهية ، بغداد من القاء القبض عليه بالحيلة ، والقاه في غياهب السجن منها ليه ، بانه كان يرمي الى استعادة الحكم للعرب » .

وقد استطال نفوذ آل السعدون وسائر العشائر العربية خلال القرن الثامن عشر من جراء الوهن الذي تسرب الى حكومة المماليك . وسجل هذا القرن ايضاً ثورة الحاج سليمان الشاوي (١٧٨٦م) ، تلك الثورة على الوالي التي اتخذت طابعاً قومياً ، وذلك بانضمام الشيخ نوري صاحب المنتفك ، وشيخ الخزاعل الى الحاج سليمان . غير ان النصر في نهاية الأمر كان حليف الوالي .

واما في الموصل فقد راعت تركيا شعور الأهلين ، ونصبت على هذه الايالة ، منذ القرن السابع عشر ، اثنين أو اكثر من ابناء البلد في الولاية . ثم صارت الولاية خلال القرن الثامن عشر للأسرة الجليلية مدة قرن كامل .

هذا وقد اشار مدتير الى ان نابليون الأول أوعز الى اخيه امبراطور أعلى فرنسا سنة ١٨٠٤ ، السيد اسقاريدس الى جزيرة العرب والعراق وسورية ، بقصد الاتفاق مع شيوخها لتسهيل مرور جيش كان يعده نابليون لاكتساح الهند . ويستفاد من التقارير التي وجهها هذا المندوب الى الامبراطور ان البدو عموماً ، ما عدا عنزه ، كانوا يكرهون تركيا ، ويتوقون للتحرر من كل سلطة لها . اهـ

غير ان الظروف ساعدت من ثم تركيا على تمكين سلطتها في البلاد العربية ؛

وكان ذلك من جراء قيام السلطان محمود الثاني بالاصلاحات ، بعد قضائه على الانكشارية ، وأهمها ربط الولايات بالعاصمة .

ومنذ ذلك لجأت السلطنة الى السياسة في الحكم ، فاستعملت ، ولاسيما في العراق ، طريقة التفريق بين القبائل وتحقير بعضها ، بالاضافة الى محاولة التقريب في الحواضر . ثم استعملت عبد الحميد الثاني سياسة الاتحاد الاسلامي ، فتوفر ، مع هذه الاساليب المتعددة ، صرف العرب عن مناهضتها ، وعن القومية .

. . . . . .

(في مصر) حفلت بلاد مصر بالثورات والفتن منذ دخلت في حوزة آل عثمان ، ولكن هذه الثورات على الدولة لم تكن ذات طابع قومي . وكان اهمها خروج علي بك الكبير على السلطان بعراء القبصرة كاتربة الثانية . كان علي بك قائماً على مشيخة البلد ، وبعد ان استلب مر في وادي النيل ، وذلك بالتغلب على عربان الصعيد ، استطاع ان يستولي على جزيرة العرب ، ثم تحول بالاتفاق مع حليفه الشيخ ظاهر العمر صاحب عكا ، الى بلاد الشام ، ودخل جيشه دمشق . ولكن تركيا استعدت عليه بالسياسة ، فاغرت به محمد بك ابا الذهب ، قائد الحملة التي وجهها لفتح الشام ، فانقلب هذا عليه وكرّ راجعاً ، وقضى على احلامه .

واما الحدث الذي كان ذا طابع قومي فهو خروج محمد علي بك ، جدّ الاسرة المالكة في وادي النيل ، على السلطان . حقاً ان محمد علي بك لم يكن عربياً ، الا انه شهد بنفسه الوعي القومي في العالم ، ورأى كيف ان انكلترا وفرنسا مدتا يد المساعدة لليونان ، ضد تركيا بحجة العطف على المبدإ القومي ، فاختار ان يجعل لطامعه الواسعة شعاراً قومياً ، وان يكون طابعه عربياً ، مراعاة للوسط الذي قامت فيه دولته . وكان السلطنة كانت على عر بطامعـــه ، فاخذت تشاغله في حروب الوهابيين ، ثم في المساهمـــة معها في اخماد ثورة اليونان . وكان محمد علي يجيبها بالسمع والطاعة ، وهو يتحيّن الفرص ، حتى اذا سنحت اندفع زاحفاً على سورية ، واجتازها الى الاناضول منتصراً ، وفكرة الامبراطورية العربية تتمثل امامه . ويؤثر عن ولده وقائد جيشه ابراهيم باشا ، انـــه اعرب للبارون ليفانكوت الافرنسي ، وهو يسأله بالقرب من مدينة طرسوس بولاية اطنه بتركيا ، عن سبب عزمه على دخول الآستانة بقوله : « اريد ان ادخلها للاصلاح لا الهدم لكي اقيم حكومة عربية تضطلع بحكم الامبراطورية » .

ولكن التوازن السياسي العالمي ، فعل في التضييق على مرامي محمد علي ما لم تستطع فعله جيوش آل عثمان . فتراجعت جيوشه الفاتحة الى مصر وهي لا تحمل من ثمرات النصر إلا ما كان من اعتراف السلطان عبد المجيد لمحمد علي بك بولاية عليها تحت رعاية السلطنة ، ولابنائه من بعده (١٨٤١) .

ولكن محمد علي استفاد ، رغم ذلك ، من الامتيازات او ايقن ان عطف انكلترا وفرنسا على اليونان ، ومساعدتها لها على التحرر من العثمانيين ، لم يكن مصدره ، في الواقع ، تشجيع المبدأ القومي ، وانما كان الحافز الحقيقي اليه ، تحرير النصارى من حكم آل عثمان . ومثله كل عطف بدا من جانب روسيا او غيرها لمساعدة دول شرق اوروبا في بلوغ استقلاله .

هذا وقد وقعت في مصر والسودان حادثتان أخريان كانت لها بعض الصلة بالقومية واعني بهما :

١ ـ ثورة احمد عرابي باشا زعيم الحزب الوطني في عهد الخديوي توفيق باشا . والغاية منهما التحرر من سيطرة الشراكسة ، حتى اذا انتبه لعرابي باشا تقلد زعامة الجامعة الاسلامية ، عرض لطلب الخيبة الدستورية ، ثم انقلب تنازل الخديوي ، وكانت ازمة تردد تجاهها الباب العالي ، فانتهزت بريطانيا الفرصة هذا التردد ، واتخذت منه ذريعة لاحتلال مصر .

٢ ـ الثورة المهدية في السودان في عهد الاحتلال ، وكان مردها الى عوامل دينية ، وان كانت لا تخلو من العواطف القومية .

. . . . . .

(جزيرة العرب) على ان تركيا وان استطاعت بسط حكمها على الاقطار العربية خارج الجزيرة العربية ، الا انها لم تستطع محاولة هذا الحكم على حقيقته في جزيرة العرب . وكانت كلما حاولت تثبيت اقدامها في اليمن ، تصطدم بالثورات ، حتى كأنها حلقة مفرغة لا يدرك ما اول ولا آخر . وقد اضطرت للجلاء عن اليمن سنة ١٦٣٠ م وخسرت بالتالي النفوذ الذي كان لها على الحجاز . وكان اشراف مكة يقدرون سراً ائمة صنعاء الزيديين بالمساعدات خلال خروجهم على السلطنة ، وذلك بدافع من العواطف القومية .

على ان آل عثمان كانوا شديدي الحرص على الحجاز ، لمكانته المقدسة عند المسلمين ، فكانت دولتهم تغدق على اهله الاحسان ، وتعنى كل العناية بعمارة الحرمين ؛

ومع ذلك فقد كان مندوبها يقيم في جدة ، تاركاً النفوذ الحقيقي لاشراف مكة ، وما فتىء هؤلاء يثيرون المصاعب في وجه الدولة ، الى ان اعلن شريف مكة الثورة على السلطان أحمد الثاني . وكانت ثورة ناجحة ، حملت السلطان مصطفى الثاني على الاعتراف لشريف مكة بالاستقلال سنة ١٦٩٥ م . ثم جاءت ظروف مؤاتية للسلطنة لاسترجاع سلطتها على الحجاز ، ولكنها عجزت عن استرجاعها في اليمن . وظلت تسوق الحملة عليها وراء الحملة ، دون جدوى ، واضطرت الدولة ان تعترف لليمن بالاستقلال في مطلع القرن العشرين . وذلك بفضل أمامها جلالة المتوكل على الله يحيى حميد الدين .

واما في الجانب الغربي من الجزيرة ، فقد تهيأ للامارات العربية ان تتمتع باستقلالها منذ القرن السادس عشر . وقد صدرت عن نجد اعظم حركة استقلالية في بلاد العرب : استولى الوهابيون على الحجاز وقسم من جنوب العراق ، بقيادة محمد بن سعود وسعود الكبير ، وبلغت طلائعهم مشارف الشام . غير ان دولتهم وان لم تحي حياة طويلة ، الا انها ظلت مثابرة على تحقيق اهدافها الاسلامية الاصلاحية ، والعربية القومية ، وذلك بقيام دولتهم الثانية . ويعتبر جلالة الملك عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية فخر هذه السلالة ، خصوصاً وانه اعرب عن وعيه القومي منذ خروجه على آل عثمان . وقد حاول في اوائل الحرب العظمى الأولى ، ان يجمع امراء عرب الجزيرة للتفاهم على قضيتهم المشتركة ، ولكنهم لم يستجيبوا له ، فمضى معتمداً على نفسه ، وادرك بذلك استقلالاً رافقه الحظ والنجاح .

ومن المفيد الاشارة هنا الى ان حكومات الآستانة كانت تستعين بالاقطار العربية المجاورة لجزيرة العرب ، كما تستعين ببعض امراء الجزيرة نفسها ، للقضاء على كل محاولة قومية تقوم في تلك البلاد : فكما ساعدت مصر انتصار الدولة السعودية الاولى في عهد محمد علي ، واستعانت باشراف مكة ، فقد اقامت ، الى حين ، امارة آل الرشيد في حائل الواقعة في الجهة الغربية من جزيرة العرب ، ترساً حامياً في وجه الدولة السعودية الثانية .

وهي الى ذلك كانت تسوق المجندين من ابناء البلاد العربية للقتال في اليمن السعيدة فيلقون هناك حتفهم ، حتى كان الناس في بر الشام يطلقون على اليمن « مقبرة العرب » . وفي الواقع فان من مفاخر اليمن انها البلد العربي الأول الذي حملت الباب العالي على الاعتراف باستقلاله .

٢ ـ القضية العربية في مظهرها الحديث .

انبعثت عن الثورة الفرنسية فكرة القومية وشرعت تنتشر في العالم المتمدن ، ولما دوت مدافع الاسطول الأوروبي في نفرارين اليوناني سنة ١٨٢٧ م واغرقت الأسطولين العثماني والمصري ، كانت هذه الطلقات ترف الى العالم بشرى انتصار المبدأ القومي . فانتعشت منذ ذلك الحين آمال الاقاليم البلقانية ، التي كانت خاضعة ايضاً الامبراطورية العثمانية ، خصوصاً بعد ان نالت اليونان استقلالها . فاخذت تثور على السلطان معتمدة على تواطل اوروبا ، ولا سيما على الدبلوماسية . والواقع ان حروب فياعرة وروسيا قد تركتا لم تكن صبغتها تختلف عن صبغة الحروب الصليبية . على ان الوعي القومي لم يلبث ان تسرب الى آسيا ايضاً فثار الارمن بفعل الدعاوات الروسية ، ثم بلغ الاوساط العربية . اما اسباب تسرب هذا الوعي القومي الى الامصار العربية فكثيرة ، نلخص اهمها بما يأتي :

(١) رافق عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ - ١٨٦١ م) اصلاحات مدنية كان القصد منها الامتثال لاوروبا استرضاءها ، وقد اوحت هذه الاصلاحات الى البلاد بان تتمتع بشيء من الحرية .

(٢) كانت حملة محمد علي باشا على سورية ذات طابع قومي عربي ، وهي وان فشلت عائدة الى مصر ، الا انها تركت آثاراً فعالة في بلاد الشام من حيث تنشيط الوعي القومي ، ولا سيما بعد ان بدا للعرب ان الهيكل العثماني ، ليس من القوة على ما كان يرسخ في اذهانهم .

(٣) ان فتنة ١٨٦٠ م في بلاد الشام ، وخصوصاً في دمشق ولبنان ، جعلت هذه البلاد من بعد مقراً لمؤتمر دولي ، عرضت فيه الاقتراحات السياسية والمناورات الدولية . وكان اعيان البلاد على اتصال بالسفراء الاجانب ، مما جعلهم يتأثرون قومياً بهذا الاتصال . وكانت حركة يوسف بك كرم في عهد المتصرفين عبارة عن رد فعل لاقتراح فرنسا في المؤتمر الدولي الذي يتلخص بان يكون الحاكم على لبنان وطنياً ، ذلك الاقتراح الذي لم يقدر له النجاح .

(٤) ورجاء عهد اسماعيل باشا خديوي مصر (١٨٥٣ - ١٨٧٦ م) موافقاً لعهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦ م) من حيث تنشيط العلم والعلماء والادب والادباء . وكان المرسلون في لبنان ، وخصوصاً الانكليكسكسون واللاتين ، يتنافسون في اعمال المعارف والمعاهد والمطبوعات والجمعيات ، وهي كلها اعمال

من شأنها أن تنقل مدنية الغرب بما فيها من مبادىء وافكار ، الى البلاد العربية . هذا فضلاً عن الوعي القومي الذي كان في جملة ما تنشطه هذه الارساليات بين الطلبة . وهكذا أصبح هذا الوعي منتشراً ليس بين الخاصة فحسب ، بل يشمل ايضاً تلاميذ المعاهد الأجنبية . وقد نوه تقرير اللجنة الملكية لفلسطين (١٩٣٧) بما كان للكلية السورية الانجيلية ببيروت ، من الفضل في اثارة الذهان الشبيبة السورية في ناحية الحكم الذاتي ، والتمسك بالجنسية .

(٥) ولاية مدحت باشا على سوريا (١٨٧٩ — ١٨٨٠) ؛ وهو الذي كان يرمي الى الاستقلال فيها بالاتفاق مع المشير احمد ايوب باشا ، على ان يكون كخديوي مصر . وكان يعتمد على فرنسا في تحقيق أمنيته ، فاطلق الحرية ، وقرب ابناء الاسر ، ونصبهم في الوظائف الكبرى ، وعمل على توحيد قلوب الطوائف . وهو وان لم يكن يرمي ، في ذلك ، الى تنشيط الفكرة القومية العربية ، الا أن مساعيه هذه أفضت بالتالي الى نشاط قومي في بلاد الشام .

(٦) الدعايات الاجنبية بواسطة قناصل الدول الذين كانوا على اتصال وثيق ببعض اهل البلاد .

وجميع هذه العوامل ، منفردة ومتحدة ، بالاضافة الى اتصال العرب بالاجانب بواسطة احتلالهم لكثير من الامصار العربية في المشرق والمغرب ، جعلت البلاد العربية تتسع بفترات من الزمن كان يبدو فيها الوعي القومي نامياً يوماً بعد يوم ، وخصوصاً بلاد الشام ، فقد كانت تتردد فيها على الألسنة ، وبالصحف بحوث كثيرة تحوم حول العرب والعروبة ، مذكرة بما كان لهم من مجد زاهر . ومن هذا القبيل مانظمه الحاج حسين بيهم في ذلك الحين ، حيث قال :

يا بني العرب سعدكم قد علا
في سوى التعب لن تنالوا العلا
فابذلوا الغرضا بينكم بالرضا
ان في الاتحاد راحة للعباد
سيما في بلاد نجمها افلا

ويلاحظ في هذه الدعوات الى العروبة انهم كانوا ، مع رغبتهم الملحة في المطالبة بتحرير قومهم ، يراعون الظروف السياسية ، فيبقون ضمن نطاق ذكرى الاتحاد والدعوة للاتحاد .

وكان يتعهد هذه الدعوة الى العروبة في بلاد الشام ، فئتان : فئة أعيان البلاد وفئة نخبة الطلبة . وقد روى لي كبير أمرنا السيد راشد بيهم عن عمه الحاج محيي الدين بيهم انه لما خلف الشريف عبد المطلب لقيام حركة قومية عربية في عهد السلطان عبد الحميد (١٨٣٩ — ١٨٦١) ، لم يبدأ من الاتصال بالأمير عبد القادر الجزائري المقيم في دمشق ، والأمير محمد ارسلان والحاج حسين بيهم في بيروت . ولكن حكومة الآستانة تداركت الأمر قبل وقوعه فبادرت الى طلب الشريف لزيارة السلطان في العاصمة . وهكذا استطاعت ان تعتقله مدة في بورصة ، ثم جعلت استامبول مقراً لاقامته . اما رفقاؤه فقد انشأوا الجمعية العلمية السورية سنة ١٨٦٨ في بيروت ورئسها أولاً الأمير محمد ارسلان ، ثم اعقب فؤاد باشا(١) بذكائه ، او لعله أوجس خيفة من بقائه في سورية ، فصحبه معه الى الآستانة وسعى لتعيينه عضواً في مجلس الشورى . وقد خلفه على رئاسة الجمعية الحاج حسين بيهم ، ونولى امانة السر الأستاذ سليم البستاني .

وكانت تتلى في اجتماعات هذه الجمعية ، قصائد ومقطوعات شعرية مليئة بذكريات العرب ومجادهم . وفي أولى اجتماعاتها دوى اول صوت للحركة القومية عندما وقف الشيخ ابراهيم اليازجي والقى قصيدته القومية التي هز بها شعور المجتمعين ، والتي كان مطلعها :

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

وانتشرت هذه القصيدة من بعد انشادها هائلاً في اطراف البلاد ، اذ جاءت تضرب على الوتر الحساس . غير ان عهد مدحت باشا ، قد سمح لكاظمها من بعد ان يكون اكثر حرية في القول حينما نظم قصيدة اخرى استهلها بقوله :

دع مجلس القيد الأوانسا وهوى لواحظها التواعسا

وقد تطرق فيها خلال دعوته للاتحاد القومي الى « العباءة والقلانس » محرضاً العرب على السعي للاستقلال ، ومنوهاً بما تم من ذلك للجيل الاسود .

واما فئة الطلبة فيروي لنا جورج انطونيوس ، انه اطلع على دستور جمعية ألفها سنة ١٨٧٥ خمسة طلاب من الكلية السورية الانجيلية في بيروت وهي الجامعة الاميركية اليوم — كان هدفها استقلال سورية ، ومن ضمنها لبنان . ثم ازداد عدد اعضائها ، وأسسوا لها فروعاً عدة في دمشق وطرابلس وصيدا . وقد

(١) وهو مغلوب السلطنة في بلاد الشام اثر ثورة ١٨٦٠ م .

تقسيل ملخص المناشير التي كانت تذيعها الجمعية . ومنها يبدو ان غاية الجمعية « الامركزية » ضمن نطاق السلطنة العثمانية . ولعل كانت هذه الجمعية صلة بمصطفى فاضل باشا المصري الذي تقم وفاته على السلطان عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦م) من جراء حصره ارث الاوبكة الخديوية في ذرية اسماعيل باشا . وألف هذا الأمير يثورته الطائفة حرب العثمانيين الجدد ، وهو اول حزب من نوعه ، وكانت له جريدة « حريت » تصدر عن عاصمة بريطانيا ممدودة بالاستبداد ، وداعيه الى الحرية . ولا يستبعد ان تكون هذه الجريدة قد وصلت الى ايدي طلاب الكلية الامبركية ، وتأثروا بدعاياتها .

غير ان هذه الفترة من الزمن التي سادت البلاد العربية عامة ، ومدينة بيروت خاصة ، لم تلبث ان اصطدمت فجأة بالعهد الحميدي ، فكممت الافواه ، وكسرت الاقلام ، وحلت الجمعيات ، وادى ذلك فقد تحول الاتجاه العربي ، الا قليلا منه ، الى الاتحاد الاسلامي ، فكانت وجهة الى الوراء ، بالنسبة لعصر القوميات ، تبرهن عن ذكاء هذا السلطان ودهائه .

٣ ـ الاتحاد الاسلامي خلال عصر القوميات .

تبوأ السلطان عبد الحميد الثاني العرش سنة ١٨٧٦ م والسلطنة على شفا جرف هار ، الخزينة فارغة ، والمطامع الدولية تثير ثائرة العناصر البلقانية فقد الترك ، وغير البلقانية ، باسم القوميات ، والدول تلح ، في نفس الوقت ، لاجراء الاصلاحات . وهي لاتبغي هذه الاصلاحات في ذاتها ، وانما تبغي من ورائها التدخل في شؤون السلطنة تحت ستار حماية الاقليات ، وصولاً لأمانيها التي مدارها تقسيم البلاد فيما بينها . ولم يكن يمنعها عن ذلك سوى التوازن السياسي . ولذلك اضطر السلطان ان يقتفي سنة اسلافه في مصانعة هذه الدول : فاعلن الدستور ، ولكنه لم يلبث ان فوجيء باعلان روسيا الحرب عليه ، وبثائرات اخذت الى اقتطاع الامصار واحد بعد واحد من جسم الدولة . وهذا ما جعل السلطان عبد الحميد مقتنعاً بان لا اصلاح يفيد ازاء الدول الطامعة ، وان القول الفصل للقوة . ولكن من اين له ان يدرك القوة وقد خسر الحرب مع روسيا ، هذا فضلاً عن ان الخطر كان يستفحل من جراء تشيع العرب بالروح القومية ؟ وهو كذلك اذ فتقت له الحيلة ، فبدا له ان يتجه مع العرب اتجاهاً جديداً من شأنه ان يظهر السلطنة بمظهر القوة حيال الاجانب ، ويجذر اعصاب العرب في نفس الوقت ، ويحوفهم عن مبـــدئهم

القومي . وتعني بذلك الاتجاه شطر مشروع الاتحاد الاسلامي .

وكانت باكورة اعماله في هذا المشروع ، دعوة خير الدين باشا التونسي الى الآستانة ، حيث نصبه صدرا اعظم سنة ١٨٧٨ ؛ ثم تقريبه لجمال الدين الافغاني مدة من الزمن . على ان هذا المشروع قد يكون من مقترحات احدهما . وطفق السلطان بعد ذلك ، يصطفي من العلماء والاشراف وابناء الاسر العربية ، من مسلمين ومسيحيين ، حاشية له ورجالاً لدولته . وحسبنا التنويه هنا بالشيخ ابي الهدى الرفاعي من حلب ، والشيخ محمد طاهر من الجزائر ، والسيد فضل باشا من مليبار ، عدا الاشراف كالحسين وعلي حيدر وعبد الاله باشا وصادق باشا . اما رجال الدولة ، فكان على رأسهم عزت باشا العابد ونجيب بك وسليم بك ماضية . والى جانبهم بعض امراء الجيش ، مثل محمد باشا ومحي الدين باشا ولدي الامير عبد القادر الجزائري ، وبعض اساتذة المدرسة الحربية ، كالمشير شفيق باشا والفريق وهيب باشا ، وهما من قرية المتين في لبنان .

وقد اجرى المرتبات الوافرة على هؤلاء ، وعلى غيرهم من مواطنيهم المتخلفين من العلماء والزعماء . وقد كانوا يتناولون هذه المرتبات تحت اسم « دعوجي » ، اي الدعاة للسلطان ، كما انه اعرب عن ثقته بالعرب بانشاء فرقة حرس منهم خاصة بجلالته ، البسها العمائم الحضراء ، وقد لقب العرب « بقوم نجيب » .

وتأييداً لمشروعه تقبل فكرة عزت باشا العابد ، وحققها بوصل بلاد الشام بالحجاز بواسطة خط حديدي سهل على الحجاج مهمة الاسفار المضنية ، كما وطد سلطته على تلك البلاد المقدسة ، فاكتسب بذلك عطف المسلمين . وانشأ في دار السلطنة « مدرسة العشائر » لتربية ابناء القبائل ، ولا سيما اولاد الزعماء ، تربية اسلامية حميدية .

هذا فضلاً عن ان كليات الآستانة ، اصبحت تجمع بين التركي والالباني والبوسنوي والجركسي ، وبين الشامي والعراقي واليمني ، فضلاً عن ابن جزيرة العرب . ولم يكن يخطر لطلابها الا انهم مسلمون ، وان هذه الامبراطورية العثمانية انما هي لهم جميعاً على السواء . وقد استعان السلطان عبد الحميد ايضاً ، على تحقيق سياسته هذه ، بنشر التعليم المجاني في اطراف السلطنة ، وبجعل اللغة التركية لغة التعليم . وكان يطلق عليها اللسان العثماني لكي يتوهم الطلاب العرب انها لغتهم على اعتبارهم عثمانيين .

وبهذه المشورة ادرك السلطان بغيته ، واخذ يزج بعدا الخلافة ، مدة تزيد على الثلاثين سنة ، فيدرأ بها عن الدولة مطامع الطامعين . فضلا عن اعتماده على سياسة التفريق بين الدول ، واستغلال المنافسة بينها على ما لها من مصالح في السلطنة .

وادرك السلطان ايضاً امنيته من العرب ، وليس ذلك بتقريبهم منه فحسب ، بل ببذر بذور الشقاق بين المسلم منهم والمسيحي ، وخاصة في بيروت قاعدة الحركة القومية وقتئذ ، واتهام ، بكل ذلك وبالاحسان اليهم ، عن فكرتهم القومية .

٤ ـ الحركة القومية ابان الاتحاد الاسلامي .

استطاع السلطان عبد الحميد ان يحافظ ، بمشروع الاتحاد الاسلامي وبسياسة التفرقة بين الرعية ، على كيان السلطنة بعد ان كاد يوشك ان ينهار ، ويصبح في متناول الطامعين . وهو ، الى ذلك ، قد ادرك امنيته من العرب ليس بتقريبهم منه فحسب ، وانما باثارة الخوف في نفوسهم من الخطر الاجنبي بالاضافة الى الرعب من الجاسوسية . وهكذا استطاع ان يصرفهم عن القومية والعروبة حتى لا يسمع لهم صوت يطالب بحقوق من بعده الا وهو يطالب بها ضمن نطاق السلطنة العثمانية . اما ما عدا ذلك ، فقد كانت دعوات شخصية انانية يتوخى اصحابها منها اما الرجوع لوظيفة ، او الحصول على دخل سكوت ، من جانب المابين الذي كان يحرص على ان لا يصدر صوت الا بالثناء على السلطان والدعاء له . هذا ويلاحظ انه قد انبثق عن الوضع الذي خلقه السياسة الحميدية في الحقل القومي ظاهرتان : ظاهرة صداها نشاط القضية الارمنية ، وظاهرة الاستقلال . وظاهرة اخرى تقوم على حركة عربية سطحية نشأت في اوروبا ، وكانت على الغالب غير مخلصة . وهذا ما نتناوله في البحث التالي :

١ ـ الظاهرة الاولى : اعترف مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ م بالقضية الأرمنية ، فزاد ذلك نشاطاً على نشاطهم وكانت روسيا تغذيهم ، كما غيرها كانوا احيانا . ولذلك اتخذ السلطان عبد الحميد الحزم والعنف في معالجتها . على ان الارمن لم ينوا ، بالرغم من الفظائع والمذابح ، بل ظلوا يواصلون الاجتماعات ، ويعقدون المؤتمرات ، وهم يحرصون في نفس الوقت ، على اكتساب انصار الترك الى صفوفهم ، للثأر من عدوهم المشترك فوق سرير الملك ، فضلا عن انهم كانوا يحاولون تقريب شباب العرب المقيمين في اوروبا . ويروي السيد وصفي الخالدي (في افلال ١٧

ص ١٦٤) ان العرب اشتركوا بمؤتمر باريس الذي عقده الارمن ، ودعوا اليه العناصر العثمانية . وقد قرر هذا المؤتمر (١٨٩٠م) قلب الحكومة العثمانية ، وتأسيس حكومة دستورية .

هذا وفي الخطاب الذي القاه نديم بك المطران في المؤتمر العربي الاول بباريس سنة ١٩١٣ اوضح النظر عن وجهات نظر كل من الارمن والترك والعرب في القومية اذ قال :

« في سنة ١٨٩٦ عقد احرار الاتراك مؤتمراً في باريس دعوا اليه جميع العناصر العثمانية ، وكانت غايته مقصورة على مصلحة الاتراك والارمن ، وما فطن الارمن من عناد الاتراك ، وخرجوا من المؤتمر حانقين ، وقلب بعد ذلك وفاقه ، وهو مؤتمر تركيا الفتاة المشهور ، وسأل العرب اذا كان ما بقي عندهم صحيحاً ، الا وهو انهم يسعون في تأسيس دولة عربية . وكان زعيم العرب وشيخ احرارها المرحوم حسين باشا الهاشمي الذي يتكلم عن العرب قائلاً : « ان العرب ليسوا الاعوان الذين المخترعون لايجدون حساب ارتباطهم بدولة عثمانية ، وضرورة عرضهم عليها ، اذا ارادوا ان يصونوا انفسهم من شرور اقل ما فيها الاسر والاضطهاد »

وانتهى نديم بك الى قول : « ان من اهم المهمة ، ان نعيد للمفكرين العرب واشرافها عرض عجز ما يريدونه لانفسهم من الحياة التي يتمتع بها اخوانهم في مصر ، وتلك ضمن دائرة المصلحة العثمانية . »

والخلاصة انه بينما كان الارمن يستهدفون الاستقلال التام ، وكان احرار الترك يتوخون اقامة حكم دستوري على انقاض العهد الحميدي كان العرب طلاب حقوق واصلاح ضمن اطاق السلطنة العثمانية .

٣ ـ الظاهرة الثالثة : وبقي صوت العروبة يتصاعد حيناً بعد حين ، ومداره على الاكثر الخلافة ، ولزوما للعرب دون آل عثمان . ومن المؤسف ان هذا الصوت لم يكن يصدر في اوروبا عن قوميين مخلصين استندوا الى منطقات ، كما فعل الارمن ، بل كان مصدره اما موتورين ، او وصوليين استغلوا هذه الحركة في سبيل بلوغ مطامعهم الخاصة ، او عاجزين من الاجانب كانوا يرفعون عقيرتهم وفقاً للوحي الذي يوحى اليهم . فقد اصدر ابراهيم بك المويلحي جريدة الخلافة في تونس (١٨٧٩) ، وهو يتوخى منها الانتقاد للخديوي اسماعيل بانشاء بمناسبة خلعه عن عرش مصر . ونشر الدكتور لويس صابونجي في لندن جريدة اخرى تحمل اسم الخلافة (١٨٨١ م) ، ومجلة « الاتحاد العربي » ، وكان يعتمد فيها على اموال بريطانية . واصدر الاستاذ خليل غانم ، في نفس العام ، بباريس جريدة البصير ، وكانت تغذيها الاموال الفرنسية .

وعلى هذا النحو ظهرت في اوروبا صحف كثيرة عربية قصد التهويل، ولكنها كانت لاتلبث ان تعطل ، اما لادراك ناشريها بغيتهم من المابين ، او لاسباب اخرى . وقد حاول الاستاذ نجيب عازوري اللبناني اثارة القضية العربية في باريس في مطلع القرن العشرين . فالف جمعية «عصبة الوطن العربي» Ligue de la nation arabe ، سنة ١٩٠٤ ، واصدر كتاباً بالفرنسية اسماه « يقظة الامة العربيـــة » Le réveil de la nation arabe ، ثم اصدر سنة ١٩٠٧ جريدة شهرية اطلق عليها « الاستقلال العربي» . وكانت جمعيته ترسل نداءات ثورية ضد الترك داعية لتحرير سورية والعراق ، طاعنة بنقد السلطان عبد الحميد .

ويسوءنا القول بان الظنون كانت تحوم أيضاً حول نشاط المشار اليه : ذلك انه هبط باريس غاضباً من جراء عزله من الوظيفة التي كان يشغلها في فلسطين ، فاخذ بمشوراته يواعد الترك بالعرب . ومن يقرأ كتابه المذكور يرَ بين سطوره ما كان يضمر من رغبة في الانتقام والتهويل .

على ان الناقمين على « عبد الحميد » ، كان بعضهم لايشك في اخلاصهم ، وقد وجدوا لهم ملجأ آخر في غير اوروبا ، فأموا مصر وكتبوا ونشروا . ومن اشهر هؤلاء عبد الحميد الكواكبي الذي غادر حلب الى القاهرة سنة ١٨٩٧ فراراً من حكومة عبد الحميد وجواسيسه ، واصدر فيها كتابين « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » و « ام القرى » . وبالرغم من ان مادتها الاصلاحية اسلامية الطابع ، الا انها تعتبر غير مجردة من وعي قومي كان يحتاج للتبلور .

٥ — القومية العربية بعد الدستور العثماني.

لم يكن اغتباط العرب بالعهد الدستوري باقل من اغتباط الترك به . ولكن امبرطورية ، كالسلطنة العثمانية ، كانت تتألف من عناصر مختلفة يكاد عددهـــا يوازي عدد الترك ، لا تجمع بينهـــا الا سياسة القوة والضغط ، ان امبرطورية كهذه هي عرضة التفسخ ، لا سيما اذا افسح المجال فجأة لرغبات كل عنصر من عناصرها . ومما كان يساعد على انحلالها ، ان الدول الاجنبية كانت تتربص بها الدوائر ، وتعمل على توجيه هذه العناصر وجهات مختلفة تتفق مع مطامعها الذاتية واهدافها . ولما قامت « حكومة الاتحاد والترقي » تحت ستار المحافظة على الدستور ، وحاولت جعل اللغة التركية اللغة الرسمية ، كما حاولت تطهير جهاز القوتين المدنية

والعسكرية من خصومها السياسيين، وجلهم كانوا من عناصر غير تركية ، ذر قرن الخلاف بين العناصر غير التركية من جهة وبين الاتراك من جهة ثانية ، لان العرب وسائر العناصر غير التركية شرعوا يتهمون الاتحاديين بانحيازهم الى سياسة التتريك متسائلين : هل تكون الدولة دستورية وهي قد اعلنت الحكم العرفي ، وساقت اليه الابرياء بتهمة انهم ضد الدستور ؟

وهكذا تطورت العلاقات بين العرب والترك منذ ذلك الحين تطوراً جدياً . على ان المرحلة الاولى للجهاد العربي كانت لا تتعدى المطالبة بالمساواة ، ثم انتقلت المطالبة باللامركزية ، وانتهت الى النضال القومي في سبيل الاستقلال .

والواقع ان محاولة الاتحاديين جعل الدولة ذات طابع طوراني يحبي مجد جنكيزخان وتيمورلنك واضرابهما ، هي التي حملت العرب على الاعتقاد بانهم غرباء عنها ، وهي التي كانت حافزاً لهم للسعي وراء الاستقلال .

١ – مطالبة العرب بالمساواة : انتقل الجدل بين الترك والعرب من ميدان الصحافة الى ميدان الندوة النيابية ، وكان يزداد حدة شهراً بعد شهر ، فجعل المنتدى العربي في الآستانة ، محل جمعية الاخاء العربي التي اغلقها الاتحاديون بعد حادثة ٣١ آذار ١٩٠٩ ، واخذ المنتدى على عاتقه المطالبة بحقوق العرب . ثم قامت في اواخر ذلك العام الجامعة القحطانية ، وكان في عداد مؤسسيها بعض دهاة العرب من وزراء وقواد . وكانت جمعية سرية يستعمل اعضاؤها للتعارف بالرموز ، وسرعان ما تنادى طلاب العرب في اوروبا لتأليف جمعية « الفتاة » في باريس ، وجرى مجراهم طلاب العرب في المدارس العليا بالآستانة ، فتكتلوا وانشأوا سنة ١٩١٢ م جمعية « العلم الاخضر » .

وكانت هذه الجمعيات لا تخرج عن كونها تتوخى تطبيق احكام الدستور الذي يضمن المساواة العامة في الحقوق والواجبات ، وان كان الجدل وقتئذ ، وخصوصاً الصحفي منه حفل بموضوعات تتعدى احياناً حد اللياقة .

على ان هذا التكتل القومي لم يقتصر على العرب فحسب ، بل شمل العناصر الاخرى التي كانت تتألف منها الامبراطورية العثمانية : فالفت هي ايضاً الاندية والجمعيات ، وانتهى الامر بنوابها للاجتماع مع العرب ، ضمن نطاق « الحزب الائتلافي » الذي كان يعتنق مبدأ « اللامركزية » لواضعه الدامغاد صلاح الدين ، وانضم اليهم بعض الترك من خصوم جمعية الاتحاد والترقي صاحبة السلطة .

٢ – مطالبة العرب باللامركزية : ازداد الاتحاديون تمسكاً بالسياسة الطورانية من جراء الخصومة التي وقعت بينهم وبين العناصر العثمانية الاخرى ، ونظم شعراؤهم القصائد في هذا الموضوع ، فتحولت الدولة من « عثمانية » ، كما ارادوها ان تكون عند توليهم السلطة ، الى تركية ، اي لتركي فيها المقام الاول . وكان ذلك ما يذكي ويزيد الخلاف . غير ان الكوارث الخارجية التي توالت على الدولة من احتلال ايطاليا لطرابلس ، وثورة البانيا ، وحرب البلقان ١٩١٢ ، قد فتت في عضد الاتحاديين ، فتسلم « الحزب الائتلافي » مقاليد الاحكام ، وعهد الى كامل باشا ، من رجالات السلطان عبدالحميد المخلوع ، تأليف الوزارة .

وكان انتصار الدول البلقانية على تركيا قد اثار المسألة الشرقية من رقادها ، كما اثار المطامع الدولية . فراجت الشائعات مختلفة ، في الولايات العربية ، عن نية فرنسا في احتلال سورية ، وانجلترا في احتلال مصر ، خصوصاً على اثر تصريحات مسيو بوانكاره وزير خارجيتها ، تلك التصريحات التي توه هيرالفرنسي في هذه البلاد من مصالح تريد ان تحميها بحكومة ، وربما على الاقل في وجهة النظر هذه مع بريطانيا العظمى . وهذه الاشاعات كانت حاضراً لحالة السورية البلبنانية القيمة في مصر ، لان تؤلف حزب اللامركزية العثمانية . وكان اهل بيروت اول من استجاب لدعوة هذا الحزب ، وابلغوا والي الولاية مطاليبهم في تحقيق الاصلاحات العاجلة . هذا وكان مسيو بوانكاره قد اعلن رغبة فرنسا ايضاً في اجراء الاصلاحات بولايات آسيا العثمانية ، فرجع كامل بك الذي كان يجري على سنة عبد الحميد في المصانعة بالسياسة الداخلية والخارجية ، الآن يكتب الى والي بيروت باجراء المذاكرات في مجلس الولاية العمومي فيما يتعلق بالاصلاحات المطلوبة وتنظيم المشاريع القانونية » .

وبذلك دخلت المفاوضات في شكل رسمي ، فنشط الاصلاحيون لتأليف الفروع لحزبهم في البلاد العربية ، على قاعدة تأييد الحزب الائتلافي . على ان وجهات نظر البيروتيين كانت مختلفة خصوصاً لوجود فئة ذات وزن كانت حريصة على التخلص من الحكم العثماني ، وتعمل بالاتفاق مع فرنسا في جمعية سرية ، كان فنصل فرنسا احد اعضائها ، لضم مدن الساحل الى لبنان ، والسعي لاستقلاله تحت حماية فرنسا . وكان المسلمون من جهة اخرى ، مع حرصهم على اللامركزية ، وتأمين حقوق العرب في السلطنة ، يضنون بالدولة العثمانية ، ولا يرضون عنها

بديلاً من الدول الاجنبية . ولما كان لا بد من تقارب وجهات النظر بين طلاب الاصلاح من انصار فرنسا وانصار اللامركزية فقد جاءت اللائحة الاصلاحية التي وضعها تسعون مندوباً منهم في دار بلدية بيروت يوم ٣١ كانون الثاني ١٩١٣ تجمع بين شروط اللامركزية وبين وجود مستشارين اجانب في جهاز حكومة الولاية بالاضافة الى مفتش اجنبي لكل لواء .

ولكن الاتحاديين سرعان ما استردوا الحكم بقوة الجيش واسقطوا الحكومة الائتلافية ، وكانت « ثورة انقاذهم تدوي والي بيروت بآخر » ، فجاء هذا يعلن الحكم العرفي ويحل لجنة الاصلاح ، كما انهم وجهوا قائداً جديداً للبصرة ، وعهدوا اليه قتل طالب نشأ النقيب ، ورئيس لجنة الاصلاح فيها . ولكن هذا الزعيم عمل على اغتيال القائد عند وصوله .

هذا وقد جاء الاتحاديون من ثم الى سياسة العنف : فاقصوا الضباط العرب عن الولايات العربية ، واندفعوا في انتخابات المجلس النيابي ، ثم يكتفوا العرب من الخراج اكثر من خمس نائباً لتمثيلهم في الندوة ، بينما كانت لهم في الانتخابات السابقة سبعون . وكان هذه السياسة اسوأ الاثر في نفوس العرب ، كما كانت حافزاً لنشاطهم في سبيل الاستقلال التام .

٣ - انتقال الاعمال من اللامركزية الى الاستقلال : كانت مصر حافلة بالجالية السورية — اللبنانية ذات النفوذ ، وخصوصاً في عالم الصحافة . وكانت هذه الجالية حرباً على الاستبداد خلال العهد الحميدي ، ثم تحولت بعد الدستور الى محاربة السياسة الطورانية ، التي عول عليها الاتحاديون القابضون على ناصية الحكم ، والى المناضلة عن حقوق العرب . على انه كان بين هذه الجالية فريق من اللبنانيين يتكتلون حول حزب الاتحاد اللبناني او غيره ، ويحصرون سعيهم في سبيل استقلال لبنان ، وتوسيع نخومه ، وذلك تحت حماية فرنسا .

وكان الشيخ رشيد رضا ، قد زار الآستانة خلال احتدام النقاش بين « عرب وترك » ، وعاد الى القاهرة معتقداً بعدم امكان التفاهم بين هذين العنصرين ، واسس جمعية الجامعة العربية ، التي كان هدفها جمع كلمة العرب ، وانشاء حلف عربي فيما بينهم .

وكان الشيخ علي يوسف عضواً في هذه الجمعية وجريدته « المؤيد » ظهيرة لها . غير ان حزب اللامركزية العثماني ، الذي تألف بمصر على اثر المخاوف التي احاقت

بقلوب السوريين على مصير بلادهم بعد انكسار السلطنة في حرب البلقان سنة ١٩١٢ ، ذلك الحزب الذي انضوى تحت رايته رجالات العرب السوريون في مصر من مسيحيين ومسلمين ، ظل قابضاً على ناصية الزعامة في الحركة العربية .

وكما اندمجت فيه الجمعية الثورية بمصر والجمعية اللبنانية بالقاهرة فقد تسلم ايضاً زمام القيادة من يد الجمعية الاصلاحية في بيروت على اثر استعمال الاتحاديين سياسة القبض مع اعضائها . وهكذا اصبح هذا الحزب مرجعاً للعرب ، خصوصاً بعد ان انضم اليه المنتدى العربي في استانبول .

وكان فريق من الطلاب السوريين في اوروبا ، قد انشأوا جمعية سرية غايتها الاستقلال التام ، وشعارها « الامة العربية في مصاف الامم » . وقد كبر عليهم موقف الاتحاديين من الجمعية الاصلاحية في بيروت ، فتنادوا الى عقد مؤتمر عربي بباريس ، وعهدوا الى لجنة تهيئة الاتصال برجالات العرب ، ودعوتهم الى هذا المؤتمر على ان يكون حزب اللامركزية بمصر هو القيم عليه .

وقد عقد المؤتمر جلساته من ١٨ الى ٢٣ حزيران ١٩١٣ ، فأيد لائحة بيروت الاصلاحية ، ولم يبد منه اي ميل للانفصال عن السلطنة ، بل تعهد كل من عبد الحميد الزهراوي ورئيس المؤتمر ، واحد مختار بيهم احد ممثلي بيروت فيه ، ان يصرحا بتمسكهما بعثمانيتهما ، وذلك امام مسيو بيشون وزير خارجية فرنسا وقتئذ : فقد قابلاه شاكرين للامة الافرنسية ترحيبها بعقد المؤتمر في بلادها ، وصرحا بما سبقت الاشارة اليه ، قصد نفي الشائعات التي شاعت حول غاية المؤتمر ، والتي كانت تتهمه بانه انما عقد لخدمة السياسة الفرنسية .

ولعل وجود بعض عمال الفرنسيين ضمن المؤتمرين هو الذي كان يحول دون اعلان زملائهم العرب عن رغبتهم في الاستقلال التام ، والمضي الى اهدافهم البعيدة .

اما موقف حكومة الآستانة من المؤتمر فقد كان جد مرن : فانها أوفدت الى باريس احمد شكري بك ، الذي كان يبدي موافقته على كل ما يصر عليه المؤتمرون ، ثم انها اقرت اللائحة التي وضعها المؤتمرون بالاتفاق مع موفدها الخاص . ولكنها ، في الواقع ، انما كانت تريد تخدير اعصاب العرب بالوعود . وبعد ان استعانت بالتسويف والتفريق مدة ، رأيناها ترفع القناع عن وجهها فتوفي على بغداد جاويد باشا الرجل الذي عرف بقسوته في البانيا ، وتنصب في بيروت بكر سامي بك المعروف بحزمه ، وتمضي منذ مطلع عام ١٩١٤ بتنفيذ برنامج جديد يقوم على :

١ ـ اقصاء ضباط العرب عن الآستانة والبلاد العربية الى الولايات التركية .
٢ ـ الاسراع بتطبيق سياسة التتريك بصورة حازمة .
٣ قتل الحركة الاصلاحية ، وحل الاحزاب العربية .

على انها لم تتورع في نفس الوقت عن اسدال الستار على تصرفاتها هـذه بانجاز بعض ما وعدت به ، من مثل تعيين بعض الوجهاء العرب في مجلس الاعيان ، واوفاد غيرهم بمنحهم بعض الامتيازات . وكان العرب بدورهم قـد قابلوا ذلك التسويف في الوعود التي وعدوا بها من قبل حكومة الاتحاديين في مؤتمر باريس بنشاط جديد موجه نحو وجهة جـديدة . فالمنتدى العربي الذي كان وسيطاً بين المؤتمرين وبين الحكومة ، اخذ يتحسس فكرة الاستقلال التام ، وقـد تفرع عن الجمعية القحطانية ، في الآستانة ، جمعية اخرى هي جمعية العهد سنة ١٩١٣ ، انشأها القائد عزيز بك المصري مع نخبة من ضباط العرب ، وكان هدفها ان تكون صلة البلاد العربية بالسلطنة ، مثل صلة الهند بانجلترا ، كما انشأ حقي بك العظم في مصر سنة ١٩١٣ الجمعية القحطانية ، وكانت هذه الجمعية تعارض اللامركزية وتدعو الى الاستقلال . هذا فضلا عن نشاط الجمعيات القنصلية في مصر وامريكا التي كانت تتوخى استقلال لبنان التام منفصلاً عن سورية .

وكان من نتيجة البرنامج الجديد ، الذي اقره ونفذه الاتحاديون في مطلع عام ١٩١٤ ، ان فيضوا على عزيز علي بك المصري في الآستانة ، وحكموا عليه بالاعدام ، ولم يخلوا سبيله الا تحت ضغط الرأي العام ، وربما كان لانكلترا يد في اصدار العفو عنه .

٤ ـ **سعي العرب للاستقلال التام** : انقلب الاتحاديون مجـددة ، على اثر دخولهم في الحرب العظمى (٢ تشرين الثاني ١٩١٤) ، من كونهم انصار الفكرة الطورانية الى دعاة للاتحاد الاسلامي ، وشرعوا يلوّحون بالخلافة والجهاد المقدس : وهذا نموذج عن هذا التطور الكاذب ننقله عن جريدة الشرق في عددها الصادر يوم ٢٨ كانون الثاني ١٩١٧ ، وهي الجريدة التي كانت تصدر بدمشق وتعتبر لسان حال الحكومة . فقد نشرت مقالاً افتتاحياً في العدد المذكور تحت عنوان « عمراننا واستقلالنا » توجته بعبارة لاحمد جمال باشا قائد الجيش الرابع في دمشق الشام وهي : « كما ان عمران البلاد لا يكون بالسعي والاهتمام واستخضار الخصب والتراب فقط كذلك عمران الامم لا يكون الا بالاستقلال ، ولا نقصد من التعبير بالامة الا الامة الاسلامية .

وليس في نظر الاسلام فرق بين تركي وكردي وعربي ، وانما ما قدر وقضي على استقلال الشرق الذي هو للمسلمين ، لا تعد البلاد معمورة ، ولو وصل القوام والكهربائي مثلا الى كل قرية من قراها ، فالعمران المادي لا قيمة له اصلا . والمدين يعدون هذا العمران ، وهم محرومون من الاستقلال ، انما هم بمنزلة العبيد ، مع ان الاسلام جاء لا ليكون عبداً بل سيداً . ولا ليكون محكوماً بل حاكماً ، راه

ومع ان العرب كانوا يدركون نوايا الترك ، ولا يفوتهم ان وراء جمد الحق الذي اسداه جمال باشا للشرع على نفسه غير عجيب ، فقد كان الخطر الاجنبي يحملهم على نسيان الماضي ، وعلى التضامن مع الدولة ضد خصومها خصوصاً وان جمال باشا كان قد شرع في دمشق بتحبيب الى العرب ، وبتقدير حسهم القومي ، وكان الى ذلك يراسل رجال الاقطار العربية ، ويدعوهم الى الجهاد . حتى اذا ايقن بانه استوثق من اوفة البلاد العربية ، واطمأن الى نتيجة الحرب ، انقلب على العرب بسوق رجالاتهم الى ديوان المجلس العرفي العسكري ، ويشنق بعض الكاتبين منهم احكاماً بالاعدام ، ويعلقهم على اعواد المشانق ، فواصل وجدت ، وبغي بعض الامير السورية الى الاقاصيل ، وبسبب تعميم الجامعة في لبنان الى حد اودى بربع اهله تقريباً ، ويوصل الوحدات العربية الى حظوظ النار .

كل ذلك كان من شأنه ان ينفي العداوة بين العرب والترك ، ويجعل بني قومنا ينقلبون على تركيا في كل مكان : فالجمعية « العربية الفتاة » ، التي كانت تألفت في باريس ثم انتقلت الى بيروت سنة ١٩١٢ بعودة اعضائها الى بلادهم ، عادت الى العمل ، وجعلت مركزها في دمشق . وقد دخل فيها الامير فيصل بن الحسين مع غيره من رجالات العرب مثل علي رضا باشا الركابي ، وياسين باشا الهاشمي ، وهما من كبار قادة الجيش . هذا فضلاً عما اصاب الاحزاب العربية الاخرى في مصر والمهجر من التطور في وجهتها واهدافها . فسابقت كلها للعمل على الاستقلال ، كما تسابق بعض اخوانهم من المهاجرين العرب للتجنيد ابان الحرب العالمية الاولى في صفوف اعدائه ضد تركيا والمانيا . وكانت بريطانيا العظمى ، قد اخذت على عاتقها بالاتفاق مع حلفائها الاتصال منذ بداية الحرب بالشريف حسين ، شريف مكة قصد ملاشاة نفوذ خصما الخلافة التي كان الاتحاديون يتوكأون عليها ويجعلونها اثارة للعالم الاسلامي . ولكن الشريف حسين ابى ، في بادىء الأمر ، ان يتفق مع الاجنبي ضد السلطنة التي اخلص لها زمنا . ثم اخذ يتردد ، ولما رفض

انور باشا قبول شخصه بالقافلة الثانية من ابناء العرب المطلوبين في بيروت ودمشق، ورفض جمال باشا ايضاً وساطة ابنه الامير فيصل بشأن الابقاء عليهم، واكتشف صدفة سر مؤامرة موجهة ضده وضد انور نفسه، كان الاتحاديون قد كلفوا بتنفيذها وهيب باشا الالباني قائد الحجاز، ازاء كل ذلك اضطر الشريف حسين للقبول بما وصلت اليه المفاوضات التي كانت دائرة بينه وبين سير مكماهون ممثل بريطانيا المقيم في مصر. فخرجت القضية العربية بذلك من حيز الامالي القومية الى حيز السياسة العالمية.

٥ ـ الثورة العربية الكبرى: وهذا ملخص شروط الاتفاق بين الشريف حسين ومكماهون، نقلاً عن مذكرة الملك فيصل الاول التي وجهها جلالته الى الكونغرس عقب اضطراره لمغادرة سورية:

١ ـ تأسيس مملكة عربية تشمل حلب وحماه وحمص ودمشق، على ان تقوم بعد الحرب في العراق ادارة خاصة يتفق عليها بين الفريقين.

٢ ـ يتولى لبنان وبيروت الفرنسا على ان يستأنف البحث بشأنها بعد الحرب، مع الاعتراف بان ليست لفرنسا رغبة في ترك حكومة داخلية دون منفذ بحري.

٣ ـ تتعهد بريطانيا العظمى بتأييد المملكة العربية واسداء المشورة اليها، على ان تستخدم هذه المملكة مستشاريها من الانكليز.

وعلى هذه الاسس اعلن الشريف حسين الثورة العربية على تركيا في حزيران سنة ١٩١٦، كما اعلن ملكيته، وبث الدعاة الى الامصار العربية يدعوهم للانضمام اليه، فتهافت ابناؤها على الاستجابة لدعوته من كل قطر، وانتهت الحرب بانتصار الحلفاء، وجلاء الترك عن الامصار العربية، وباحتلال جيشين من جيوش الحلفاء، واحدهما العراق، وكان يحمل اسم الحملة العراقية، وثانيهما بلاد الشام، وكان يحمل اسم الحملة المصرية. ودخل الامير فيصل بن الحسين دمشق باسم والده ملك الحجاز، في طليعة الجيش الثاني يوم ١ تشرين الاول ١٩١٨.

٦ ـ العرب في صفوف الحلفاء: وقد شجع الشريف حسين غيره من امراء العرب على الثورة ضد الترك، وبهذا الاتفاق اصبحت جزيرة العرب، خلا اليمن التي لزمت الحياد، تشهر في صفوف الحلفاء، وتتوخى تحقيق امانيها الاستقلال. ومن المؤسف ان البريطانيين لم يكونوا في الواقع مخلصين في الوعود التي

قطعوهـــا للعرب ، ذلك انهم ما كادوا يطمئنون الى نجاحهم في استهواء العرب للقتال في صفوفهم ، حتى اخذوا يضيقون الخناق على الثورة العربية ، ويحاولون حصرها في الحجاز .

وكانوا الى ذلك قد تقاسموا فيما بينهم وبين الفرنسيين العراق والشام ، واعطوا الصهيونيين ذلك الوعد المشؤوم ، وعد بلفور ، الذي جعل من فلسطين ، دار السلام ، ميدان خصام ومشكلة عالمية .

على انه لولا اصرار قادة الثورة وتهديدهم ، لما كان الانكليز سمحوا ايضاً لجيش الثورة العربي آخر الامر ، وهو الجيش الذي كان يقوده الامير فيصل بن الحسين ، بدخول سورية بالرغم من احتجاج الفرنسيين ، وسعيهم القوي لابقاء هذا الجيش بعيداً عن سورية داخل نطاق الصحراء .

الفصل الثاني

القضية العربية في المشرق

عصر النضال للاستقلال في المشرق منذ الحرب العالمية الأولى

ـ في أرجوحة السياسة ـ

اجتازت القضية العربية قبل حرب (١٩١٤ – ١٩١٨) مراحل ثلاث: مرحلة اليقظة والوعي القومي خلال حكم السلطانين عبد المجيد وعبد العزيز، ومرحلة الفترة خلال سلطنة عبد الحميد، ومرحلة النطالبة والعمل ابان سيطرة جمعية الاتحاد والترقي. وكانت في هذه المراحل الثلاث لا تخرج عن حد النظريات والاماني. واذا تعدت ذلك فالى نطاق التشاور والتفكير بصورة سرية. ولكن الحرب العامة اوجدت القضية العربية علانية في حيز السياسة العالمية، وذلك بما اتيح للعرب من وعود وعهود خاصة وعامة، وبمساهمتهم فعلا في الحرب، وبالتفاوضات التي جرت من بعد.

١ – كان قادة الجمعيات العربية السورية في دمشق، القناة، وهو العهد، وغيرهما، يشفقون خلال، الحرب العالمية الأولى، على السلطنة ان تنهار، ويحسنون الظن بالاتراك حاسبين انهم سيقدرون المساعدة العربية في ساعة المحنة، بكما كانوا لا يطمئنون للدول الاوروبية، ولا الى وعودها. وقد تجلى هذا الشعور في قرار اصدرته جمعية القنـــاة اثناء اجتماعها في دار شكري باشا الأيوبي في شهر مارس ١٩١٥، حيث اجمعت الكلمة، عـــلى وجوب مساعدة الدولة. وقـــد تأثر الامير فيصل بن الحسين بهذا الشعور بفعل وجوده في دمشق بين رجالات العرب العاملين. واما الشريف حسين واولاده الآخرون، وخصوصاً الأمير عبد الله، فقد كانوا في الحجاز في وسط آخر، ويتأثرون دوماً برسل الانكليز ووعودهم، ويتجهون شطر الاعتقاد بان الفرصة سانحة للاستقلال، لا سيما بعد ان ضاعف الانكليز نشاطهم في صعيد استهواء العرب، وذلك عقب فشل الحملة البريطانية على الدردنيل. وقد

عهدوا يومئذ بهذه المهمة الى المستر لورنس الذي جاء الى جدة .

ولكن لما اقسم جمال باشا على حلب الفرقة الثانية من رجالات العرب ، في ٦ مايس ١٩١٦ ، ولم يراع استعطاف الامير فيصل وشفاعته بهم ، ثم لم يحفل هو ، ولا حكومة الآستانة ، بتوسط والده ، صاح فيصل بثورة « لقد اصبح الموت حلواً أيها العرب » ، وافتتح بن والده على حق في عدم الاطمئنان للترك ، فغادر دمشق بعد ايام بحجة دير هاء ، وقاد الثورة العربية الكبرى بالتعاون مع اخوانه الشجعان .

غير ان التعريف حسبنا بدأ بدوره يتراجع الى رأي ابنه الامير فيصل في الدول الاوروبية ، وذلك قبل انقضاء الشهر الاول على انضمامه اليهم : فقد انكر الانكليز والفرنسيون عليه ان يضيق على نفسه منك العرب ، وصرحوا بجلالته بهم لا يعترفون له بملك الا على الحجاز ، ثم كانوا ، كلما اطمأنوا الى مصير الحرب ، يعدون الطرف عنه ، حتى اخرجوه وناهض الامر به لتوجيه بلاغه الشهير يوم ٣٠ آب ١٩١٨ الذي اعلن فيه استعداده للانسحاب ، وتخليه عن العمل ، لانهم لم يفوا للعرب بما عاهدوهم عليه .

٢ — بينما كانت المخاوضات تدور بين شريف مكة والسر هنري مكماهون مدة ثمانية عشر شهراً ، كانت تتقرر في جو السياسة الفرنسية تصريحات من لندن وباريس وواشنطن كلها اغراء للعرب ووعود لم يضمره الحلفاء فهم من الثوار الفتية ، نذكر منها تصريحات المسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسية بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩١٥ . هذا فضلاً عن تصريحات المسيو ريبو رئيس وزارة فرنسا يوم ٢٢ مايس ١٩١٧ امام مجلس النواب ، وبيان مجلس النواب الفرنسي في ٤ — ٥ حزيران ١٩١٧ ، وبيان مجلس الشيوخ الفرنسي في ٦ من الشهر المذكور . فهذه العهود والوعود والمبادىء شجعت العرب على الثورة ، وجعلتهم يعقدون الآمال الكبار على انتصار الحلفاء ، خصوصاً بعد ان وضع الرئيس ولسون عام ١٩١٦ للسلم العالمي اربعة عشر مبدأ اساسياً ، وفي جملتها مبدأ الفوز الدون دون ما قيد او شرط ، وفيه : « وان الاجزاء التركية من السلطنة العثمانية الحالية يجب ان تضمن عدم سلب السيادة التامة . واما الشعوب الاخرى الخاضعة الآن للحكم التركي فينبغي ان يضمن عدم التعرض بامان واطمئنان ، وان يتاح لها فرصة الرقي في مدارج الحكم الذاتي دون ما تدخل او ازعاج . »

٣ – وبينما كانت تدور المفاوضات بين الشريف والسير مكماهون ، وتنتهي حولها هذه الوعود ، كانت مفاوضات اخرى لا تتفق معها تدور ايضاً بين بريطانيا وفرنسا وروسيا افضت الى معاهدة عقدت فيما بين الدول الثلاث في ٤ آذار ١٩١٦ تنص على اقتسام تركيا . واطلعت عليها ايضاً بعد انضمامها للحلفاء .

وفضلاً عن ذلك فبينما كان جواب السر مكماهون المؤرخ في ١٠ مارس ١٩١٦ الموجه الى الشريف يعلن ان حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطاليبه ، اذا بها هي تعقد في الشهر نفسه بين انكلترا وفرنسا ، تعرف باتفاقية « سيكس – بيكو » وفيها تتفق الدولتان اللتان كانتا تعدان بانشاء دول عربية ، او اتحاد دول عربية ، على تقسيم هذه البلاد التي صدق لهود انكليزية وفرنسية ، وعلى ايجاد « ادارة دولية » في فلسطين ...

وما كان اعظم دهشة الملك حسين والعرب حينما نشرت الحكومة الروسية الثورية في شهر تشرين الثاني ١٩١٧ جميع المعاهدات السرية القيصرية ، وفي جملتها معاهدة سيكس – بيكو . وقد صارع الملك حسين وفئته في الكتابة الى السر مكماهون يستوضحه حقيقة الامر ، فاكد له ممثل حكومة بريطانيا في مصر « ان الانكليز لا يزالون على عهدهم ، وانهم مصممون على اعلان الحرية والوحدة العربية » وان هذه الاشاعات التي هي الا اكاذيب اتراك يحاولون التفريق بين القوى المتحالفة والعرب الذين يجاهدون بشرف في سبيل استرجاع حريتهم المقدسة » !!!

ويظهر ان الخيبة انطلت على الملك حسين ، غير ان قادة الحركة العربية الذين اتيح لهم الاطلاع على هذه المعاهدة ظلوا يرتابون بتصريحات الدول الاجنبية ، فوضع سبعة منهم في مصر مذكرة وجهوها للحكومة البريطانية يستجلون فيها بعض الشبهات ، فكان الجواب عليها من وزارة الخارجية ما يفيد: « ان حكومة جلالته ترمي مع حلفائها في بلاد العربية الخيرة الآن من قبل الجيوش المتحالفة ان تقوم الحكومة المستقلة فيها على اساس حر ، واما شأن اولئك الذين لا يزالون تحت الحكم التركي فحكومة جلالته تراقب في كل حال الشعوب المقهورة حريتها واستقلالها ، وان حكومة جلالته صممت عملها في سبيل تحقيق ذلك الغرض » .

وزيادة في التطمين نشرت الدولتان انكلترا وفرنسا تصريحاً رسمياً مشتركاً يوم ٧ تشرين الثاني عام ١٩١٨ في كل من فلسطين وسوريه والعراق ، يتضمن الاشارة الى ان هدفهما من دخول الحرب في الشرق هو تحرير الشعوب من ربقة الترك . وقد جاء فيه ما يلي : « وتحقيقاً لهذه المقاصد ستقوم فرنسا ، وبريطانيا العظمى فوراً ، بتشجيع ومساعدة انشاء حكومات وادارات وطنية ، في سوريا والعراق

اللتين تمّ تحريرهما بواسطة الحلفاء ، وفي البلاد الاخرى التي تسعيان لتحريرها، وان تعترفا بهذه الحكومات الوطنية حين تأليفها . وهما لا تنويان قط ان تفرضا على سكان هذه الاقطار اي شكل من المؤسسات الحكومية . بل جل غايتهما ضمان حسن سير الحكومات والادارات التي يختارها السكان انفسهم ، وذلك بما تقدمانه لها من المعاضدة والمساعدة الوافية . »

وكان هذا التصريح اثر عظيم جداً ، خصوصاً وانه صدر عن الدولتين عقب ادراكهما النصر ، وبعيد عقد الهدنة بينهما وبين تركيا ، اي انه نشر في وقت لا مجال فيه للريبة .

٤ – اسست فكرة الجمهورية الصهيونية عام ١٨٩٧ ، وكانت غرض مؤسسها تيودور هرزل توحيد جميع اليهود الذين ارادوا ان يعبروا عن قوميتهم بجامعة ذات طابع ديني ، ولم يكن الصهيونيون في البدء يقصدون بهذا الوطن فلسطين . فقد قبل هرزل بتأسيس هذه الدولة في نيوجاندا ، ولكن المؤتمر الصهيوني الذي عقد وقتئذ لمعالجة اقتراح الحكومة الانكليزية التي وهبت نيوجاندا لهم ، رفض هذا الاقتراح ، على اساس ان فلسطين هي البلد الوحيد الذي يمكن للدولة اليهودية ان تقوم به .

وقد قبل ان المانيا كانت خلال حرب (١٩١٤ – ١٩١٨) تعد العدة لكسب عطف يهود العالم ، على اعتبار ان برلين كانت قاعدة اليهودية . ومما لا ريب فيه ان اليهود رأوا في تلك الحرب فرصة لتحقيق آمالهم ، ولما اراد الانكليز اكتساب مساعدتهم كان وعد بلفور ثمناً لهذه المساعدة .

لقد شعر اليهود سنة ١٩١٧ بان الجيوش الانكليزية على وشك احتلال فلسطين ، فدخلوا في مفاوضة رسمية مع حكومة جلالة الملك التي كانت تترقب فوائد من مساعدة الصهيونيين . وقد اشار تقرير لجنة بيل الملكية الموضوع عام ١٩٣٧ م الى هذه الفوائد المرتقبة حيث قال : « ذكر لنا المستر لويد جورج ، الذي كان رئيساً للوزارة في ذلك الحين (١٩١٧ م) ، في سياق الشهادة التي ادلى بها امامنا ، انه ، بالرغم من ان القضية الصهيونية كانت تلقى معاضدة واسعة في بريطانيا واميركا قبل شهر تشرين الثاني (١٩١٧) ، فقد كان اعلان تصريح بلفور في ذلك الحين امراً اقتضته موجبات الدعاية » ... « وشرح لنا الموقف الحرج الذي كان يجتاز بدول الحلفاء والدول المشتركة معها في ذلك الوقت » .

ماذا قاله وعد بلفور : انه كان تقريراً صادراً عن الحكومة البريطانية في تشرين الثاني (١٩١٧) جاء فيه : « ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على ان يفهم جلياً انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يضير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى . »

وهذا التصريح ظل مكتوماً ايضاً عن العرب ، واستمر الحلفاء حتى بعد الحرب العالمية الاولى يزعمون انهم لا ينوون قط ان يفرضوا على سكان الامصار العربية أي شكل من اشكال الحكومات التي لا يختارونها ، ولا أدل على ذلك من تصريح كل من بريطانيا العظمى وفرنسا (٧-١١-١٩١٨) الذي اوردناه من قبل .

اصطدام القضية العربية باتفاقات معارضة

اكتسح الحلفاء سوريا وكان الامير فيصل بن الحسين ، قائد القوة العربية ، يطارد الجيش التركي في جناحه الاوسط الشرقي ، بينما كانت الحملة الانكليزية المعروفة بالمصرية تتقدم من جانبه الغربي . وكان الامير ومعه في ثورتهم يطيرون مع امانيهم السامية ، وكانوا تقدموا في بلاد قومهم خطوة ، كانوا يحسبونها مرحلة كبرى اجتازوها الى المثل الاعلى ، وهم الى ذلك متشبعون بالثقة لم تكن دعامة قائمة على الخيال ، وان تستند الى ما كان لهم في حرب الترك من الاثر الفعلي . وفي الواقع ان ثورة تلك الجزيرة جعلت سوريا وغيرها من البلاد العربية ، وكانت لا تعالج من بعد الجيش التركي ان يتخذها كموقف دفاع . وقد دخل الامير فيصل دمشق في ١ تشرين الاول ١٩١٨ مستقبلاً الجيش التركي الذي كان يستمر في الانسحاب الى الشمال . وكان فرح العرب شاملاً وشديداً حتى كاد يبلغ حد الجنون . ولا ادري ايها كان نصيبه من هذا الفرح المشترك : الجيش العربي الفاتح وفيه السوري والعراقي والحجازي ، ذلك الجيش الذي قضى في البوادي الاشهر الطوال يجاهد لتحرير وطنه ، ام الشعب الذي كان يتململ تحت ضغط الترك ، ويترقب بفارغ الصبر انتصار العرب وحلفائهم ؟

هذا . ولقد كانت باكورة اعمال حكومة الامير فيصل ، التي تولاها السيد شكري

الايوبي لمنصب حاكم عام على بيروت وجبل لبنان ، فغادر دمشق الى بيروت ، ورفع العلم العربي على دار حكومتها ، كما انها انتدبت عمالاً لها ليتولوا الادارة في منطقتي انطاكية والاسكندرونة .

وكان الامير فيصل ، الذي آمن في جملة من آمن بتصريح حلفائه عن عدم صحة وجود اتفاقات سرية ، قد فسّر التحفظات التي وردت في كتاب السير مكماهون (٢٤ تشرين الاول ١٩١٥) الى جلالة والده المختصة بالساحل السوري ، وذلك حيث اشارت الى وجود مصالح افرنسية ، بان المقصود من هذه التحفظات هو جبل لبنان . اضف الى ذلك ان الملك حسيناً لم يقبل بتلك التحفظات ، بل فاتحها عند دخوله الحرب بشأنها .

فكان احتلال حكومة الامير فيصل للساحل ، فضلاً عن كونه مستنداً الى اجتهاد في تفسير الاتفاق ، يقصد منه ايضاً وضع الحلفاء تجاه امر واقع . ولكن هذا الاحتلال كان بدء الاصطدام بين حكومة الامير وبين فرنسا . وكان الجيش الانكليزي قد وصل بيروت بعد اربعة ايام من اعلان الحكم العربي فيها ، فدارت مفاوضات سياسية انتهت بانسحاب شكري باشا الايوبي من بيروت وتولية الكولونيل بيابان الحكم ، على ان يبقى جبل بك الاشي ، الذي كان يرافق شكري باشا ، معتمداً لحكومة فيصل ببيروت . وعلى اثر ذلك اذاع قائد الحملة المصرية العام منشوراً (٣٢ تشرين الاول ١٩١٨) يتضمن اسلوب ادارة بلاد العدو المحتلة مستوحى من اتفاق سايكس - بيكو ، فقسمت سوريا بمقتضاه الى ثلاث مناطق :

أ - المنطقة الجنوبية (فلسطين) ، وتتولى السلطات الانكليزية ادارتها مباشرة .

ب - المنطقة الشرقية (سوريا الداخلية من معان الى تركيا) يباشر ادارتها الامير فيصل .

ج - المنطقة الغربية (الساحل من فلسطين الى ولاية اطنه) (سيليسيا) يباشر ادارتها الكولونيل بيابان بمعرفة فرنسا . واما العراق فقد عهد بادارة شؤونه الى مكتب الهند المرتبط بحكومة الهند . على ان حكومة فيصل ، التي اضطرت للتساهل في الانسحاب من بيروت ولبنان ، جربت ان تحتفظ بمنطقة الاسكندرونة ، استناداً الى اعتراف انكلترا لجلالة الملك حسين قبل الثورة . « بانه ليست هنالك

رغبة في ترك مملكة داخلية دون منفذ بحري » .

وقد أدى هذا الأمر الى اصطدام فرنسا ثانيـــة بحكومة دمشق حينما ذهب الجيش الفرنسي لاحتلال تلك المنطقة ، وابى عمال الامير فيصل ان يتخلوا عنها ، ثم استمروا على الرفض الى ان وردت اليهم اوامر قطعية من القيادة العليـــا في اواخر عام ١٩١٨ .

وسنتكلم فيما يلي على تطور القضية خلال الاحتلال العسكري ، فنفرد لكل منطقة باباً خاصاً وفقاً للتقسيمات السياسية التي اشرنا اليها .

أ ـ المنطقة الجنوبية (فلسطين) ١٩١٨ - ١٩٢٠ م :

ان القاعدة المتبعة عادة في ادارة البلاد الـــتي تحتلها الجيوش هي المحافظة على الحالة الراهنة ، وتجنب إحداث اي تغيير جوهري . وقد كانت الادارة في فلسطين خلال « ادارة بلاد العدو المحتلة » عبارة عن هيئة عسكرية يرأسها مدير عام يرجع الى القائد الاعلى (الجنرال اللنبي) ، ويحكم حكماً مباشراً .

وقد ادركت هذه الادارة سريعاً ، ضرورة احداث نظام للقروض بمنحاه استجلاباً لعواطف الشعب ، وتحسيناً لزراعة التي انهكتها الحرب ، فعقدت اتفاقاً (١٩١٩ م) مع شركة انكليزية ، تعهدت بمنحاه اقراض المزارعين نصف مليون جنيه ، وجرت الادارة ايضاً اكتساب ثقـــة هيئة الدينية الاسلامية ، فكانت تحل مطالبها ، في الشؤون الطائفية ، محلها من الاعتبار ، فاقامت تشكيلات القضاء الشرعي ، والاوقاف ، وفقاً لاختيارها . واما اليهود فكان لهم نظـــام قضائي مستقل ، يسير على قاعدة التحكيم . على ان عرب فلسطين ، وان اطمأنوا وفقدوا الى النظام الاقتصادي ، الا انهم كانوا يتلاقون مع سائر العرب في المثـــل الاعلى القومي ويشتركون معهم في الشكوى من حلفاء الذين اخلوا بالعهود والوعود . واما القضية اليهودية فانهم لم تسترع انتباههم جدياً ، الا حينما وصلت الى فلسطين لجنة خولتها الحكومة البريطانية حق الاستقصاء عن امكان تأسيس وطن قومي . فاذا باليهود يتقدمون الى هذه اللجنة بمطالب مفرطة ، جعلت العرب يشعرون بان الغدر احاق بهم ، وبان ثمة مؤامرة بين انكلترا والصهيونيين على اخراج وطنهم من حوزة ايديهم ، فكانت ثورة عيد الفصح سنة ١٩٢٠ التي وقعت في بيت المقدس ، وشهدت الادارة العسكرية خلال الاشهر الثلاثة الاخيرة من حياتهـــا تشوب الاضطرابات الاولى التي كانت مقدمة لما بعدها .

ب ـ المنطقة الشرقية : حكومة الامير فيصل ، ١٩١٨ - ١٩٢٠ :

١ ـ هبط الامير فيصل دمشق دخلها دخول المظفر الواثق من حلفائه ، المغتبط اغتباط نبيل استرد حرية امته ، وكما ان فرنسا ، عندما احتلت الساحل السوري ، احتلته احتلال الفاتح الذي ظفر ببغيته . وقد طلب الكابتن كوليندر الافرنسي الملحق بالحملة المصرية ، الى القائد العام وليز الانكليزي (٢٩ ايلول ١٩١٨) ان يسمح للقطعات الفرنسية بالتقدم لاحتلال دمشق فلم تجب القيادة طلبه ، بل تركت للامير فيصل ان يدخلها دخول المحررين .

وبينما كان الامير يعتبر نفسه نائباً عن ملك العرب والحجاز ، ويريد التصرف في ولايته تصرف الحر ، كانت انكلترا وفرنسا تستندان في التعامل معه ، الى اعتباره قائد الجيش العربي الملحق بالحملة المصرية . ولمناسبة الاصطدام الذي حدث من جراء ذلك بينه وبين فرنسا من جهة ، وبين الحليفتين من جهة اخرى ، توجهت الانتقادات المرة الى انكلترا ، على اعتبار ان الانعاقين اللذين عقدتهما تباعاً مع كل من العرب والفرنسيين ، هما مصدر هذا الشقاق . فشاءت انكلترا نفسها من هذه التبعة وذلك بايجاد وسيلة للتوفيق بينهما ، تؤمن لها ، في نفس الوقت ، استمرار الموقف ، خصوصاً في زيوت الموصل ، وكانت هذه من نصيب فرنسا بمقتضى اتفاق (سايكس ـ بيكو) .

ولذلك كان موقف انكلترا الحيادي في الظاهر عبارة عن موقف حذر ومساوم . وفضلاً عن انه القى مؤتمر باريس ، المجتمع لتوقيع على شروط السلام ، في هوة من المشاكل بعيدة الغور ، فقد جعل المشادة التي وقعت بين حكومتي فيصل وفرنسا صعبة الحل ، وسافر لانت تمر في مرحلتين مختلفتين : اولاهما من تشرين الاول ١٩١٨ الى تشرين الاول ١٩١٩ ، وهي التي تمثل مرحلة التنافس بين انكلترا وفرنسا ، والثانية من ١٥ أيلول ١٩١٩ الى ٢٥ تموز ١٩٢٠ ، وهي التي تمثل مرحلة الاتفاق بين الدولتين . وعلى هذا التقسيم سنعتمد عند الكلام على حكومة فيصل .

مرحلة التنافس بين انكلترا وفرنسا : بعد اربعة أيام من دخول الامير فيصل دمشق ، اذاع بلاغاً رسمياً استهله بالشكر للسوريين ، واعلن فيه ما يأتي : « تشكلت في سورية حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالاً مطلقاً لا شائبة فيه ، باسم مولانا السلطان حسين ، شاملة جميع البلاد السورية ، وتحسن هذا البلاغ

نبأ تنصيب رضا باشا الركابي رئيساً للحكومة ، وختم بطلب المحافظة على السكينة والتزام الطاعة ، وبان الحكومة لا تميز بين الطوائف ، وانما هدفها اعلاء شأن العرب .

وقد اناط الامير ، برئيس الحكومة ادارة الشؤون الداخلية ، ملقباً اياه بالحاكم العسكري العام ، كما انصرف بوجه الى معالجة الشؤون الخارجية . ولم يكن من الغريب ولا من المرتجل ، ان نقوم في سورية حكومة متزنة تحسن الادارة ، وفي سورية نخبة من الرجال الذين تخرجوا في مدارس استامبول العليا ، وبعضهم يحمل شهادات عالية من الجامعات الاوروبية ، وقد مارس اكثرهم الحكم في العهد العثماني ، وبلغوا فيه اسمى المناصب ، سواء في الادارة او الجيش .

وفي ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٨ استقل الامير فيصل الطراد البريطاني غلوستر قاصداً الى فرنسا ، لينوب عن جلالة والده في مؤتمر السلام . غير ان هذا السفر لم يقع عند فرنسا موقع الارتياح ، فاعربت له عن عجبها لسفره ، وعن استحالة اعتباره قائماً بمهمة رسمية لم تبلغ شيئاً عنه ، وعارضت فعلا في قبوله بلؤلؤة اثر وصوله الى باريس عائداً من لندن (٦ / ١ / ١٩١٩) .

ثم لم يتحول المسيو كاميانعن موقفه المعارض للامير فيصل ، الا بواسطة اللورد كورزون Curzon . وقد مثل الحكومة العربية يوم افتتاح مؤتمر السلام في ١٨ / ١ / ١٩١٩ اثنان ، هما الامير فيصل ورستم بك حيدر . ولما استعرضت فيه الشؤون العربية (٦ / ٢ / ١٩١٩) ، بسط الامير القضية العربية ، وطلب المصادقة على تأليف ولايات عربية متحدة يكون لدولة الحجاز عليها شيء من السيادة ، معترفاً باستيازات جبل لبنان ، وحق فرنسا في بسط حمايتها عليه ، كما وافق على وجود اسلوب خاص للحكم في فلسطين ، وعلى ميزة انكلترا في العراق . ولكنه رفض المساعدة الاجنبية في المناطق العربية المستقلة ، وعلق هذه المساعدات على فراغ تتخذه الادارات العربية عند الحاجة . وهو ، في كل ذلك ، يستند الى العهود التي قطعت لجلالة والده . وقد كان يترجم كلامه الكولونيل لورنس . ويظاهره السيد هواردبلس رئيس الجامعة الاميركية في بيروت .

وازاء تضارب المصالح الدولية ، وما تبع ذلك من مظاهر تدل على اختلاف المبادىء السياسية بين الجماعات في لبنان ، دارت في مؤتمر السلام مناقشات حادة ، انتهت الى الاتفاق على ما يأتي :

ا ـ اجراء تحقيقات في سورية عملا بارادة مستر ويلسن ، للوقوف على حقيقة رغائب اهلها .

ب ـ اتخاذ نظام الانتداب كدستور لعمل يراد به التوفيق بين مصالح انكلترا وفرنسا ، وبينهما وبين ضمان استقلال العرب ، وذلك على قاعدة استفتاء السكان في اختيار الوصي .

جـ ـ انتداب انكلترا لادارة فلسطين ، وتنازل فرنسا عن الموصل .

غير ان انكلترا وفرنسا لم تلبثا ان ترددتا في تحقيق اقتراح الرئيس ويلسن ، بينما كان الرئيس يصر على تحقيقه ما تقرر ، فأدى هذا الاختلاف في الرأي الى الاقتصار على تأليف لجنة الاستفتاء امريكية فقط بعد البحث الوقوف على ارادة الشعب في سورية ، دون ان يكون فيها انكليزي ولا فرنسي .

وهكذا خرجت مبادىء ويلسن من هذا المؤتمر مكللة بالنصر ، ولم يبق فرنسا من بعد ، الا ان تتحول الى سياسة الاستيلاء قبل حلول موعد الاستفتاء . فكانت مفاوضات بينها وبين فيصل اريد بها التقريب وجهتي نظرهما ، فاعترفت له بحق الولاية على سورية ، ووعدته بالسعي لدى المفاوضين في لبنان على قبول الوحدة السورية ، وذلك لقاء فصل قضية سورية عن الحجاز واعترافه مع جلالة والده باستقلال سورية عن الحجاز .

وعاد الامير فيصل الى سورية (مايس ١٩١٩) ، فاشتركت في استقباله الساطتان الفرنسية والانكليزية ، وكان استقباله في بيروت استقبال الملوك ، كما كان يوم دخوله دمشق يوماً مشهوداً . وبعد ان استقر به المقام واستأنف المفاوضة مع المسيو جورج بيكو ، احد اقطاب السياسة الفرنسية بدمشق ، اذا بالتردد يظهر عند الفريقين : ففرنسا تستكبر النزول عند امانى العرب ، وتعتبر تحقيق هذه الامانى انكسارا لها بعد الانتصار . وحكومة فيصل لا تجرؤ على البت في شأن مع فرنسا يجعلها تصطدم مع تلك الامانى .

وفي الواقع فان حكومة فيصل قد حملت التيار الشعبي على النزول عند ارادته ، وعلى النطق بلسانه . وكانت امانى السوريين ترمي الى ضم فلسطين وكليكيا والموصل الى سورية ، مع الاحتفاظ بالساحل . وهي امان لا تتعارض مع فرنسا فحسب ، بل تتعداها الى انكلترا . فكان اذن من الطبيعي ان يؤدي الامر الى الفشل في المفاوضات ، وان يتحول الفريقان الى الاستعداد لخوض معركة

الاستفتاء ، قبل وصول اللجنة الاميركية : فاذا بفرنسا تعتمد على الاموال لشراء القلوب المريضة ، ولا سيما في الساحل ، واذا بحكومة دمشق تحاول ان تجابه اللجنة برأي عام شامل ، فتدعو الى مؤتمر يعقد في دمشق ، ويشهده ممثلون عن لبنان وفلسطين ، ومنطقتي اللاذقية واسكندرونة . ويفتتح الامير فيصل المؤتمر (١٧ حزيران ١٩١٩) بخطاب اشار فيه الى ان الغاية من الاجتماع ، انما هي تمثيل سورية امام لجنة الاستفتاء ، ووضع قانون اساسي لها .

وكانت لجنة الاستفتاء (كينج — كرين) ، وعلى رأسها تشارلس كرين ، قد وصلت يافا قبل ايام قلائل ، واعرب لها عرب فلسطين عن ان امانيهم ، انما هي الامنية التي ستعرب عنها دمشق الفاصحة . ثم لما باغت اللجنة دمشق ، فاجأها المؤتمر بتقرير بسط فيه قراراته ، وخلاصتها ان المؤتمر يلح في امر تحقيق استقلال سورية بحدودها الطبيعية ، دون حماية ولا وصاية ، وهو الى ذلك يعترض على المادة ٢٢ الواردة في عهد جمعية الامم ، التي تجعل سورية في عداد الامم التي تحتاج الى انتداب . ولكنه يستدرك مع ذلك فيعلن انه اذا كان مؤتمر السلام يصر على فرض الانتداب ، فان المؤتمر السوري يعتبر الانتداب مساعدة فنية واقتصادية ، ويطلب هذه المساعدة من الولايات المتحدة ، واذا لم تقبل فمن انكلترا ، وبعض مساعدة فرنسا . ولم يغفل التقرير ذكر فلسطين والعراق : فقد تعرض الى وعد بلفور واشبعه احتجاجا ، وتحول الى العراق يطالب باستقلاله الناجز ، كما انه دون الاحتجاج العنيف على تجزئة سورية .

وقد جاءت هذه اللجنة البلاد السورية ، فلم تسمع الا صدى قرار المؤتمر . واما في لبنان ، فقد اختارت الكثرة الطوائف المسيحية ، الانتداب الفرنسي ، بينما ان الجماعات الاسلامية قد اعربت اللجنة الاستفتائية عن امان لا تختلف عما جاء في تقرير المؤتمر السوري . هذا وكان قد تألف في اواخر عام ١٩١٨ حزب سياسي في بيروت اطلق عليه اسم « حزب الاتحاد السوري » هدفه الوحدة السورية الشاملة من جبال طوروس الى بادية سينا ، بما فيه لبنان ، وكان قوام هذا الحزب الخوري يوسف اسطفان ، وخليل بك الخوري ، والامير حارث شهاب ، ونصيف بك الريس ، ومتري بك طراد ، وعزيز بك مالك ، وجورج باز (نصير المرأة) ، والدكتور فريد كساب ، والدكتور اسعد العقيش ، وقد اشترك في هذا الحزب بعض وجهاء المسلمين ، فلما جاءت لجنة الاستفتاء ، اعرب هذا الحزب عن امانيه

في الوحدة السورية، على طريقة الفدراسيون ، كما ان طائفة الروم الارثوذكس في بيروت قدمت مثل هذا الطلب . واما تأثير اللجنة في الموقف بسورية فقد اشار اليه ج دي لودر حيث قال :

« على ان وصول اللجنة الاميركية لم يغير من الواقع . الوقف كما كانوا يتوقعون : بل على عكس ذلك ، جعل الهياج والتحريض يقفان ان تصديات وثورات فعلية ، اشترك فيها الفريقان السوري والفرنسي ، لمجد الضغط على افكار اللجنة . وقد عين اللجنة اربعة شهور تدرس اثناءها الحالة العامة ؛ وتشاهد المكاتب والمدارس المحلية على كثب . ولكن مساعي الفريقين لاكتساب صوت الشعب لم تأت باية جدوى في النتيجة : لان اللجنة لم تعد في باريس قبولا لتقريرها النهائي ، من قبل المطلعين انكلترا وفرنسا ؛ كما ان هذا التقرير ، لم يقع في يد الحلفاء بواسطة رسمية اودع في وزارة الخارجية الاميركية . »

مرحلة الاتفاق بين الحليفتين : أجل ان عمل لجنة الاستفتاء لم يثمر في النتيجة ، الثمرة التي جاءت من اجلها ، ولكن هذا العمل قد ترك ، مع ذلك ، في كل من باريس ودمشق عبرة ودروساً بدلت موقف كل منها : فالعرب ، الذين كانوا يعقدون الآمال الجسام على اللجنة ، قد ازدادوا حماساً في المطالبة بالوحدة السورية والاستقلال ، على ان تشمل هذه الوحدة فلسطين ، ويتمتع العراق باستقلاله ؛ اما الفرنسيون ، الذين كانوا قد قطعوا الامل من امكان اكتساب عواطف السوريين ، فقد عمدوا الى العمل الحاسم لحازبن التعاون مع انكلترا مهما كلفهم هذا التعاون من تضحية .

وصادف ان الحركة الوطنية بمصر ، كانت قد تفاقمت وقتئذ ، وان انكلترا ، اصبحت متأهبة للتعاون مع الفرنسيين ، بعد ان تخلوا لها عن الموصل وبترولها ، فلم يتردد الانكليز ، من ثم ، في ابلاغ الامير فيصل رفضهم قبول الانتداب على سورية ، وتأييدهم الوطن القومي اليهودي بفلسطين . هذا فضلاً عن انهم اقدموا على توقيع معاهدة عسكرية مع فرنسا ، في ١٥ ايلول ١٩١٩ ، تقضي بتسليم كيليكيا ، والمنطقة السورية الغربية (لبنان) من بلاد العدو المحتلة الى الادارة الفرنسية . على ان هذه المعاهدة ، وان كانت تنص على استبقاء المنطقة الشرقية من سورية بادارة الحكومة الفيصلية ، الا انها تعترف لفرنسا فيها بحق المساعدة ، استناداً الى اتفاق سايكس ـ بيكو . واما فلسطين والعراق فقد احتفظت بريطانيا بهما لنفسها . ونصت المعاهدة على دخولها تحت الانتداب الانكليزي .

وبمقتضى هذا الاتفاق ، لم يعد للورد اللنبي ان يظل مستأثراً بالسلطة العليا في

المناطق الثلاث من بلاد العدو المحتلة ، بل قام الى جانبه الجنرال غورو قائـــدة عاماً ، ومندوباً سامياً على سورية ، ساحلها وداخلها . وقد وصل بيروت في ١٨ تشرين الثاني ١٩١٩ .

هذا وكانت الخليقتان تبغيان ابعاد الامير فيصل عن عاصمته ، عند اعلان هذا الاتفاق العسكري ، وانباء جلاء الجيوش الانكليزية عن المناطق التي اخـــذت الجيوش الفرنسية تحتلها . فكان مستر لويد جورج قد ابرق قبل ذلك بايام الامير فيصل يستقدمه الى لندن عاجلاً ، وما ان وصل باريس حتى فوجىء باعلان هذا الاتفاق . فسارع الى لنـــدن ، ولكن المستر لويد جورج والمارشال كرزن حاولا ان يخففا من ثورة اعصابه ، بالاستقبال الفخم الذي اعـــدا له ، وبالمجاملات ، ثم اشارا عليه بان يقفل عائداً الى باريس ، لوضع اسس التفـــاهم مع فرنسا . ولم يرق سمو الامير مناصاً من قبول النصح ، ولا سيما بعد انسحاب الولايات المتحدة من مؤتمر السلام ، من جراء خيبة أمل الرئيس ويلسن .

وبينما كان الامـــير فيصل يوالي اجتماعاته برجال الحكم في باريس ، ويتصل اتصالاً وثيقاً بالسير كليمنصو ، الذي كان قد اخذ مقام الوساطة والحكم بين الامير والمراجع الفرنسية ، كانت سورية تقابل الاحتلال الفرنسي بفتن محلية ، ترمي الى التأثير على مفاوضات باريس ، مع الاحتجاج على الاحتلال الاجنبي . هذا فضلا عن سلسلة احتجاجات وتدابير تولت امرها حكومة دمشق مباشرة ، فحينما ابلغ الامير زيد نبأ ذلك الاتفاق العسكري ، رفع الى الخيـــر ، بباريس استقالته من الحكم بالنيابة ، احتجاجاً . فعهد اليه الامير فيصل بالسلطة العسكرية الموقتة . ورأى الامير زيد أن يدعو المؤتمر السوري لتقرير الموقف ، فعقد جلسة في (٢٤ تشرين الثاني ١٩١٩) ، وهي ثاني جلساته ، وقد قرر فيها رفع كتاب الى الامير المشار اليه ، يبسط فيه أمنيته في الاستقلال التام ، بحدود القطر السوري التي حـــددها المؤتمر للجنة الاستفتاء ، وانشاء حكومة دستورية ملكية . وقد رافق هـــذه الحوادث اتجاه افكار الحكومة والمؤتمر الى التجنيد الاجباري . وتمهيداً لذلك تألفت لجنة من اعضاء المؤتمر للدفاع الوطني ، ودعي فيها ثنيل الشطي ، وقد كنت عضواً فيها ، بوصفي عضواً في المؤتمر عن بيروت .

وصادف ان قامت ثورة تركية في كيليكيا ضد فرنسا ، يعززها مصطفى كمال ، واستفحل امرها وقتئذ حـــتى ادت الى القضاء على بعض الحاميات الفرنسية ،

فتضافرت هذه المواقف الوطنية في سورية وتركيا ، في اثناء المفاوضة بين فيصل وكليمنصو ، على تعديل موقف فرنسا ، وجعلها تلزم خطة المصانعة مراعاة لضعفها العسكري في الشرق ؛ كما ان الامير فيصلا شعر ، بعد ان خسر انكلترا والولايات المتحدة ، بانه لم يعد يستند الا الى ارادة شعب اعزل ، لم يسعه الا التساهل . وهكذا انتهت المفاوضة بينهما (٦/١/١٩٢٠) على وضع مشروع معاهدة ، ينص على اعتراف الكي دورسه بحكومة دمشق على ان تعترف هذه الحكومة لفرنسا بحق المعونة والحماية . وتم التفاهم ايضاً بين الفريقين على كتمان مشروع هذا الاتفاق ريثما يذهب الامير الى سورية ، ثم يعود الى باريس مزوداً بموافقة الامة ، فيوقعه الفريقان نهائياً ، ومن ثم يعرض على مؤتمر الصلح . ولما بلغ الامير فيصل سورية ، بعد غياب اربعة اشهر ، شعر بثقل العبء الذي حمله من باريس ، ووجد نفسه امام شعب متحمس للاستقلال ، الى حد لا سبيل به الى تجزئته بهذا الاتفاق ؛ ولذلك حاول مرة ان يشير الى الاتفاق بالتلميح والكناية ؛ ثم ما لبث ان استصدر تبيار الوزير العلم ، قبل تأجيل سفره الى اوروبا ، ونلمس المقدرة تتأخره عن السفر ، بمعاجلة وزارة كليمنصو وزارة ميلران .

وفي ٣ آذار ١٩٢٠ دعا الامير المؤتمر السوري للاجتماع ، واقتبسه خطاباً عرض فيه القضية العربية ، وختمه بقوله : « ودولتنا الجديدة ، التي هام اساسها على وطنية ابنائها الكرام ، هي في حاجة اليوم الى تعزيز شكلها اولاً ، ووضع دستور لها » . واذا بالمؤتمر يجتمع بعد اربعة ايام من ذلك ويسارع الى اعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية ، والى مبايعة الامير فيصل ملكاً عليها . وجرت حفلة المبايعة في اليوم التالي لهذا القرار ، وحضرها مندوبو انكلترا وفرنسا وخاص الدول الاخرى ؛ بينما ان لندن وباريس اعلنتا انهما لا تعترفان بما حدث في دمشق . ثم حاول الجنرال غورو ، ان يمنع خطباء المساجد ببيروت وغيرها من الدعوة للملك فيصل في خطبة يوم الجمعة ؛ كما حاول عبثاً ان يقنع المعتمد العربي في بيروت بنزال العلم السوري عن دار الاعتماد . ولم تكن الظروف تسمح له باستعمال القوة ، اذ كان جاداً في سوق الجيش والعتاد الى كيليكيا الثائرة .

ولما عقد مؤتمر سان ريمو (نيسان ١٩٢٠) ، قرر انتداب فرنسا على سورية ولبنان وكيليكيا ، فبادر مسيو ميلران ، رئيس الوزارة الفرنسية الى توجيه بلاغ مؤرخ في اول مايس للملك فيصل ، يعلن فيه وضع سورية تحت الانتداب الفرنسي .

فرد عليه الملك السوري ببرقية كلها رفض واحتجاج، كانت من بعد، مصدر المشادة الفعلية بين الفريقين. وقد عقبت منذ ذلك الحين ربح ثورة في اطراف سورية الجنوبية والشمالية اضطرت فرنسا لعقد هدنة مع مصطفى كمال، لم تكن شروطها متلائمة مع كرامتها وذلك قصد مجابهة حكومة دمشق. وكانت هذه المعاهدة غير متلائمة ايضاً مع حقوق سورية، لان الحدود تعدلت بمقتضاها تعديلاً ادى الى ضياع قسم من جانب سورية الشمالي.

واراد الملك فيصل ان يترك وزارة الدفاع تجدّ في تنظيم الجيش وتوفير المال بينما هو يقصد الى لندن ومؤتمر الصلح بباريس لمعالجة الموقف، فاوفد اللواء نوري باشا السعيد الى بيروت، فالتقى مع الجنرال غورو على برنامج الرحلة؛ غير ان الجنرال فاجأه بانذار شفهي، كفه ان يحمله الى دمشق، يوجب على حكومتها ان ترضى بالانتداب، وان تعيد الجيش الى ما كان عليه في شهر شباط، وان تواقع على التعامل بورق النقد السوري الذي وضعته فرنسا، وعلى احتلال فرنسا الخطوط الحديدية، بالاضافة لمدينة حماه.

وعانق الجنرال الترخيص بسفر الملك فيصل الى اوروبا، على قبول جلالته بهذه المطالب.

وكانت مفاجأة غير مرتقبة صدمت حكومة دمشق، ولم تسعها الا الرفض. وكان هذا الرفض بمثابة اعلان المشادة فعلياً بين الفريقين، فزحف الجيش الفرنسي على دمشق وبالرغم من احتجاج حكومتها، ظل الجيش مصراً على التقدم، وبعد معركة ميسلون، وفي وجه مشير دمشق، فدخلها في ٢٥ تموز ١٩٢٠. وسرعان ما اذاع الجنرال غورايه، عائد الحق الفرنسة، بلاغاً جرد فيه الملك فيصلاً من سلطة الحكم، وحل الجيش السوري، ووضع غرامة حربية على حكومة سورية، وامر بنزع سلاح الاهلين، وبالقبض على كبار المعارضين.

وفي ٢٨ تموز غادر الملك فيصل دمشق الى دوفر في طريقه الى اوروبا، فخلت بذلك جبهة دولة خلق العرب عليها الآمال، واملوا انها ستحيي ذكرى الامويين بالشام.

جـ ـ المنطقة الغربية (لبنان) ١٩١٨ ـ ١٩٢٠

وفي نهاية الامر، وبعد مفاوضات متوالية، ابلغ الملك حسين الجانب الانكليزي (١ كانون الثاني ١٩١٦) انه يقبل بارجاء مطالبه بشأن لبنان الى ان

يعقد مؤتمر السلام، رغبة منه في اجتناب تعكير صفاء الاتحاد الفرنسي الانكليزي، كما روت ذلك جريدة التان الفرنسية في ١٨ ايلول ١٩١٩. وأما الأمير فيصل فانه بالرغم مما لقيه من قبل حليفتيه فرنسا وانكلترا من معارضة بشأن لبنان، لم يجامره اليأس قط، بل استمر يواصل السعي ليكون الساحل غير منبتر عن الداخل.

واما فرنسا، التي كانت تجابه القضية العربية بحذر، وتحرص على ان تكون القضية السورية منفصلة عن لبنان الذي ما برحت سلطتها على سورية بطريقة اخرى، هم تعارض، اول الأمر، مشروع اتحاد الساحل والداخل بشرط ان تكون سورية موحدة منفصلة عن الكيان العربي.

هذا وبينما كان الامير فيصل يمثل جلالة والده ملك الحجاز في مؤتمر السلام، ويتكلم باسم الاقطار العربية، وفي جملتها لبنان، اذا ببعض الجمعيات اللبنانية، وفي طليعتها الجمعية السورية بباريس التي يرأسها الجنرالكري غاص، تعارض في ادماج سورية، ومنها لبنان، بالدولة العربية الكبرى، وتطالب بالوحدة السورية تحت اشراف فرنسا. واما مجلس ادارة جبل لبنان، الذي كان لا يزال مستقلاً عن اتحاد باريس في سبيلها السورية العربية، فانه طلب بلسان الوفد الذي مثله بباريس، وكان يرأسه داود بك عون، استقلال لبنان عن سورية تحت الانتداب الفرنسي.

وكانت المفاوضات التي جرت بين فرنسا والامير فيصل بعقب مشروع الاستفتاء الذي قامت به لجنة كينج - كرين قد استقرت على الاعتراف للامير بحق الولاية على سورية، مستقلة عن الحجاز، على ان تسعى فرنسا لدى اللبنانيين المعارضين على قبول الوحدة السورية، والانضمام لحكومته. وقد نزل الامير فيصل عند طلب باريس بالتخلي عن تمثيل والده في القضية العربية للانصراف الى الشؤون السورية.

غير ان الحوادث التي تلت هذا الاتفاق حولت اللبنانيين عن الوحدة السورية الى المطالبة بلبنان الكبير المستقل. وكان من جملة اسباب هذا التحول، مساومتهم لفرنسا التي ارادت ان تستخلص لنفسها الساحل الامير بعد ما تقرر لديها انه من المستحيل، اقناع السوريين بقبول الانتداب. على انه رغم الثورات التي توالت خلال مفاوضات (فيصل - كليمنصو) في اطراف لبنان، وكان القصد منها اعلان الاحتجاج على الحكم الفرنسي، والتمسك بالوحدة السورية، فان الامير

فيصلا لم يسعه ، بعد ان اعلنت انكلترا رغبتها في مساعدة فرنسا ، الا الاعتراف بهذه الحماية ، والمصادقة على استقلال لبنان (اتفاق ٦ / ١ / ١٩٢٠) على ان تكون بيروت واسكندرونة مدينتين حرتين .

ولكن مشروع اتفاق (فيصل – كليمنصو) قد مني بالفشل ، كما بيد وعادت حكومة فيصل بعد فشله الى المطالبة بالوحدة السورية ، كما مضى الفرنسيون في تثبيت سلطتهم على لبنان .

وبعد ان تولوا الحكم فيه (١٩١٨) اعادوا نظام جبل لبنان القديم ، الذي عطله تركيا خلال الحرب ، واعادوا موظفيه على ما كانوا عليه سنة ١٩١٤ ، وجعلوا على رأسهم حاكماً فرنسياً ، كما انهم جعلوا ولاية بيروت ادارة خاصة تحت اشرافهم . وكان الحكم ، في الجبل وفي الولاية ، حكماً عسكرياً مباشراً ، تولاه اناس مارسوا السلطة في المستعمرات ، فاساؤوا الى سمعة فرنسا ، وكادوا يجعلون انصارها يندمون على حبها . وقد تجلى استياء اللبنانيين من هذا الحكم ، بالقرار الذي أصدره مجلس ادارة لبنان ، وهاجم به الجنرال غورو عند عودته من باريس لبيروت ، وهو مليء بالانتقادات الموجهة لنظام الحكم .

ثم نودي بالامير فيصل ملكاً على سورية (مارس ١٩٢٠) ، وكان يشترك في مؤتمر القمة بعض ممثلي الوحدة السورية بلبنان ، فتركت هذه المفاجأة الجريئة ، بين اوساط اللبنانيين اثراً عظيماً ، كان من نتائجه ان اكتسبت دعاية هذا العامل ، كثرة اعضاء مجلس ادارة لبنان ، فاصدروا في ١٠ تموز ١٩٢٠ قراراً يقضي بالاتحاد بين لبنان المستقل وبين سورية في الشؤون الاقتصادية . وقد ذعرت السلطة الفرنسية هذه المفاجأة ، وألقت القبض على هؤلاء الاعضاء ، وهم في طريقهم الى دمشق ، وحكمت عليهم بالنفي بتهمة الخيانة العظمى . ثم اصدرت امراً بحل هذا المجلس واستبداله بآخر ، انتخب التعيين السامي نفسه بتعيين اشخاصه . واطلق عليه اسم « اللجنة الادارية » .

وكان مؤتمر سان ريمو قد عهد الى فرنسا ، بالانتداب على سورية ولبنان (نيسان ١٩٢٠) فتتابع منذ ذلك ، وصول الجنود التي طلبها الجنرال غورو خلال الفجوة العاصفة التي خلفت هذه الاحداث بلبنان . وبعد ان احتل الجنرال دمشق ، واقام على انقاض دولة فيصل حكومة محلية تحت الانتداب ، تحول الى لبنان ، فاعلن في مهرجان كبير استقلاله ، واتساع حدوده (١ ايلول ١٩٢٠) ، على ان

تكون بيروت العاصمة مع مدينة طرابلس ذاتي استقلال بلدي واسع المدى .

نضال العراق في عهد الاحتلال العسكري

لم يكن في العراق ما كان بفلسطين من وعد بلفور ، ولا ما كان بسورية من نضال بين الحكومة الفائية وبين فرنسا ، بل بسط الانكليز سلطتهم عليه خاصة منذ وطئوا ارض البصرة سنة ١٩١٤ الى ان دخلوا الموصل ١٩١٨ . وعمدوا بادارته الى الحكومة المدنية ، وجعلوا نفوذ الهند اساساً للتعامل . غير ان صعوبات كأداء اعترضت سبيل الاحتلال ، كان مصدرها نقصاً كبيراً في كفاءة الموظفين الذين جيء بمعظمهم من الهند ، هذا فضلاً عما في ادارة هذا القطر من صعوبة من جراء تحكم التقاليد العشائرية ، في نفوس اهليه ، وما يتأصل في هذه النفوس الابية من الحرص على الاستقلال . هنا وقد ظهرت امارات النهضة الوطنية ، بصورة عامة ، منذ نشرت الجرائد بتاريخ (١١ / ٨ / ١٩١٨م) مبادىء الرئيس ويلسون الاربعة عشر التي ابلغت يوم ٨ / ١٢ / ١٩١٨ الى مجلس الشيوخ العراقي . وثبت هذه النهضة وقويت على اثر التصريح البريطاني الفرنسي في (٨ / ٩ / ١٩١٨ م) الذي اوردنا نصه . وكانت سورية قد تمتعت بحكومة مستقلة ، ثم بايعت فيصل ابن الحسين ملكاً عليها . فآثار استقلالها اثارة القومية في العراق ، بينما اصبحت دمشق حقلاً خصباً لاعمال الاستقلالية العراقية ، تغذيها الحكومة بصورة علنية . وكانت لا تبرح هذه الحكومة تطالب ، في كل مناسبة ، باستقلال العراق .

وقد تفاقم السخط على الانكليز في العراق ، حينما اعلنت فيومها بالانتداب . ثم لما لجأت الى سياسة العنف اضاعت الثقة التي تمتعت بها في غرة الاحتلال ، وقام مقامها نفرة شاملة ، ادت الى اتحاد العراقيين ، والى اعلان ثورة ١٩٢٠ التي انتهى بها عهد الاحتلال العسكري .

نضال مصر في عهد الاحتلال

هب العرب خلال الحكم العثماني لمطالبة بحقوقهم ، وأدى الاصطدام بينهم وبين الترك الى السعي للاستقلال . وقد ساهم بعض المصريين في هذا الواجب : فكان عزيز علي بك المصري ، وخليل بك حمده ، في حلقة المؤسسين للحركة العربية الاستقلالية باستانبول . ثم لما تحول مركز الحركة الى مصر ، من جراء ضغط

الانجليزيين على احرار العرب ، الفى هؤلاء في وادي النيل اهلا وسهلا . وكان في طليعة انصارهم الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد . وقد اشرنا من قبل الى ان عزيز علي بك المشار اليه الف بالقاهرة (الجمعية الثورية) فكانت هناك اولى الجمعيات التي ناصبت الترك العداء في سبيل العروبة .

ولكن المصريين كانوا على وجه عام اميل للجامعة الاسلامية منهم للقومية العربية . وقد تجلى هذا الميل فيهم ، حينما اتصل بهم خبر الاتفاق الذي جرى بين الملك حسين والانكليز ، فكانوا احزابا تتهالك عليه ، مدفوعين الى ذلك بالعاطفة الدينية .

ولما انتهت الحرب العالمية الاولى ، وكانت من نتائجها تلك النزعة القومية الاستقلالية التي غمرت عالم الامم المستضعفة ، كانت مصر في طليعة الاقطار العربية التي تحسست بهذا الشعور ، وعملت على تأييد مراميه . ولكنها جرت على غير مجرى الامصار العربية الاخرى التي كانت تنادي بالعروبة ، وبالتعاون العربي وتستهدف غايتها الأعلى : الوحدة .

أجل جرت مصر في بعثها القومي ، على اساس مصري محض ترده الى الفرعونية ، وهي مع ذلك ، تحافظ على الطابع الاسلامي . وربما كان مصدر اعتمادها على هذه النزعة غير العربية ، يرجع الى ان الأسر المتحكمة الأريستوقراطية ، حاشية الكلمة النافذة في قواعد مصر ، هي سلالة جوال غريبة لاتمت للعروبة بصلة النسب . وهي ترى من الخير لها ان يكون طابع البعث القومي هناك : مصريا اسلاميا يتفق مع صبغتها الخاصة ، وذلك خشية ان تجعلهم العروبة ، اذا غمرت مصر ، في معزلة الغرباء . وقد زين لهم الاعتماد على الفرعونية ، والدعاية ضد العروبة ، نفر من كتاب مصر الاقباط ، وبعض اعيانهم ، فأفضى هذا التعاون في المبدإ الى طبع الحركة الاستقلالية بمصر قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها بطابع اقليمي ، خلافا لسائر الامصار العربية .

وقد بسطنا في الجزء الاول من هذا الكتاب ، مراحل نضال وادي النيل في سبيل الاستقلال في عهد الاحتلال (صفحات ٢٠٤ الى ٢٠٧) . ولا نرى حاجة لاستئناف هذا الموضوع هنا ، ولكن من المفيد الاشارة الى ان العراك بين مبدأي العروبة والفرعونية ، ذلك العراك الذي استفحل شأنه فيما بين الحربين العالميتين ، انتهى اخيرا بانتصار العروبة . وكان انتصارا عظيما حينما تزعمت

القاهرة الحركة الدولية العربية لوضع اسس الجامعة ، وحملت من بعد ، لوائها .

نضال السلطنات والمحميات

كان للنضال القومي في العراق وسوريا أشد الأثر على سائر الأقطار العربية ، ولا سيما في سواحل جزيرة العرب ، يضاف الى ذلك ان اهل السلطنات والمحميات في جنوبي الجزيرة ، كانوا ، لاتصالاتهم المكثفة بالهند ، يتتبعون حركاتها الاستقلالية ، ويتأثرون بثوراتها المتوالية ، سلمية كانت أم مسلحة . فاذا بالوعي القومي يدب الى صفوفهم ، واذا به يتحول الى بعث ؛ ولكنه مع ذلك يراعي الظروف ، فيبدأ بطلب الحرية والدستور على أمل ان يبلغ الاستقلال .

هذا ومما لا ريب فيه انه كان للعراق خاصة اشد الأثر في هذه اليقظة ، كما صار للاتصال المباشر بالاميركان والاوروبيين ، من جراء اعمال البترول ، فضل كبير في بعث النهضة . ففي شباط ١٩٣٨ عقد اتفاق بين امارة الكويت وبين العراق ، مداره توحيد مناهج التعليم بين البلدين في اللغة العربية . وقد افضى هذا الاتفاق الى اعتماد الادرة ، على لسانة الرافدين ، عقبه اتصالات بين اعيان المنطقة ، وبين هذه المنطقين لم تقتصر نتائجها على التقريب بين القطرين الشقيقين فحسب ، بل عملت ايضاً على التوحيد بينهما في الرغبات الاستقلالية ، ومكافحة الاستعمار . وكان من مظاهرها الواضحة ، اتخاذ مجلس شورى الكويت ، قراراً في شهر ايار ١٩٣٩ يقضي بضم الامرة الى المملكة العراقية .

ولكن كما تقف الدولتان المصرية والعربية السعودية الآن في وجه تحقيق الاتحاد بين سوريا والعراق ، فان المملكة العربية السعودية ، عارضت وقتئذ بشدة ، مشروع انضمام الكويت الى العراق ، فذهب ادراج الرياح .

على ان هذه اليقظة في الكويت ، لم تقف مع ذلك ، عند تخوم بلادها ، بل سرعان ما انسربت الى جوارها . وفي مطلع سنة ١٩٣٩ ، شهدت البحرين مظاهرة شديدة ضد الاستعمار . وقد عبرت هذه المظاهرة عن مطالب الاهلين المتذمرين ، الذين كانوا يريدون تأسيس مجلس تشريعي ، على غرار المجلس الذي اقيم في الكويت . وكانوا يصرون على عزل المستشار الانكليزي ، وناظر المعارف ، وان يستبدل الثاني بناظر عراقي ، هذا فضلاً عن طلبهم اجتناب توظيف الاجانب ، في اعمال شركة النفط ، ليتركوا المجال الى ابناء العرب انفسهم . ولكن السلطة الانكليزية

أخمدت هذه المظاهرة بالقوة ، وان لم تستطع اخماد جذوتها المستعرة في النفوس .

وكانت امارة دبي مسرحاً لحركة أوسع ربيع عام (١٩٣٩ م) ، وذلك حينما اوغر الشعب أميرها على قبول الاصلاحات التي يطالب بها ، وعلى رأسها قيام مجلس تشريعي اسوة بأمارة الكويت . وما ان تكفل هذا الامير بما وعد ، حتى انقض عليه الشعب وقتله ، وبايع ابن عم له بالامارة كان على رأس الثورة .

على أن مسعى السلطان سعيد بن تيموره سلطان مسقط وعمان بصدد التحرر على قدر المستطاع ، كان يرجع الى سنة سابقة : فهو ما زال يراجع ممثل لندن في الخليج الفارسي ، ويتصل بحكومة الهند لتعديل المعاهدة بينه وبين بريطانيا العظمى ، تعديلا يتفق مع شيء من الحرية . ولما زار لندن سنة ١٩٣٨ عاد لاستئناف المراجعة بهذا الشأن . غير ان الدوائر بلندن ، وان استمر يستمهل السلطان عند كل طلب ، الا انه اضطر ، في نهاية الأمر ، المسايرة ، وذلك عند انتهاء اجل المعاهدة في منتصف شباط ١٩٣٩ ، لأن الحرب كانت على الابواب . وقد وفق السلطان سعيد الى تعديل المعاهدة ، بشكل اتاح له حرية التصرف في الشؤون المالية وجبايتها ، من الاجانب والشعب على السواء .

ولا ادري اذا كنت استطيع اعتبار تلك الثورات التي وقعت عام ١٩٣٨ ضد حكومة عدن ، في عداد مظاهر الوعي القومي : فان ثلاث عشرة قبيلة من القبائل الخاضعة للانكليز ، ثارت عامئذ ضدهم ، ورفعت السلاح في وجه حامينهم ؛ ولكنها لم تستطع في آخر الامر ، ان تصمد في وجه الطائرات التي استباحت كل قرية ، في معاقبة الثائرين .

غير ان بريطانيا العظمى ، وقد أعجزها التأثير على الضمائر ، لم تلبث ان القت السلاح جانباً ، مذ بدا خطر الحرب ظاهراً ، وتحولت بدهائها لاستغلال السياسة .

— ماذا يريد اهل المحميات والسلطنات ؟

— انهم يتطلعون ، شأن سائر العناصر العربية ، الى الحرية والاستقلال ؛ وتتوق نفوسهم الى التعاون متحدين في طريق الوحدة .

— الامر سهل ، قالت : لندن ، فلتعالج تهدئة الخواطر بينهم ؛ بوعود تتفق مع أمانيهم . فاذا بالصحف تتحدث عن انشاء اتحاد عربي ، على اساس مشروع بريطاني ، يضم الأمارات العربية الواقعة حول الخليج الفارسي ؛ مع احترام الاستقلال الذاتي

والاداري لكل امارة ، على ان يرتبط هذا الاتحاد بمحالفة مع بريطانيا العظمى . »

ثم تردد الخبر بعد بضعة اشهر بصيغة اخرى ، تجعل جزائر البحرين قاعدة هذا الاتحاد ، وتنبىء باحتمال عقد مؤتمر لهذه الغاية ، وذلك في اوائل تموز عام (١٩٣٩م) . والواقع انها كانت شائعات أريد منها تحويل اهالي تلك البلاد عن الاستمرار في المشاغبات ضد لندن ، الى عقد آمالهم عليها بعد الانتهاء من الحرب .

ولا ادري ايضاً اذا كانت بريطانيا العظمى ، قد نهجت ، ابان الحرب العالمية الثانية في حضرموت ، وغير حضرموت ، نهج جمال باشا قائد الفيلق التركي الرابع بلبنان خلال الحرب العالمية الاولى . فقد كانت تركيا لا تطعم لبنان ، من جراء علاقات احدى طوائفه الكبرى بفرنسا ، وبسبب الحركة الاصلاحية التحررية التي قامت ، قبل تلك الحرب في بيروت ، فعمد هذا القائد الى تجويع لبنان ، تجويعاً جعل قسماً كبيراً من اهله يموتون جوعاً . وكان قصده من ذلك تحويل اللبنانيين عن السياسة ، الى الركض وراء رغيف الخبز . وهكذا فقد وافت الحرب العالمية الثانية بجماعة قاسية في حضرموت ، قضت على خمسين الف نسمة من سكانها الذين لا يزيد عددهم على مائتي وخمسين الف ساكن . وقد زاد في شدة هذه المجاعة ، انقطاع المساعدات المالية عنهم ، التي كانت تأتيهم من قبل المهاجرين النازلين منهم في اندونيسيا ، شأن اللبنانيين حينما انحجزت عنهم بسبب الحرب الاولى ، مساعدات ابنائهم المهاجرين .

على ان بريطانيا وان كانت تعلق ان اشباع جيوب اصحاب الامر والنهي هناك كفيل بصيانة سلطانها ، ومن ثم فانها هذا لن يبقى نجمها العالية ، خصوصاً بعد ان افل على عالم الغرب ، رأسا واشنطن وموسكو .

الفصل الثالث

عصر الكفاح للاستقلال في المغرب العربي (١)

منذ الحرب العالمية الاولى

إن العالم العربي كالجسد الواحد اذا أصيب بعضه تداعى له سائره بالسهر والحمى ، والذي عقد خلال الحرب العالمية الاولى بين بريطانيا العظمى والشريف حسين ، وما تلاه وتفرع عنه من عهود ووعود ، كان مما تأثر عظيم على نشاط الوعي القومي في شمالي افريقيا . وذلك لان اهالي طرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش ، وهم عرب في لغتهم وحضارتهم ، قد اعتبروا تلك الوعود والعهود موجهة في جملتها اليهم ايضاً .

وفضلاً عن هذا ، فقد كان ٩٤٬٣٠٠ جزائري و٦٠٬٠٠٠ تونسي و ٣٧٬١٥٠ مراكشياً يقاتلون دفاعهم جنوداً في سبيل فرنسا خلال الحرب العالمية الاولى ، وكان ٧٨٬٥٠٠ جزائري آخرين و٢٨٬٩٥٠ تونسياً و ٣٥٬٥٠٠ مراكشي يعملون في مصانعها ، ليل نهار ، لاعداد العتاد الحربي وغيره ، وكل ذلك قصد المساهمة في انتصار الحلفاء ، ذلك الانتصار الذي كانت الوعود المحمولة خلال الحرب تحملهم على ان يعقدوا كبار الآمال عليه .

ولما انتهت الحرب العالمية الاولى ، وفوجئ اهل المغربين بتنكرل تلك الوعود ، حفزهم ذلك التنكرل الى مضاعفة النشاط في سبيل بلوغ الاستقلال . أجل وبينما كان كل قطر يجاهد منفرداً في هذا السبيل ، كان هناك هدف واحد ، يتهادى امام اعينهم جميعاً ، الا وهو الاتحاد العربي الافريقي ، لادراك مثلهم الاعلى في الوحدة العربية الكبرى .

---

(١) في الجزء الأول من هذا الكتاب وفي الفصل الحادي عشر منه بحثنا موضوع الاستعمار والحماية في المغرب ، ونحن هنا نتوخى هذا البحث منذ الحرب العالمية الثانية حتى اليوم .

واما المستعمرون فكانوا لا يعرفون الرحمة في كبت هذه العواطف القومية ، ومثل تلك الوعي القومي . وكانوا يستعينون عليهم بالتفريق ، خاصة بين العرب والبربر ، هذا بالاضافة الى آثاروه من الفتن بين الطوائف والاديان . ولكنهم ما ان صاروا قاب قوسين او ادنى ، من الحرب العالمية الثانية ، حتى كروا راجعين الى سياسة المصانعة والتوريط بالوعود ، وراحوا يجندون اهل البلاد في وحدات الجيوش والمعامل ، ويسوقونهم ، كما فعلوا في الحرب العالمية الاولى ، الى صفوف النيران في مختلف الجبهات .

ومع ذلك فقد كانوا ، كلما آنسوا بارقة امل في اصر قريب ، ينقلبون على اعقابهم ، وينكثون وعودهم ، على ان موقف اهل شمالي افريقيا انفسهم ، كان في هذه المرة غيره بالامس . ذلك ان احداثاً كثيرة عرضت خلال هـذه الحرب ، وكانت حافزاً مهماً على اخراج نضالهم الى شكل عملي : ولقد كان لفقد فرنسا نفوذها خلال هذه الحرب ، من جراء انهيارها السريع خاطفة ، امام قوى الالمان الجبارة ، وقيام الجامعة العربية في القاهرة ، واستقلال كل من سورية ولبنان ، اثره الفعال في ازدياد نشاط اهل المغربين في اضعافه وكفاحهم ، ومشجعاً لأمانيهم وآمالهم . هذا فضلاً عن ان الولايات المتحدة كانت قد خرجت من عزلتها ، وظهرت بمظهر المؤيد لمبادىء الاستقلال في البحر المتوسط .

وفي الوقت نفسه كان بعض المغاربة قد خرجوا من بلادهم ، فراراً من الضغط والتعذيب ، والتجأوا الى جوار الجامعة العربية ، واستأنفوا النضال هناك ، بعد توحيد صفوفهم ، في « جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية » . وقد عقدوا مؤتمراً اسموه مؤتمر المغرب العربي ، في ربيع ١٩٤٧ ، استهلت مقرراته باعلان رفض الجامعة على تونس ومراكش ، وعدم الاعتراف باي حق لفرنسا في الجزائر ، والمطالبة بجلاء الجيوش الاجنبية . وخلصت هذه المقررات بمادة تنص على توحيد جبهة الاقطار الثلاثة ، وان يكون لكل من رابطة الدفاع عن مراكش ، والوفد المراكشي (الريفي) الموجود في جنيف الجامعة ، وحزب الشعب الجزائري ، والحزب الحر الدستوري التونسي ، مكاتب مشتركة في القاهرة يسمى « مكتب تحرير المغرب العربي » . ثم لما لجأ الامير عبد الكريم الخطابي الى مصر ، اجمعت كلمة الاحزاب المغربية على انتخابه رئيساً لهذه « تحرير المغرب العربي » التي اتخذت ميثاقاً لها « لا مفاوضة الا بعد الاستقلال » . هـذا الى ان اهل شمالي افريقيا ، ولوا وجوههم وقلوبهم شطر

القاهرة ، واصبحوا يعقدون واسع الآمال على الجامعة العربية لأنهم كانوا يعتبرونها بمثابة مركز الانقاذ لهم من الاستعمار المقوت . وقد بدأ تعلقهم بالجامعة عام ١٩٤٧ خاصة وذلك خلال المهرجانات التي اقيمت في جميع البلاد بمناسبة ذكرى تأسيسها. ونحن لا نبالغ اذا قلنا بان الجامعة العربية اصبحت كذلك رمزاً للاستقلال في نظر العناصر السوداء في افريقيا ، التي تمثلها البعث القومي ايضاً .

هـذا وبينما كان المغرب العربي يواصل نضاله مشحذاً خاويج البلاد في سبيل استقلاله ، كانت الأحزاب التي ذكرناها تجتاز ايضاً ، هي الاخرى ، في نضالها في الداخل ، مرحلة في سبيل امانيها كل حسب وامكانياته .

تونس في نضالها

ظلت تونس ، وهي التي مثلت دوراً كبيراً في تاريخ الاسلام ، ترقب بعين يقظة ، بعد دخولها تحت الحماية الفرنسية ، كل تطور في العالم الاسلامي ، وتستمع باذن صاغية الى انباء الشرق العربي . وهي لا تفتأ تحن الى استقلالها ، يحدوها الى ذلك هيكل دولي قائم في بلادها ، وذكريات تاريخ مجيد لا تبرح تهدهدها الثقافة القديمة الموجودة التحدث عنه ، وتردد صدى أمجاده .

وقد استهل القرن العشرون بحدثين في الشرق الادنى افضت الى خروج اماني التونسيين من حيز الرغبات الى حيز العمل : فالحركة الوطنية التي بدأت بمحاولات فردية برياسة محمد السنوسي والبشير صفر اصبحت ، من بعده ، وليدة هيئة منظمة بزعامة علي باش حنبه وهما جريدة التونسي التي صدرت سنة ١٩٠٤ ، وكانت تنطق بلسانها . ثم كان الانقلاب العثماني وما اسفر عنه من غلبة الاحرار العثمانيين على السلطان عبد الحميد الثاني واعلانهم الدستور سنة ١٩٠٨ . كل ذلك كان منبهاً للوعي القومي في تونس وحافزاً الشباب خاصة ، لأن يصمموا للحصول على حكم نيابي مماثل واستقلال ناجز . كما ان محاولات الفرانكفونيين الاستقلالية في تركيا خلال الحرب العالمية الاولى ، جاءت حافزاً لنشاط التونسيين الى النضال في هذا السبيل . على ان فتيان تونس ، ظلوا مع ذلك ، يلجأون ، في سبيل تحقيق امانيهم ، الى الوسائل السلمية فحسب ، وقد التفوا حول جريدة التونسي التي اخذت تحمل بشدة على سلطة الحماية ، مما جعل فرنسا تتهم محرريها بانهم يستوحون مبادئهم من اوساط فتيان الترك ، وتعمد الى تعطيلها (١٩١٣) ، واخراج زعماء تحريرها من تونس . وكانت

القضية العربية في تركيا قد دخلت ، خلال ذلك ، في دور جديد ، اذ خرجت من نطاق البرلمان العثماني الى الاندية والمحافل ، وتعدت العاصمة الى الولايات ، ومنها الى سائر الامصار العربية . فتسرب هذا النشاط الى تونس . وكان قد سبح لعلي باش حنبه ، احد المثقفين التونسيين ، بالعودة الى بلاده ، فتولى زعامة حركة اصلاحية ترمي الى المطالبة بتمثيل التونسيين في المجالس الحكومية ، عن طريق الانتخاب الشعبي ، ونشر التعليم ، وتنظيم القضاء . وكانت هذه الحركة بمثابة الحجر الاساسي التي قام عليها اول حزب تونسي . وقد قابلتها السلطة يومذاك بمقاومة ، وما زالت حتى فتلت في المهد .

ولقد أدى هذا العراك بين الوطنيين والسلطة ، الى تشريد بعض شبيبة تونس والمغرب من بلادهم ، فانتشروا في عواصم اوروبا ، والتجأ بعضهم الى استامبول ، عاصمة العثمانيين ، ثم جمعوا جموعهم والفوا لجنة منهم ، هدفها استقلال الجزائر وتونس ، وانشأوا مجلة المغرب خلال الحرب العالمية الاولى . وتولى ادارتها السيد باش حنبه الذي اشرنا اليه . على ان الاحكام العرفية وان منعت كل نشاط سياسي داخلي ابان الحرب العظمى الاولى ، الا ان سكان الجنوب التونسي وخاصة قبائل بني زيد ، اعلنوا الثورة على فرنسا سنة ١٩١٥ ، وداومت المعارك بينها وبينهم سنتين ، ولم تستطع هذه اخمادها الا بجيوش الجزائر التي ساقتها عليهم .

. . . . . .

انتهت الحرب العالمية الاولى بوعود كان ابرزها الحلفاء ، وكان ملك ختامها تصريحات الرئيس ويلسن في مؤتمر السلام . وعلى اساس هذه الوعود المنعشة ، وما بعثته من آمال مشرقة ، بادرت تونس الى العمل ، وكان عملها على اساس الاتحاد بين الاقطار المغربية : ففي شهر ايلول ١٩١٨ ، وقعت « لجنة تحرير تونس والجزائر » عريضة الى مؤتمر الصلح بباريس ، تطالب فيها بحقوق شعوب المغرب ، وشفعتها ، في الشهر الأول من عام ١٩١٩ ، بعريضة اخرى الى الرئيس ويلسن تتضمن نفس الطلب .

وكان السيد عبد العزيز الثعالبي ، احد منفيي تونس عام ١٩١٢ ، يقيم في باريس ، فرفع ايضاً عريضة في اوائل سنة ١٩١٩ ، الى الرئيس ويلسن ، يطالب فيها بالاستقلال . ثم اصدر في مستهل العام التالي كتابه « تونس الشهيدة » .

وبينما كان هذا الزعيم يناضل عن وطنه في عاصمة فرنسا ، كان انصاره في

تونس يتكتلون في سبيل الكفاح ، فالفوا حزب الدستور (١٩٢٠) ، وهدفه المطالبة بانشاء دولة دستورية ، واعتبار اللغة العربية لغة الدولة الرسمية . وكان هذا الحزب يحاول اقناع فرنسا ، بأن غايته لاتتعارض مع المعاهدات التي ابرمت عقب الحماية . وهو يعتمد في نضاله على صحيفة « تونس الشهيدة » ، وعلى الجرائد الاشتراكية التي كانت تصدر في تونس وفرنسا .

وقد وقف الحزب الدستوري بكتلته عطف الباي محمد الناصر ، وحاول المقيم العام ، دون جدوى ، تحويل الباي عن مؤازرة الحزب ، ولما لم ينل منه مأربا ، اصدر اوامره الى القوات المصفحة ، بمحاصرة قصره ، وذلك في ٥ نيسان ١٩٢٢ ؛ ولكنه ما كاد يفض ذلك حتى ثار الشعب عن بكرة ابيه ، وما تراجع الباي الا بعد ان قدم المقيم العام اعتذاره وعهوداً خلابة ، اكد له فيها استعداد باريس لاجابة القوميين على مايريدون .

غير ان الله لم يمد في اجله ، وخلفه الباي محمد الحبيب (١٩٢٢) وكان موالياً للحماية ، ومساعداً لمعتمد فرنسا الجديد لوسيان سان على تطبيق سياسته . وقد لجأ هذا المعتمد الى العنف ، وهو مع ذلك ، كان يحاول ان يخفف من وطأة الشدة ، التي لجأ اليها بما عرف من شأنه ان يبرهن على حسن النية . فاذا به ينشيء مجلس الشورى التونسي (١) ، مكون المجلس الاستشاري (٢) ، ويجعله مؤلفاً من شعبتين ، واحدة منهما للاوربيين ، والثانية للتونسيين . واستصدر قراراً من الباي (١٩٢٢) ، يقضي بتطبيق طريقة اللامركزية في المقاطعات ، وقيام مجالس محلية تمثيلية . غير ان هذه التدابير قوبلت بالمعارضة الشديدة . وما كان ذلك بسبب انقسام مجلس الشورى الى قسمين فحسب ، بل لان القسم الفرنسي منه ، كان وحده صاحب الشأن ، على قلة عدد الفرنسيين في البلاد .

وصادف ان استحكمت ، في تلك الاثناء ، حلقات الأزمة الاقتصادية العالمية ، واصاب تونس منها الشطر الاقصى . فكان ذلك مما حمل الاهلين المتذمرين ، على الالتفاف حول الشباب المثقف ، الذين تناولوا راية النضال ، اثر عودتهم من مدارس اوروبا . وقد التف جميع هؤلاء حول جريدة « صوت التونسي » ، التي اصدرها الاستاذ الشاذلي خير الله سنة ١٩١٩ ؛ متخذين في نضالهم اساليب

(١) Grand Conseil (٢) Conférences consultatives

جديدة . وحدثت في تونس اثناء ذلك ، حادثتان كان لهما اثرهما الفعال في يقظة الوعي القومي واستئناف الجهاد حتى يومنا هذا .

الحادثة الأولى : انعقاد المؤتمر الافخارستي (١) في تونس (١٩٣٠) الذي كان يعتبره الفرنسيون « حملة صليبية جديدة » بينما رأى فيه التونسيون مساً بكرامتهم ، وتعرضاً لدينهم .

والحادثة الثانية : اعتزام السلطة الفرنسية ان تحتفل بمرور خمسين سنة على احتلال تونس . وقد كان هذا تحدياً للقوميين ، حملهم على الاجتماع في مؤتمر عقد في (٣٠ — ١٠ — ١٩٣٠) ، وقرر مصاعفة النشاط في سبيل مقاومة الاستعمار . ولما انتخبت هيئة جديدة ، لادارة جريدة « صوت التونسي » وتحريرها ، كان من ابرز اعضائها الاستاذ الحبيب ابو رقيبة .

وحاولت السلطة القضاء على نشاط هؤلاء الشباب ، فقدمتهم للمحاكمة سنة ١٩٣١ ؛ ولكن تضامن الشعب معهم ، اضطرها لالغاء المحاكمة ، والعدول عن اقامة الاحتفالات المقررة بمناسبة مرور خمسين سنة على الاحتلال الفرنسي .

غير انها مع ذلك لم تتراجع عن الاستعمار ، فاصدرت سلسلة من القوانين الاستثنائية ، للقضاء على نشاط الحركة الوطنية ؛ كما ان القوميين في تونس ، لم يلزموا عليهم هذه القوانين ، بل ظلوا مثابرين على نضالهم وكفاحهم .

. . . . .

وفي اواخر ١٩٣٢ رأى بعض الساسة الفرنسيين ، ان يفتحوا في وجه عرب المغرب ، ابواب التجنس بالجنسية الفرنسية . واستصدروا من رجال الدين فتاوى تعلن أن التجنس لا يخرج المسلم عن دينه . فكانت هذه المحاولة مدعاة جديدة ، لاثارة العواطف فصدرت الجزائر كرة اخرى . واخذت تصرخ بروح الصحف الوطنية ، ولا سيما جريدة « صوت التونسي » التي كان يصدرها الحزب الحر الدستوري .

وقد اظهر الشعب سخطه على المتجنسين ، وطالع في دفنهم بمقابر المسلمين ، فأدى ذلك الى معارضات بين الشعب والقوات الفرنسية ، ذهبت ضحيتها انفس بريئة عديدة .

على ان النشاط السلبي الذي بدا في صفوف الشعب ، حمل الحزب الحر الدستوري على استعادة قواه ، وعلى اقامة التنظيم على اسس جديدة . فعقد الحزب

(١) Congrès Eucharistique

مؤتمرا في منتصف ايار ١٩٣٣ ، اصدر ميثاقاً درج في ديباجته : « ان سياسة التفاهم مع فرنسا ، قد فشلت فشلا ذريعاً بعد تجربة دامت سنوات طويلة » ، وان الغاية التي يرمي اليها الحزب هي « تحرير البلاد ومنحها دستورا يحفظ شخصيتها ، ويحقق لها سيادتها بين الأمم المتمدنة والمتصرفة في شؤونها . » ومعنى ذلك ان الحزب تجاوز مبدأه الأول ، الذي كان برنامجه لا يتعدى طلب قيام حكومة دستورية ، وبرز للنضال في سبيل الاستقلال .

وشهدت تونس خلال عام ١٩٣٤ ، مظاهرات عامة لم يسبق « من قبل » مثيل ؛ فطف المسيو « بيرونون » انقم العام الى مقابلته بالشدة ، وقد أمر بحل الحزب ، والقاء القبض على اثر اعضائه ، واعتقالهم ببرج الفصيرة في صحراء الجنوب التونسي ، كما امر بتعطيل الصحف الموالية للحزب . غير ان هذا التدبير كان له رد فعل سيء في الأوساط الشعبية ، وعلى على خلق كفاح جاري دام سنتين متواليتين ، رأت بعدها السلطة الفرنسية ، ان سياستها القائمة على العنف غير مجدية ، فتحولت الى اساليب المصانعة . وقد عينت فرنسا المسيو جيون مقيما عاما ، فكان المسيو بايرونون (١٩٣٦) وعهدت اليه بتنفيذ سياستها الجديدة ، فاطلق سعادته سراح المعتقلين ورفع الحريات العامة . على ان هذا الانتصار الذي احرزه القوميون ، كان باعثا على انقسال الحزب على نفسه ، والانشقاق حولهم .

وفي هذه الاثناء ، بدأت الجبهة الشعبية الحكم في فرنسا ، فعقد الحزب الآمال الطيبة عليها ، وأوفد اليها العام مرات عديدة الى باريس ، خلال سنتي ١٩٣٦ و ١٩٣٧ لاقناعها بوجهة نظر الحزب ، ولكن الجبهة الشعبية هذه لم تحد عن سياسة فرنسا التقليدية في الاستعمار . وربما كان السبب بعودة الزعيم عبد العزيز الثعالبي ، (١٩٣٧) من الشرق الأدنى الى وطنه ، وما حدث اثر ذلك من انقسام الحزب الحر الدستوري ، من جراء التنافس بين هذا الزعيم وبين الاستاذ الحبيب أبي رقيبة ، مما من عمل سياسة فرنسا التقليدية القائمة على قاعدة « فرق تسد » .

وقد جربت السلطة استثمار هذا الانقسام ، ولكن الاستاذ ابا رقيبة وصحبه استطاعوا ان يحتفظوا بزمام المعارضة . ولما رأوا ان سياسة التفاهم قد فشلت مرة اخرى ، وان السلطة تعتزم القضاء على الحركة القومية ، وجهوا النداء الى عقد مؤتمر في شباط ١٩٣٧ ، قرروا فيه مقابلة العنف بالعنف . ومن آذار الى آب ١٩٣٧ قام الحزب في كل ناحية بمظاهرات اصطدمت بقوة الجيش والدرك ،

اعرقت فيها الدماء ، وآلت الى نفي القائمين بهذه الحركة . ولكن رغم ابعاد هؤلاء القادة ، وحل الحزب ، فقد ظلت مبادؤهم تتمتع بالتأييد ، يوماً بعد يوم ، بين مختلف طبقات الشعب . قالت جريدة الديبش تونزيان (١٩٣٨) بهذا الصدد ما يلي : « أصبحت المرأة التونسية فكرة دستورية ، حتى انها لا تريد الزواج الا بالدستوري ، ولا تريد ان يكون زفافها الا مقروناً بالاناشيد الدستورية » . مرجع .

. . . . .

وكانت حوادث ٩ نيسان ١٩٣٨ ، التي دبرتها السلطة للقضاء على الحركة الوطنية ، فاتحة عهد نضال عنيف خلال شهري آذار ونيسان ، تجلت فيه النقمة على الاستعمار . أما وقد اصبح العالم على مقربة من حرب عالمية ثانية ، فقد تحولت فرنسا الى اساليب المصانعة والمداراة ، وكما وضحنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب . وكان من ثمرة سياستها الجديدة ، اطلاق سراح بعض المعتقلين (آذار ١٩٣٩) واعطاؤها الوعد بالافراج عن الباقين . ولكن المداراة لم تأتها بفائدة ايضاً ، بل اشتدت حركة النضال خلال الحرب ، وكان ينجلي هذا النضال بالتخريب المتواصل في المؤسسات الحكومية ، والمنشآت العسكرية بالرغم مما اتخذته السلطة من الاحتياطات ، وما فرضته من العقوبات . وقد نشأ ، اثر ذلك ، حركات التمرد والعصيان بين الجيوش التونسية ، الذين كانوا يرابطون في تونس نفسها ، ولا سيما بمدينتي القيروان وقابس .

فابانت السلطة الفرنسية ، خلال الحرب ، هذه الحركات بقسوة وعنف ليس فيها مثيل ، فاعدمت من أعدمت من القوميين ، ونفت من نفت . وكان في سجن القلعة ببيروت وحده خمسة عشر شاباً من خيرة شباب تونس المجاهدين .

ولما أعلنت الهدنة بين فرنسا والمحور ، رأى قادة الحزب الدستوري ان الفرصة سانحة للقيام بحركة واسعة ، للمطالبة بالاستقلال ، ليس لتونس فحسب ، بل لسائر الاقطار المغربية ، واعلنوا بطلان الحماية . وفي ٣٠ حزيران ١٩٤١ تقدم وفد يرئسه الدكتور الحبيب تامر ، بعريضة الى البلاط ، يطالب فيها حكومة الباي باعلان سقوط الحماية ، واطلاق سراح الزعماء المعتقلين في فرنسا . فاعتقلت السلطة هذا الوفد قبل المثول امام الباي ، وكما اعتقلت اعضاء الوفود الاخرى الذين تقدموا في الملحقات بمثل هذه المطالب ، وزجتهم في غياهب السجون ، وعادت الى سياسة القمع بكل شدة وعنف .

غير ان الحركة الوطنية ، وفقت خلال ذلك ، بجلوس الباي محمد المنصف ، على عرش تونس (١٩ حزيران ١٩٤٢) ، وهو معروف بمناصرته للحزب الحر الدستوري منذ سنة ١٩٢٢ . وكانت باكورة اعماله تقديم مذكرة بعد شهرين من تنصيبه ، الى حكومة فيشي ، طالب فيها باحترام السيادة التونسية ، ومساواة رعايا الشعب .

وفي اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني ١٩٤٢ ، دخلت جيوش المحور في تونس بمساعدة حكومة فيشي ، فساء هذا العهد جو من الحرية ، لم تعرف تونس نظيراً له ساعد المتكافحين على تنظيم صفوفهم ، وترتيب تشكيلاتهم . كما افسح المجال لسمو الباي المنصف ، لأن يحاول استرداد السلطة . فعمد بتأليف وزارة انتقالية ، اختار افرادها بنفسه ، كخطوة اولى في سبيل تسلم مقاليد الحكم . الا ان التطورات الحربية حالت دون استكمال برامجه . اذ ما كاد الانكليز والاميركان يستردون تونس من الالمان في ٨ ايار ١٩٤٣ ، حتى اسلموها للفرنسيين . وقد كانت باكورة اعمال الجنرال ماسيت الحاكم العسكري ، ازاحة الباي محمد المنصف باشا عن عرشه ، ونصب الامين باشا مكانه ، هذا فضلاً عن اعدام مئات من الشباب ، واعتقال آخرين بتهمة التعاون مع الالمان .

. . . . .

لا شك ان التطورات العالمية في الحرب وما بعدها ، لا سيما في النواحي الروحية ، اهاب بالتونسيين لتجديد نشاطهم في سبيل الاستقلال . ورغم ان دولة الخابية اخذت تحاول جذب انباء العالم العربي عن شمالي افريقيا ، فان الاصطدام الذي وقع بين الائتلاف الفرنسي وبين لبنان في تشرين الثاني ١٩٤٣ ، وما مني به هذا الائتلاف وجيوشه من الفشل الذريع في كل من سوريه ولبنان ، سرعان ما نشت اخبارهما بين التونسيين ، فكانت هذه الاحداث حافزاً قوياً لهم على استئناف النضال ، والاستخفاف بالوعود المعسولة التي كان يلقيها جزافاً كل من الجنرال ديغول ، والجنرال كاترو والجنرال ماسيت . هذا الى ان التونسيين كانوا يراقبون بغبطة ، تصور انشاء جامعة الدول العربية ، وقيام الجامعة العربية نفسها ، متسائلين : لماذا لا تشترك تونس في هذه المشاورات ؟ ولماذا لا تنضم في الجامعة . وشاء الحزب الدستوري خرق النطاق الحديدي ، الذي ضربته حكومة الحماية على تونس ، فانفصل هذا الحزب منذ صيف ١٩٤٤ ،

بمصر لعرض قضيتهم على العالم العربي . وقد استطاع زعيم الحزب ، الاستاذ الحبيب ابو رقيبة خرق هذا النطاق فعلا ، والوصول الى القاهرة . وتمكن اخوانه اللاجئون في اوروبا عند الحرب من الالتحاق به أيضاً ، فأسسوا مكتباً للدعاية لقضية تونس في القاهرة ، تحت اسم «مكتب الحزب الحر الدستوري التونسي» ، اصدر نشرة باللغة العربية تشرح قضية بلادهم للعالم العربي ، واخرى باللغة الافرنسية للدعاية في الامصار الاجنبية .

على ان العالم العربي ، شرع منذ بدء تعاونه السياسي ، يعرب عن عطفه على استقلال شمالي افريقيا : فقد قدم التحدي منذ عام ١٩٤٤ ، بوصفه رئيساً لوزارة المصرية ، مذكرة للحلفاء بهذا الصدد ، كما ان امانة الجامعة العربية ، بدورها عملا بقرار الجامعة ، الى توجيه مذكرة اخرى الى الحكومة الفرنسية (١٩٤٦ - ١٩٤٧) ، تحتج فيها على اعمال العنف التي يرتكبها جنودها في تلك البلاد ، ثم ما زالت ، في كل مناسبة ، تبدي العطف على تحقيق استقلال تونس وسائر بلاد المغرب .

هذا ولقد رأى التونسيون في عطف العالم العربي ما شجعهم على الاتحاد والاقدام ، كما ان اتحاد التونسيين واقدامهم حمل الافرنسيين على مضاعفة العنف ، والزيادة في اعمال الشدة ، خصوصاً وان حكومة الجزائر وبعدها ، شعرت بان تونس ومراكش ، اصبحتا على وشك الانفجار ، لا يقل عنفاً عن الذي حدث في الجزائر (ايار ١٩٤٥) ، فسلطت على الشعب وليس بسومه سوء العذاب ، ومدت ايديها الى البقية الباقية من قادة الحزب الدستوري ، وزجتهم في السجون والمعتقلات .

وما كان هذا الضغط الا وسيلة لسرعة الانفجار : وهذا بالثورة تندلع في مدينة الساحل ، خلال صيف ١٩٤٦ ، واذا بالافرنسيين يقابلونها بالفظائع ، ولا سيما في قرى زرمدين وبني حسان وسوسه . فيهرع التونسيون المنفيون لعقد مؤتمر في العاصمة ، وذلك في (آب ١٩٤٦) يقررون فيه اعلان سقوط الحماية ، والمطالبة بالاستقلال التام ، والانضمام الى الجامعة العربية . ثم يقومون في كل مكان بمظاهرات كبرى ، وذلك في (٢ كانون الأول ١٩٤٦) تأييداً لمقررات هذا المؤتمر ، واحتجاجاً على الانتقام الذي جرت اليه السلطة . وقد اتخذ النضال منذ ذلك الوقت ، لوناً جديداً : فعدا اشتراك بعض كبرائهم في هذا المؤتمر ، وتأييد آخرين منهم مقرراته ، وعلى رأسهم شيخ الاسلام محمد الصالح بن مراد ، بلغ من تضامنهم انه لما عمدت

الحكومة لفصل جامعته ، وتعيين الشيخ محمد الدامرجي مكانه ، أبي شيخ الاسلام الجديد ، فيرفض هذا التعيين . ثم عقدت المحكمة الشرعية جلستين دون ان يتولى رئاستها أحد ، في حين ان مدينتي تونس وصفاقس اعلنتا الاضراب العام في (٢٠ / ١ / ١٩٤٧) ، احتجاجاً على فصل شيخ الاسلام . هذا فضلاً عن الاحتفالات الشعبية الرائعة التي اقيمها الحزب الحر الدستوري (آذار ١٩٤٧) في كافة الانحاء ، وذلك احياء الذكرى الثانية لقيام الجامعة العربية ، علاوة على اعلان الشعب ، بعد ذلك ، الحداد والاضراب في (مايس ١٩٤٧) بمناسبة الذكرى السابعة والستين للاحتلال الفرنسي . وقد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب ، مقررات مؤتمر الاتحاد العام التونسي الذي عقد في (كانون الثاني ١٩٤٧) التي تتلخص بطلب إنشاء مجلس نيابي ورفع الاحكام العرفية والغاء الحكم العسكري في جنوب تونس ، ذلك الحكم الذي لايزال قائماً منذ الاحتلال . ولم يسع السلطة الفرنسية حيال اجماع الشعب على النضال في سبيل الاستقلال ، الا ان تتخذ مسلكاً جديداً في سياستها ، فعين الجنرال ماست في (ايلول ١٩٤٦) ، برنامج اصلاحات يقوم على تشكيل مجلس وزراء نصفه من التونسيين والنصف الآخر من الفرنسيين ، واتخذ من اختصاص المراقبين الافرنسيين في العاصمة والاقاليم . ولكن الشعب لم ير في هذه الاصلاحات شيئاً مما يحقق المطالب التي قررها المؤتمر ، فرفضها . كما اعلن الشعب من قبل احتجاجه الصارخ على مشروع الاتحاد الفرنسي ، حينما ادرج في دستور فرنسا الجديد ، وايدهم في ذلك الباي نفسه .

وقد جاء في رد الحكومة الفرنسية على اعتراض سمو الباي :

« انها كانت حريصة عند مناقشة مشروع قانون انتخاب اعضاء مجلس الجمهورية الفرنسي ، على ان تحترم ذلك القانون السيادة التونسية ، فطلبت الى برلمانها ان يكون مركز انتخاب المندوبين الذين ينتخبهم الجالية الفرنسية في تونس لمجلس الجمهورية في وزارة الخارجية الفرنسية بباريس ، على ان لايجوز لهؤلاء المندوبين التكلم باسم تونسية »

وتزعم الاوساط العامة ، ان سمو الباي اقتنع بوجهة النظر الفرنسية ، بينما اكد ناطق بلسان القصر ، ان موقف سموه من قضية تمثيل الجالية الفرنسية بتونس لم يتبدل ، وان سموه ثابت في الدفاع عن بلاده . هذا وقد تظاهر الشعب اواخر (١٩٤٨) تأييداً لسموه في موقفه الجليل .

وامل سماح السلطة الافرنسية في صيف ١٩٤٩ ، للاستاذ ابي رقيبة في العودة الى وطنه ، سيكون بادرة خير ، ودليلاً على تحول في سياسة باريس . ولعل

فرنسا تقتنع بعد القرار الذي اصدرته هيئة الامم المتحدة ، بصدد استقلال ليبيا رغم معارضات الكله دوروسيه بانها تقتنع بان كل محاولة للاحتفاظ بالحماية على تونس لاشك فاشلة، ولا تجدي نفعاً؛ فتنهج ، من ثم ، حيال المغرب العربي ، نهج بريطانيا العظمى في الهند وغيرها ؛ وتعلن استقلاله .

البعث القومي في الجزائر

استعمر الافرنسيون الجزائر ، بادئ امرهم ، باستئصال كل فكرة قومية في تلك البلاد . ولكن الحرب الكبرى الاولى ، انت بما لم يكن في الحسبان : فقد انها ساعدت على ان يستعيد الجزائريون شطراً كبيراً من اراضيهم ، بما حصل خلالها من الانتعاش الاقتصادي في قطرهم ، فقد عملت مباشرة على تطور الروح الشعبية . ذلك ان التجنيد الاجباري ، واختلاط الجزائريين ، عن طريق هذه الجندية بالأوروبيين ، واعتيادهم على التمتع بمساواة في صفوف المقاتلين ، وما صار لهم من حق اداء آلاف التضحيات التي دهبت منهم في سبيل فرنسا ، بالاضافة الى وعود الحلفاء العامة والخاصة ، ومبادىء ويلسون ، وما خلفت الحرب من تحفز في الشرق الادنى للجهاد في سبيل الاستقلال ، وما كان لجزائريين انفسهم من الامنيات القومية التي تلقوها من انقرة والقاهرة ودمشق وتونس ، كل ذلك كان بمثابة عناصر قوية ، تضافرت على ادكاء البعث القومي في الجزائر .

وقد كبر على دولة الاستعمار ، ان ترى هذا البعث ، وتشهد هذا الانقلاب الفكري ، فعمدت الى تدارك الخطر قبل استفحاله . وشرعت تعنى عناية خاصة بالاستعمار والاستغلال ، عملاً بقاعدتهم الاستعمارية التي من بملك الارض يصبح صاحب البلاد ، بينما انصرفت ، في نفس الوقت ، الى قمع كل حركة وطنية . على انها مع ذلك ، لم تر بداً من ان تلجأ احياناً الى تخدير الرأي العام ، بمنح بعض الحقوق للجزائريين التي لا تمس جوهر سيادة الافرنسيين عليهم .

من ذلك انها منحت الوطنيين ، بمقتضى شريعة ٤ شباط ١٩١٩ والقرار المتمم لها ، حق الانتخاب للمجالس المحلية . ولكن هذه الشريعة ، قوبلت وقتذاك بالهزء والسخرية ، من جانب الوطنيين ، ذلك لانها فضلاً عن كونها لا تساويهم مع غيرهم من المتفرنسين على الاقل ، في التمثيل السياسي بالبرلمان الفرنسي ، تقوم على اساس جعل هذه المجالس شطرين : افرنسي ، وهو صاحب القول الفصل ، ووطني ، لا قول له ولا

شأن . هذا فضلاً عن ان اعضاء القسم الوطني في هذه المجالس المحلية ، إما معينون من قبل الادارة ، أو منتخبون من الفئة الموالية لها .

وفي أواخر سنة ١٩٢٤ ، انشأ الاستاذ مصالي الحاج بباريس ، حزب « نجمة افريقيا الشمالية » وجريدة الامة . وكان هدفه فيها الاستقلال التام لشمالي افريقيا . فقابله الفرنسيون بالعنف ، وحكمت حكومة باريس بطرده وحل الحزب ، وتعطيل الجريدة . وألقته في غياهب السجن سنة كاملة . ولما خلى سبيله واستأنف العمل ، عادت السلطة للضغط عليه فاتهمته بتحريض الجند على العصيان وسجنته ثانية . ثم وجهت اليه ، بعد ذلك ، تهمة التآمر على الدولة : ولكنه استطاع ، في آخر لحظة ، ان يفلت من يد البوليس الباريسي ، ويفر الى جنيف . وقد شمله العفو حينما صار الحكم لكتلة احزاب الشمال بفرنسا ؛ وكان عهدها عهد نشاط للعناصر المطالبة بحقوقها . فعاد هذا الزعيم الى باريس .

وكان دعاة الاندماج والتفرنس من الفرنسيين ، جدودن وفشلة في مسعاهم ، وهم يستندون الى ما يلي :

اولاً - الى قانون كريميو Crémieux القاضي بدمج يهود الجزائر بفرنسا ، ومنح جنسيتهم لهم .

ثانياً - الى مشروع الوزير هيريو Viollet القاضي بالغاء الجنسية الجزائرية ، وربط الجزائر بفرنسا مباشرة . وقد شعر هذا الزعيم بمدى التسامي لدمج الجزائر بفرنسا ، اخذت تأمر حتى في بعض الاوساط الجزائرية ، فغادر فرنسا الى وطنه في اواخر شهر ١٩٣٦ ، فاستقبله الشعب استقبال ، والتف حوله العنصر الوطني . وما ان راح يكافح هذه الفكرة والتفرنس ، حتى قوبل بالشدة ايضاً ، وصدر الامر مجدداً بحل حزبه .

وفي ٢٧ مارس ١٩٣٧ تأسس حزب وطني آخر في الجزائر ، باسم « حزب الشعب الجزائري » ، فانشأ جريدة باسمه « جريدة الشعب » ، واخذ هذا الحزب ، وعلى رأسه الاستاذ مصالي الحاج ، يطالب بالاستقلال ، وانشاء حكومة دستورية برلمانية ، على ان تكون اللغة العربية لغتها الرسمية . فبادرت السلطة لاعتقال عمدة هذا الحزب ، على اثر مظاهرة قاموا بها في ١٤ تموز ١٩٣٧ ؛ وقابل الشعب هذا العمل باضرابات شاملة اشتركت فيها تونس وتلمسان احتجاجاً على الافرنسيين ، وعلى الاحكام القاسية التي صدرت من بعد في حق المجاهدين .

هذا وبينما كان الاستاذ مصالي الحاج ورفاقه في اعماق السجون، تمكن نجم الدكتور ابن جلول ونوفل زعامة النضال القومي، على اساس الاتحاد بين مراكش وتونس والجزائر. فأم بين جنوف ما اتيح له من الاضطهاد والارهاب، والتهديد بالتآمر مع ايطاليا.

وقد سبق لنا ان بينا في الجزء الاول، كيف ان حكومة باريس تحولت الى مصانعة اهل شمالي افريقيا، منذ لاح في الافق شبح الحرب الكونية الثانية. ولما نشبت هذه الحرب فعلا، وكان ما كان من ظهور فرنسا بمظهر الانحلال والضعف، استيقظت المشاعر التي كان قد قضي عليها بالرضوخ قسراً، وتوثبت لمطالبة بالاستقلال. فخف عندئذ الجنرال بيتان، لتنصيب الجنرال ويغان بسم حكومة فيشي، مندوباً سامياً عسكرياً في غربي افريقيا منذ اوائل عام ١٩٤١، عاهداً اليه بتدارك الخطر.

وكان في جملة الخطوات التي جاء بها الجنرال ويغان، اقامته مؤتمراً اقتصادياً في شمالي افريقيا، عقد في الجزائر، وبعينه اربعة اعضاء من مسلميها في المجلس الوطني، بينما جلس الى الشدة وطارد الوطنيين، وسجن بعضهم منهم الهم بالشيوعية.

ثم انتهى مصير الجزائر الى الجنرال في حوزة الحلفاء، الذين نصبوا الجنرال جيرو رئيساً على ادارة افريقيا الشمالية. واستناداً الى الاتفاق الذي حصل بينه وبين الجنرال ديغول، من بعد، عين الجنرال كاترو حاكماً عاماً للجزائر، ومنحاً للشؤون الاسلامية. ولقد سلك الجنرال كاترو مسلك الجنرال ويغان في المصانعة. فرأى حزب الشعب، ان يعرب عن مطالب اهل الجزائر، ببيان اصدره في ١٠ شباط ١٩٤٣، وقدمه الى لجنة التحرير الفرنسية، بواسطة الجنرال كاترو. وكان رئيس الحزب الحاج احمد مصالي، لايزال في منفاه في الصحراء الجزائرية، فعمد الى تأييد هذا البيان. هذا الى ان حزب انصار الحرية المعروف (بهيئة البيان) قد رفع ايضاً في (شباط ١٩٤٣) الى السلطات الفرنسية منشوراً، طالب فيه بمنح حق الادارة الذاتية لقطر الجزائري. فاذا بالجزائريين يفاجؤون بنفي رئيسه الدكتور عباس فرحات ايضاً، جزاء جرأته.

وحاذف ان شاعت انباء الانجازم الذي منيت به لجنة التحرير الفرنسية وانشذ، حيال نضال سوريا ولبنان للاستقلال، وذلك رغم محاولة الفرنسيين اخفاء هذه

الاتباء عن شمالي افريقيا ، هذا ما يسمى الاتباء تؤثر تأثيراً بالغاً في ادكاء حماس الجزائريين ، وتدفعهم الى الاستخفاف بفرنسا . فخفت هذه اللجنة ، وكانت تقيم في مدينة الجزائر ، لعقد جلسة برئاسة الجنرال ديغول ، في ١٤ كانون الاول ١٩٤٣ اتخذت فيها مقررات ترمي الى زيادة عدد المسلمين في المجالس والمناصب . واصدرت بياناً بهذا المعنى ، اسمته بانها اعترفت مباحثة الشخصيات الاسلامية ، من اجل اكتساب المسلمين الحقوق التي يتمتع بها المواطنون الفرنسيون في الجزائر ، مع مراعاة الشريعة الاسلامية .

وفي ٧ آذار ١٩٤٤ ، اتخذت لجنة التحرير الوطني الفرنسية قرارات تتضمن ان الجزائر ليست مستعمرة ، بل هي ارض فرنسية ، وان جميع السكان يحملون الجنسية الفرنسية ، لافرق بين الملل والطوائف . بيد ان هذه المقررات قوبلت بالاستنكار الشديد ايضاً ، لان الجزائريين الذين يعملون على التخلص من فرنسا ، رأوا فيها محاولات لتوثيق روابطهم بهذه الدولة . وبرعان ما عقد في القاهرة مؤتمر من اجل الاحتجاج على هذه المقررات ، وانتخبت لجنة تنفيذية برئاسة الامير مختار عبد العزيز من الاسرة الجزائرية . وقد قدمت هذه اللجنة لائحة احتجاج الى الخلفاء وملوك العرب وامرائهم مطالبة فيها بما يلي :

اولاً ـ اعتبار القطر الجزائري قطراً عربياً .

ثانياً ـ وقف كل محاولة لفرنسة الجزائر .

ثالثاً ـ اطلاق سراح المبعدين والمسجونين .

رابعاً ـ انتخاب لجنة تأسيسية لوضع دستور البلاد .

خامساً ـ الاعتماد على اللغة العربية كلغة رسمية في البلاد .

وعدا ذلك فقد عقد مؤتمر شعبي في الجزائر ، ايد بيان حزب الشعب الجزائري المؤرخ في ١٠ / ٢ / ١٩٤٣ ، وطالب بالاعتراف بالجنسية الجزائرية . وحررت في هذه المقررات مذكرات قدمت الى الولاية العامة ، ووجهت نسخة عنها ، الى بريس . وظل الجزائريون ، رغم مقابلة الفرنسيين هذه المطالب بالسلاح ، يواصلون نضالهم ، ويزدادون نشاطاً في سبيل تحقيق هذه الاهداف ، تحدوهم الى ذلك يقظة كبرى في وعيهم القومي بالاضافة الى عوامل كثيرة اهمها الضيق في المعاش ، وعدم المساواة في توزيع الاقوات بينهم وبين الاجانب المقيمين في البلاد . على ان

الفرنسيين كانوا يتهمون الامبركاتن بانهم وزعوا نشرات تتضمن بنود ميثاق الاطلسي على الجزائريين ، وعملوا على تحريضهم للمطالبة بالاستقلال .

وفي الواقع فان الجزائريين ، كانوا يجدون في مضمون الحرب العرب عليهم ، وفي تأييد الجامعة العربية لهم حافزاً لتثبتهم على تحمل الاضطهاد في سبيل مثلهم الاعلى .

وكانت يوم اول ايار ١٩٤٥ ، يوم العمل الدولي ، بداية عهد الاصطدام بين الشعب والسلطة ، ذلك ان تقدمت العمال قامت بتظاهرات يومئذ اعلنت فيها مطالبها ؛ ومما ان تقدم هؤلاء هاتفين بسقوط الاستعمار ، حتى انقض عليهم رجال الدرك ، واعتقلوا من اعتقلوا منهم ، واودعوهم السجون .

ثم وقعت الواقعة يوم عيد النصر في ٨ أيار ١٩٤٥ ، حيث انتظمت فيه المظاهرات العامة ، بشكل لم يعرفها القطر طول جهاده الوطني ، فاتحد الفرنسيون من بعض المظاهر الوطنية التي تجلت في هذه المظاهرات وسيلة للتنكيل بالمتظاهرين ؛ فقد سمعهم اوقع اللافتات التي تعلن مطالب الشعب ، مثل (حيوا الحاج محمدي) و (الجزائر للعرب) فكما حرّ في نفوسهم ، ان يرفع فوق الرؤوس علم بطل الجزائر الامير عبد القادر ، فانقض الدرك على المتظاهرين ، وانضم اليه الجيش الفرنسي . وقد اسفرت هذه المظاهرات عن مذابح مروعة ، وخاصة في مدينة عنابة Bone وسطيف وقالمة ، باعت ضحاياها آلافاً مؤلفة من ابرياء لا ذنب لهم الا المطالبة بحقهم الطبيعي في الاستقلال . هذا فضلاً عن ٤١ قرية آمنة دكتم الطائرات دكاً بلا رحمة ولا هوادة ، ولم تبق منها الا رماد الدمار .

ويكفي الاطلاع على مناقشات المجلس الاستشاري الفرنسي ، في جلسة يوم ١١ تموز ١٩٤٥ التي خصصت لبحث كارثة الجزائر ، لتقدير تلك الاعمال المنكرة التي ارتكبها رجال فرنسا اثناء تلك الحوادث وبعدها ، من اعتقالات بالآلاف ، واحكام بالاعدام ، علاوة على النفي والاشغال الشاقة ، وحل الهيئات والاحزاب الدينية منها ، واقفال المدارس والاندية .

وقد اثبتت الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية ، في عددها ٥٧ الصادر يوم ١٢ تموز ١٩٤٥ ، المناقشات التي جرت في جلسة المجلس الاستشاري المذكور ، ووردت فيها فقرة ، لولا انها نشرت في الجريدة الرسمية لكنا شككنا في صحتها . قالت :

« في ١٤ ايار ١٩٤٥ فتحت ابواب السجن ، وبعد ان توفي على تسعة واربعين مسجوناً ، رؤي انه يلزم ايضاً ١١ آخرون لاتمام العدد المطلوب . فاخذ هؤلاء حقيقياً النفق من صفوف

المسجونين، واحيلوا جميعاً على المجلس العسكري، الذي حضر عليه جميعاً بالاعدام رمياً بالرصاص. ١١١

وهذه المذكرات، فضلاً عن انها اثارت احتجاجات الجزائر واحزابها وجمعياتها، ومنها الحزب الشيوعي، فقد رفعت اصوات العالم العربي مشفوعة بالنقمة على المستعمر.

هذا ولما بوشر في ٢ حزيران ١٩٤٦ بانتخاب الجمعية التأسيسية الفرنسية، دعت حكومة باريس الجزائر على اعتبارها جزءاً من فرنسا، للاشتراك في هذه الانتخابات.

وقد وقف حزب الشعب الجزائري من هذه الانتخابات، وقفة المعارضة، وأيده، في ذلك، كثرة الجزائريين. بينما ان حزب البيان ادى به اجتهاده الى المشاركة فيها. وانتخب وقتئذ الدكتور عباس فرحات رئيس هذا الحزب مع نفر من الموافقين على المشاركة في الانتخاب اعضاء في الجمعية التأسيسية المذكورة بباريس.

ثم لما عمدت فرنسا الى انتخاب مجلس الجمهورية، وذلك على اساس الدستور الذي سنته هذه الجمعية، انتخب موفد كل من الحزبين الجزائريين رأساً على عقب؛ مساهم في الانتخابات هذه حزب الشعب الجزائري، ومثله في هذا المجلس حسنة آغا، وبينما وقف حزب البيان منها موقفاً معروفاً. ولا تزال الجزائر تواصل نضالها في سبيل حريتها، فيدعو حزب الشعب الى الاستقلال، على اساس التعاون مع العالم العربي، بينما ان حزب البيان يدعو ايضاً الى الاستقلال، دون ان يتعرض للاتصال بالجامعة العربية والتعاون معها. اما ما يلفت النظر فهي تلك الوثبة الجبارة التي وثبها الشعب الشقيق في سبيل المطالبة باستقلاله، بينما كانت مطالبه، الى سنين قلائل خلت، لا تتعدى المطالبة بالانصاف والمساواة. هذا فضلاً عن ان الشعب الجزائري اصبح، على وجه عام، يريد الاستقلال على اساس التعاون مع العالم العربي وجبهة مؤيدة بذلك حزب الشعب. وأقض مضجع باريس تلك الحفاوة التي قوبل بها زعيم حزب الشعب في الريف، حيث فرضت عليه السلطة الاقامة الجبرية فيه، وكان هذا حافزاً لها للانتداب وزير داخليتها لزيارة القطر الجزائري، والاشراف على الحالة فيه عن كثب. ولا ريب انها اشارت اليه بوجوب اللجوء الى سياسة العنف والتضييق على ذلك الزعيم.

على ان الحزب الوطني الجزائري الذي يرئسه الاستاذ عباس فرحات أخذ يدعو الآن الى تأسيس «جمهورية الجزائر» على ان تكون علاقاتها مع فرنسا كعلاقات الهند ببريطانيا العظمى. ويصدر هذا الحزب جريدة الجمهورية الجزائرية، معتبراً ان

الجمعية الجزائرية القائمة ، التي نصف اعضائها من الفرنسيين والنصف الآخر من المسلمين ، ان هي الا هيئة صورية لا تتمتع بحق تمثيل الشعب ، خصوصاً وانه يتوقف تنفيذ قراراتها على مصادقة باريس .

ويقوم الى جانب هذين الحزبين في الجزائر حزب آخر يسمى « حركة الانتصار للحرية الديموقراطية » ، وهو يدعو الى الاستقلال التام ، وقطع كل عروة سياسية بفرنسا .

وفي الجملة ، فان الجزائر تشهد الآن وثبة طيبة نحو الاستقلال . وقد اثار اعتبارها قطعة من فرنسا بمقتضى ميثاق الأطلسي عاصفة شديدة من الاستياء ، تجلت بالاحتجاجات التي انهالت على المسؤولين من كل صوب ، ونخص بالذكر منها تلك البرقية التي رفعتها لجنة تحرير افريقية الفرنسية بالقاهرة الى الرئيس ترومان ، وابلغته فيها ان هذا العمل يعتبر ضربة موجهة ضد امانى تلك البلاد . هذا ويبدو ان بعض الاوساط الفرنسية شعرت بالمصير الذي شرعت تدرس اقامة عرش في الجزائر يسنوي عليه احد احفاد الامير عبد القادر . يشجعها على ذلك الحماس الشديد الذي رأته بأم العين عند احتفال ، قبل اشهر في الجزائر ، بازاحة الستار عن تمثال هذا الامير الخطير .

يقظة مراكش وكفاحها

فاجأت الحرب العالمية الاولى فرنسا ، قبل استتباب حكمها بمراكش المترامية الاطراف ، فاضطرت ان تقيم سياستها ، اول الامر ، على قواعد تحاشت فيها ان تكون متعارضة مع تقاليد البلاد وسيادتها . فكان الجنرال ليوتي المقيم العام هناك ، لا يفتأ يدلي بتصريحات يعرب فيها بان الحماية ليس القصد منها الاستعمار ، وهو الى ذلك كان يتوخى في سياسته المحافظة على مظهر السلطنة ، ومراعاة نفوذ السلطان .

وانتهت الحرب ، ولكنها خلفت في مراكش روحاً جديدة ، قوامها الوعي القومي الذي كان من اكبر مظاهره تلك الثورة التي قام بها الريفيون ، بقيادة البطل الامير محمد عبد الكريم الخطابي ضد اسبانيا ، وذلك منذ سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٦ . وما اتبع فرنسا ان تطفيء نار هذه الثورة ، الا وجدت للعمل على توطيد سلطتها : فحكمت البلاد حكماً مباشراً عسكرياً ، واصطنعت ادارة استعمارية تعمدت تجاهل حق السلطان الفعلية ، وحولت سنة ١٩٣٠ ، احتفالات

سياسة عنصرية ، قائمة على التفرقة بين العرب والبربر ، في الادارة والتشريع والتعليم واللغة . فكانت معارضة المراكشيين ، من عرب وبربر ، لهذه السياسة العنصرية ، سبباً لاندلاع الشرارة الاولى لحركة وطنية منظمة على اساس سلفي : فقد بادر المراكشيون للمطالبة بالعدول عن هذه السياسة الاستعمارية ملحين ، في نفس الوقت ، بادخال الاصلاحات المؤدية لتوعية البلاد وتقدمها . حتى اذا كانت سنة ١٩٣٤ تقدمت « كتلة العمل الوطني » بمشروع اصلاحي داخل نطاق الحماية ، رفعته الى جلالة السلطان والى الشعب العام . وقد لقي هذا المشروع مقاومة عنيفة من الفرنسيين ، كما لقي من رجاله بالاضطهاد . ومرت سنوات ثلاث والشعب المراكشي يطالب بتنفيذ هذا المشروع ، ولكن دون جدوى .

ولما فازت الجبهة الشعبية بفرنسا في الانتخابات سنة ١٩٣٦ ، امل فيها المراكشيون خيراً كثيراً . ولكن املهم هذا ذهب كسابقه ادراج الرياح . فدعت كتلة العمل الوطني الى مؤتمر يعقد بوجدة في تشرين الثاني ١٩٣٦ ، برئاسة الاستاذ محمد علال الفاسي لمناقشة الموقف . ولكن السلطة الفرنسية فاجأت فكرة هذا المؤتمر بالشدة ، وخفت الى منع المؤتمرين من الاجتماع ، كما القت القبض على رجال الكتلة ، وامرت بحل فروعها . وقد انتهج هذا الأمر مراكش بأسرها ، ودفع بها للقيام بمظاهرات واضطرابات استمرت نحو شهر حتى اضطرت الحكومة الفرنسية اخيراً الى اطلاق سراح المعتقلين واصدار العفو المزعوم ، واستئناف حرية الاحزاب ، وذلك علاوة على وعد قطعه المقيم العام على نفسه تعهد فيه بتنفيذ مشروع الاصلاح الذي قدمته الكتلة . ولكن تلك المصانعة لم تدم طويلاً ، بل سرعان ما عادت الادارة الفرنسية الى كبت الحريات ، واطلاق ايدي الحكام في الضغط على الوطنيين ، مما أدى الى ذلك الانفجار الذي حدث على شكل واسع النطاق في شهر اذار الثاني ١٩٣٧ . ذلك أن الحزب الوطني الذي يرأسه الاستاذ محمد علال الفاسي ، دعا الى عقد مؤتمر يرتبط في ١٣ من الشهر المذكور ، اتخذ مقررات اطلق عليها اسم « الميثاق الوطني » . وجاء فيه ان كل تفاهم مع الحكومة لا يكون الا بعد العدول عن خنق الحريات ، والشروع بتنفيذ المشروع الاصلاحي .

وقد قابلت الحكومة الفرنسية هذه المقررات ، بالقاء القبض على الاستاذ محمد علال الفاسي المشار اليه ، كما اعتقلت الاستاذ محمد حسن الوزاني ، رئيس حزب « الحركة القومية » وبعض اركان الحزب ، ونفتهم الى مجاهل افريقيا .

وفي الواقع فقد ظل هؤلاء المجاهدون رهن الاعتقال في منافيهم ، الى عام ١٩٤٦ ، وذلك رغم مظاهرات مراكش المتوالية احتجاجاً على اعتقالهم، ورغم الشفاعات الكثيرة التي تقدمت من اجلهم .

على ان مراكش ، التي عانت المجاعة منذ عام ١٩٣٨ من جراء القحط وسوء الادارة ، قد عانت ايضاً ، خلال عهد حكومة فيشي ابان الحرب ، بازمة اقتصادية حادة، صرفتها عن نضالها السياسي الى حين . ولكنها لم تلبث ان تنفست الصعداء منذ انزلت الولايات المتحدة قواتها ، وذلك بحماية اسطول بريطانيا العظمى ، في عدة نقاط يوم ٨ تشرين الثاني ١٩٤٢ . ويمكن اعتبار هذا الاحتلال نقطة تحول في النضال المراكشي ، ذلك ان اهل مراكش ، وعلى رأسهم جلالة السلطان سيدي محمد وحاشيته ، استغلوا بواسطة هذا الاحتلال الانكلوسكسوني ، ان يخرجوا ، وهم في بلادهم ، من سلطة الحصار التي فرضها عليهم الفرنسيون منذ بدء الحرب الى نطاق جو مسيحي اخذوا يضفون فيه الى المواثيق الدولية ، وفي مقدمتها الميثاق الاطلسي ، ووعود الحلفاء المفضلة . وشرعوا من ثم يرهفون الآذان لسماع انباء الحرب العالمية ، مضطلعين لتطورات السياسة التي تحدث فيه فتؤدي الى استقلالات خاصة ، وتعود عليه . وقد كان لانهزام لجنة التحرير الفرنسية امام لبنان في حوادث تشرين الثاني ١٩٤٣ ، ثم لتقهقرها جبال سوريا بعد فشل ، اثر بالغ في ايقاظ وعي المراكشيين . وحذروا يستخفون بفرنسا وزبدة عن استخفافهم بقوتها من قبل حينما دانت ذوبان البلاد امام عظمة المانيا ، وكانت حكومة الجنرال ديغول ، توافت وجل التطورات الروحية التي حصلت في مراكش ، وشملت عالمها . وعلى اثر اجتماع فشرشل وديغول في مطلع عام ١٩٤٤ ، سرع السيد بيو ، سفير المقيم العام في مراكش ، لمقابلة جلالة السلطان ، ويبسط له الدوافع الطيبة التي تضمرها حكومته نحو البلاد . فاذا به يلمس من جواب جلالته انه يجل شرف بلاده ومصلحتها فوق الاول ، ولا تستهويه الوعود الخلابة .

والواقع ان الشعب المراكشي عقد النية الحيرة على العمل منعداً في سبيل استقلاله ، والمنهي عمله بتوحيد احزابه ، تحت اسم « حزب الاستقلال » ، برئاسة الزعيم السيد محمد علال الفاسي . وفي يوم ١١/١/١٩٤٤ ، قدم هذا الحزب لجلالة السلطان محمد الخامس ، ومنتهي الحلفاء مذكرة اطلق عليها اسم وثيقة الاستقلال . وقد بدت من وكلا جلالة السلطان الفطنة في هذا النضال ، بما اظهره من اهتمام

خاص بهذه الوثيقة ، حتى بلغ منه انه الف لجنة خاصة لدراستها قصد الدخول مع فرنسا المحروبة في المفاوضة على اساسه . اما الفرنسيون فقد ارتدعوا هذا الموقف الذي يقفه جلالة السلطان ، وخاصة حين شاهدوا الوفود تهبط من القرى والمدن الى العاصمة ، لتؤيد ، بحماس شديد ، مطالب حزب الاستقلال . وما كان منهم الا ان خفوا لالقاء القبض على زعمائه ، وسوق الآلاف من الناس الى المعتقلات والسجون ، فضلا عن انهم قابلوا مظاهرات التندد ، مدة شهرين ، بالدبابات والرشاشات . ولم يتورعوا عن ارتكاب المنكرات ، وخاصة في مدينتي وزان وفاس ، ضد المجاهدين ، شأنهم في كل مناسبة ، بانهم من عمال المحور ، على ان السلطة الفرنسية ، وان استطاعت وقف الثورة بالنار والحديد ، الا انها مع ذلك ، لم تقو ولن تقوى على اخماد صوت مراكش ، خصوصاً وان صداها ، وهو حامل عن الاستقلال ، لا يعبأ بالتهديد والوعيد . ولما دعاه الفرنسيون لحفلة افتتاح خط حديدي في مطلع عام ١٩٤٥ ، القى خطاباً في ذلك الاحتفال قال فيه :

« ان المغرب قد ساهم في هذه الحرب الى جانبها في الناحية العسكرية ، ولكن حظ البلاد يستدعي اكثر من هذا ، وتطلق الى السمو به نحو الرقي المعنوي ، وكان يلمح به الى الاستقلال .

واعتزم جلالته ان يخرج من نطاق النفوذ الفرنسي فيزور طنجة الدولية ، غير ان ريس بسالب كل ما في استطاعته للحيلولة دون سفره . ولما لم تستطع ، اقامت حديثة الدار البيضاء في ٧ يناير ١٩٤٧ ، التي ذهب ضحيتها الف قتيل وضعفا جريح من الاهلين . وكان امام ان تجر هذه الحادثة دبولا تمنع جلالته من مبرحة العاصمة ، غير ان جلالته غادرها بالرغم من ذلك غير مبال بما حدث . وقد علقت جريدة الفيغارو كوتيديان يوم ١٩٤٧/٤/١١ على زيارته هذه بما يلي :

« ان السلطان محمد الذي اعلن انه سيعود منه ابن المغرب بوجوب الوفاء بما وعدوا ، وهو لا يرضى ان يمثل دوره الرمزي سلطان الحماية في فاس . لقد ساعد الحلفاء في شهر نوفمبر ١٩٤٢ حتى يرد لهم الجميل ، وكافأه الرئيس روزفلت على هذه البطولة الفيصلة بوعد الى الذي قدمه له ، ان المغرب سيكون مدينة عهد جديد من الاطمئنان والازدهار لجميع الشعب المراكشي ، ولجميع الرعايا في ظل الحرية ».

وابان وجود جلالته في طنجة ، وقد ، في خطبة يوم الجمعة ، ملوك الدول العربية ورؤساء بلادها ، ثم القى خطاباً مستفيضاً في مهرجان اقيم له هناك ، هاجم فيه بشدة التفريق بين المواطنين المراكشيين ، بتقسيم بلادهم الى ثلاث مناطق .

وازاء هذه المواقف الاستقلالية التي حمل لواءها جلالة السلطان نفسه ، لم يسع

فرنسا الا المبادرة الى تعيين الجنرال جوان ، مقيماً عاماً في مراكش ، عاهدة اليه العمل بحزم لتلافي الخطر المحدق . ولكنها عبثاً كانت تحاول ، لان الروح الاستقلالية ، اصبحت هناك من القوة ، بحيث لا تقف في وجهها اية محاولة استعمارية. وقد كان موقف السلطان حازماً ، مما اثار الاصطدام بينه وبين الجنرال . واما فوام الخلاف بين جلالته وبين الجنرال جوان فهو يتلخص بما يلي :

١ – على اثر استعدادات دائرة انتخابية فرنسية في مراكش رفض جلالته الموافقة عليها لان ذلك يناقض السيادة الداخلية التي يجب ان تتمتع بها البلاد .

٢ – الحاح جلالته من اجل فصل الفرنك المراكشي عن الفرنك الفرنسي ؛ اذ يرى من الخطر ان تعاني مراكش ازمة النقد الفرنسية ، دون ان تكون هناك اسباب تدعو الى ذلك .

٣ – رفض جلالته المصادقة على ابواب النفقات في الميزانية ، لانها تحقق مصالح الجالية الفرنسية ، على حساب الشعب المراكشي .

٤ – الخلاف على منصب حاكم طنجة الذي خلا في شباط ١٩٤٨ بوفاة الحاكم ، وظل شاغراً : فقد اراد الجنرال جوان ان يعين فيه شخصاً يستطيع السيطرة عليه ، على حين ان جلالته أصرّ على وجوب توفر الاتجاه الوطني في حاكم المدينة المراكشية .

هذا فضلاً عن تظاهر جلالته بصدد انضمام بلاده مع الجامعة العربية ، واعلانه عدم ارتباطه بالاتحاد الفرنسي ، وانضمامه مع سائر شواهد العرب في مشكلة فلسطين . يضاف الى كل ذلك رعايته حزب الاستقلال المراكشي . وقد روى جودفري اندرسون مراسل الاسوسيتدبرس (١٤ / ٩ / ٤٩) في مقال له صادر عن طنجة مايلي :

« ان السلطان قال لمرتين اوريول رئيس الجمهورية الفرنسية صراحة ، ان مراكش التي عرفت كيف تجاهد وتضحي في سبيل الحرية ، لا تدرك حق الادراك ضرورة تحقيق امانيها الوطنية وانها تطلب الى الجمهورية الفرنسية ان تعاملها معاملة شعب يتوق للحرية . »

ولعل موقف بعض الدول من فرنسا في قضية مراكش هو ما يحمل هذه على اخفاء ثورة اعصابها الطبيعية في حين اننا نعرف مقدار ما تتحكم هذه الأعصاب بالاوساط الباريسية في مثل هذه الظروف .

وقد نشرت جريدة النيويورك تايمس في تاريخ ٦ آب ١٩٤٩ تصريحاً لاحد كبار السامة الاميركيين قال فيه : « لقد احتججنا في مناسبات عديدة على سياسة فرنسا

العنيفة غير الراقميـــة في شمالي افريقية ، واوجبنا بإجراء تسوية عاجلة في تونس ومراكش . ولما عجزنا عن اقناع فرنسا بان تصحح فلسفتها الاستعمارية على غرار اعمال بريطانيا ، لجأنا الى تحذيرها من اننا لا نسمح لها ، بعد ذلك ، ان تقوم بحركات عسكرية ضد الشعوب العربية في شمالي افريقية . »

كفاح الريف المراكشي

بعد ان فرضت فرنسا حمايتها على مراكش (١٩١٣) اعترفت لاسبانيا بحق بسط نفوذها على الجزء الشمالي من هذه البلاد ، فاخذت الجيوش الاسبانية تحتل المراكز الحربية على الشواطىء . ولكن الاهلين قابلوا هذا الاحتلال بثورة عرفت بالثورة الجبلية . وظلت الحرب سجالاً بين الفريقين ، بالرغم من تفوق الاسبان بالعدد والعدة ، حتى سنة ١٩٢٠ .

وفي ذلك العام برز الميدان الامير عبد الكريم الخطابي ، وكان ضابطاً في الجيش الاسباني ، وتلقى علومه في مدريد ، فتولى زعامة الثورة في الريف . ولم تنته سنة ١٩٢٤ حتى اصبح الامير بسطاً سلطانه على شمالي افريقية كله ، عدا بعض المدن الساحلية منه . وقد انزل بالاسبان حوالي سنة عشرة هزائم حملت فادمغ على الانتحار ، وأفضت بلنابي الى سقوط الوزارة في مدريد ، وحمل البرلمان ، والى الله ، زمام المعلقة في ايدي عصبة عسكرية يرئسها القائد بيرنغوي ريفيرا .

ولما علمت فرنسا بان الامر يكاد يستقر للامير عبد الكريم ، خشيت ان يستفحل خطره ، وتمتد ثورته الى مناطق نفوذها ، فزجت الى الميدان بجيوشها واساطيلها ، وحملت اسبانيا على مواصلة الحرب . فاضطر الأمير الى الاستسلام سنة ١٩٢٦ ، بعـــد قتال استمر بضع سنين متواليات . ونفته فرنسا الى جزيرة ريونيون في المحيط الهندي ، وظل فيها حتى استجابت اخيراً لاخيه العالم العربي ، وافرجت عنه سنة ١٩٤٧ .

وبينما كانت الباخرة ، التي تقله من منفاه الى اراضي فرنسا ، مارة بقنـــاة السويس ، تمكن بعض من الالتجاء الى جلالة عاهل مصر ، ونزل ، من ثم ، ضيفاً عليه معززاً في رحابه .

غـــير ان اهل الريف المراكشيين لم يرضخوا ، بعد اسر الامير عبد الكريم ، للامر الواقع ، بل تابعوا نضالهم ، فتألفت منهم هناك كتلة وطنية ظلت تعمل سراً حتى سنة ١٩٣٣ ، وهي السنة التي قامت فيها الجمهورية الاسبانية . فرأت

عندئذ هذه الكتلة، ان الظروف اصبحت سانحة للمطالبة بالاصلاحات ؛ فقدمت الى خليفة سلطان مراكش في المنطقة الاسبانية، والى رئيس الجمهورية الاسبانية، والى المقيم العام في تطوان، مشروع اصلاحات يتلخص بما يلي :

١ – تأسيس مجلس تشريعي ٢ – اعطاء الحريات العامة ٣ – اعطاء حق انتخاب المجالس البلدية ٤ – تنظيم التعليم .

ولم تقم اسبانيا بتنفيذ شيء يذكر من هذه المطالب على بساطتها ، حتى اذا نشبت الثورة الاسبانية الاهلية ، تلك الثورة التي نشبت وتوعرعت في هذه المنطقة العربية ، وقامت على مساعد المراكشيين انفسهم ، سمحت عندئذ حكومة الجنرال فرانكو باصدار بعض الصحف الوطنية ، وادخال بعض الاصلاحات على نظام التعليم ، كما سمحت بتأسيس حزب سياسي ، وهو حزب الاصلاح الوطني ، الذي رئسه الزعيم عبد الخالق الطريس ، وحزب آخر هو حزب الوحدة المغربية ، برئاسة الاستاذ محمد المكي الناصري . وقد وضع الحزبان مشروع الاصلاح المرغوب.

بيد انه لما استقر الامر لفرانكو في مدريد ، غلب ظهر الجن لاصدقاء المراكشيين ، فعطلت حكومة الصحف الوطنية ، وعاودت الوطنيين ، وضيقت الخناق على الحريات العامة . ولكن الوطنيين هناك ، وعلى رأسهم حزب الاصلاح الوطني ، ما برحوا يلحون على الحكومة ، في وجوب تنفيذ ما وعدتهم به عند قيام ثورة فرانكو . وقد قامت مظاهرات كثيرة في هذا السبيل نخص منها بالذكر مظاهرات تشرين الثاني ١٩٤٦ . وهم الى ذلك قد اخذوا يتفاهمون مع اخوانهم في مراكش وغيرها من شعوب افريقيا في الشمال من اجل الاستقلال التام .

وقد ايدت الجامعة العربية مطالبهم ، فوافقت ، في ١ نيسان ١٩٤٦ ، على قبول مندوبي المنطقة الخليفية ، في جلسة الجامعة ، كما ارسلت بتاريخ ٦ ايلول ١٩٤٦ خطابا الى اسبانيا ، تبغي فيه ما يمكن ان تجنيه من وراء صداقة الشعب المراكشي ، فيما لو منحت هذه المنطقة حريتها واستقلالها .

وعند زيارة جلالة سلطان مراكش لطنجة ، نيسان ١٩٤٧ ، كانت اسبانيا تبدي من القلق ، ما يصدر عن فرنسا ، وذلك لان جلالته سيمر في طريقه الى طنجة ، بالاراضي الواقعة تحت سيطرة نفوذها . فأغلقت الطرق في وجه سكان تلك المنطقة ، لتحول بينهم وبين موكب السلطان ، هذا فضلا عن انها لم ترخ لاطلاق سراح الامير عبد الكريم الخطابي ، واظهرت استيائها من ذلك ، بتوجيه الاحتجاج تلميحا على هذا التسريح .

ومن المؤسف ان تظل حكومة مدريد تتمادى في استعمال سياسة العنف ضد اهل الريف ، بينما لم يعد يوسع القسوة ولال العناصر الطامحة للاستقلال والتحرر : فقد تعرضت فيما بعد ، لبعض الوطنيين عند عودتهم من مصر للبلاد ، واستعملت قوتها ، فقضت على الدماء البلاد في جحيم من النقمة والاضطراب . وقد رفع مكتب المغرب العربي بمصر الى الجامعة العربية ، في شهر يونيو ١٩٤٩ ، والى الدول العربية شكواه من هذه الحالة ، جاء فيها :

١ — « ان حكومة الجنرال فرنكو مدريد في هذا الاسبوع ، حملة عسكرية واسعة النطاق ، على منطقة جبالي مراكش ، فشردت الوطنيين ، وقتلت مئات منهم ، والقت القبض على خلال اسبوع فقط على عشرة آلاف شخص . »

٢ — « والمعروف الآن ان الاتفاق قد تم بين اسبانيا وفرنسا ، على تصفية وحدة مراكش ، وتعيين اسبانيا لقسم الشمال منها ، ان بلادها ، وتعيين فرنسا لقسم الجنوبي الى الاتحاد الفرنسي »

٣ — « وقد اذاعت السلطة الاسبانية في حينه اتفاقها ، وكان الوفد المتفاوض بين العرب والاسبان ، وفاتها انكي عقد في عصمة شمال مراكش ، وتفهم بأن الدول العربية لن تحرك ساكنا »

والحقيقة فان الجنرال فرنكو ، اراد ان يستثمر زيارة جلالة ملك شرق الاردن لاسبانيا ، بعد نحو شهرين من حملته العسكرية على مدن الريف المراكشي وقراه ، وشاء ان يستغل تلك التصريحات الدبلوماسية التي صدرت ، في هذه المناسبة ، عن المعاهدة ، ولكن هذا الريف يذهب عنه ، واما المشعل في سبيل الاستقلال ، فانه يستقبل كل يوم ، خلال تطورات هذا العصر التقدمي ، ضياء جديداً لا يزال يزيده قوة ، حتى ادراك القصد .

نضال ليبيا ضد الاستعمار

نشبت الحرب العالمية الأولى ، وأهل الداخل في ليبيا : طرابلس وبرقة وفزان ، لا يزالون يشهرون السلاح في وجه ايطاليا . ويرجع الفضل الأكبر في ذلك ، لرجال الطريقة السنوسية ، ولا سيما زعيمها في برقة ، الذين كانوا ولا يزالون ، محور اتحاد القبائل الليبية ضد الأجنبي .

وقد استأنف « الباب العالي » في استمبول ، نشاطه خلال تلك الحرب ، لاثارة ليبيا ضد الايطاليين ، واستطاع المجاهدون ، من جراء المساعدة القيمة التي يلقونها من السلطة العثمانية ، ان يجلوا قسراً الايطاليين عن البلاد ، وان يقذفوا بهم الى سيف البحر ، وكانوا على رأسهم خليفة بن عسكر . ولولا ان تبدل وجه الحرب

من بعد ، وتم النصر للحلفاء وفي جملتهم ايطاليا ، فتدفقوا بها ايضاً الى البحر نفسه .

على ان اهل ليبيا استأنفوا مع ذلك القتال بعد الحرب مباشرة ثورتهم الكبرى على المستعمرين سنة ١٩١٩ ، وصمدوا حتى اضطروا حكومة روما ان تمنح ليبيا دستوراً وبرلمانا ، وان تعترف بالسيد ادريس السنوسي في العام التالي ، كأمير على الواحات الداخلية : جغبوب وكفره وجالو ، يتمتع باستقلال اداري وداخلي .

ولكن ما ان استتب الأمر لحزب الفاشستي في روما ، حتى نشط لاذلال الليبيين بحملات عسكرية ظل يوجهها طيلة تسع سنين . وما تم له اخضاع طرابلس سنة ١٩٢٩ زحف على برقة ، فتمكن من استرجاعها بعد عامين آخرين ، واطلق على ليبيا اسم الشاطىء الرابع ، اشارة الى انها اصبحت جزءاً من ايطاليا .

وعندما انبرى للجيش الفاشستي الاستعمار على عمر المختار ، واعدامه سنة ١٩٣١ م اصبح العدو من اسيد البلاد دون منازع . غير ان اعمال القسوة التي جاء بها هؤلاء المستعمرون ما برحت مائلة ، ليس امام انظار الليبيين فحسب ، بل في اذهان العالم كله . من ذلك أنهم نقلوا ثمانين الف عربي من برقة الى صحراء سرت الغربية ، حيث دمرت آثارهم وآثار مواشيهم ، اما اراضيهم الخصبة في الجبل الأخضر ، فقد منحت للجالية المستعمرة . ومن ذلك أيضاً إذلالهم من الصغار ، عن عمر ٤٠ سنة ، الشيخ سعد ، من مشايخ القواد ، مع خمسة عشر رجلا من اتباعه ، واحدا بعد واحد ، على مرأى من اهليهم دون رحمة ولا شفقة (١) . هذا فضلا عن استباحتهم كل شيء في سبيل تدعيم الاستعمار ، من العرض الوحيد الذي كانوا يتكرمون به على الاعمار ، هو لا يتعدى مصلحة الأوساخ والأقذاب دون جناب .

وفي سنة ١٩٣٨ قررت حكومة روما غزو ليبيا الى ايطاليا ، واعتبرها جزءاً منها . وشرعت تستولي على اخصب الأراضي الساحلية ، وتسوق اليها ايطاليين ، وكان عدد الارسالية الأولى يقتضي الاحصاءات الرسمية ، يبلغ عشرين الف ايطالي ، وهي تقصد بذلك ان تطبع ليبيا بالطابع الروماني ، فضلا عن استثمار خيراتها .

ثم لما اصبح العالم على وشك الحرب الكونية الثانية ، بدورت حكومة الدوتشي الى تجنيد السكان غير عابئة بشكاويهم ، ومن سوء طالع طرابلس وبرقة ، انهما أمستا خلال الحرب ميدانا للعراك بين الحلفاء والمحور ، طيلة سنتي ١٩٤١ و ١٩٤٢ ، وذاق اهلوهما ، من جراء ذلك ، نكبات لم يذق مثلها قطر آخر . وقد تزع

(١) راجع كتابه Islam to day. P. P. 109—111 للمستشرق A. y. Arberry

الطرابلسيون الجهاد بين كرّ المتحاربين وفرّهم بينما ألف بعض البرقاويين فرقة قصد تحرير بلادهم ، انضمت الى البريطانيين .

ونترك الكلام هنا الى الفيلد مارشال اللورد ويلسون فنقل (١) :

« لقد تبين انه سنة ١٩٣٩ ان عرب برقة يستطيعون ان يلعبوا دوراً مفيداً إذا وقعت الحرب بيننا وبين ايطاليا ، وذلك بفعل الآبار بيا . وبإمكانهم عرقلة تحركات العدو ، فضلا عن المعاونة التي يستطيعونها للطائرات . التي تضطر للهبوط في الصحراء .

وقد تقدم اليها بعض شيوخ برقة الاجئين الى مصر ، باقتراح يرمي الى التطوع في صفوف الجيش لمحاربة المحور ، معتمدا اجتماعا على أثر ذلك في السفارة البريطانية بالقاهرة قررنا فيه رفض تنظيم قوة من الليبيين مستقلة تصدر ، مراعاة لحكومة القاهرة التي كانت تعارض في هذا الاقتراح .

غير ان سمو الامير محمد علي ، تطلب ووافق على بحث هذا الموضوع بي وبين السيد الادريسي وعلى السنوسيين . وقد كان من نتيجة هذا الاجتماع الاتفاق على تأليف فرقة الليبيين ، في صفوف الجيش الانكليزي تحت قيادة ضباط مصريين .

وقد كنت قررنا عند دخول ايطاليا الحرب سنة ١٩٤٠ ان تعبئة عربية مغربية ستلعب دوراً مهماً اذا ما تألفت فرقة كاملة منهم . وفي الواقع ، ان صمود الأنزاني الذي بلغ الحدود المصرية بعض الى انزال كثيرين من جنوده عن ظهور الجمال ، لعجز العرب لاضطهاد وابادتهم ؛ كما انهم عملوا على إبعاد هؤلاء ، بعيدا عن الجبهة البريطانية عند الصحراء ، مثبتاً على الاقدام ، وذلك مسافة ٣٠٠ ميل لاماء فيها الا لعبيد » . الخ

والى هذا فان بعض الليبيين من اهالي طرابلس وفزان ، عمدوا الى الاتصال بالجنرال نوكيس الفرنسي في الجزائر ، منذ دخلت ايطاليا الحرب ، واتفقوا معه على تأليف قوة عربية ، تنضم الى صفوف الجنود ، ولكن هذا التدبير ، مرعان ما تلاشى ، من جراء سقوط فرنسا ، وتعاون حكومة فيشي مع المحور .

وبعد زوال الخطر النطوي ايدن الشرق الأوسط (كانون الثاني ١٩٤٢) ، لم يسعه الا ابداء الشكر للسيد ادريس السنوسي في مصر ، لصعوبة القيمة التي امدادها جيوشه بجيش الحلفاء ، وصرح بان حكومة جلالة الملك ، مصممة كل المصممة ان لا تدع السنوسيين في بنغازي بعد الحرب ، يعودون الى الحكم الايطالي على كل حال من الاحوال .

ولعل الانكليز كانت منذ ذلك ، تعتزم بسط سلطتها على برقة ؛ وقد احتلتها فعلا سنة ١٩٤٣ ، اثر جلاء المحور عن شمالي افريقيا ، واحتلت طرابلس ايضاً ؛ وظلت تحت الادارة العسكرية البريطانية ، بينما ان منطقة فزان الداخلية كانت من نصيب الاحتلال الفرنسي ، وذلك وفقاً لاتفاق هاك Hague الذي وصف الاحتلالين بالمؤقت .

. . . . . .

(١) — Arab - World, issued by the Anglo - Arab association — May 1948

هذا وما ان تنفس الاهرون الصعداء ، حتى اشرأبت نفوسهم للاستقلال ، يطالبون به ، على غرار اخوانهم في العالم العربي . كما ان اخوانهم هؤلاء ، لم يقفوا عنهم : فقد سرع حزب الاتحاد العربي في القاهرة ، الى تقديم مذكرة للسيد كايسي ، وزير الدولة البريطانية في الشرق الاوسط (١١/٤/٤٥) ، تطالب فيها بمنح هذا القطر استقلاله ، وكان السيد ادريس السنوسي زعيم برقة والمقيم وقتئذ في عاصمة مصر احد اعضاء ادارة هذا الحزب .

وفي مؤتمر ملوك العرب ورؤسائهم الذي عقد في انشاص بمصر (مايس ١٩٤٦) ، قرر ان يعهد الى جامعة الدول العربية بتهيئة الاسباب لاستقلال ليبيا ، ووافق مجلس الجامعة في مؤتمره الاستثنائي ، الذي عقد ببلودان (سورية) في (حزيران ١٩٤٦) ، على قرار مؤتمر انشاص ، ووجب الامانة العامة لمجلس الجامعة ، برقيات الى وزراء خارجية الدول العظمى ج ، فيها :

« ان كل تعويق يحول دون تحقيق هذه الرغبة يعتبر اعتداء يهم جامعة الدول العربية الى حد كبير ، وبرغم ما تشعر به الشعوب العربية ، وتحرص عليه من ان تتمتع في اقرب وقت بثمار ابنائها الاقوياء الابرياء » .

هذا ولما قررت اللجنة المؤلفة من قبل وزراء خارجيات الدول الاربع ، في تشرين الاول ١٩٤٧ ، انتداب هيئة لتحقيق في المقترحات الايطالية السابقة ، بادرت على اثر ذلك ، هيئة تحرير ليبيا في مصر ، باسفار الى طرابلس من أجل إعداد الرأي العام قبل وصول اللجنة . وبينما كان سائر الدول العربية في المؤتمرات الدولية يعملون منفقين لاستقلال ليبيا ووحدتها ، كانت الجامعة العربية التي اخذت على عاتقها ، عند تكوينها ، الدفاع عن هذا القطر ، لا تنفك ترفع صوتها مرددة هذا المطلب . وكان عبد الرحمن عزام بك امين الجامعة ، يصرح ، من قبيل الاستدراك ، بقوله : « اذا كان مؤتمر الصلح سيفرض الوصاية على ليبيا ، فمصر أحق من سواها بها ، باعتبارها دولة عربية مجاورة » .

وقد زارت لجنة التحقيق ليبيا ، واصدرت في ٢٧ تموز ١٩٤٨ تقريرا ، انتهى الى القول بان ليبيا غير كفء للاستقلال الذاتي . ولما لم يتفق وزراء خارجية الدول الاربع على صورة الحل النهائي ، رفعت هذه القضية الى هيئة الامم المتحدة .

اما اختلاف وجهات نظر الدول فقد كان يرجع الى اختلاف مصالح كل منها فحسب : فبينما كانت فرنسا تؤيد الوصاية الايطالية ، وغايتها من ذلك ان تبقى ايطاليا في ليبيا حائلة بينها وبين العالم العربي ، ولا سيما المغرب الفرنسي ، كانت

بريطانيا تريد ان تجعل من برقة مركزا استراتيجيا هو متواطئة مع فرنسا على اقتسام البلاد : فتعترف لندن لباريس بالوصاية على فزان ، لقاء اعتراف باريس للندن بالوصاية على برقة .

واما الولايات المتحدة وروسيا ، فكانت كل واحدة منها تحاول اكتساب ايطاليا الى جانبها ، فتجعلان من ليبيا كبش المحرقة .

لذلك وان هيئة الأمم المتحدة ، لم تستطع البت في أمر هذه القضية في دورتها الثالثة ، فقررت في ٢١/١٢/١٩٤٨) تأجيل النظر في مستعمرات ايطاليا الى الدورة التالية ، أي (نيسان ١٩٤٩) .

. . . . . .

وعلى انتظار ذلك ، خفت بريطانيا العظمى الى تحقيق امنيتها في برقة . فقد كان السيد ادريس السنوسي ، يقيم في القاهرة منذ عشرين سنة تقريباً ، هربا من جور الايطاليين . فلما قام فيلدماريشال مونتغومري بزيارة بلاده سنة ١٩٤٣ ، وشاهد الانكليز تلك الحفاوة التي قوبل بها هناك أقبلوا على جعله يتزعمون امانيه الاستقلالية . فاذا بسموه يقصد الى بنغازي قاعدة هذه المنطقة (١٩٤٩) ، فيعلن الاستقلال ، وتبايعه طرابلس على اساس الوحدة الليبية .

وكانت هذه مفاجأة فوجىء بها العالم ، ولا سيما الجامعة العربية التي ما زالت تطالب بوحدة ليبيا واستقلالها . فوقفت الجامعة منها موقف المعارض ، ولا سيما عندما قرر السيد الادريسي تأجيل مؤتمر برقة الوطني الذي كان يريد درس الاماني التي قدمتها جميع الأحزاب السياسية في طرابلس الغرب بصدد الاتحاد . وكانت حجة سموه انه ليس من الموافق اتخاذ أي قرار ، قبل ان تعرف نوايا الدول الكبرى في قضية ليبيا ، وخصوصاً بريطانيا العظمى .

على ان برقية لشركة (ر . ص . ف) وردت من القاهرة ، في ١٦ تشرين الأول ١٩٤٨ ، زعمت أن سموه كان يطلب لأجل الموافقة على تحقيق الوحدة الليبية ، شروطاً هذه خلاصتها :

١ ـ ان تقسم كل فيلة طرابلسية ، وعائلة فزعلي والناصرة الفزانيين بين الولاة .
٢ ـ ان يكون عرش ليبيا لأسرته من بعده .
٣ ـ ان يتبع سكان برقة بعض مقاعد المجلس النيابي المقبل .

هذا واما مساعي بريطانيا العظمى في الحقل الخارجي فقد انتهى بها المطاف الى اتفاق بينها وبين ايطاليا عرف باتفاق بيفن ـ سفورزا ، يقوم على القواعد الآتية :

١ ـ استقلال برقة تحت اشراف بريطانيا .
٢ ـ وضع طرابلس تحت الوصاية الايطالية ، باشراف لجنة من هيئة الأمم المتحدة
٣ ـ استمرار فزان بشكلها الحالي على متصرفية فزان

وينص هـذا الاتفاق ايضاً على وضع كل من برقة وطرابلس تحت الادارة البريطانية حتى عام ١٩٥١ ، ثم تنتقل الوصاية عليهما لايطاليا ، وتبقى حتى عام ١٩٥٩ .

وقد قابل مشروع هـذا الاتفاق بموافقة اللجنة السياسية لهيئة الأمم المتحدة (١٣ أيار ١٩٤٩) ، وأوصت به الجمعية العمومية . ولكن موقف العرب منه ، حكومات وشعوباً ، بلا استثناء ، كان موحداً . فقد وقف اهل طرابلس الغرب في وجهه صموداً مرموقاً تجلى بمظاهراتهم الثائرة وتهديداتهم ، كل ذلك جعل هذا المشروع ينهار أثناء اجتماع الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة (١٨ أيار ١٩٤٩) ، ويرفض على اساس رفض كل اقتراح مبني على عودة ايطاليا الى طرابلس . وقد اجلت الجمعية العمومية البحث في مصير المستعمرات الايطالية ، الى دورتها القادمة في أيلول ١٩٤٩ .

وعلى اثر ذلك رأت لندن ضرورة اسناد الحوادث ، فاذا بالسيد ادريس السنوسي يعلن استقلال برقه رسمياً ، واذا به يلبي دعوة لندن ويزورها . واذا به يبلغ هذا الاستقلال في (حزيران ١٩٤٩) لندن العربية . فلم يعترف احد منهـا به غير جلالة ملك شرق الأردن . وما ذلك عن كره بسموه ، بل لأن العالم العربي لايرضى عن وحدة ليبيا بديلا ، على ما يكنه للسيد السنوسي من الاجلال والتقدير .

وأخيراً فقد جاءتنا البشرى ببرقية صادرة عن لايك ساكسس (١١ تشرين الثاني ١٩٤٩) ، تتضمن ان اللجنة السياسية لهيئة الأمم المتحدة ، قررت ان تتمتع ليبيا بالاستقلال في اسرع وقت ، وان لا يتجاوز موعد ذلك اليوم الثاني من كانون الثاني ١٩٥٢ ، على ان يجتمع ممثلون عن برقة وطرابلس وفزان ، لوضع دستور البلاد ، وتعيين شكل الحكومة .

ووافقت اللجنة ايضاً على انشاء مجلس استشاري للمساعدة في وضع الدستور وتأليف الحكومة المستقلة ، على ان يتألف اعضاء هذا المجلس من مصر ، وفرنسا ، وايطاليا ، والباكستان ، وبريطانيا ، واميركا ، يضاف اليهم ممثل عن كل قطر من اقطار ليبيا الثلاثة . وقد وافقت هيئة الأمم المتحدة على هذا القرار ، ومشت ليبيا العزيزة في طريق الاستقلال الناجز ، وهي خطوة حاسمة لسحق رأس الاستعمار في سائر افريقيا الشمالية .

الفصل الرابع

عصر الانتدابات

الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان

منذ خاطبت الولايات المتحدة غداة الحرب العالمية الأولى جناب الرئيس ويلسن الاعلان عن رأيه بصدد مصير الشعوب المستضعفة بعد احراز النصر ، وافصح عن رغبته في تأمين مصيرها على اساس مبادىء انسانية تختلف عن الطرق المتبعة في الحروب الماضية .

ولقد قام نظام الانتداب على قواعد هذه النظريات الأميركية ، فصح تطبيقه على المستعمرات الألمانية ، والولايات العثمانية لتحكم بمقتضى انظمة تضعها عصبة الأمم وتشرف على تطبيقها . وقد عينت المادة ٢٢ من ميثاق العصبة العناصر التي يشملها الانتداب على انواعه ووصفت العناصر التي يجري عليها الانتداب ﷺ بما يلي :

« العناصر التي باتت من الرقي درجة تسمح بان يعترف بها كشعوب مستقلة ، تحت اشراف دولة منتدبة لمعاونتها ، ومد حكومتها الوطنية بالارشادات اللازمة ، الى ان تصير قادرة على ادارة شؤونها بنفسها . »

ولكن نوايا حلفاء الرئيس ويلسن ، لم تكن مجردة عن المطامع صافية كنيته ، بل كانت مشبعة بالمطامع الاستعمارية ، التي ذر قرنها منذ الحقبة الأولى ؛ فما عمدوا الى توزيع الانتدابات في مؤتمر سان ريمو (نيسان ١٩٢٠) الا واخذوا يصطدمون باتفاقات سرية عقدوهـــا فيما بينهم لقسمة الأرث قبل وفاة المورث ، كاتفاق سايكس بيكو ، ووعد بلفور ؛ واما حق الشعوب المحررة في اختيار المصير فقد ضربوا بها عرض الحائط .

وكانوا قد عهدوا الى لجنة وضع مشروع الانتداب ﷺ ؛ فاتخذت لندن مقراً

فا . وعندما انتهى وضع المشروع تحول الى عصبة الامم المصادقة عليه ، فمر عليه وقت غير قصير في مجلس العصبة ، ثم تأجل اعلانه ايضاً من جراء ملحوظات أعربت عنها الولايات المتحدة ، ومطاليب جديدة اثارتها ايطاليا . حتى اذا كان يوم ٢٩ ايلول ١٩٢٣ أصدر المجلس قراراته بانتداب فرنسا على سورية ولبنان ، وانكلترا على العراق وفلسطين ، على اساس الانتداب A . وهذا القرار بالاضافة الى المادة ٢٢ من ميثاق العصبة ، يعتبر بمثابة الهيكل الشرعي والسياسي للانتداب على هذه البلاد .

على ان الدولتين المنتدبتين لم تنتظرا ، مع ذلك ، اعلان الانتداب من قبل عصبة الامم ، بل راحتا فورا تقسمان الغنيمة دون انتظار ، وهما مطمئنتان الى ان ارادتهما ارادة العصبة .

الانتداب على سوريا

وصف الاستاذ جبرائيل مسي في كتابه الافرنسي المسمى (الانتدابات ١) حالة سورية الروحية عند الحكم الفيصلي ، وقال : « شهدت سورية خلال الاحتلال العسكري عهداً من تلك العهود الشاذة التي لا حد فيها لتشعب بالحرية والاحياء : فالذين زاروا دمشق سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠ قدر لهم ان يروا في الاجتماعات والاندية ، والمحاضرات والاحزاب ، وبدعة على الغليان السياسي العام ، حالة مستفادة شبيهة بما يعقب الثورات الكبرى ، وقد ذهب بعضهم الى تشبيه حالة دمشق هذه بما كانت عليه فرنسا سنة ١٧٨٩ » .

وفي اثناء هذه الثورة الروحية دخلت فرنسا سورية عنوة ، بقوة النار والحديد ، فالفت امة شغوفة كل الشغف باستقلالها ، لا عن عاطفة قومية طبيعية فحسب ، بل نتيجة لممارستها الحكم اثر الاستقلالي عهد الملك فيصل ، وارتباطها به ، لذلك كان على فرنسا ان تجابه عقبات كأداء عند نزولها تطبيق الانتداب ، عقبات ازدادت تعقيداً من جراء الطرق التي لجأت اليها وأفضت الى اعتقاد السوريين بان الانتداب ليس سوى نوع من انواع الاستعمار .

---

١ — عهد الجنرال غورو ١٩١٩ — ١٩٢٣ . كان لدخول فرنسا سورية عنوة ، بعد ذلك النضال السياسي العنيف الذي حصل بينها وبين حكومة فيصل ، اثر بالغ

في توجيه السياسة الفرنسية فيها . ذلك ان الجنرال غورو اعتزم القضاء على كل مناعة في الشام تحول دون الاستقرار الفرنسي . فامر عام ١٩٢٠ بحل الوزارة السورية ، وبالغاء الوزارة الخارجية . وباعد بين دمشق وحلب باقامة دولتين منفصلتين فيها ، ولا صلة لكل منهما بالاخرى الا بواسطة المفوض السامي ؛ واعلن استقلال جبل الدروز ، وفصل منطقة اللاذقية عن دمشق ، واطلق عليها (بلاد العلويين) ، وسمح للطائفة الملاحة بقيمة في جسرها ؛ ومنح منطقة اسكندرونة استقلالاً اداريا واسعاً وفقاً للاتفاق الفرنسي التركي . وهو مع ذلك ، وان احتفظ باستقلال صوري لدمشق وحلب ، الا انه ، يتردد في جعل حكم جبل الدروز وبلاد العلويين حكماً مباشراً يتولاه موظف فرنسي في كل منهما مهمته الدورة للنعرات الطائفية . على ان هذه الحكومات السورية كانت ترجع في النهاية والكبائر ، الى المفوضية الفرنسية العليا في بيروت . وقد راوح نظام الحكم على الاساليب التي الفوها في المغرب . وكان معظمهم جنوداً لا يحسنون الادارة ، فاداروا النفوس وملأوا القلوب حقداً عليهم ، فضلاً عن انهم جروا بعض الافرنسيين على مؤاخذتهم . وقد سبق ان اشرنا الى الذي وجه انتقاداً شديداً لهم في مقال نشر في مجلة العالم بباريس سنة ١٩٢١ . وكان الجنرال غورو قد وثق الفتق بقدر ما تسمح به سياسة الاستعمار فالف في ٢٠ حزيران ١٩٢١ خطاً بادمشق وضع فيه اساساً للاتحاد بين دولتي دمشق وحلب . وبمقتضاه تالف مجلس الاتحاد من اعضاء مجلسي الدولتين ، وكان هذا المجلس يعقد اجتماعاته عادة في دمشق وعاماً في حلب . وقد اضيف اليه ممثلون عن منطقة العلويين منذ ٢٨ حزيران ١٩٢٢ . على ان هذا التدبير ، جاء مخالفاً للرغبات العامة ، لأنه فضلاً عن كونه لم يؤمن الوحدة المرجوة افضى الى بقاء جبل الدروز مستقلاً عن جواز الحكم السوري ، كما انه منح منصرفية اسكندرونه ، امتيازات من شأنها اضعاف الصلة بينها وبين سورية .

هذا وكانت الوجهة التي رافقت الجيش الفرنسي اثناء دخوله سورية غازياً قد اخذت تتلاشى امام العواطف الوطنية المتأججة ، وذلك منذ السنة الاولى التي عقبت واقعة ميسلون ، فنشط السوريون لمجابهة الاستعمار بالثورات المتوالية . وهكذا شهد عهد الجنرال غورو ثورة الشيخ صالح العلي في جبال العلويين (١٩١٩ - ١٩٢١) ، وثورة حوران (من صيف ١٩٢٠ الى آخر العام) . وقد ذهب ضحيتها السيد

علاء الدين الدروبي رئيس الحكومة السورية وزملاء له من الموالين للسلطة الفرنسية، وثورة ابراهيم بك هنانو في جبل الزاوية غرب حلب التي استمرت مشتعلة من اواسط عام ١٩٢٠ الى اواسط ١٩٢١ . هذا عدا الثورات التي قامت في الاراضي التي الحقت بلبنان، وخاصة في جبل عامل سنة (١٩٢٠ — ١٩٢١) .

ولما اتيح للجنرال غورو القضاء على هذه الثورات آخر عام ١٩٢١ ، ارادت جيوشه ان تتقدم شطر الشمال صدمت في وجهها القبائل العربية في دير الزور وتاوشتها القتال مدة . ثم كاد الجنرال نفسه يلقى حتفه سنة ١٩٢١ اثناء مروره في ناحية المنيطرة فاخطأته النار ولكنها اودت بحياة مرافقه . هذا الى ان فرنسا لم يتسن لها الاستقرار في سورية ، بعد ان انجحت في قواها الدولية اخماد هذه الثورات ، بل سرعان ما وجدت نفسها حيال معارضة جبارة متواصلة حرمتها الراحة والاطمئنان .

وفي اول نيسان ١٩٢٢ هبط السيد نشاوبي كرين دمشق ، وكان معروفاً من السوريين منذ جاءهم رئيساً للجنة كرين — كينك (١٩١٩) ، ومحبوباً بسبب التصريحات المنصفة التي كان يدلي بها في تأييد قضيتهم . فما ان ذاع نبأ وصوله حتى هاجت به ارجاء المدينة كأنها ترجو بالشكاية اليه الحصول على مساعدة اميركا . وكان وداعه ، من بعد، مظاهرة وطنية ، علت خلالها الاصوات في طلب الاستقلال والوحدة . ولما عمدت السلطة الى اعتقال الذين رحبوا به اثر سفره ، قامت قيامة المدينة المهتاجة فاضربت دمشق ومشت في مظاهرات صاخبة ، قامت بها النساء في المطلعة . ولكن السلطة قابلت هذه الاحتجاجات بالعنف واعلنت الاحكام العرفية . وكانت زوجتي ، الآنسة نازك العابد وقتئذ ، من خطباء تلك المظاهرات ، فاعتقلتها السلطة ، ثم تمكنت من الفرار الى خارج الحدود على امل ان تجد هناك مجالاً اوسع للنقد وحرية (١) . وكانت الثورات المتوالية في سورية ، والشكاوى قد فتحت آذان رجال السياسة في باريس ، فاضطر الجنرال غورو، بتأثير انتقاداتهم ، الى العدول عن سياسته السلبية . وقد بدأ ذلك بايقاف حكم الاعدام الذي كان اصدره المجلس العسكري غيابياً بحق سلطان باشا الاطرش زعيم جبل الدروز . ثم طفق الجنرال يبدل الاموال لتقريب اهل النفوذ ، وخصوصاً بين العشائر .

---

(١) راجع تفصيل ذلك في كتابنا « سلطان وسورية قبل الانتداب وبعده » لبولس مسعد

ولما رأى رجال البرلمان في باريس ان الجنرال غورو لم ينجح في سياسة العنف ، ولا في سياسة الاسترضاء ، شددوا النكير عليـــه وعلى صحبه ، رجال الفوضى ، واحجموا عن تقرير النفقات التي يطلب ، فابحر في ٢٥/١١/١٩٢٢ الى باريس قصد تبرير موقفه ومطالبه ، ولكنه لم يعد لان حكومته اضطرت تحت ضغط المعارضة البرلمانية الى الغاء المخصصات بدلاً من زيادتها .

. . . . .

٢ – الجنرال ويغان ١٩٢٣ – ١٩٢٥ : جنت الجيوش الفرنسية عن كيليكيا بعد اشهر من تعيين الجنرال ويغان مفوضاً سامياً على سوريا ولبنان ، وذلك بناء على اتفاق انقرة ، وكان هـــذا النجم الذي احرزه الترك على الفرنسيين حافزاً للسوريين على المضي في نشاطهم ومقاومتهم . ولم يستطع المفوض السامي الجديد ان يقمع الثورات الا في سنة ١٩٢٤ ، بعد ان سافت حكومة باريس سبعين الف جندي الى بلاد الانتداب ، وانفقت المبالغ الطائلة من الاموال .

ومضى الجنرال في تحقيق برامج الاستعمار ، وبعـــد مؤتمر لوزان ١٩٢٤ ، استعمل الشدة في مجابهة المقاومة ، ولكنه مع ذلك بدر لاعطاء البلاد مظهراً من مظاهر التمثيل السياسي : فدعا الى احصاء السكان ، ثم الى اجراء انتخابات مجالس الحكومات السورية على ان ينتخب كل منها خمسة نواب لتمثيله في مجلس اعلى يجمع بينها ، ولكنه زاد في استقلال متصرفية لسكندرونة الاداري ، وجعلهـــا تحت اشراف المفوضية المباشر ، كما انه فصل نهائياً بين دمشق من جهة ، وبين كل من جبل الدروز ، ومنطقة العلويين من جهة ثانية ، ونصب على رأس كل منهما حاكماً افرنسياً ، وجعلهما تحت اشراف المفوضية مباشرة .

وكان من الطبيعي ان يقابل هـــذا التدبير بالمقاومة ، وان ضرب السوريون عن الانتخابات ، وما جرت من بعد ، الا بضغط السلطة وبتوجيهها . وقـــد انتخب المجلس الأعلى صبحي بك بركات رئيساً له ، وهو من الموالين للانتداب ، ولكن الشعور القومي كان قد بلغ اشده الى حد ان المجلس المذكور وقف موقفاً ، كان يترقبه الفرنسيون ، فاعلن في ٥ / ١ / ١٩٢٥ ، الوحدة السورية في الجلسة الاولى التي عقدها لبحث القانون الاساسي .

. . . . .

٣ – الجنرال ساراي ١٩٢٥ : على اثر فوز كتلة اليسار في باريس ، استبدل

الجنرال ويغان بالجنرال ساراي بحجة لرغبة المسيو هربو رئيس هذه الكتلة ١٩٢٥/١/٢ . وعلى الرغم من ان المفوض السامي الجديد كان يحمل في حقيبته اصلاحات تتلاءم مع مبدأ حرية الشباب ، وانه لم يكن موفقاً في تحقيقها : فقد اصطدم بتذمر شديد عم ارجاء الأزمة الاقتصادية اضراماً . ثم انه واجه ثورة جبل الدروز تلك الثورة التي اذكاها الكابتن كاربيه . ذلك انه على اثر وفاة سليم الاطرش امير الجبل حصلت المفوضية الافرنسية مكانه الكابتن المشار اليه ، فارهق اهله بالعنف والقسوة حتى حملهم على الثورة . وكانت ثورة حامية الوطيس امتدت الى سورية ولها نتائج اجنبية شملت الحاكم والمحكوم : ذلك ان الجمهورية الفرنسية لم تكن تعتقد ببقاء صناعة قومية في سورية بعد انتصار الجيش الفرنسي في واقعة ميسلون ، بل كان الفرنسيون يعتبرون التموينات التي فوجئوا بها ، بعد ذلك ، من قبيل اعمال المصادرات التي تبررها الاعتبارات التي واجهوا الثورة المذكورة ، ولمسوا فيها ما عند السوريين من قوة كافية ارادوا اهتصاباً بدوس بطالب سورية ، وتنافسوا حولها كتابة وخطابة ، واصبحت حديث الاحزاب والمجالس الرسمية . كما ان فشل الثورة ، بعد حين ، اضعف روحاً جديدة المعارضة فتولدت عن هذه التأثيرات المختلفة ، التي شملت كلا من باريس ودمشق ، سياسة جديدة تتجه نحو التفاهم .

. . . . . .

١ - دي جوفنيل ١٩٢٥ - ١٩٢٦ : نصب المسيو دي جوفنيل مفوضاً سامياً ، وانتدب لتحقيق مشروع التفاهم . وكان صبحي بك وكلت قد قدم استقالته في ١٩٢٥/١٢/٢١ ، وكلف المفوض السامي الشيخ تاج الدين الحسني بتأليف الوزارة ، ولكنه لم يوفق في ذلك لاصرار المفوض السامي على تكليف المسيو بيير آليب مندوبه في دمشق ، باستلام زمام الحكومة السورية .

وقد تم التفاهم المذكور مع الوطنيين بخصوص مندوب فرنسا ، الى تأليف حكومة الدكتور احمد قدري بك جعلابي ووزراء ثلاثة من الوطنيين ، وذلك في ٢٦ نيسان ١٩٢٦ م على امل ان تتوسط هذه الحكومة لوقف الثورة . وربما كان اختيار الدكتور قدري ، وهو بيروتي ، لرئاسة الحكومة ، يقصد منه ارضاء الجماعة المقيمين في بلاد الشام الذين اشتهر فرنسا بمكافحة الثورة . ولعل من جملة اسباب السخط الذي قوبلت به هذه الحكومة ان رئيسها كان من طائفة تطوع شبابها لمحاربة القومية .

٥ ـ فترى بوانسو ١٩٢٩ ـ ١٩٣٣ : حل المسيو بونسو محل المسيو دي جوفنيل ٣/١٠/١٩٢٦ ، والثورة ما تزال متقدة . فعكف على درس القضية السورية عاماً ، ونشر على اثر عودته من باريس صيف ١٩٢٧ ، بياناً صرح فيه بانه يحافظ على سياسة التفاهم التي حددها سلفه . وقد كان هذا التصريح ، بعد ملاشاة الثورة ، الوضع الحسن في الاوساط الوطنية . وقابل الوطنيون هذا التصريح ببيان معتدل صدر عن مؤتمر عقدوه في بيروت ٢٥/١١/١٩٢٧ ، اعلنوا فيه استعدادهم للتعاون . وعلى الاثر اعلن المفوض السامي الغاء الاحكام العرفية ، والعفو عن كثرة المحكومين السياسيين . وعهد الى فاليف حكومة جديدة عدها (١٤ شباط ١٩٢٨) الى الشيخ تاج الدين الحسيني ، وتعهد بان حكومته مؤقتة وبانه تجرى انتخابات المجمعية التاسيسية التي يعهد اليها وضع الدستور . كما اعلن في هذه المناسبة عن عزمه على عقد معاهدة بين فرنسا والدولة السورية العتيدة ، تكون خيراً من المعاهدة الانكليزية ـ العراقية . وتحت تاثير هذه التصريحات المطمئنة قرر المؤتمر في دمشق ـ آذار ١٩٢٨ ـ مقاطعة حلب وخاصة ، والاشتراك في الانتخابات . وجاء اجماع الكلمة على انتخاب مرشحي الهيئة الوطنية دليلا على وجوب الرأي العام السوري. هذا وقد اجتمع المجلس المنتخب في ٢٩ حزيران ١٩٢٨ وانتخب رئيساً له فخامة هاشم بك الاتاسي. غير ان سياسة التفاهم لم تلبث ان لقيت حتفها عند وضعت الجمعية التاسيسية الدستور ١٤ ايار ١٩٣٠ . ذلك لان المفوضية العليا اعلنت اعتراضها على مواد ست جاءت في هذا الدستور تنص احداها على الوحدة ، وتنص المواد الباقية على حقوق رئيس الجمهورية ، وعلى التمثيل الخارجي ، وتنظيم الجيش ، وحق الفرقاء ، دون جدوى ، الوصول الى حل مرض . وانتهى الامر اخيراً الى اقفال المفاوضات ، والى مفاجاة المجلس التاسيسي بقرار التعطيل . ثم استقلت المفوضية ، بعد ذلك ، في نشر مواد دستور عرضته على عصبة الامم ونالت منها التصديق عليه بالرغم من الاحتجاجات المدوية . ونصب المسيو بونسو مندوبه المسيو مارتيل رئيساً لحكومة جديدة (١٩ تشرين الثاني ١٩٣١) ، على انها حكومة مؤقتة ايضاً يقصد منها ادارة الانتخابات النيابية على اساس الدستور . وارسل دعوة الى الوطنيين يحضهم فيها على الاشتراك في هذه الانتخابات ، فاعتذروا بالوعود المعسولة ، ولبوا دعوته . ولكن ما ان دارت الانتخابات حتى اصطدم الوطنيون بتدابير حازمة اتخذتها السلطة لفوز مرشحيها ؛

فكان هياج بلغ اشده في دمشق ، ولم يهدأ الا بعد ان اعلن وقف الانتخابات .

ثم استؤنفت الانتخابات من جديد على اساس اتفاق تم بين الفريقين يقضي باقتسام المقاعد النيابية بينهما في منطقة دمشق .

وفي ١١ حزيران ١٩٣٢ انتخب المجلس فخامة محمد علي بك العابد رئيساً للجمهورية . غير ان الاتفاق بين السلطة والكتلة الوطنية لم يطل عليه العهد ، اذ لم تباشر المفاوضات بشأن القواعد التي ينبغي ان تقوم عليها المعاهدة حتى استقط في ايدي السوريين ، لا سيما حينما قرأوا بيانات المفوض السامي امام لجنة الانتدابات الدائمة في جنيف (٣ ايلول ١٩٣٢) التي تشير الى ان المشروع الجديد حل القضية السورية يقوم على اساس عقد معاهدة مع جمهورية سورية تقتصر على المدن الاربع وحدها ، على ان تبقى المقاطعات السورية الاخرى تحت الانتداب المباشر ريثما يتم استعدادها للاستقلال ، فكان ذلك باعثاً على ان تعود الازمة الى توتر اشد مما كانت عليه قبل الانتخابات . واصدر الوطنيون قرارهم ، على اثر اجتماع عقدوه في ١٨ نيسان ١٩٣٣ بالانسحاب من الحكم ومن البرلمان ، وبالتخلي عن سياسة التعاون .

. . . . .

٦ — الكونت دي مارتيل ١٩٣٣ — ١٩٣٨ : هبط دي مارتيل بيروت حاملاً مشروعاً جديداً للمعاهدة ، واذ بفاجأة اخرى تنتظره ، اذ ذاك ، للبدء في تنفيذ دليلاً على اتفاق كلمة الشعب في معهد الاستقلال : ذلك ان المجلس النيابي الذي لم يعقد بعد ، بعد انسحاب الوطنيين ، الا انصار السلطة ، اقدم على رد مشروع المعاهدة التي تقدم بها الفرنسيون (تشرين الثاني ١٩٣٣) . فكانت مفاجأة غير منتظرة أثرت تأثيراً شديداً على المفوض السامي ، وجعلته يسترد المشروع ، ويعلن عدوله عن الاستمرار في ايجاد حل سياسي للتفاهم ، وعزمه على حصر اهتمامه في معالجة الشؤون الاقتصادية . وكانت قد نشبت البلاد فعلا ازمة شديدة . وفي الواقع فان المفوض السامي اعرض طويلاً عن التفكير بالحلول السياسية حتى اذا نفد صبر الكتلة الوطنية خفت الى اصدار بيان باسم الشعب السوري (١٠ / ١ / ١٩٣٦) ضمنته ميثاق الامة القائم على الوحدة والاستقلال . وكانت جرأة محمودة لم تتردد السلطة في مقابلتها بسياسة العنف : فعمدت الى اغلاق مكاتب الكتلة ، والقبض القبض على بعض رجالاتها ، مما سبب اضراباً عاماً في كل سورية احتجاجا على هذه التدابير ، اقفلت فيه المتاجر والمصانع حتى المطاعم .

وما كان ابعاد بعض النواب والوجهاء وسجن الطلاب والادباء وتعذيب بعضهم الا لتشديد النقمة على المستعمرين ، وتثبيت الثبات على الاضراب . وكانت حكومة الشيخ تاج الدين الحسني تلجأ الى القسوة في سبيل وقف الاضراب ؛ فأثارت ، من جراء ذلك ، حقد الشعب عليها ، وازدادت كرها على كره . وكان المفوض السامي اراد ان يجعل هذه الحكومة كبش الفرقة على امل ان يخفف بتنحيتها السخط العام ، وان يصل الى وقف الاضراب . فأقالها وعهد الى دولة عطا بك الايوبي بتأليف الوزارة (٢٤ شباط ١٩٣٩) . ولكن هذا التدبير لم يؤثر شيئاً على الشعب ؛ وظل الاضراب على حاله من الشدة والتنظيم ، الى حد جعل الاوروبيين أنفسهم يظهرون اعجابهم به ، ويعتقدونه بانه نوع من انواع التصوف الذي اشتهر به الشرق . فما وسع دولس حيال ذلك الا ان تتراجع وتلتزم سبيل الحكمة ، فأمر المفوض السامي بان يفاوض الكتلة الوطنية مباشرة ، ويدعوها لتأليف وفد يتولى في باريس المفاوضة للاتفاق على مشروع المعاهدة المطلوبة . وقد قبلت الكتلة هذه الدعوة ، بوقف الاضراب ، وقصد رئيسها فخامة السيد هاشم الاتاسي على رأس وفد الى عاصمة فرنسا للمفاوضة .

هذا وعقب الاتفاق مبدئياً مع وزارة الخارجية الفرنسية على مشروع المعاهدة عاد الوفد السوري الى دمشق ، وجرت الانتخابات النيابية ، فأسفرت عن نجاح الكتلة الوطنية ، ثم انتخب المجلس رئيسها فخامة هاشم الاتاسي رئيساً للجمهورية . وألف الوزارة دولة جميل بك مردم بك .

ولكن حكومة فرنسا لم تلبث ان تراجعت عن التصديق على مشروع المعاهدة ، وشرعت تماطل في عرضها على البرلمان ، بينما كانت تتظاهر بمواصلة المفاوضة مع الحكومة السورية للاتفاق على بعض المسائل . حتى اذا حان الوقت اعلنت في ٩ ايلول ١٩٣٦ رفض هذا المشروع . وتعلل اسباب هذا التراجع تعود الى ما يأتي :

أ ـ كانت حكومة مسيو ليون بلوم تتبنى فكرة المعاهدة ، فلما سقطت ، وخلفتها وزارة مسيو دالادييه تبدل الموقف لأن الرئيس الجديد كان يرى من الخير على فرنسا ان ترضي بالحكم سلطتي عن سورية ما دامت قادرة على تعزيزها بالقوة .

ب ـ اغربت سورية ، وعلى رأسها الحكومة ، عن تضامنها مع فلسطين تجاه

الخطر الصهيوني ، وفلسطين هي جزء من سورية منذ ايام نبوخذ نصر (٥٨٥ ق.م) على ما اعترفت به لجنة بيل الملكية . ولما عقد العرب مؤتمر بلودان (ايلول ١٩٣٧) مشمولاً برعاية حكومة دمشق ، فكرت انكلترا فيما يمكن ان تؤديه بلاد الشام ، اذا هي نالت الاستقلال ، من المساعدات لثورة فلسطين ، فراحت ، والصهيونيون من ورائها ، تعمل في باريس على وقف المعاهدة . وهي تحسب ، في نفس الوقت ، الف حساب فيما لو فشلت من حيث التأثير على اهل فلسطين الذين ما فتئوا يطالبون ، دون جدوى ، بمثل هذه الامنية .

ج - ان مشروع هذه المعاهدة لم يكن حائلاً على ارتياح حزب اليمين ، ولا الرأسماليين الذين يرون في الاستعمار حقلاً للاستثمار ، اذ جعلهم يعملون الى جانب زملائهم العسكريين على احباطه . ورئيس كان للرأسماليين في الثورة نقمة هؤلاء العسكريين وغيرهم ، على مشروع المعاهدة ، بعد معموسه في الذهب .

د - واخيراً جاء الخطر المنذر بحرب صغيرة على الابواب ، فاشتدت المعركة بباريس حول هذه المعاهدة ، واصبح جميع اعضاء ايطاليا البريا ، واكتسحت الماليسا النمسا وتشيكوسلوفاكيا بعد ان خطفت ايديبا من عصبة الامم .

ويمكن ان نضيف الى هذه الاسباب سبب آخر مصدره الحكومة السورية نفسها ، وذلك ان هذه الحكومة اعتزمت مراوغة السلطة والحقوق التي نصت عليها المعاهدة دون ان تنتظر تصديقها ، ولما فاجأوا بمباشرة الحكم على اساس الاستقلال المطلق اشفق الفرنسيون على نفوذهم ان يزول ، وخافوا على مشاريعهم الاقتصادية ان تضحى من جراء ما شاهدوه من جزء الحكومة السورية تجاه البنك السوري اللبناني الذي يحاول تجديد امتيازه . فشدد كثيرون منهم للانضمام الى الحزب المعارض في باريس ، وكان لادارة البنك المذكور اثرها البالغ في مناوأة المعاهدة ، وعدم تصديقها من قبل البرلمان الفرنسي .

. . . . .

٧ - غمريال بيو ١٩٣٨ - ١٩٤٠ : لقد ارادت فرنسا ، التي لم تكن قد نسيت الاضراب الأخير ، ان تختم الامر قبل وقف المعاهدة ، فلجأت الى التهادي بالتسويف وبتقدير اختلاف الكتلة الوطنية بالمؤامرات عليها وذلك باثارة انصار التجزئة في الجزيرة وجبل الدروز وبلاد العلويين ، وباذكاء الشقاق بين الوطنيين انفسهم .

ولما كنت احسب لهذا التسويف حسابه فقد انتهزت فرصة مروري بباريس

سنة ١٩٣٨ في طريقي الى أمريكا بباخرة تتعلق بفلسطين لأبسط لمعتوفة الامير عادل ارسلان احد اعضاء الوفد السوري لمفاوضتي سنحرظاتي في هذا الموضوع ، ورجوته نقلها لرئيس الوفد والحكومة دولة جميل بك مردم ـ ولكن الامير اقترح عليّ ان اشافه بها دولته مباشرة ، فكتبت فرصة عودتي من فرنسا الى باريس في سيارة دولته لا كاشفه بتكليفي . وقد اقترحت عليه وقتئذ ، في شيء من الحرية ، ان يستقيل تضامنياً من رئاسة الوزارة والوفد احتجاجاً على هـــذا التسويف ، فتكون استقالته هذه حافزاً للشعب ، الذي دب بينه الفتور ، وساورته الظنون ، الاحتجاج بالطرق الفعالة على التسويف قبل ان تستحكم الشباك التي يحيكها الفرنسيون لسورية .

ويظهر ان المراجع الفرنسية كانت جد حريصة على ان يحتفظ دولة الرئيس بحسن الظن بها فكان احتفاظه يقوم على الأمل بان يعود آخر الشهر حاملاً الاتفاق الذي في جيبه ، وطبعي فالاذن صلب المعاهدة لن يبس ، وان التحوير القليل ، الذي هو موضع المفاوضات ، لا يحصر في الملاحق .

هذا وبينما كان الوفد السوري يواصل المفاوضة في باريس ، اذا بنا نرى السلطة تسهل للدكتور عبد الرحمن شهبندر ، اللاجيء الى القاهرة من سنين ، العودة الى وطنه ممتطياً برنامج المعارضة للمشروع المعاهدة . والدكتور شهبندر زعيم راقي القضية العربية منذ مطلع الاخير ، فلا غرو ان يؤدي مجيئه الى انقسام في صفوف الوطنيين وان الى تسرب الانحلال الى صميم الكتلة الوطنية . واذا بنا ايضاً نرى ثورة تنشب في الجزيرة على حكومة سوريا اثر عودة رسل الكرد ينال نبوتي منها الى بيروت . وهو زعيم طائفة السريان في تلك الناحية ، واذا بجبل الدروز يطالب بالاستقلال عن سورية ، بينما يقوم في جبال العلويين سليمان المرشد فيدعي الالوهية ، ويجند الجند على مرأى ومسمع من السلطة ، ويفرض الضرائب ، ويطالب بالانفصال عن سورية .

وهكذا رأينا الاسباب تتضافر على جعل حكومة دمشق ، التي تتولاهـــا الكتلة الوطنية ، تخضع جانبي ازاء مثل الانتداب ، بتأثير هـــذه الاحداث المفتعلة ، فتصبح الفرصة مواتية لان تعلن فرنســـا رفضها المعاهدة دون ان تحسب حساباً لاحد . وورغ الاضطراب الذي تعمل سورية عقب رفض المعاهـــدة ، فقد استرسلت المفوضية الفرنسية في سياستها الجديدة ، واصدرت قانوناً للتوالف

يتنافى مع تقاليد البلاد ، فكان ذلك مدعاة لتحرج الحالة بينها وبين وزارة جميل مردم بك تحرجاً أفضى الى استقالتها (١٨ شباط ١٩٣٩) . وتوالت الأزمات الوزارية . وبالرغم من أن المفوضية أعلنت الغاء دستور الطوائف فقد ظلت سورية في حالة اضطراب مهيب اضطرت خلاله البلاد العربية ، وعلى رأسها العراق ومصر ولبنان ، عطفها على قضية المضربين ، وانتصارها للسورية .

وظلت سورية دون حكومة الى ان اذيع في ٦ نيسان ان دولة نصوحي بك البخاري رضي بتأليف الوزارة . ومع ذلك فان الرئيس الجديد ، بسلطة ايقاف الاضراب الأبعد عشرين يوماً من توليه الحكم .

وكان فرنسا رأت ان الفرصة سانحة ، اثر انحلال الكتلة الوطنية ، لتقوية مركزها ، خصوصاً وان الحرب اصبحت قاب قوسين او ادنى ، فاذاع بيانها ، المسيو بيو ، على اثر عودته من باريس ، بياناً بسط فيه السياسة المقبلة التي اعتزمت حكومته انتهاجها . وكان هذا البيان جانبياً بحيث ، يفضي الى استقالة وزارة البخاري فحسب ، بل اخرج الشعب تلبيه الى الاضراب ، فضلاً عن انه دفع المجلس النيابي للاحتجاج ايضاً باسم الشعب .

وظلت سورية بمرة اخرى ، دون حكومة ، وهي مواصلة الاضراب والاحتجاج ، حتى كان مطلع شهر حزيران فدعا بدولة عطا بك الأيوبي يقبل بتأليف الوزارة على شروط ، ولكن التدرب السامي رفض تلك الشروط . فكان هذا التعنت من قبل الفرنسيين كافياً لأن يحمل فخامة هاشم بك الأتاسي على ان يتقدم الى المجلس النيابي بتاريخ ٧ تموز باستقالته من رئاسة الجمهورية . على ان المفوض السامي لم ينتظر ريثما يبت مجلس الامة بصدد قبول الاستقالة ، بل اصدر في اليوم التالي مرسوماً يقضي بحل المجلس ، وتعليق الدستور ، كما اصدر قراراً آخر عهد فيه بالسلطة التنفيذية الى مجلس مديرين برئاسة مدير الداخلية آنئذ السيد جميل الخطيب ، المعروف بصداقته للافرنسيين . وخلال هذه الاحداث نشرت الصحف في ٢٣ حزيران ١٩٣٩ برقية من باريس تعلن توقيع الاتفاق الفرنسي التركي المتعلق بتخلي سورية عن متصرفية اسكندرونة الى تركيا ، فسجلت سورية احتجاجها على ذلك بمرقية وجهتها دولة فارس الخوري بصفته رئيس المجلس النيابي ، الى المفوض السامي . ثم استمرت تستنكر هذا التخلي في كل مناسبة ، خصوصاً

وان دولة الانتداب لاحق لها في اعداء قسم من البلاد التي انتدبت عليها في سبيل تأمين مصالحها الخاصة .

. . . . .

سورية قبيل الحرب العالمية الثانية : اعلنت الحرب العالمية الثانية ، بينما كانت دولة الانتداب تحكم حكماً مباشراً من وراء مجلس مندوبين ليس له من الامر شيء . ولما اعلنت الحرب وراقتم الاحكام العرفية والعسكرية اصرف الناس الى تتبع انباء القتال ، وهم ينتظرون الفرج القريب . ولكن سلطة الانتداب كانت لا تفتأ تفرج الناس حتى اخرجتهم منذ غرة عام ١٩٤١ وجعلتهم لا يبالون بالاحكام العسكرية ، ذلك ان المفوضية الفرنسية أمست في سورية ولبنان بحاجة ماسة للمال لتعضية انقاض ، خصوصاً ، بعد هزيمة فرنسا ، ووقوع حكومة فيشي في حالة أزمة خانقة جعلتها تطلب المدد من عمالها في البلاد . وكان ذلك حاضراً المفوضية الفرنسية في بلاد الشام ، لان تأخذ على عاتقها مهمة اعالة السكان ، واصدر القرارات بمنع الاتجار بالحبوب ، وتحظير نقلها وتموينها . كل ذلك ، بغية تحصيل الاموال لنفسها بواسطة الشراء بقير وجيعة ، وبيعها باثمان غالية ، وبقصد توفير قسم كبير من هذا القوت لسوقه سراً الى فرنسا نفسها .

وفضلاً عن ذلك فقد منعت المفوضية الفرنسية بارسال المأكولات الى فرنسا ، ومنها السكر والارز وزوما تريده ، كما منعت جنودها المرجين في سوريا ولبنان ان يتموّنوا ما كان محتكراً عندهم من هذه المأكولات وغيرها . فكان ذلك سبباً لارتفاع الاسعار في الاسواق ارتفاعاً كثيراً . ومن جراء ذلك تهافت عمال الانتداب على التكسب الشخصي ، وخصوصاً في ناحية المتجرة ، مما ادى الى وقوع بلاد الشام في ضيق من العيش شرع يتفاقم شهراً بعد شهر . هذا وكان الوعي القومي قد استرد نشاطه منذ مشيت فرنسا في بداية الحرب العالمية الثانية بخسرانها مكانتها العسكرية ، فاذاع الحركات الاستقلالية نائب دورها من وراء ستار الحالة الاقتصادية والضائقة المعاشية ، واذا بدمشق تضرب يوم ٢٨ شباط ١٩٤١ وتوفي التجار مهمة المفاوضة ، ثم اذا بالطلاب والشباب يخرجون الى الشوارع ، فينتشر الاضراب في سائر سورية . ويتطور الموقف بتحول الاضراب الى ثورة سياسية صريحة حينما اذاع التجار (١٢ آذار ١٩٤١) بياناً وقفوا فيه السيد شكري القوتلي ، الزعيم الوطني ، ورئيس الكتلة الوطنية وقتئذ ، ان يتابع المفاوضة والعمل . وقد خف السيد القوتلي الى العمل .

وفي اول بيان له تعدى نطاق الاغاثة الى المطالبة بحل في سورية الفورية . وحاول الفرنسيون طاقتهم ان يحاربوا الاضراب بالطرق المختلفة حتى اذا عجزوا وتحرجت الاحوال استنجد الجيش مبدأ الدرك ، واعلنوا تجدداً الاحكام العرفية (آذار ١٩٤١) ، وقطعوا المواصلات بين المدن ، وأوقفوا أعمال البرق والبريد ، ولجأوا الى أعمال العنف والشدة . غير ان هذه التدابير جعلت الاضراب والمظاهرات تتحول الى ثورة لم يبق فيها شباب سورية بالأرواح التي اهرقت ، وبالدماء التي سالت ، لا سيما في الحوادث التي وقعت اواخر شهر آذار .

* * * * * *

٨ — الجنرال دانز ١٩٤٠ — ١٩٤١ : وازاء هذا الصمود العجيب الذي جبهته سوريا لم يجد الفرنسيون وسيلة لتهدئة الخواطر ، ووقف الاضراب ، الا بالمصانعة ، فاذا بالجنرال دانز الذي كان قد نصب مندوباً سامياً في ١٩٤٠/١٢/٣٠ ، يذيع بياناً صباح ١ نيسان ١٩٤١ من محطة اذاعة الشرق في بيروت ، يشرح فيه حرص السوريين على استقلالهم ، ويستعد لاتخاذ التدابير لتأييد هذه الاماني حينما تسمح الظروف السياسية ، وهو بانتظار ذلك يرى ايصال سورية الى نظام يقوم على الاسس التالية :

١ — يمثل كل مجلس المدرين مجلس وزراء دون الملك .

٢ — يؤلف مجلس أعلى مثل جميع الشباب وعناصر الشعب الحقيقية وتشترك فيه البلاد العلوية وجبل الدروز مع احتفاظ الطائفتين بامتيازاتهما الخاصة .

٣ — ينشأ ايضاً مجلس شورى للدولة .

٤ — يتم حكومة سورية حسنة التموين والاعاشة ، وتوفي ادارتها ، ويبدأ مشروع الاصلاح

وقد صدر قرار بتعيين دولة خالد بك العظم رئيساً لحكومة دولة سورية على اساس هذا النظام .

* * * * * *

٩ — الجنرال كاترو ١٩٤١ — ١٩٤٣ : ولما دخل الجيش الانكليزي — الديغولي سورية ، وقام الجنرال كاترو مقام الجنرال دانز على رئاسة المفوضية الفرنسية (١٤ تموز ١٩٤١) استيقن الوزارة وشرع يفاوضها ، ويفاوض بعض رجالات البلاد ، للرجوع الى عقد معاهدة ١٩٣٦ بين فرنسا وسورية . ولكن السوريين أبوا هذه المرة ان يتقيدوا بمعاهدة بانتظار نتيجة الحرب وعلى امل بلوغ الاستقلال الناجز .

وخلال ذلك اعربت وزارة خالد بك العظم عن رغبتها في التخلي عن الحكم ؛

وقد حملها على الاحجام في طلب ذلك نزوع الأعشة الى حد بعيد من جراء احتكار الجيوش مقادير وافرة من الاقوات . وقد قبل الجنرال كاترو استقالة الوزارة ، ونصب الشيخ تاج الدين الحسني رئيساً للجمهورية السورية ، وعهد اليه بتأليف الحكومة (١٢ ايلول ١٩٤١) .

وكان هذا التعيين غير متفق مع دستور البلاد الذي ينص على انتخاب رئيس الجمهورية بواسطة ممثلي الامة ، كما انه لم يكن متفقاً مع الرغبات العامة ، لان الشيخ تاج كان قد لجأ الى فرنسا هرباً من نقمة الشعب عليه اباء توليه رئاسة الوزارة ، ومكث فيها طويلا ، ثم لم يكن قد عاد لدمشق الا منذ عهد قريب ، بيد ان الأجل لم يمهله طويلا : فقد توفي في ١٧ كانون الثاني ١٩٤٣ بنعيه ، فانعقد مجلس الوزراء ، وكان يرأسه دولة حبيب بك الزلتي ، قراراً ينص على ان يتولى المجلس مهام السلطة التنفيذية بالوكالة . وبعد ايام من ذلك اصدر المفوض السامي بالوكالة السيد جان هيلو بلاغاً رسمياً مؤرخاً في ٢٣ كانون الثاني اعلن فيه انه بعد التشاور مع الحكومة البريطانية قد عزم اللجنة الفرنسية على اعادة الدستور . وقد حاول الجنرال كاترو التفاهم مع مجلسة هاشم بك الاتاسي على الاسس التي يعاد فيها الدستور ، ولما فشلت هذه المفاوضات اذاع في ٢٥ آذار ١٩٤٣ بلاغاً اعلن فيه عودة دستور الجمهورية السورية ابتداء من اليوم الذي ينتخب فيه مجلس النواب رئيساً للجمهورية .

وفي هذه المرة ايضاً برهنت سورية على انها متحدة الكلمة حول الكتلة الوطنية ورئيسها شكري بك القوتلي ، اذ تمت الانتخابات النيابية وفقاً لارادتها الوطنية ، ثم اجتمع المجلس النيابي في ١٧ آب ١٩٤٣ ، واختار الزعيم المشار اليه رئيساً للجمهورية . وفي عيده بلغت سورية استقلالها ، وسنتكلم على هذا العهد في عصر الاستقلال .

الانتداب على لبنان

« اعلن مع التعظيم لبنان الكبير ، وآخيه باسم الجمهورية الفرنسية في رفعته وفوقه ممتداً من النهر الكبير الى ابواب فلسطين ، حتى ذروة لبنان الشرقي » .

بهذه العبارة الفياضة اعلن الجنرال غورو المفوض السامي ، ورئيس قيادة جيش الشرق الادنى ، محاطاً باركان حربه ، استقلال لبنان الكبير ، وذلك اثناء

المهرجان الذي اقيم في بيروت هذه الغية في اول ايلول ١٩٢٠ .

وعقب هذا المهرجان صدر مرسوم بتنظيم دولة لبنان الكبير المشار اليه بانه تنظيم مدني يقوم مقام الحكم العسكري . وفي الواقع فقد ظلت السلطة ، صغيرها وكبيرها ، تتقلب في ايدي رجال الجيش الفرنسي ، اذ نصب الفومندان ترابو حاكماً عاماً على هذه الدولة ، وظل هذا المنصب من حظ الفرنسيين حتى اعلان الدستور في سنة ١٩٢٦ . ورغم ان منصب حاكم لبنان العام كان من نصيب الفرنسيين ، ومن فوقه المفوضية العليا تشرف على تصرفاته ، فقد عهدوا الى جانبه في الادارة منذوبا افوضيا ، كما عهدوا الى جانب المفوض السامي الفرنسي مستشارين فرنسيين ، عهد اليهم الاشتراك في التوقيع على المعاملات الرسمية . هذا فضلا عن انتعيين اللجنة الادارية التي انفوه ، واراد وا بها ان تكون استشارية فقد بقي اختصاصها في يد المفوض السامي . فكانت مهزلة مفضوحة تحت ستار الاستقلال . ولكن اللبنانيين الذين عرفوا بالسياسة والدهاء ، لم يعودوا يؤخذون بالتعابير الرنانة التي وردت في خطاب الجنرال (كترفقه وفوزه) ، بل انهم ما لبثوا أن اعربوا عما اوركبه من الخيبة . وهذا ما حمل السيد عبد الله صفير باشا على ان يوجه وفتئذ اسئلة ذات مرة للسلطة في كتابه « الانتداب الفرنسوي » ويقول :

« اعلن لي من مت بصلة الى امر الاستقلال الذي اعترف به لحضرة لبنان ، وأعلنه الدولة المنتدبة ، اذا كان كل شيء في هذه الدولة لا يصح ان يباشر من غير اذن من رؤساء الدوائر الى الرتبة التي اكتفت بها الدولة والاوتاي نفسه ، وطبقاً لما بين جميع الظروف تدل على ان الفرنسيس من اعلان هذه الكلمة انما هو تمهيد لمعاهدة سنة ١٩٢٦ التي اعطيت فيها للسلطة الداخلية السورية ومن جملتها لبنان ، وصوت الحق في وضع النظام الذي تنتخبه . »

اضطراهم غرور بالوحدة السورية : على ان فريقاً من الناس ، وهم ما بين فرح باتساع الحدود ، وسعي معتز بالمناصب والرواتب ، لم يحفل بلباب الحدث الجديد ، ولا بصورة تنفيذه ، بينما ان فريقاً آخر من كل الطوائف قد شعر بشذوذ هذا الوضع الجديد ، وخصوصاً لانه وجد حينما لامان فرنسية كبرى كانوا يجلون بها ، وسرعان ما اصطدم الجنرال غورو بهؤلاء ، وفي طليعتهم طلاب الوحدة السورية ، ذلك انه ما ان اعلن قرار احصاء النفوس في لبنان حتى قابله أنصار الوحدة السورية بالاضراب . وماذا عسى يفعل والاحصاء لا بد منه . وقد اعجزته الحيل في اقناعهم بقبول الجنسية اللبنانية . فاضطر المفوض السامي لان يشتري فيوقع بصدد الاشتراك في الاحصاء بتساهل غير قابل للذوقيان يقص من

« تذكرة الهوية » ، التي سنعطي اليهم ، شطرها الاول حيث يوجد نص على ان حاملها لبناني . ومع ذلك فان الاقبال على الاحصاء الذي جرى في ١٧ كانون الثاني ١٩٢٢ لم يكن عاماً . ولما عمد الجنرال ، بعد ذلك ، وفي نفس السنة ، الى استبدال اللجنة الادارية ، التي كانت عينت تعييناً ، بمجلس نيابي منتخب وفض انصار الوحدة السورية ايضاً الاشتراك في انتخاب هذا المجلس . وقد انتخب له ثلاثون عضواً « لم يسلم نصفهم تقريباً لاجانبك الكثرة انها الحكومة بوسائط استعملتها ومن الاصلح ارخاء الستار عنها »(١) ، على ان الثقة على الانتداب أخذت تستحكم بين كافة الاوساط اللبنانية : ولما اعلن الجنرال ويغان دوكه ، نيابة عن المفوض السامي ، وفي اثناء غيبته ، نظام لبنان الاساسي (٨ آذار ١٩٢٢) حمد احرار اللبنانيين الى الاحتجاج عليه في الوطن وفي المهجر على السواء ، وعدوه اداة جديدة للاستعمار من وراء ستار ، كما اعتبروا المجلس النيابي الذي انتخب على اساسه مجلس المبعوثين ، . وازدادوا سخطاً على سخط حينما اعقب بقانون احكام الطوارئ .

ولقد كان هذه الانتقادات ، التي اثارها اللبنانيون ، وقعها الشديد على الجنرال غورو وهو في باريس ، لا سيما لانه لم يجرب حوله في الوقت الذي تلاقت فيه اعناق الكلمة في فرنسا على تأييد ادارة الانتداب . هذا وقد قتل خلال ذلك (٧ نيسان ١٩٢٢) اسعد بك خورشيد مدير الداخلية في بيروت جزاء موالاته للسلطة . وزاد حادث وقوع الحادثة ابان المظاهرات الوطنية التي أقامت دمشق وافعدتها قنصلية زيارة مستر تشاتوس كرين اعتبرت هذه الحادثة رمزاً لترابط انصار الوحدة والاستقلال في الساحل والداخل . وعندما القت السلطة القبض على بعض الوطنيين في بيروت بتهمة التآمر على مدير الداخلية استدعاني مسيو جوبيه ، رئيس شعبة السياسة في لبنان ، للتحقيق معي في هذه القضية ، عن تردد في مصاولته بخصوص السياسة التي ينهجونها ، وحذوته من عقبة الكفت ، الذي كان يبدو به ، خلافاً له امثل ، جناح الحلفاء من فوائد اثناء الحرب العالمية الاولى ، من جراء قسوة جمال باشا ، قائد الجيش الرابع ، ومن شدته في معاملة اهل الشام .

---

(١) من خطاب بالقاهرة القاه يوسف مرزا بك مدير عاية لبنان في حفلة اقامتها له الجالية

هذا ولما عاد الجنرال غورو من باريس لم يتمالك ان يعرب عن استيائه من موقف اللبنانيين خلال مفاوضاته اقيمتا له . ولكنه لم يستطع مع ذلك الا تعديل سياسته وفقاً للاوامر التي تلقاها في باريس : فطفق يجامل ويداري ... حتى اذا افتتح المجلس النيابي الاول (٢٥ مايس ١٩٢٢) اعلن في جلسة الافتتاح انه عدل الدستور على وجه يجوز ان يكون ناشئاً على ارتياح اللبنانيين . وفي الواقع ان ذلك التعديل لم يكن شيئاً مذكوراً ، بل ظل اللبنانيون ، سواء اكانوا من انصار فرنسا ام من غير ذلك ، يستفتون وطأة الاستعمار . وقد اعرب بعضهم عن اسفهم هذا بثورة الغضب حتى اخلال الامن في لبنان .

يستقبل اللبنانيون ربفاء بشعار عامة : وترفض اللبنانيون ، من وراء تعيين الجنرال وبهان بدلاً من الجنرال غورو ، تطوراً خطيراً في سياسة الانتداب يتلاءم مع اغراضهم ؛ وقد رفع اليه بعضهم عقب وصوله الى بيروت بياناً ، مؤرخاً في ١ حزيران ١٩٢٣ ، اشاروا فيه الى الاسباب الأساسية التي ادت الى الاحتلال ، وذكروا ، في مقدمة هذه الاسباب ، ما يأتي :

١ ـ استمرار التذمر في الصفوف بالنسبة للواردات .

٢ ـ الخسران المستمر من كمية الورق التي وضعت مقام النقد الذهبي .

٣ ـ الحواجز الجمركية بين الحكومات المتجاورة .

٤ ـ الامتيازات الاجنبية ، التي تمتع الانتداب .

٥ ـ تطبيق الانتداب على قاعدة الحكم المباشر .

ثم طلبوا ، في جملة ما طلبوه ، وضع حد لقوانين الاستثنائية الصادرة بشكل قرارات ، وتوحيد برامج التعليم ، وجعله وطنياً اجبارياً ، وانشاء مدرسة لتحقيق لغتها العربية . وختموا هذه المطالب بوجوب « دعوة الجمعية الوطنية التأسيسية ، وذلك بطريق الانتخاب العام الحر ، لوضع الدستور الاساسي للبلاد . »

واما انصار الوحدة السورية فقد انتبذوا فرصة وصول القادم الجديد للاعراب بشتى الطرق ، عن امانيهم ، وفي مقدمتها الوحدة ، مبرهنين على ان فيها دواء الازمة الاقتصادية المستحكمة ، ومشيرين الى ان التجزئة في سورية الطبيعية ،

بالاضافة الى وفرة الحكومات ، كانت مصدر ذلك القيض في النفقات (١).

على ان حدثاً حصل وقتئذ جاء دليلاً على ان الشعور العام في لبنان ، وان اختلف عن الشعور العام في سورية في بعض الحالات ، الا انه واحد من حيث الرغبة في الاصلاح والحرص على الحكم النيابي ، ذلك ان المجامل اللبنانية في سورية دعت الى عقد مؤتمر عام تستعرض فيه شكايات البلاد وامانيها ، فطلبت مجامل لبنان الى سورية هذه الدعوة ، وعقد المؤتمر في دمشق من ٣١ تموز الى ٧ آب ١٩٢٤ ، واشترك فيه ٢٩ مندوباً ، فتلوا ببعض امر من البلاد واديمن ، وكانت كلمتهم متفقة على الدعوة الى الانتداب وانصرفوا ، ورؤوس البلدين تحت قوانين انما وضعت لعهد الاحتلال . وقد وضع المؤتمر كراساً ختمه بهذه العبارة :

« ونحن نطلب ان تنتخب الجمعية المؤسسة انتخاباً حراً ، وان تدعى الى تحقيق سيادة الامة ، ووضع للبلاد نظامه الاساسي ودستوره » .

وقد شاء المؤتمرون ان ينتخبوا ويتخبوني رئيساً لهذا المؤتمر ، ثم رئيساً للجنة التنفيذية ، فقدمت هذه الطلب الى فرنسا والى المفوضية الفرنسية في بيروت ، وطالبت بها بقوة .

على ان استعمال القوض في البلاد جعل الجوال ويفان يتصرف بكليته الى معالجتها ، فاستعمل الشدة ، ووفق في ايجاد الأمن ، ولكنه لم يوفق في تحقيق الاماني من حيث الحقوق السياسية . وقد عاد من باريس صحب معه صديقنا المقاعد الجوزاني فندبوه ، ووضعه حاكماً على لبنان الكبير مكان الفرمندان تراو .

اللبنانيون يطالبون بالحكم النيابي : اما خلفه الجوال سراي (٢/١/١٩٢٥) فقد زود بالتوجيه بان يتلافى شكايات المندوبين على قدر ما يتفق مع مبادىء الاستعمار ، وان يعمل على استرضائهم بتنصيب حاكم منهم ، ودعا مجلس النواب ، وكلفه اختيار لجنة في محل محل الجوال فندبوني ، ولكن رجال المفوضية ، الذين مارسوا الحكم المباشر في المستعمرات ، لم يطب لهم هذا التدبير ، فعملوا على احباطه ، ومتى كادوا يتمون امراً قضيلاً لوجود الخلاف في المجلس حول اختيار هذا الحاكم حتى اغتنموا واحدة يعتبرونه حجة في التراجع ، فانبأ بمجلس يحل ،

---

(١) بين موجودات متحف القوصية الخاصة عاية عسكرية ذهبية تقدمة للجنرال ويغان مهنأ اياه بالوقعة من وجهاء بيروت وصيدا وصور وطرابلس بعد الاوامر من اعمال الوحدة السورية

واذا بالسير كايلا يعين حاكماً بالوكالة على لبنان، ثم حاكماً اصيلاً، ويعين حبيب باشا السعد اميناً للسر العام.

ونوط السير كايلا الاشراف على انتخاب المجلس النيابي للمرة الثانية (خريف ١٩٢٥). وفي الواقع فان تعقب المجلس لم يكن نحط امالي اللبنانيين، بل كانوا لا يفتأون يطالبون بالحكم الذاتي على قاعدة الحياة الدستورية الحرة. وما كانت دولة الانتداب تعير آذاناً صاغية هذه المطالب. ولكن ثبات الثورة السورية (١٩٢٥ - ١٩٢٧)، واستفحال شأنها، وجه المسيو دي جوفنيل (٢ كانون الاول ١٩٢٥) يأمر هذا المندوب الجديد الى منح لبنان حق اختيار حاكم له من الشعب، وحق المشاركة في وضع دستوره. وقد قبل اللبنانيون هذا التطور بارتياح. واما طلاب الوحدة السورية منهم فقد ابوا المساهمة في وضع الدستور، وكان في طليعة هؤلاء جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية التي اكتسبت هذه الفرصة ايضاً لتكرار المطالبة بالوحدة، وذلك في جوابها الموجه للمفوض السامي (٧ كانون الثاني ١٩٢٦).

وقد انيط للبنان ان يصبح في ٢٣ مايس ١٩٢٦ جمهورية، وان يصير له برلمان مؤلف من مجلسين احدهما للشيوخ والآخر للنواب، وان يتمتع بدستور. وقد اختار المجمع النيابي، اي المجلسان المنتخبان، الاستاذ شارل دباس رئيساً للجمهورية لمدة ثلاث سنين. وفي الواقع فان المفوضية العليا ظلت صاحبة السلطة المطلقة؛ ذلك لانها نصبت الى جانب رئيس الجمهورية مندوباً ما احتفظ بالكلمة العليا، كما احتفظ سائر المستشارين الفرنسيين، في العاصمة والملحقات، بالقول الفصل في كل الشؤون؛ ولم تترك حكومة الانتداب الانتخاب طليقاً خشية ان تتبوأ المعارضة كراسي البرلمان؛ بل اشرفت عليه، وجعلت الاعضاء على قسمين: منتخبين ومعينين. ومع ذلك فان بعض النواب من طلاب الوحدة لم يغفلوا عن الاحتجاج رسمياً على الحاق بلادهم بلبنان، وتسجيل احتجاجهم في محاضر جلسات المجلس. وصادف ان قام هذا الهيكل الحكومي خلال تفاقم الأزمة الاقتصادية في البلاد، واثناء ما كانت الغرف التجارية في سورية ولبنان قد قدمت شكاويها الى المفوضية، منفردة ومجتمعة، بمم مؤتمر عقد في بيروت (آذار ١٩٢٥). فرأت السلطة في ذلك مجالاً لالقاء مجلس الشيوخ، بوجه خاص، مراعاة جانب الاقتصاد.

مطالب الوحدة السورية يقتدون موقفهم : وكان المسلمين ، الذين كانوا قاطعوا لبنان من قبل ، قد شعروا يتأثيون الى ما استفاده غيرهم في المناصب الكبرى والوظائف ، فبادروا منذ ذلك الى المطالبة بحقوقهم في الحكومة والقضاء ، ولكنهم ظلوا ، مع ذلك ، يطالبون بالوحدة السورية وفقا عقد في دمشق مؤتمر عام (حزيران ١٩٢٨) اشترك فيه كثيرون من ذوي المكانة في البلاد الملحقة بلبنان ، وفي جملتهم نواب الساحل في المجلس النيابي اللبناني ، ولم يعدل هؤلاء الامين عن الاحتجاج بالاجماع على نجزئة البلاد والمطالبة بالوحدة السورية .

هذا ولما انتهت مدة الاستاذ شارل دباس في الرئاسة اعيد انتخابه هذا (١٩٢٩) ، وبوشر في انتخاب المجلس النيابي الثالثة في حزيران من ذلك العام . ولكن حادثة ذات مغزى عرضت فأدّت الى حل هذا المجلس قبل حلول اجله . ذلك انه بمناسبة انقضاء مدة رئاسة الجمهورية في ايار ١٩٣٢ ، انعقد المسلمون[1] على اختلاف طوائفهم ، ان الانصاف يقضي باتباع طريقة المناوبة في اختيار الرئيس العتيد ، وان من حقهم ترشيح احدهم هذا النقاء بعد ان توالى فيه اخوانهم مرتين . فدعت جمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية في بيروت الى اجراء احصاء جديد يضاف فيه تسجيل الاسماء التي لا تزال مكتومة ، وخصوصاً من المسلمين من جراء احجامهم عن الاشتراك في الاحصاء السابق . ولبى هذا المطلب بعض اعضاء المجلس النيابي ، فقرره المجلس ، وبوشر الاحصاء غرة عام ١٩٣٢ . ولما كان دستور لبنان يقوم على قاعدة توزيع الوظائف على الطوائف بنسبة عدد كل منها فقد افبل ابناء الملل على الاحصاء إقبال جماعات تتسابق في مضمار الحصول على اكثر ما يمكن من الحقوق . ومنذا اعارت الطوائف المسيحية اهتمامها الشديد الى الاحصاء ، وعلى رأسها غبطة البطريرك الجليل ، ولا سيما بتسجيل اسماء المهاجرين ، كما يبدو هذا في دعوة غبطته المنشورة في الصفحة التالية ، فان جمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية ، التي كنت اتشرف برياستها ، وجهت ايضاً الدعوات الى كل البنانية لعقد مؤتمر في بيروت . وقد عقد المؤتمر فعلا وعالج قضية الاحصاء على وجه شامل ومنظم .

---

(١) نشعر بالمرارة كلما اضطررنا في سياق البحث الى ذكر كلمة مسلم أو مسيحي ؛ ولكن ما الحيلة وقد اراد الفرنسيون ان يقيموا كيان لبنان ودستوره على طائفية حتى اصبح الكلام عنها كأنه كلام عن حزبين سياسي يتميز عن غيره في الوسيلة والغاية .

دعوة غبطة البطريرك للاحصاء

وجاءت نتيجة الاحصاء على الوجه التالي :

الطوائف المسيحية

المجموع العام	الموارنة	الكاثوليك	الأرثوذكس	الروم	البروتستانت	السريان والكلدان
٣٩٩٠٩٤٦	٢٢٧٨٠٠٠	٦٧٣٤٢	٣٤٩٩٢	٩٨٣٩		٦٢٦٤

الطوائف المحمدية	السنيون	الشيعيون	الدروز
٢٨٦١٤٣٩	١٧٨٩١٠٠	١٤٤١٠٣٠	٤٣١٣٢

٦٣٩٣	طوائف متفرقة
٣٢٨٩	يهود
١٩٣١٣٩٦	وهو مجموع عدد السوريين من كلا الجنسين بحسب أديانهم كما يلي :
٢٥٤٩٨٧	مهاجرون لبنانيون
٢١٦٢١٤	من جنسيات
٢١٠٩٦٨٠	

وعلى أن الارقام التي بينها هذا الاحصاء تجاوز المليون ، فإنها لم تبلغ عدد الطوائف الاسلامية لعام واحد وخمسين الفاً تقل عن الاحصاء السابق ، وقد بلغ مجموع عدد هذه الطوائف لعام ١٩٢٦ سكان الجمهورية السورية ، وكان عددهم يومئذ على زعمهم أولاً الاجانب من اوروبيين الذين ولدوا بسورية الطبيعية الذين بلغ عددهم في لبنان ٢٥٤٩٨٧ نسمة ، والأكراد الاجانب والبدو .

وقد عزيت هذه النتيجة بعض المذهبيين الذين ترمي الى نيل حقوقهم في مراقبة الدولة السياسية ما فيها من الواجبات ، وعلى اثر هذا الوجوه ، وقدمت لهم الطلبات الى مندوب رئاسة الجمهورية على فوريلة الدولة .

ويؤسف لهذه الأماني مرجعان ما المحصدمن ايقاد سياسة الدولة المنتدبة الاستعمارية ، ذلك ان فرنسا لم تكن تضمر لهم ، وتأبى اعتداء الانتداب ، والمحسوبين في سبيل الاستقلال ، وكانت لذلك تحرص على اسناد رئاسة الجمهورية الى سواهم ، وتتخذ حجة هذا ان رئيس الجمهورية السورية مسلماً ، فمن الانصاف ان يكون الرئاسة في لبنان مسيحي ، .

والواقع ان الفرنسيين كانوا يذهبون الى مدى اوسع ، فجعلوا بين المسلمين وبين رئاسة الجمهورية ، فيجتنبون بعض مسلميها الى جعل لبنان مجموعة المسيحية ، وخاصة مسيحيي الشرق الأدنى ، يشيح بوجهه عن الشرق ليستقبل الغرب ، ولا سيما عاصمة الأم الحنون . وكان يظاهرهم في هذا القصد بعض المبشرين ، والموارنة الاعظم منهم من خريجي المعهد الاكليريكي الفرنسي ، بينما كان العلمانيون منهم

يتحدثون الجهر بمثل هذه الأمنية مراعاة لشعور مواطنيهم . ولكن بعض رجال الدين المسؤولين لم يتورعوا عن التصريح بهذه الأمنية في شتى المناسبات . وقد نقلت جريدة « صوت الأحرار » في ١٩ آذار ١٩٣٣ تصريحاً من هذا القبيل أدلى به غبطة البطريرك الماروني السيد انطون عريضة لمراسل جريدة « المقطم » يقول فيه :

« ان المسيحيين في بلاد الشرق كلها لا لبنان وحده هم الأوفى للأخرى ، لا سيما وقد علم لبنان أنه بطاركة مسيحيين . وإذا فقد لبنان رئيساً مسيحياً فلا يبقى كوكبه وفخاره كل من بعده من بقية عواثره . »

وجدد الاستدراك بجري صاحب الصفحة بجري جيرانه بفلسطين في سباق تعريفهم الوطني القومي اليهودي .

هذا وعندما كان المرشحون لرئاسة الجمهورية يتدعون في سبيل الفوز لوحظ ان كتلة الشيخ محمد الجسر ، رئيس المجلس النيابي ، قد رجحت على غيره . وذلك قبل اسبوعين من موعد الانتخاب . فكبر ذلك على المفوض السامي المسيو بونسو ، وبدر الى التدخل ، زعم ان الشيخ اشار اليه هو من سبقت له ايد بيضاء على الانتداب الأسود ، وزعم انه اخبر كتلة بدورة الداء الذي فضاها رئيساً للمجلس النيابي . ورغب المفوض السامي الى مباحثه ان ينسحب من ميدان الترشيح . ولما أبى اصدر معه قراراً بحل المجلس ، وتعليق الدستور (١٢ تشرين الأول ١٩٣٢) ، وشفعه بقرار آخر نصب فيه الاستاذ شارل دباس حاكماً على لبنان .

وهو ، في ذلك ، يزعم ان القصد من هذا الحل تجنيب البلاد عن عسف المكتب الثاني ، بينما ان راديو كولونيال ، وهي اذاعة فرنسية رسمية ، كشفت السر عن هذا التدبير : اذ اعلنت هذه الاذاعة ان المفوض السامي انما حل المجلس قصد « منع احد المرشحين غير المرغوب فيهم من الوصول الى كرسي رئاسة الجمهورية » .

واذا علمنا ان المرشح الشيخ محمد الجسر كان مرغوباً فيه شخصياً في الناحية السياسية ، تبين الاعتراف بانه لم يكن مرغوباً فيه من حيث الحرص على الاحتفاظ بمقام رئاسة الجمهورية في لبنان لغير المسلمين . وقد رأى المسلمون في موقف الفرنسيين هذا تحدياً لهم ، فرفعت بصفتي رئيساً لجمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية شكواهم الى عصبة الامم ، وقد اعار مجلس العصبة اهتمامه لهذه الشكوى فوجه رئيسه في الدورة التي تلت هذا الحادث ، الى الكتلة روبير دوركه ، انباء المنبعثة عن سورية

ولبنان ، سؤالاً عما اذا كان محظوراً وجود مصر في سدة رئاسة الجمهورية اللبنانية. فم يسع ممثل فرنسا الا ان يجاوب : « كلا ، وليس من مانع في نظر فرنسا »

هذا ولما خلف الكونت دي مارتيل المسيو بونسو (١٢ تشرين الاول ١٩٣٣ نصب حبيب باشا السعد رئيساً للجمهورية ، وعهد اليه بك بيهم اميناً لسر الدولة ، والف مجلساً نيابياً جديداً من خمسة وعشرين نائباً بين منتخب ومعين . غير ان هذا التدبير لم يتفق مع الشعور اللبناني الذي كان لا يرضى عن الحياة الدستورية بديلاً . ولذلك رأت المفوضية السامي لا يسعه الا ان يعيد اعادة الدستور كاملاً ، ويعهد الى هذا المجلس بانتخاب رئيس للجمهورية ، وقد انتهى الانتخاب بفوز الاستاذ اميل اده (٢٠ / ١ / ١٩٣٤) .

وقد اسبل حكمه بان رفع المجلس النيابي شكره الى المفوضية العليا على منحها اياه حرية انتخاب الرئاسة ،وعلى تحقيقه بعض اشاريع الاقتصادية ملافاة للتذمر الذي شمل الاوساط الشعبية . وصادف ذلك ان شقيقة البطريرك الماروني السيد انطون عريضة كان على خلاف مع المفوض السامي لاصرار معدوحه على منح شركة فرنسية امتياز حصر الدخان ، فاوفى غضبه بحديث لجريدة الصحافي البناء (كانون الاول ١٩٣٤) اشار فيه الى ان « هذا المجلس الذي عينته المفوضية العليا من اعضائها ، وعين المستشارون (الفرنسيون) السبعة عشر الباقين ، لذلك فمثله لا يمكن ان يتكلم باسم هذا الشعب ، الى ان قال « هو مشعون برائحة الجمهورية . وما هي هذه الرائحة ؟ وما هي اهميتها ؟ اني اراها صغيرة جداً . ورئيس الجمهورية سكرتير عند المستشار » .

الاعتراف بلبنان على شروط : وكانت سورية خلال ذلك تواصل نضالها في سبيل الاستقلال التام . فلما اعترفت فرنسا بمصر بالتعاقد معها على اساس معاهدة متبادلة شاءت ان لا يحرم لبنان من هذه الخطوة .

وكان على فرنسا حينما اعترفت بمعاهدة لبنان وسورية من حيث التعاقد على اساس معاهدة ان تجمع كلمة الرأي العام فيه ليكون صالحاً للتعاقد بخصوصاً وان الكثرة الساحقة من سكان المقاطعات ، التي كبر لبنان على حسابها ، كانت لا تزال تنكر هذه النجزئة عن سوريا على اعتبار انها تمت دون استفتاء ، وترتضي بالثاني ان تكون غريبة عن القضية العربية . ونخص بالذكر منها مدينة طرابلس ، التي اوفدت منذ سنة ١٩٣٤ الوفود لباريس سعياً وراء امانيها القومية ؛ والوحدة السورية .

وعند لجوء رئيس الجمهورية الاستناد اليه الى السياسة والمصانعة ، والاتفاق مع المفوض السامي الكونت دي مارتيل : فراح يتصل بكل نواب بيروت وبعض اعيان المسلمين ، ويقدمهم بفخامة الاعتراف بالكيان اللبناني ويعاونه في هذه المهمة النائب خير الدين بك الاحدب . وعلى اثر ذلك عقد اجتماع في دار السيد عمر بيهم واحد اعيان المسلمين ، اعتبر كأنه اعتراف منهم بالكيان اللبناني على اساس التحفظات المتفق عليها مع الجانب الحكومي والفرنسية .

اما السلطة فقد اكتفت بما اكتسبت من اعتراف ، واتبعت المعاهدة الفرنسية السورية بالاتفاق بين رسالتي رقم ٦ ورقم ٦ مكررة موجهتان من رئيس الجمهورية الى المفوض السامي يبلغه فيهما ان الجمهورية اللبنانية تعتبر ان الدولة في الخارج بدأت وانتهت دون خلافة ، وان لبنان المستقل غير ملتزم في جميع الخدمات على عدم المعاملة ، وتوزيع النفقات لمصالح العامة بحسب ، وتوجيه نظام الحكومة والامر بكيفية الانتداب .

وقد وقع مشروع المعاهدة بين فرنسا ولبنان في ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٦ ، ولكنه لم يحدد ما يقضي الثاني من مشروع المعاهدة الفرنسية السورية ودوره في الثورة . وكان السبب في ذلك ان الرئيس الاسناد اراد ان يتمم ان يتبع ما رسمه الدستور وبالاخص الدستور الكافي دوره على مشروع المعاهدة كوفي الاسناد الاحدب ، وحدد رئيساً للوزارة واحداً من الذين قطعت لاجلهم الوعود الرسمية فلم يتولوا شيئاً من وزارة الذين وحدوا عليهم ، ويتولوا ان تركوا الكيف ان الحيلة جرت عليهم ، فغلبوا على حكومة الاسناد ، وتعهدوا في حزيران ١٩٣٧ . ثم المجلس النيابي الاسلامي عند كرامة الى كل من الشيخ ايليون داروس وزير الخارجية بيروس ، والكونت دي مارتيل المفوض السامي بخاجيون وهي بتلة على الكتف والعهود ، ويطالبون بالوحدة السورية . ولكن الاحتجاجات لم تكن ذات جدوى ، مع ان الامر كان قد استاء الذين خدعوهم ، حتى اذا حاول بعض هؤلاء الاعيان التدخل في الانتخابات النيابية ، تشرين ١٩٣٧ ، رغبة في ان يسمعوا احتجاجهم من على كراسي المجلس استعملت الحكومة وسائل لجر حكومة اخرى عليها ، فزورت بالصدر والتزوير فجعلتهم ينجحون من الانتخابات في بدء الامر كذلك وجعلت الذين حمدوا منهم حتى النهاية ، وكنت واحداً منهم مرشحاً عن جبل لبنان ، يرون الاصوات التي يحوزها تصير بمجموعات من صناديق الاقتراع تستبدل بغيرها لصالح قائمة الحكومة المؤلفة للانتداب .

الاستاذ اده يتبنى فكرة الوطن القومي المسيحي : وهكذا كان لبنان حتى عام ١٩٣٧ ميدان نضال بين مبدأين متناقضين : مبدأ الاستقلال اللبناني على اساس قومي غير عربي يتجه نحو الغرب ، ومبدأ الوحدة السورية على اساس استقلال قومي عربي ، مع وجود مبدأ ثالث وسطي يقول باستقلال لبنان على اساس العروبة . وكان الافرنسيون ، الذين خلقوا المبدأ الاول وخلقوا حوله الصراع ، قد وجدوا وسيلة لحكم الحقيقة بتشجيع الاول من هذه المبادئ تشجيعا ، فقد زاد من تركيزهم فيه ، بعد ان بدأ كانوا ، في تطبيق ذلك البرنامج ، يلاقون خطة العمل دون القبول . ولكن ، مع ان الاشارات الى ان فرنسا تريد ان تجعل من لبنان جمهورية مسيحية ، كانت تتراكم ، فان الاعلان الرسمي عن ذلك لم يحدث حتى انه رئيس جمهورية لبنان ، وزير خارجية فرنسا الدكتور اغستان بيرتلو (٤ تموز ١٩٣٤) امام مجلس الشيوخ الفرنسي ، الرد على الرسالة التي بعث بها في ايار رئيس الوزراء اده وهو يتفق مع تصريح مماثل للمندوب السامي الجنرال كاترو . وقد اعلن الرئيس اده ، في تصريحات اكثر من واحد ، ان لبنان ، في صورة جعله جزيرة المسيحية وحدها ، لا يمكن ان يعيش ، وانه كان في محيطه الشرق الاوسط .

١ — فقد عرض الرئيس ادمون رباط (١) الانكليزي ، ان السوريون المتحدون يحتلون كل الاحتلال ، الى ان يصبحوا ، في الجزيرة المسيحية الوحيدة في هذا البحر الاسلامي ،

٢ — وخلال اجتماع المجلس النيابي في مجلس بيروت (٢١ حزيران ١٩٣٧) القى خطابا عنيفا اشار فيه الى ان اللبنانيين يرجعون في اصلهم الى سلالات شعوب البحر المتوسط ، وانهم احفاد الفينيقيين .

٣ — وقبل ان يوجه رئيس الدولة الانكليزي رئيس بتصريحات جاء فيها : « لقد عقدنا معاهدة مدتها خمس وعشرون سنة لتحديد نحن بنفسنا . وقد كنا نود عقد معاهدة ابدية ، ولكن المشرعين الكبار ان عندما التكلم عن العهود لا يدوم ، وحتى غيرهم ، زيادة على ما تشاء ، يذهبون الى ابعد من الاستعداد للتغير . ولكن على كل حال فقد بدأنا جريئين . فاليوم هذه الاراضي هذه الدولة بشكل ملموس . اذ بين جناب جيوان (الحكومة السورية) سحب الجيوش الفرنسية ، طالبا نحن بذلك دون شروط ، ودون تحديد زمن » .

— تحرر الجزيرة : « الكبار سيدعون ان لا يكون مانعا من انشاء قاعدة بحرية في الشرق على هذا المخرج الجبلي ويقولون » .

---

(١) Search for to-morrow, in Beirut London

— الاستاذ اده : « كلا ابداً ، بل انا اضيف ان الساحل اللبناني يعتبر كله قاعدة بحرية فرنسية » .

وتسأله المحرر عن موقف لبنان تجاه فلسطين التي يدافع شعبها العربي بكل حماس ضد ان خلق جمهورية صهيونية ليس من شأنه ان يكون غير سار لها .

وفي الواقع فقد جرت محادثات في باريس ، وفي كل من لبنان وفلسطين ، بين جماعة اده وبين زعماء الصهيونيين اشترك فيها بعض كبار رجال الدين ، كانت الغاية منها التهوين على الامة دولتين : مسيحية في لبنان ، ويهودية في فلسطين ، يكونون بينهما حلف دائم في وجه جيرانهم العرب . وقد فضحت ذلك في كتابنا « فلسطين البلاد الشرق » .

وكان من الطبيعي ان تثير تصريحات الاستاذ اده وتصريحاته عواطف القوميين العرب في لبنان ، لا فرق بين ان يكونوا من طلاب الوحدة السورية ، او من انصار الاستقلال اللبناني على اساس عربي . وانضم هذا التدريب في النادي الى غليان في العواطف خلال ذلك العهد أمر غير كثير .

عارل الفرنسيون الحرة للحكم المباشر : اما الانعزاليون الذين كانوا مصدر الاشفاق بين حركات اللبنانيين ، فلم يتخذوا من توتر الاعصاب حجة للزعم بانهم اذا جلوا عن لبنان فان الذرائع تخلقهم فيه ، وبئس هذا المصير .

والى ذلك فقد كانت تراودهم أنفسهم ان يتبعوا هذا التدريب في البدء لاستردادهم ما اعطوا تحت ضغط الاضطرار . تراودهم نفوسهم القضاء على الحكومة الدستورية في لبنان ، واستئناف حكمه حكماً مباشراً . وقد رأوا في ما اصاب لبنان من التوتر خلال عهد الاستاذ اده فرصة لأن يحققوا أمنيتهم ، خصوصاً وان بركان الحرب العالمية الثانية كان على أهبة ان يقذف بحممه . فدبروا مؤامرة لكشف الحكومة في بيروت (ايار ١٩٣٨) تنتهي بذهاب حكومة الاستاذ اميل اده ، وانقلاب نظام الحكم في لبنان ، بعيدة الرجعة الى الحكم الفرنسي المباشر . وقد اخبرني بعض ابطال هذه المؤامرة عن صلة الفرنسيين بها . ولو تمت لكان الاستاذ اده قد نال من اصحابه بأفضل مكافأة على قلقه لهم .

نشاط مبدأ لبنان العربي : على انه من المفيد الاشارة هنا الى ان المعارضة في لبنان اصابها شيء من التطور منذ سنة ١٩٣٦ : فبعد ان كانت تقوم على المطالبة بالوحدة السورية ، وعدم الاعتراف بالكيان اللبناني ، التزمت السكوت عن الوحدة

السورية ، متجهة اتجاهاً جديداً يقوم على المطالبة بالمساواة ضمن نطاق لبنان .

ويرجع السبب في ذلك الى ان السوريين المسلمين اختاروا السكوت عن مبدأ الوحدة السورية حينما ارتضوا التوقيع على مشروع المعاهدة السورية الافرنسية سنة ١٩٣٦ . هذا الى ان اتجاه المعارضة الجديد ، جاء في الواقع ، بمثابة رد فعل لموقف حكومة لبنان وقتئذ ، اذ توحدت اقامة وطن قومي مسيحي يلتزم العزلة عن العالم العربي ، ويولي وجهه قبلة المغرب . فتجرى معارضو هذا الاتجاه من كل الطوائف ، وبينهم طلاب الوحدة السورية ، الى المطالبة بأن تكون المناصب في الدولة والحقوق سواسية بين الطوائف ، كما هي المفروض ، وان يكون اتجاه لبنان اتجاهاً قومياً شطر العروبة . وهم ، الى ذلك ، كانوا يفقدون من الانتداب موقف الخصومة ، ولا يريدون عن الاستقلال بديلا ، خصوصاً بعد ان صار مصير معاهدة لبنان مع فرنسا (١٩٣٦) نفس مصير معاهدة سورية معها : أي الرفض بعد التصديق .

. . . . . .

لبنان خلال الحرب العالمية الثانية : وخلال هذا العراك في لبنان ، بين المبادىء المتنافرة من جهة ، وبينها وبين الاستعمار من جهة ثانية ، نشبت الحرب العالمية الثانية ، فاذا المفوض السامي السيد بيو يصدر بتاريخ ٢١ ايلول ١٩٣٩ قراراً يقضي بما يأتي :

١ — توقيف تطبيق مواد دستور الجمهورية اللبنانية .

٢ — منع اجراء انتخابات جديدة .

٣ — تعيين امين سر الدولة يؤازره مستشار فرنسي .

٤ — تحديد سلطة (صديق فرنسا) الاضافية لرئيس الجمهورية ، وتوسيع سلطة امين السر .

وقد عهد بهذا المنصب للسيد عبدالله بيهم منتدباً لرياسة مجلس المديرين الذي حل محل مجلس الوزراء ، على ان يتخذ المراسيم الاشتراعية بصادقة المفوض السامي . واما الدرك والشرطة فقد الحقت ايضاً بالقوضية الافرنسية .

وكان وجوماً في لبنان من جراء هذه التدابير اثناء الحرب ظل ملازماً الناس حتى وقع الاضراب في سورية آخر شباط ١٩٤١ ، فرجرج عن الانفس . وقد رأى اللبنانيون من نجاحه ما كان مشجعاً لهم على الشكوى من الاعانة والادارة ، خصوصاً وان هيبة فرنسا كان قد اصابها الوهن بعد فشلها في الحرب ، وان احترام

عندما كان قد شرع يتكشف امام بعض اولياء الامر الفرنسيين عن اختلاس واستثمار . فاذا بلبنان ، وعلى رأسه بيروت ، يعلن بدوره الاضراب منذ بداية نيسان ١٩٤١ ، واذا بمطالبه تتعدى تغيير الادارة الى طلب تشكيل حكومة وطنية لها صلاحيات واسعة . اسوة بما حدث في سورية . وكان الحل ان تقدم الاستاذ اميل اده مكرهاً الى الاستقالة (٤ نيسان ١٩٤١) ، وكان استقال امين سر الدولة ، وعهد الفوض العام برئاسة الحكومة والدولة الى الاستاذ الفرد نقاش الذي اسند بدوره رئاسة الوزارة الى السيد احمد بك الداعوق .

وفي هذه الاثناء ارغم الجيش الانكليزي الفرنسي القوة الفرنسية الثابتة لحكومة فيشي عن الشام ، وادى بالجنرال كاترو ان يقف يوم ٢٦ آذار (مارس) الثاني ١٩٤١ في حفلة حديقة الصنوبر ببيروت ، ويعلن استقلال لبنان اسوة بما حصل في سورية ، وبأن صاحب الجلالة ملك بريطانيا يوجه وجهه شطر الدولة اللبنانية . ولكن الدولة الانتدابية ظلت محتفظة بمراكزها . وتوفق حكومة الداعوق في جلاء الجنرال الحاكم في شهر تموز ١٩٤٢ على اثر مظاهرة شعبية اقتحمت دار السفارة . وفي ٢٧ منه كلف السيد بشارة الخوري تأليف الوزارة فألفها في جو الاستقلال ، بعد مفاوضات طويلة بشأن المعاهدة التي اختتمت الدولة المنتدبة مصيرها ، وفي مقدمتها انتهاء الانتداب ، فقدم دولته في ١٢ ايلول ١٩٤٢ مذكرة الى الجنرال كاترو تضمنت فيها نظر الحكومة بشأن هذه المفاوضات والعرب من امر الحكومة بالعودة الى مقرها وعليه الجنرال بأن هذا المنصب لا يمكن التصريح له بالاعتبارات الواردة ، وموقفها بوجه عام الانتداب لا يزال قائماً .

ووقعت مشادة ، من جهة اخرى ، بين الجنرال كاترو والاستاذ الفرد نقاش رئيس الدولة مردها الى ان الجنرال اعتبر مبقاء منذ وصوله من الجزائر الى نتيجة الاستاذ النقاش ، واعادة الاستاذ اميل اده الى رئاسة الجمهورية ، ودعوة اعضاء المجلس النيابي السابق لانتخاب مندوب جديد ، ومن ثم تعديلات جديدة تحدث خلال سيطرة النفوذ البريطاني . فالتقى بالحاح وبصلابة العظمى . وبينما كان الجنرال كاترو يتابع استئناف سلطاته الدستورية على اساس البلاغ الذي اصدره في ٢٣ - ٨ - ١٩٤٣ فوجئ بمذكرة من رئيس النقاش تعرب عن حقه دون سواه في القيام بهذه الاستشارات بعد ان شمل لبنان استقلاله . وقد كان هذا الموقف تأثيره الشديد على الجنرال ، وخصوصاً وان الاستاذ نقاش ابى الاذعان له عندما طلب اليه ان يقدم استقالته . غير ان الجنرال كاترو استطاع ، بعد شهر من ذلك ، ان يحصل

على موافقة الجنرال سبيرس ، المعتمد الانكليزي ، على تسمية الوزارة ، فخف في ١٨ آذار ١٩٤٣ الى توجيه رسالة الى الاستاذ خالد شهاب يدعوه فيها الى تكليف الوزارة الجديدة تشكيل ، وان يقدم بأسماء اعضائها . واتخذ في اليوم نفسه قرارات ثلاثة تتضمن ١٩ عودة الدستور (٢) تنظيم سلطات الحكومة المؤقتة في فترة الانتخابات (٣) تعيين الدكتور ايوب ثابت رئيساً للدولة والحكومة المؤقتة .

ازمة المرسومين رقم ٩٠ و ٩١ (الدور الاول من الانفصال بين انكلترا وفرنسا في لبنان) : اما وانه لم يبق هناك مفر من اعادة الحياة الدستورية واجراء انتخابات جديدة وفقاً لمطالب الرأي العام ، فقد التزمت السلطة الفرنسية القيام بمحاولة جديدة تؤمن بها اكثرية الاصوات في المجلس النيابي العتيد . فدعا الدكتور

الذكرى المزدوجة لسياحة نفخي الاكبر من رؤساء جمعيات الاسلامية ونوخذة من مؤلف بوصفه رئيساً للكتلة الاسلامية خلف عقد مؤتمر لدرس هذين الموضوعين .

ليوب ذبت ، يصدر بالاتفاق معها يوم ١٧ حزيران ١٩٤٣ مرسومين رقم ٤٩ و ٥٠ يحدد فيهما عدد النواب ، وتوزع الكراسي على الطوائف والمناطق . وجاء في البند الرابع من المرسوم ٤٩ ما يلي : « يتألف عدد الاهالي من الوطنيين المقيدين في سجلات الاحوال الشخصية بتاريخ ٣١ - ١٢ - ١٩٤٢ ، ويضاف اليهم الاشخاص الذين هم غير مقيدين في هذه السجلات ، واصلهم من لبنان ، ومحل اقامتهم في الخارج ، واصبح بمقتضى ذلك عدد نواب المجلس ٥٤ بدلاً من ٤٢ . اي زيادة ١٢ مقعداً خصص منها ١٠ بالطوائف المسيحية ازاء ٢ للمسلمين ، والقصد من ذلك ليس هو منح طائفة دون اخرى الزيادة في المقاعد حسب ولكن استنادا الى المهاجرين ، والذي هو ايجاد الكثرة في عدد النواب الموالين لفرنسا من الطوائف غير المسلمة .

ولكن هذا التدبير لم يخف على بقية الطوائف ، خصوصاً وانه يقوم على اسس غير قانونية ، فاجتمع اعيان المسلمين في دار ضيافة مفتي الجمهورية اللبنانية يوم ١٩ حزيران ١٩٤٣ ، بناء على طلب رؤساء الجمعيات ، وقرروا متفقين ما خلاصته :

(١) مطالبة الحكومة اللبنانية بالغاء المرسومين (٢) المبادرة لاجراء احصاء عام تجري الانتخابات على ضوء ارقامه (٣) يمتنع المسلمون عن الاشتراك في الانتخابات اذا لم تحقق هذه المطالب . وبلغوا هذه القرارات الى مندوب فرنسا ايضاً ، وسائر الدول الحليفة ، ثم تنادوا لعقد مؤتمر حافل يوم ٢١ حزيران فصادق على هذه القرارات ، واختار اللجنة التنفيذية لملاحقتها . وكان في الحفل ان اكون احد اعضائها . وعلى الرغم من ان حكومة الدكتور ثابت تراجعت عن موقفها ، واصدرت بتاريخ ٢٥ حزيران مرسوما يقضي بتأجيل الانتخابات ، ويشير الى اعتزامها القيام بالاحصاء الجديد ، فان اللجنة التنفيذية هذه طلبت غير واثقة من هذه الحكومة ، وطلبت في المذكرة التي قدمتها الى السيد هيلاو يوم ٩ تموز ، في جملة ما طلبت ، ايجاد حكومة حيادية ، على اعتبار ان الحكومة القائمة فقدت ثقة اللبنانيين . فرفع المندوب السامي بالوكالة الامر للحكومة بالاستقالة .

ولما كانت هذه القضية تتصل بفكرة القومية العربية ومصير لبنان منها ، على اعتبار ان واضعي المرسومين رقم ٤٩ و ٥٠ كانوا يرمون ، في جملة ما يرمون اليه ، ايجاد كثرة في المجلس النيابي من اصحاب فكرة العزلة ، فقد اعربت الاقطار العربية عن اهتمام شديد بتطلبات المعارضين لهذين المرسومين ، حتى ان رفعة النحاس باشا رئيس مجلس وزراء مصر وقتئذ ، لم يتردد عن توجيه رسالة الى الجنرال

كتور ، يقترح فيها ان يكون الحل بتقسيم الاربعـــة والخمسين مقعداً في المجلس النيابي اللبناني، وهو موضوع الخلاف، على الوجه التالي: ٢٩ للطوائف المسيحية، و٢٥ للطوائف المسلمة. وقد عرض الجنرال هذا الحل على لجنة المؤتمر التنفيذية فوصفت به «

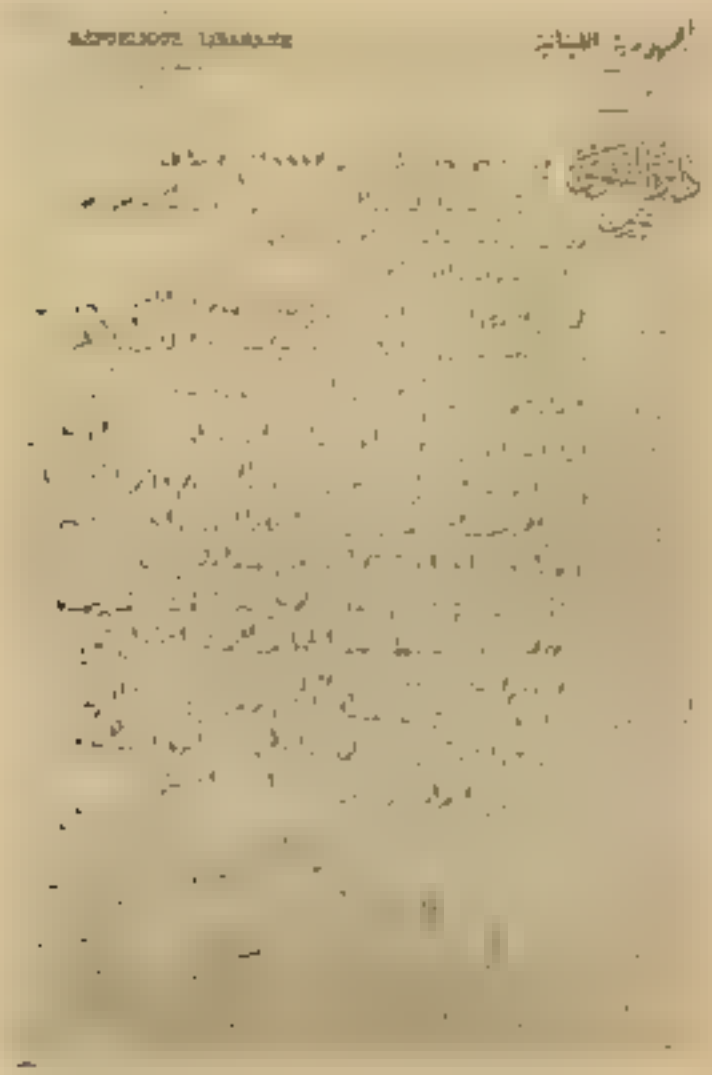

محضر اجتماع الطوائف المحمدية التي رأسه صاحب السماحة الشيخ توفيق خالد المفتي الأكبر للجمهورية اللبنانية بشأن المرسومين ٩ و ١٠ ، ومقرر ٨ الذي ورد ذكرها في الصفحة ١١٢

واما خيبة البطريرك عريضة ، بطريرك الطائفة الكاثوليكية المحتومة ، فقـــد وجه برقية في ١٣ تموز ١٩٤٣ الى رئيس الدولة هـــذا نصها : « تقاوم كل سعي

لتعديل قرارات حكومتكم العادلة بشأن الاحصاء وتوزيع المقاعد النيابية ، وتؤيد حكومتكم في موقفها التاريخي الشريف » . ولكن حكومة الدكتور ثابت لم تستطع الصمود حيال اصرار اللجنة التنفيذية المذكورة على تنحيتها ، وخلفتها في ٢١ تموز ١٩٤٣ حكومة ألفها الاستاذ بترو طراد ، ورغم ذلك فقد ظلت الازمة مستعصية من جراء تصلب الفريقين ، فاضطر المسيو هيلو حينئذ ان يستنجد بالجنرال سبيرس لايجاد حل لها . وقد قصد وزير انكلترا المفوض الى بكركي اولاً للمفاوضة مع غبطة البطريرك ، ولكنه خرج من هناك غير موفق ، ولا راض ، ثم يمم وجهه نحو دار سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية حيث اجتمع الى اعضاء لجنة المؤتمر التنفيذية ، وكان مرتاحاً لنتيجة المقابلة ، لقبول اللجنة عندئذ ان يكون الحل على اساس ٣٠ نائباً للمسيحيين و ٢٥ للمسلمين . وبناء على ذلك بادر السيد هيلو الى اصدار مرسوم مؤرخ في ٣١ تموز بهذا المعنى ، عزاه الجنرال سبيرس بنداء دعا فيه اللبنانيين « الى قبول الحل مشيراً الى ان الجهة التي لا تقبل به تتعرض لفقدان عطف الديمقراطيات الخ . . . »

وبذلك لم يبق امام هذا التدبير الحازم مجال للمعارضة ، فأصدرت الحكومة اللبنانية في ٢٩ آب ١٩٤٣ مرسوماً عينت فيه موعداً للانتخابات . وبذلك انتهى الدور الاول من النضال بين الخليفتين في لبنان بفوز السياسة الانكليزية .

. . . . .

بين الكتلة الدستورية والكتلة الوطنية – الدور الثاني من النضال بين الخليفتين في لبنان : عندما جرت الانتخابات النيابية قامت النزعات الحزبية السياسية مقام العصبيات الطائفية . وبدت ، في هذا الدور ايضاً ، اصابع السياسة تلعب من وراء ستار ، ولكنها مع ذلك كانت غير خافية على الانظار : فكانت الجهة الفرنسية تحرص على نجاح الكتلة الوطنية ورئيسها الاستاذ اميل اده ، ذلك لانهما من انصار فكرة عزلة لبنان بالقسم المحيط العربي ، على حين ان الجهة الانكليزية ، كانت ترى في الكتلة الدستورية ورئيسها الشيخ بشاره خليل الخوري خيراً اوفر من جراء ميلها للتعاون مع الدول العربية .

وكان النزاع بين الكتلتين بالغاً اشده الى حد ان رئيسها فشلا في الدورة الاولى في الانتخاب ! ولا بدع فقد كان من وراء تنازعهما نضال سياسي ، وعراك مبادىء. واخيراً فقد نال كل فريق نصيباً من المقاعد في المجلس النيابي ، ولكن الفوز الاخير للرئاسة كان من نصيب الشيخ بشاره خليل الخوري إذ انتخب فخامته في ٢١ ايلول ١٩٤٣ ، بشكل يشبه الاجماع ، رئيساً للجمهورية . وكان ذلك النجاح دليلاً على ان لبنان اصبح مستعداً لاعتناق مبدأ التعاون مع البلاد العربية ، ولاجتناب العزلة ، هذا فضلاً عن ان هذا الفوز سجل نجاحاً آخر للسياسة البريطانية على السياسة الفرنسية . وانه الدور الثالث من النضال بين الحليفتين الذي انتهى بجلاء فرنسا عن بلاد الشام ، فسنتكلم عليه في عصر الاستقلال .

الفصل الخامس

عصر الانتداب في بلاد العرب

الانتداب الانكليزي

فلسطين

١ – نوى مؤتمر سان ريمو توزيع الانتدابات ، وكانت فلسطين من نصيب انكلترا . وصادقت جمعية الأمم على ذلك هذا الانتداب منوحي البريطانية بموافقة دول الحلفاء الكبرى على ان تكون بريطانيا العظمى مسؤولة عن تنفيذ تصريح بلفور . وقد تضمن هذا الصك مواداً خاصة لتأييد مشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وهي .

المادة ٢ – تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي .

المادة ٤ – يعترف بوكالة يهودية ... كهيئة عامة لتشير وتعاون ادارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية ... وغير ذلك مما يمس انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين وتساعد في ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها دائماً .

المادة ٦ – تنص على تسهيل الهجرة اليهودية ، كما ان (المادة ٧) توجب وضع قانون لتسهيل حصول اليهود المقيمين في فلسطين على الرعوية الفلسطينية . هذا فضلاً عن ان (المادة ١١) اجازت للحكومة ان تتفق مع الوكالة اليهودية لمباشرة الأعمال العامة والمصالح حيث لا تتولى الحكومة مباشرة هذه الامور بنفسها . وقد وضع صك الانتداب البريطانيون انفسهم بالتعاون مع الصهيونيين . اما العرب الذين كانوا يحاربون دولة الخلافة (تركيا) الى جانب بريطانيا العظمى ،

استنادا الى وعودها لهم ، فقد كانوا خالي البال من وعد بلفور ، ولا يدرون عنه شيئاً .

« وحينما علم الجيش العربي تصريح بلفور في نهاية سنة ١٩١٧ كان الجيش قد اقترب من ذلك ، من العقبة ، مع الشعر القوات العربية [illegible] قبل هذا عقد جمعية نجيب نوري العبد ممثل عراقي في مؤتمر عالمية الشعوبية بلندن سنة ١٩٣٨ ؛ لم تحظ بمساعدة في الوقت وقف عليه بلفور ، وقد تعاونا فيما بينا و عما عدوا على الحرب في سبيل استقلال العرب ربما يرد فيما ما يؤيد ان تعهدات السر هنري مكماهون سوف تنفذ . اما جلالة الملك حسين فقد قدم احتجاجه على تصريح بلفور ، وورد فيه من عقد هو مارت ان كانون الثاني سنة ١٩١٨ بأحتجاجات قطعية صريحة من وعد بلفور للاغراض وطنية [illegible] والاقصائية التي وعد بها العرب في رسائل مكماهون . وزيادة على ذلك فقد كذب به حكومة صاحب الجلالة ، بواسطة نائبه هو مارت المشار اليه فيما تقدم من عهد [illegible] وعد بلفور لا على تعهد الدول اليهود في فلسطين لاسباب روحية وتقدمية معا ، وليس في [illegible] دولة يهودية ، وقد عمل جلالة الملك حسين هذه الاحتجاجات الى القوات العربية ، فتوقعت منذئذ في مواصلة الحرب » .

ثم لم يلبث رجالات العرب ان اكتشفوا ، لاول مرة ، في مؤتمر الصلح ان الحكومة البريطانية كانت منذهبة لاعطاء اليهود وطنا قوميا في فلسطين على شكل يختلف تماما عما صرحت به للعرب ، فعزى ذلك الى التبـــاحثات التي جرت سنة ١٩١٩ فيما بين جلالة الملك فيصل الاول وبين الدكتور كرزن .

هذا وعند عهد بالانتداب لانكلترا سارعت لاستبدال الادارة العسكرية بادارة مدنيـــة . ونصبت على رأسها السر هربرت صموئيل الاسرائيلي مندوبا ساميا (تموز ١٩٢٠) مزودا بدستور خوله انشاء مجلس تنفيذي يكون عونا له ، واقامة مجلس تشريعي مكان مجلس الشورى . وقد عهدت الى هذه الحكومة تنفيذ الانتداب على قاعدة انشاء وطن قومي يهودي .

. . . . .

٢ ـ وكان عرب فلسطين ، قبل ان تسربت اليهم الظنون بانكماش ، والشكوك بوعودها ، قـــد اخذوا يستثقلون استمرار الهجرة ، ويتأثرون مما يبدو من هؤلاء المهاجرين من مظاهر ، منها ما هو مخالف للتقاليد الشرقية ، ومنها ما فيه مساس بكرامة أهل البلاد . ولا بدع فان انتقال اليهود من اوساطهم المزدحمة المظلومة في اوروبا الى بلاد متقدمة ترافقهم اليها الامالي الجميلة قد اهاج عواطفهم الى مدى بعيد . والعواطف اذا اهتاجت كانت كالعاصفة لا يقف في وجهها شيء . ولست بمستطيع ان اصف الصدمة الكبرى التي اصطدم بها عرب فلسطين ، اولئك الذين كانوا يترقبون ان يبرّ الحلفاء بعهودهم ، حينما تسربت اليهم انباء الوعود المقطوعة

لليهود ، وان الدول تآمرت على جعل وطنهم الصغير المقدس هدية للصهيونيين يقيمون فيه وطناً قومياً لهم ، ويباشرون حكمه بواسطة الوكالة اليهودية .

كانت حجة ، جعلت عرب فلسطين ، على قلة عددهم وعددهم ، ينذرعون بالاعتماد على النفس ويستخفون بكل قوة ؛ فالدول الكبرى التي وافقت على تصريح بلفور ، وانكلترا التي اخذت على عاتقها تحقيقه ، والصهيونية التي تفانت في سبيله ، كل اولئك اصبحوا في نظر الفلسطينيين اهون عليهم من تسليم وطنهم الذي قامت فيه مقدساتهم ، ونقشت على كل حجر من احجاره صفحة من صفحات تاريخهم .

والنضال الذي نشب بينهم وبين اليهود والانكليز منذ ثورة القدس الاولى ، وان كان يرجع الى اسباب فرعية متعددة ، الا ان اسبابه الاصلية لا تخرج عن امرين :

١ – وعد بلفور ، وما تولد عنه من فظيعي الهجرة واليهود .

٢ – رغبة عرب فلسطين في الحكم الذاتي اسوة بالبلدان العربية المستقلة عن تركيا .

. . . . .

٣ – وكانت انكلترا ، ومن ورائها الصهيونيون ، تخفي في سياستها التي تتولى تنفيذها حكومة فلسطين ، وتدير دفتها الوكالة اليهودية ، لا تلوي على احد . وكانت هذه الوكالة حكومة ضمن حكومة ، حسبما قالت لجنة بيل الملكية بتقريرها سنة ١٩٣٦ ؛ وهي تتوكأ على صندوق فلسطين التأسيسي فتنفق في سبيل تحقيق امانيها عن سعة حتى بلغت نفقات هذا الصندوق ما بين سنتي ١٩٢١ و ١٩٣٦ نحواً من ٢١٥ ، ٠٠٠ ، ٦ ليرة انكليزية . واما الهجرة الصهيونية فلم تكن ذات اهمية قبل عام ١٩٣٠ . ولكنها بدت خطيرة منذ بدأ الضغط الفاشستي والنازي على اليهود . وبعد ان كان عدد اليهود لا يجاوز في فلسطين الثمانين الفاً سنة ١٩١٤ بلغ سنة ١٩٣٦ اربعمائة الف ؛ ثم ظل يزداد تباعاً حتى قدر عدد اليهود المسجلين بـ ٠٠٠ ، ٥٦٥ سنة ١٩٤٤ . ثم ازداد عددهم بالالوف المؤلفة التي هبطت فلسطين بعد انتهاء الحرب بطرق مشروعة وغير مشروعة ، حتى اصبح عددهم سنة ١٩٤٧ بموجب الاحصاءات الرسمية ، ٠٠٠ ، ٦٥٠ اي ٣٢ في المئة من مجموع السكان . هذا عدا الذين تسربوا اليها بالطرق غير المشروعة . وقد ادت زيادة المهاجرين الى التوسع في التملك ، فاقتنوا من الاراضي الزراعية قبل الحرب العالمية الثانية نحواً من

٠٠٠ و ١٠٣٣٢ دونماً ، واضافوا اليها ، من بعد ، مساحات اخرى حتى بلغت سنة ١٩٤٣ ٨١٦ و ٦٧٣ و ١ دونماً . وهم لم يكونوا يملكون في عهد الادارة العسكرية الا نحواً من مئة الف دونم . ثم ازدادت املاكهم العامة حتى اصبحت تقدر سنة ١٩٤٧ بـ ٢٤٣ و ٠١٩ و ٢ دونماً ، تلثها تقريباً لمؤسسة الكيرن كييمت Keren Kayemeth (اي الصندوق اليهودي) التي كانت تشتري بالاموال المجموعة اراضي فلسطين ، ونجحت نجاحاً لا يستهان به .

وبينما كانت الوكالة اليهودية تجد في توسيع مدى الهجرة والاستملاك وايجاد الاعمال الصناعية والزراعية للمهاجرين كانت ، في الوقت نفسه ، تهتم بتعزيز الكيان الصهيوني السياسي ، فضلاً عن اهتمامها بالتربية والتعليم ، شاءت ان يكون لليهود فلسطين امة دولة ، وبذلك اصبحت اللغة العبرية ، التي لم تكن تستعمل من قبل الا في الطقوس الدينية ، لغة قومية يعول عليها في الحكومة والصحافة والتأليف والتعليم .

واهتمت الوكالة بالتجنيد ، وعززته بطرق مشروعة وغير مشروعة بادخار للاعتاد الحربي وبقيام المؤسسات العسكرية . واتخذت مدينة تل ابيب كعاصمة ، وضم عدد سكانها وقتئذ يناهز مائتي الف شخص .

والى جانب ذلك فقد اهتمت بالمظاهر القومية الاخرى واتخذت اعلاماً للصهيونية وشارات وموسيقى وانشيد ، علاوة على السمات العسكرية .

* * * * *

٤ — واما العرب في فلسطين ، الذين تعودوا القوة ، فقد اكسبهم النضال والكوارث العظام التي مرت بهم قوى فجائية سباقة في نظرهم الصعب فظهروا بمظهر لم يكن مرتقباً . وعقدوا قبل الحرب العالمية الاخيرة بسبعة مؤتمرات ، وثاروا على الاحتجاجات . وهم في كل ذلك ، انما يلتفون حول المجلس الاسلامي الأعلى الذي شكلته الحكومة التركية سنة ١٩١٢ ، وحول اللجنة العربية العليا ، مخلصين لرئيسها سماحة الحاج محمد امين الحسيني المفتي الاكبر . غير ان تحيز الحكومة خصمهم ، وحجبها الاذان عن سماع شكاياتهم ، بالاضافة الى استوساعها في تحقيق وعد بلفور ، وتعنت الصهيونيين في تحقيق الوطن القومي ، كل ذلك ادى الى خروج الشكوى عن نطاق الكلام ؛ فكانت ثورات اتخذت في اتساقها بعضها البعض ، أحصيتا منها ١١ ثورة منذ سنة ١٩٢٠ .

وكانت هذه الثورات على الاجمال موضعية في بدء الامر موجهة ضد الصهيونيين وحدهم ، ثم انها استفحلت حتى حاوت شاملة وامتد نشاطها في القتال مع جيش الاحتلال . على ان الحكومة لم تتحول عن تنفيذ عهدها للصهيونيين ، وان كانت تلتوي احيانا لتعيد سيرتها الاولى بعد انقضاء العاصفة ، فتوفد عقب كل ثورة لجنة للتحقيق ، وهي في الواقع ليست بحاجة الى الاستزادة من امر فلسطين ، وانما كانت تقصد من وراء ذلك الى التسويف والتخدير . وقد بلغ عدد هذه اللجان عشرا الى سنة ١٩٣٦ ، وكانت آخرها لجنة بيل التي رجع اليها اقتراح مشروع التقسيم . ثم جاءت بعدها لجنة اخرى سنة ١٩٣٨ عرفت بلجنة وود هيد مكلفة بدرس الوسائل لتنفيذ هذا المشروع ، وخربت فلسطين اخيرا . واما اليهود فقد وجدوا في هذا التقسيم غايتهم لانه يؤمن لهم وطنا ، وما عدا الامير كان منهم قد عمدوا الى معارضته من حيث انه يجعل حدا للهجرة .

هذا وكان نصيب هذه اللجان الفشل الدائم ، وذلك لان تقاريرها ان جاءت في مصلحة العرب ، كاللجنة الاولى سنة ١٩٢٠ ، واللجنة سنة ١٩٣٠ ، واللجنة ١٩٣٦ ، او كانت تلك التقارير تخيبهم كلجنتي ١٩٢١ و ١٩٢٩ ، عمد الصهيونيون الى حمل حكومة بريطانيا على اهمالها .

واما اذا كانت تلك التقارير وسطا بين ذلك فانها لم تكن ترضي الفريقين .

. . . . .

٥ — والواقع ان هذه الازمة كانت صعبة الحل . فالصهيونيون يفهمون تصريح بلفور بمعنى تهويد فلسطين لغة وروحا ودينا وسياسة ، وهم قد اتخذوا هذا الهدف ميثاقا لهم . أثبتته المادة الاولى من مقررات مؤتمرهم بزوريخ ، ثم لم يتحاشوا ان يعربوا عنه في كل مناسبة . فقد روت اللجنة الانكليزية التي أمت فلسطين للتحقيق في ثورة سنة ١٩٢٠ ان الدكتور بدر اجاب على بعض الاسئلة بجرأة نادرة ، فقال : « انه لا يمكن الا ايجاد وطن قومي واحد في فلسطين ، وهو الوطن القومي اليهودي ؛ ولا تكمن المساواة في الحقوق بين العرب واليهود ، بل يجب ان يتغلب اليهود على العرب متى تكاثر عددهم » . وتقول اللجنة انه ابى ان يعترف ، او يقبل بعبارة ان تكون لليهود سلطة او سلطان قومي ، ووضع غرضا عنها

عبارة « ان يكون لليهود حق التسلط والتغلب » وعلقت اللجنة على ذلك بما يلي : « ولما كان الدكتور بلدر رئيساً عاملاً للجنة الصهيونية فهو يحيط بافكار الصهيونيين واعتقاداتهم الرسمية من جميع وجوهها ولذلك نعتبر تصريحاته على جانب عظيم من الشأن »

وقد اتى على ذلك حين من الدهر تبدل خلاله الرؤساء الصهيونيون ولكنهم برغم كل شيء لم يتحولوا عن هذا الميثاق . فان الدكتور وايزمن كان قد صرح ايضاً للجنة العشرة في مؤتمر السلام ١٩١٩ قائلاً : « اننا نريد ان نصبح فلسطين يهودية مثلما ان انكلترا انكليزية » . ثم هو يكرر هذا التصريح بعد تسع عشرة سنة امام لجنة بيل الملكية . على ان الصهيونيين ازدادوا من بعد جرأة على الافصاح عن مطامعهم واهدافهم يعلنون دون روية : « ان الصهيونية قد وضعت منهاجها السياسي فيجب ان تصبح فلسطين دولة يهودية » حضوصاً وانها في نظرهم ارض الميعاد . وهناك تصريحات اخرى دينية الطابع تعرب عن امانيهم في اعادة بناء هيكل سليمان (هار مقدش) على انقاض الحرم الشريف والمسجد الاقصى وقبة الصخرة ، وهي مقدسات للمسلمين . بالاضافة الى المعابد اليهودية ، والاماكن المقدسة ، حسبما نشير الى ذلك الرسوم الملونة المتداولة بين ايديهم

واما الفلسطينيون فانهم يؤمنون بحق واحد لا شريك له في فلسطين ويدللون على ذلك بان اسلافهم عمروا هذا القطر قبل ان يأتي اليه اسرائيل ، ثم استمروا يدافعون عنه خلال تغلب اليهود على بعض اجزائه . ويضيفون الى ذلك ان تيطس الروماني دمر مدينة اورشليم سنة ٧٤ ب.م ، واحرق الهيكل . ثم على اثر ثورة اخرى قام بها اليهود كدر الرومان تدمير اورشليم سنة ١٣٥ ب.م وحرثوا ارضها واسلموا اهلها للعبودية ، فاختتمت بذلك صفحات تاريخ اليهود بفلسطين ، بينما استمر تاريخ الفلسطينيين متسلسلاً حتى ظهر بظهر حي جديد في عهد العرب . ذلك ان الخليفة عمر بن الخطاب عمل على مراعاة شعور المسيحيين بالقدس فاعطاهم عهداً بالا يسمح لاحد من اليهود بالسكنى معهم . وهكذا ظل اليهود بعيدين عن اورشليم بالرغم من تبدل الحكام حتى ان عددهم سنة ١٨٤٥ لم يكن يتجاوز اثني عشر الفاً .

هذا الى ان فلسطين ، اذا كانت مقدسة في نظر اليهود ، فهي في نظر العرب مسلميهم ومسيحييهم اقدس . نوه بذلك المرحوم المطران غريغوريوس حجار امام اللجنة الملكية (١٩٣٦) بقوله : « ان الدين المسيحي يقول لليهود ان روابطي بفلسطين هي اقوى جداً من روابطك : فان يكن لك فيها ابناء وملوك فهي موطن مجدي وافي ، وموطن رسله ومهد كنيسته » .

واما المسلمون فهم ، فضلاً عما لهم في فلسطين من مقدسات وعلى رأسها المسجد الاقصى اولى القبلتين وثالث المساجد الشريفة التي تشد اليها الرحال ، كما في الحديث الشريف المسند ، يؤمنون ايضاً بان قرآنهم بارك هذا القطر ، وحض على سكناه حيث جاء فيه « يا قومنا ادخلوا الارض المقدسة التي باركنا فيها » . ومع كل ذلك فان العرب ، مسلميهم ومسيحييهم ، الذين كانوا لا يضمرون لليهود الا كل عطف ومحبة ، والذين اضطرهم بعض غيرهم للدفاع عن وطنهم دفاع المستميت ، لم يقفوا وقفة المكابرين ، بل رضوا بالتعاون مع اليهود الذين نزلوا في فلسطين بالرغم منهم على شرط ان يصبحوا مثلهم فلسطينيين فلهم ما لهم وعليهم ما عليهم ؛ وعلى شرط ان تتوقف الهجرة ويمنع انتقال الاراضي العربية لليهود .

ولم يكن العرب يوماً يمنعون وفدهم عن اللاجئين . أفلم يستقبلوا اليهود المضطرين من اسبانيا احسن استقبال خلال القرن الخامس عشر ؟

ولو ان يهود اليوم انفسهم هاجروا الى فلسطين دون ان تسبقهم اليها فكرة الاستثمار لما كانوا وجدوا من اهلها الا الترحاب . ومن اجدر من العرب كرماً ونجدة . ولكن حجيجاً كهذه هي حبر على ورق اذا لم تسندها القوة .

على ان العرب قد توسلوا ايضاً بطرق الالتماع فتوالت وفودهم الى عواصم العالم ، وخاصة الى عصبة الدولة المنتدبة ، وكانوا كلما بسطوا امانيهم في لندن وضعوا وقف الهجرة ، والحصول على الحكم الذاتي يصارحون القول : « بان مسألة ليست اعتبار الشعب الفلسطيني اقل تقدماً ورقياً من جيرانه في العراق وسورية ، ولكن من الواضح تماماً ان انشاء حكومة وطنية في هذا الطور سيحول دون تنفيذ العهد الذي قطعته الحكومة البريطانية للشعب اليهودي . »

وقد اعطي هذا الجواب في لندن للوفد الذي ايها سنة ١٩٢٢ ، ثم تكرر نفسه لوفد آخر سنة ١٩٣٠ . وكان العرب واثقاً يرون في هذا الجواب ان الوطن القومي اليهودي لا يقتصر على أنه انتزاع لوطنهم ، بل هو ايضاً العقبة الكأداء التي تعترض استقلالهم .

. . . . .

٦ — ولقد عملت المظاهر التي واكبت الثورة التي نشبت سنة ١٩٣٧ على تجلي الاتحاد بين العرب والمسلمين في العالم بروز صوره . فمؤتمر بلودان (سورية) الذي عقد في صيف ١٩٣٧ ، قد وضع ميثاقاً لفلسطين تعاهدت عليه الاقطار العربية الكبيرة التي نشبت في هذا المؤتمر . ومؤتمر القمرة الذي تألف من نواب العرب والمسلمين في خريف ١٩٣٨ قد جمع بين المصري والسعودي وبين المغربي والعراقي وبين اليمني والشامي ، فكان تعاهداً بين العرب والمسلمين على النضال في سبيل فلسطين .

ومع نشأة الجامعة العربية ان تحرم من هذا الواجب فشهدت القاهرة بعد مؤتمر النواب المذكور مؤتمراً نسائياً عظيماً ، اشتركت فيه الاقطار العربية .

ولقد تجلى الاتحاد العربي في هذه المؤتمرات باجلى مظاهره ، وتأكد بالتصريحات التي ادلى بها اصحاب الجلالة الملوك عبد العزيز بن سعود ، وفاروق ، وغازي والامام يحيى . وقد جاء في الكتاب الذي وجهه جلالة ملك نجد والحجاز الى السيد روزفلت رئيس الولايات المتحدة وقتئذ في ١٩٣٨/١١/٢٩ ما يلي : « ومن المستحيل اقرار السلام في فلسطين اذا لم ينل العرب حقوقهم ، وبناء كدوا ان بلادهم لن تعطى الى شعب غريب يخالف مبادئه واغراضه واخلاقه عنهم . »

هذا وعلى اثر مؤتمري القمرة البرلماني والفندقي العربيين بارح الاسكندرية يوم ٢٦ تشرين الاول ١٩٣٨ وفدان عربيان على الباخرة (الخديو اسماعيل) ، وكانت وجهة احدهما لندن وفيه المصري والسعودي ، بينما كانت وجهة الثاني اميركا وفيه المسيحي والمسلم . وكنت احد افراد الوفد الثاني . وكان اول عمل باشرناه عند وصولنا الى نيويورك رفع مذكرة الى الرئيس روزفلت بسطت فيها وجهة نظر العرب في قضية فلسطين ، وناشدته انصافهم . وتلقيت الجواب على هذه المذكرة في ٢٢ كانون الاول ١٩٣٨ ، وهو يتضمن وعداً بمواصلة الاهتمام الكبير في هذه القضية . ثم ان وفدنا اتصل بحكومة واشنطن مباشرة ، واجتمع في مطلع عام ١٩٣٩ باركان الوزارة الخارجية ، وعلى رأسهم السيد هل وزير الذي كان مستشاراً للدولة وملحقاً

في الشؤون الخارجية ، ثم نائب الرئيس وحتى وزير الخزانة ولايت اميركا كما وزار

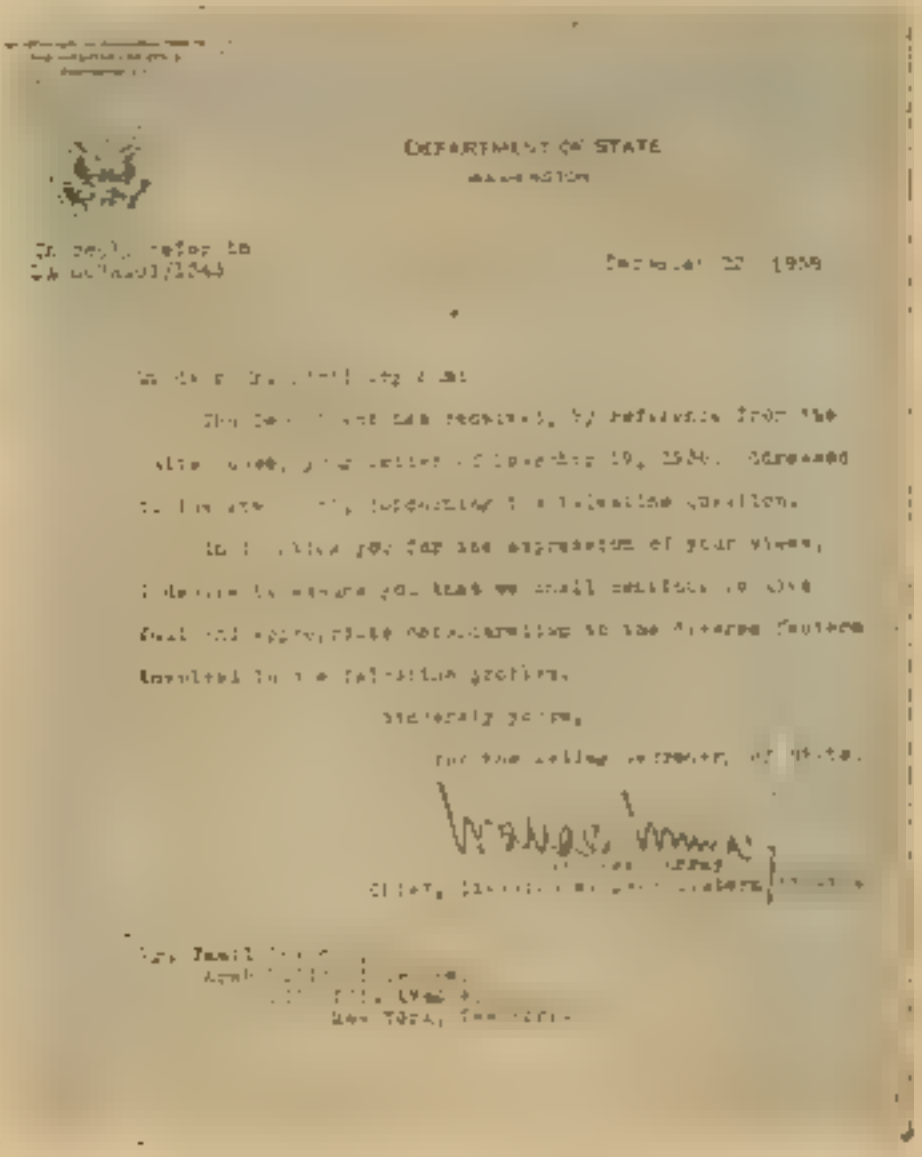

DEPARTMENT OF STATE

Washington

In reply, refer to
EA 867n.01/1244

December 22 1939

جواب سكرتير دولة الولايات المتحدة الأميركية المؤلف في بيورك
على مذكرته المرفوعة للرئيس روزفلت

كوبا والمكسيك ، مبيناً للاوساط الحكومية والشعبية ، وجهة نظر العرب في قضية فلسطين ومحاولاً رفع التهم التي يلصقها بهم الخصوم .

٧ – وخلال هذا النشاط العربي دوى صوت الفوهرر هتلر متعرضاً لفلسطين بخطاب القاه في نورمبرغ شهر ايلول ١٩٣٨ قال فيه :

« نحن لا نريد ان نخلق فلسطين عديدة على الحدود الالمانية وان نبيح لاصدقاء المانيا كما يضطهد العرب في بلادهم . ذلك لان وراء الالمان السوفيت دولة كبيرة تتولى الدفاع عنهم . »

وظلت المانيا تضرب، من بعد، على هذا الوتر الحساس. وكانت بريطانيا العظمى كل دنت الحرب تزداد شعوراً بوجوب تسكين ثائرة العرب والمسلمين، خصوصاً وان المانيا كانت تنفخ في النار الموقدة. وكانت تتوهم ان احسن حل للأزمة يكون في تحقيق مشروع لجنة بيل الملكية. واعني به مشروع التقسيم؛ ولكن ما ان هبطت لجنة وود هيد ارض فلسطين، مكلفة بدرس الوسائل لتنفيذ هذا المشروع، وذلك خلال شهر شباط ١٩٣٨، حتى اصطدمت باضراب شديد قام به العرب احتجاجاً على هذا المشروع، بعد ان الدوائر سترين على العدول عن مبدأ التقسيم، والدعوة الى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن. وقبل افتتاح المؤتمر، الذي كان موعده في ٧ شباط ١٩٣٨، اجتمع ممثلو العرب بالسير نيفل شمبرلن رئيس الوزارة البريطانية يومئذ، وسمع هذا هم خطة حكومته بصراحة على الوجه التالي:

«ان العالم مايم على عرب لا تعني ولا تمس، وان بريطانيا تطلب مصارحة سبب ذلك ان عرب ... [illegible] ... بهودية مضطهدين لا لاسيما ... حكومة الولايات المتحدة ... الوزراء واهوة ما يزال لحقه ... بصر على دول المحور».

على انه وان لم يقدر النجاح لمؤتمر المائدة المستديرة، الا انه كان ذا اثر طيب واضح للعرب. فقد امن مندوبهم في المؤتمر ان يعترفوا لليهود بحق المفاوضة مصرين على ان يكون بحث الحلول مقتصراً عليهم وعلى ممثلي بريطانيا؛ وكان هم ما اراده، ورفضت اعلام الدول العربية على الفاعة المخصصة لجلسات المؤتمر، وتقرر ان تكون اللغات العربية والانكليزية والفرنسية وحدها اللغات الرسمية في المناقشات والخطابة. وفضلاً عن ذلك فان توجيه الدعوات الى الدول العربية للاشتراك في هذا المؤتمر، وجلوس ممثليها من امرائه ووزرائه الى جانب اخوانهم مندوبي فلسطين، قد جرى بمثابة اعتراف رسمي بان قضية فلسطين هي قضية العرب كافة، وان القضية العربية هي وحدة لا تتجزأ.

وكان من جراء فشل هذا المؤتمر ان تقدمت حكومة لندن واعلنت على عالمها اجراء الحلول في القضية الفلسطينية، فاصدرت، في شهر ايار ١٩٣٩، الكتاب الابيض الثالث، واعلنت انها مصممة التنفيذه بقطع النظر عن رأي الفريقين. ورغم ان نظاهرت فيه براعة جانب العرب، اذ هو يلغي مشروع التقسيم ويحدد الهجرة بموعد، ويعد بالحكم الذاتي لفلسطين، لم يلق هذا الكتاب ارتياحاً في الاوساط العربية، وذلك لقيامه على قرارات مطاطة في بعض النواحي، ومؤجلة التنفيذ في النواحي الاخرى. ولذلك اعلن العرب احتجاجهم عليه،

واستأنفوا الثورة في فلسطين . كما ان الصهيونيين ، الذين نمسوا في هذا الكتاب تحولاً في سياسة الدونتغ ستريت عن وعد بلفور ، قامت قيامتهم عليه وبالغوا في المظاهرات ضده الى حد ان القائد العسكري بفلسطين اتهمهم باستعمال القوة والعنف اذا هم لم يرجعوا عن هذه المظاهرات العنيفة . وكانت بريطانيا ، عند اعتزامها اصدار الكتاب الابيض ، قد عزمت ان تضع نهاية بالقضاء نهائياً على الثورة العربية في فلسطين ، التي كانت قد نشبت منذ ٢٢ حزيران ١٩٣٧ ، وذلك باستعمال العنف ، وخاصة بعد ان شعرت بدنو الحرب العالمية ، فتقدم الجيش في ١٩ تشرين الثاني ١٩٣٨ لاحتلال القدس ، واحتل آخر الشهر حيفا ويافا . فاستشهد في آذار ١٩٣٩ القائد عبد الرحيم الحاج محمد ، ثم في ١٦ نيسان اعلنت حكومة فلسطين ان السيد شاوف عبد الرازق ، الذي خلفه على القيادة ، قد لجأ الى سورية . وكان ذلك نذيراً بانتهاء الثورة .

. . . . . .

٨ - ونشبت الحرب العالمية الثانية في صيف ١٩٣٩ فساد نوع من الهدوء والعدوء في فلسطين ، وخاصة في السنوات الاولى لها ، فكان الخطر النازي يدنو ويبدأ ويبدأ منها . ولكن الصهيونيين في سائر العالم لم يتوانوا مع ذلك في انتهاز الفرص لتحقيق آمالهم . ولما احس الخطر بريطانيا العظمى تقدم الدكتور وايزمن من حكومتها يعدها بمساعدة الرأسماليين اليهود اذا هي تعلمت هم شيئاً بالتخلي عن فلسطين ، وعن قسم من جنوبي لبنان . ولكن المستر تشرشل ، رئيس الوزارة وقتئذ ، وضع حداً للاشاعات التي راجت على اثر ذلك حينما رد في مجلس العموم على سؤال وجه اليه بقوله : « انه لا يوجد تبدل في سياسة حكومة صاحبة الجلالة ازاء فلسطين » .

وكان هدف الصهيونيين الاول يرمي الى تمزيق الكتاب الابيض ، وفتح ابواب فلسطين للهجرة . ولما آنسوا من حكومة تشرشل المعارضة ارتدوا الى اظهار نقمتهم على بريطانيا العظمى ، وعلى مندوبها السامي في فلسطين ، واتخذوا الولايات المتحدة مركزاً استراتيجياً لاعمالهم .

وقد ازدادوا نشاطاً بعد ان اطمأنوا لنتيجة الحرب على اثر احتلال الحلفاء شمالي افريقيا ، فاستطاعوا في اواخر ١٩٤٢ ان يؤمنوا توقيع ٦٢ عضواً من اعضاء مجلس الشيوخ في واشنطن و ١٨١ عضواً من اعضاء مجلس النواب على مذكرة موجهة الى الرئيس روزفلت وحكومته يطالبون فيها بالحرص على

السياسة التقليدية للولايات المتحدة بشأن قيام الوطن القومي اليهودي في فلسطين؛ ثم جاءت الانتخابات الاميركية فكانت مجالاً افسح لنجاحهم. فاذا بنا نسمع في شهر آذار ١٩٤٤ اقتراحاً يقدمه بعض الشيوخ طالبين فيه اقامة دولة يهودية في فلسطين.

وخلال تلك الجهود الجبارة التي كانوا يبذلونها عمدوا، منذ مطلع عام ١٩٤٤، الى مجابهة بريطانيا العظمى في فلسطين وذلك باستعمال سياسة الارهاب والعنف. وقد دوا في طغيانهم حتى انهم حاولوا قتل السير هربرت صموئيل المندوب السامي؛ فنجا منهم ولكن اللورد موين الوزير البريطاني في الشرق الاوسط، لم ينج، بل قتل في مصر بايديهم يوم ٧ تشرين الثاني ١٩٤٤، فضلاً عن كثيرين من كبار الضباط والجند. ثم لم يتورعوا عن التشهير ببعض رجالات الانكليز في فلسطين من عسكريين ومدنيين.

وحاول الصهيونيون، بمناسبة مؤتمر سان فرنسيسكو الذي عقدته الدول المنتصرة منذ ٢٥ نيسان ١٩٤٥، ان يؤثروا على المؤتمرين بشتى الطرق، وان يثيروا قضية فلسطين في هذا المؤتمر بوجه، وان لم يفلحوا الا ان آمالهم انتعشت من جراء موقف الرئيس ترومن الذي خلف الرئيس روزفلت على رئاسة الولايات المتحدة في ١٢ نيسان ١٩٤٥. وفي الواقع فان الرئيس الجديد دشن عهده بان اقترح في مؤتمر بوتسدام السماح لاكبر عدد ممكن من اليهود بدخول فلسطين، وتباحث مع المستر تشرشل والمستر اتلي بشأن انشاء دولة يهودية في فلسطين.

وتلى هذا فقد هلل اليهود وكبروا لقيام حكومة العمال في لندن، اذ ان حزب العمال كان ابداً نصيراً لهم؛ ولكن البيان الذي القاه وزير الخارجية المستر بيفن في مجلس العموم (١٣ تشرين الثاني ١٩٤٥) جاء مخيباً آمالهم. وقد صرح وزير الخارجية في هذا البيان بان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى دعت الولايات المتحدة للتعاون معها في لجنة تسهل ايجاد حل ما لوضع فلسطين تحت الوصاية التي ستحل محل الانتداب.

واما العرب الذين اصبحت قضية فلسطين عندهم مدار اهتمامهم فلم يتوانوا في الدفاع عنها، حكومات وشعوباً وملوكاً ورعية، حتى انهم لم يعودوا يعقدون مؤتمراً لأي غرض من اغراضهم الا ويثيرون فيه قضية فلسطين. هذا الى ان الجامعة العربية، وهي التي كانت تمثل العروبة، قد تولت عن الدول العربية اجمعها الرد على بيان الحكومة الانكليزية الذي القاه وزير خارجيتها في مجلس العموم،

كما انها قوبلت بحملة الاذاعة الاميركية البريطانية ، قبل وصولها ، بقرار مقاطعة العرب للمصنوعات الصهيونية .

واما اللجنة الاميركية البريطانية المذكورة — وهي التي عرفت بلجنة موريسون — فقد باشرت التحقيق في واشنطن ، ثم انتقلت الى لندن فالقاهرة حيث عقدت منذ ٢ آذار ١٩٤٦ جلستين لاسماع شهادات ممثلي الدول العربية . وقد كان لي الحظ ان اكون في عدادهم ممثلا لحكومة لبنان مع وزيرها المفوض بالقاهرة . ثم هبطت اللجنة القدس فاستمعت الى العرب واليهود . وتفرع عنها لجنتان فعادت

عند الرجل عزام باشا من بين الواقفين في الصف الاول خلف لجنة موريسون
ويظهر بوضوح ان عنده لأبين

احداهما بغداد فالرياض ، وأمت الثانية دمشق فبيروت . ثم وافت اللجنة وجهها شطر سويسرا مثقلة بمذكرات تضع في عرلة تقريرها المنشود .

وفي الواقع ان تقريرها الذي ظهر في ايلول ١٩٤٦ جاء دليلا على انها انما جاءت حاملة رسالة من واشنطن ، لم يكن في مقدور المذكرات العديدة التي تلقتها اللجنة خلال سياحتها لتحقيق ، ان يبدل حرفا واحداً منها . فلا عجب اذا قوبل تقريرها في العالم العربي بالاحتجاج من كل صوب باعتبار انه رجعة الى الوراء

بالنسبة اليهم ، وتأميناً لرغائب الصهيونيين ، ولا سيما من حيث تطبيق الكتاب الابيض الموضوع في سنة ١٩٣٩ . فقد اوصت اللجنة بان يبقى الانتداب حتى يتم الاتفاق على تنفيذ وصاية الامم المتحدة ، وطالبت بان تفتح ابواب فلسطين لليهود ، وفي مقدمتهم مائة الف مهاجر ، كما اوصت بالغاء القيود المفروضة على انتقال الاراضي لليهود .

. . . . .

وفي غضون هذه الثورة الفكرية التي شملت العالم العربي ، على اثر نشر توصيات اللجنة ، وجه جلالة الملك فاروق الاول دعوة الى رؤساء الدول العربية لمؤتمر يعقد في زهراء الشاطبي في مصر ، وقد اصدر اصحاب الجلالة والفخامة والسمو المؤتمرون ذلك البيان التاريخي الذي يتضمن القرارات السبعة المتخذة بالاجماع بشأن الدفاع عن فلسطين ودفع ما يهددها من اخطار .

وعلى ضوء هذه المقررات عقدت الجامعة العربية دورة استثنائية في بلودان (سورية) فتلت مقرراتها مكتوبة ، واوصلت الامانة العامة للجامعة مذكرة بتاريخ ١٥ مايس ١٩٤٦ الى وزير بريطانيا المفوض في دمشق لابلاغ حكومته احتجاج مجلس الجامعة على لجنة الانكلوزية - الاميركية في الاساس ، وعلى مقرراتها معللة ان الاخذ بتوصيات اللجنة يعتبر عمل غير ودي موجه للعرب . فدعت حكومة المستر اتلي العرب الى مؤتمر عقد في لندن من ١٠ ايلول الى ٢ تشرين الاول ١٩٤٦ ، ثم رجئ الى ١٦ كانون الاول ١٩٤٦ بحجة اعتزام المستر بيفن وزير الخارجية السفر الى اميركا . واستانف المؤتمر اجتماعاته في مطلع عام ١٩٤٧ ، ولكنه انتهى بالفشل ، لاسيما وان مشروع التقسيم كان اساساً للاقتراحات البريطانية .

اما الصهيونيون فقد رفضوا ان يشتركوا في المؤتمر ، وواصلوا اعمال الارهاب اعراباً عن تصميمهم على دولة الانتداب ، واستطاعوا ان يسفهوا الكتاب الابيض برمته . والكتاب الابيض انما خطط بدماء العرب التي اهرقت في ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٧ - ١٩٣٩ . ذلك ان بريطانيا العظمى ارادت التنصل من ثم من تبعات حل قضية فلسطين منفردة فاعلنت عزمها على رفعها الى هيئة الدول المتحدة . وقد اجتمع مجلس هيئة الامم في ٢٨ نيسان ١٩٤٧ اجتماعاً استثنائياً وقرر ، بناء على اقتراح لندن ، تعيين لجنة تحقيق من قبله .

وزارت هذه اللجنة اوروبا بطريقها الى فلسطين وما حولها من البلاد العربية ، ثم قدمت توصيات تقوم على مشروعين : وقد اخذت هيئة الامم المتحدة باحدهما ، وهو الذي قالت بـــه كثرة اعضائها ، ويقضي بتقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية ترافقه وحدة اقتصادية ، على ان يقوم في القدس نظام دولي خاص تشرف عليه الامم المتحدة . وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ لفظت الهيئة ، بكثرية الاصوات ، قرارهـــا مؤيدة مشروع التقسيم ، وكان ذلك اليوم بداية حرب بين العرب والصهيونية جعلت بلد السلام والمحبة ، يشتعل بالنار ويسبح في الدماء .

كيف أضعنا فلسطين

٩ — من المؤسف ان العرب استهوا القتال في فلسطين بتحريضات سرعان ما افضت الى التناحر بينهم ، وادت الى تسرب الخلاف بين الفلسطينيين وبين اخوانهم العسكريين الذاهبين من قبل الجامعة . فقد كان سماحة الحاج امين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا ، واعضاء الهيئة يرون ضرورة الاعتماد على الفلسطينيين انفسهم في الجهاد لانقاذ وطنهم ، وامدادهم بالمال والعتاد ، وبالمساعدات العسكرية من بعض الحين . وقد سمعت سماحته يعالبه يتحدث في هـذا مؤمنا بأن الفلسطينيين قادرون على القيام بالمهمة اذا توفر لهم المال والعتاد لشجاعتهم وخبرتهم في جغرافية بلدهم ، علاوة على ما يتوفر لديهم من وسائط التموين . غير ان امير اللواء السيد اسماعيل صفوة احد ممثلي العراق في مجلس الجامعة العربية لم يكن على هذا الرأي . وقد رفع الى المجلس في اجتماعاته خلال شهر كانون الاول ١٩٤٧ ، تقريرا يتضمن ، فيما يتضمن ، الاعتماد على الجيوش النظامية فحسب .

لذلك ، فلما رأس معاونه اللجنة العسكرية التي اتخذت دمشق مقراً لها ، ووكل اليهـــا من قبل الجامعة العربية ادارة القتال بفلسطين ، واعداد الجيوش ، اظهر حرصه على أن لا تذهب المعدات الحربية ، والمساعدات المالية الى المجاهدين ، فصد الاحتفاظ بها لحين الزحف ، وذلك بعد انتهاء اجل الانتداب في فلسطين .

ولما حمل اليهود على المجاهدين الفلسطينيين حملتهم الكبرى في لواء القدس قصد فتح الطريق مابين اورشليم وتل ابيب ، وتموين ذويهم المحصورين في بيت المقدس ، واحتلوا قرية القسطل ذات الموقع الاستراتيجي الحصين خف الى دمشق في غرة نيسان ١٩٤٨ قادة المجاهدين وعلى رأسهم قائده الجهاد المقدس ، السيد عبد القادر

الحسيني ، منذرين محذرين ، وطلبوا النجدة من اللجنة العسكرية ؛ ولكنهم لم يجدوا عند اللجنة اي اهتمام بمطالبهم . ويقول المرحوم عبد القادر الحسيني في مذكراته « انها قابلتهم بالسخرية والازدراء » ، كما انها « أبت ان تنجدهم بجيش الانقاذ الذي كان مقيماً في المثلث العربي على مقربة منهم » . ويبدو ان اللجنة كانت مطمئنة ، ولا تحفل كثيراً بما يصنع اليهود ، بدليل ان بعض اعضائها كانوا يجاوبون من راجعوهم محذرين : « لا تخافوا ولا تحزنوا ، وليست ثمة اهمية ، حتى ولو سقطت القدس ويافا وحيفا ، لأننا سنعيدها في الوقت المناسب » .

لذلك فقد اضطر المجاهدون ان يعتمدوا على انفسهم منذ بداية المعارك في شراء الاسلحة بالقدر المتاح ، وعلى اهالي المدن العربية العليا ، وما كانت هذه اهلية لتبخل عليهم لو أن اموال المساعدات كانت تصل اليها مباشرة ، ولكان من عواقب هذا الموقف بفقه اللجنة العسكرية من الفلسطينيين ، بالاضافة الى استشهاد قائدهم المرحوم عبد القادر الحسيني وبعض صحبه ان تسرب الفتور الى همم المجاهدين ، خصوصاً من جراء ما وافقه من الاعتقاد بأن الدول العربية ستكفيهم مؤونة القتال .

اما الآن ، وبعد ان وقعت الواقعة ، اخذ يعترف بعض المنصفين ، وعلى رأسهم السيد نوري السعيد باخطاء الماضي ، من جراء انهم لم يتركوا الدفاع عن فلسطين لاهليها . قال في خطاب القاه في مجلس الأمة العراقي في شهر تشرين ١٩٤٨ : « فلو اننا حصرنا القوى العربية بالاحتفاظ بالسلح ، كما فعل اليهود ، وسلحنا عرب فلسطين التسليح الكافي ، لنشروا ، وما كانوا بهذا الموقف المؤلم » . ويرى بعضهم أنهم لو فعلوا لكان اجدى ، حتى ولو لم يقو المجاهدون على الصمود الى النهاية في وجه الصهيونيين : ذلك لأن القوى العربية ، لو بقيت سالمة وراء الحدود محفوظة الكرامة كان بوسعها انقاذ الموقف . هذا فضلاً عن انه اذا دار البحث دولياً حول ايجاد حل لمشكلة فلسطين فالامم الكبرى ذات الشأن تظل تحسب حساب سبع دول عربية شاكية السلاح ، تنادي بلسان واحد : « لبيك يا فلسطين » .

حقاً ان امير اللواء اسماعيل صفوت كان على صواب حينما كان يعتقد بأن الجيوش النظامية اجدى من المجاهدين في الحرب ؛ ولكنه كان طيب القلب حينما اعتمد على جيوش دول سبع فحسب ، ولم يخطر بباله ما وراءها من « عنعنات » وارتباطات دولية ومصالح خصوصية من شأنها ان تجعل هذه الكثرة قلة حتى اصطدمت بوحدة الايمان .

٢ – وكان من تقصير اهل فلسطين انهم رغم معرفتهم مقدار تسامح الصهيونيين، ورغم شعورهم بأنهم كانوا قاب قوسين أو أدنى من القتال، لم يعنوا بالتأهب للمعارك المقبلة. وعذرهم في ذلك ان الحكومة كانت تشدد الرقابة عليهم، بينما كان اليهود يربون الكتيبات الكبيرة من الاسلحة ويتلقون الاعتدة ابان الحرب العالمية الثانية من الانكليز انفسهم بحجة استعمالها للدفاع عن مستعمراتهم؛ علاوة عن الغياط لتدريبهم على الشؤون العسكرية. والى هذا فبينما كانت الوكالة اليهودية توجه دفة الحكم الفلسطيني شطر مصالح قومها، كانت السلطة تطارد الهيئة العربية العليا، وتصد الى حلتها طيلة هذه الحرب، وتبعد من تصل اليه يدها من رجالهم.

والواقع ان دولة الانتداب لم تترك للعرب، كما تركت لليهود، فرصة الاستقرار والاستعداد. وهم لم يستأنفوا نشاطهم الا بعد اعادة الهيئة العربية لفلسطين، وذلك بمقتضى القرار الذي اتخذه مجلس الجامعة العربية في بلودان صيف ١٩٤٦. بل ان نشاطهم العملي لم يقم الا بعد ان هبط مصر سماحة الحاج امين الحسيني عائداً من المانيا، ورجع كبار المجاهدين الآخرين من المعتقلات البريطانية في افريقية والعراق. وعلى اثر ذلك تم تأليف قوة من المجاهدين باسم «الجهاد المقدس» بقيادة عبد القادر الحسيني. فشرع هذا البطل الشهيد مع معاونيه يدربون شباب فلسطين على استعمال الاسلحة، ويعظمون صفوف المجاهدين. غير ان الوقت كان قصيراً، وما مضت سنة واحدة حتى دار القتال بين عرب فلسطين العزل، وبين اليهود المجهزين؛ ينجد الاولين اخوانهم في كثير على مقربة من ساحات الوغى، وذلك بخطب نارية وانشيد ملتهبة، بينما يمد الثانين ابناء ملتهم القليلون المشتتون في اطراف العالم؛ ولكنهم يمدونهم بالمال والرجال والعتاد، فضلاً عن توجيههم دول العالم لخدمة اهدافهم. ومع ذلك فقد بدأت اعمال المجاهدين على شكل عسكري لا شائبة فيه، وشملت جميع مناطق فلسطين. فوقعت معارك طاحنة، ولا سيما حول طريق القدس – تل ابيب. ذلك ان العرب كانوا يحاولون سد هذه الطريق في وجه اليهود، بينما كان هؤلاء يجهدون الانفس لفتحها قصد بقاء الاتصال بين احيائهم في لواء القدس وبين لواء تل ابيب. ثم اتسعت ساحة القتال حتى شملت جميع اقاليم القدس وبيت لحم والخليل ويافا.

وتنامى اليهود ، خلال ذلك ، خلافاتهم ، فانضموا الى الوكالة اليهودية ، ووحدوا القيادة العسكرية وذلك بتأليف الجيش اليهودي من جميع الجمعيات والفرق المتناحرة. ثم قاموا ، علاوة على حركاتهم العسكرية حول منطقة القدس ، بهجمات عنيفة على جهات يافا وحيفا وصفد وطبريا . وهم في ذلك كانوا يستعينون بحرب الاعصاب وذلك بمزاولة اعمال الارهاب والقسوة . وقد صمد المجاهدون في وجههم صموداً باسلاً ، وقابلوهم بالمثل ، فنسفوا عمارات البالستين يوسف ، وشارع ابن يهودا ، والوكالة اليهودية . ولكن سرعان ما اختل التوازن : فقد اشتد ساعد الصهيونيين منذ آذار ١٩٤٨ بالمساعدات التي غمرتهم من اوروبا واميركا ، وبالمتطوعين الذين وصلوا اليهم من المتدربين على الحروب ، ووضعوا خطة جديدة تبتدىء بفتح طريق القدس – تل ابيب ، توافقها خطة أخرى مداورها القاء الذعر في نفوس اهل القرى العربية قصد اجلائهم عنها بمشاعر الخوف . وقام الجيش الاسرائيلي ، منذ ذلك ، بتنفيذ هذه المقررات ، بينما أن المجاهدين العرب قطعت عنهم المساعدات ، وحرموا من الامدادات . اجل ، وقد بينا في الكلمة السالفة كيف ان قائدهم السيد عبد القادر الحسيني ، ورفاقاً له من قادة الفرق خفوا الى دمشق ، واعربوا الى اللجنة العسكرية عن اوجه الخطر طالبين المعدة الضرورية ، واوضحنا كيف انهم عادوا الى ساحة القتال بالسلاح ، خصوصاً وقد بانغيم ، وهم في دمشق ، نبأ سقوط قرية القسطل بيد اليهود (٤ نيسان ١٩٤٨) وهي امنع القرى العربية المشرفة على طريق القدس – تل أبيب .

ومن المؤسف ان قائد الجهاد المقدس ما كاد يعود الى ساحة القتال حتى دفع حياته الغالية ثمناً لمحاولته استرداد القسطل ، وكذلك الشيخ حسن سلامه ، قائد قطاع يافا ، فانه سرعان ما لقي ربه شهيداً في الدفاع عن منطقته . ذلك ان اليهود ، وقد اخذوا خطة المبادرة ، قاموا ، في وقت واحد ، بتشديد الهجوم في كل الميادين ، وحملوا عدة حملات على حيفا ويافا وطبريا وصفد وعكا اثناء هجومهم على قرية القسطل .

على ان معركة القسطل كانت نقطة تحول خطير في حرب فلسطين لان استشهاد البطل الحسيني ، وعشرات من زعماء النضال اوجد فراغاً شديداً في صفوف المجاهدين ، كما ان اعمال الارهاب التي ارتكبها الجيش الصهيوني في دير ياسين وغيرها من القرى القت الذعر الشديد في قلوب الفلاحين ، فباموا على وجوههم هاربين .

وقد خف اليهود ، على اثر ذلك ، لاستغلال كل من التضعضع الذي وقع في صفوف المجاهدين ، والرعب الذي استقر في أفئدة الفريقين ، فسددوا ضربات قاسيات عليهم اتاحت لهم فتح طريق تل ابيب ـ القدس ، وتموين ذويهم هناك بالقوافل المتتابعة ، بينما كانت هذه الطريق مقفلة في وجههم ، وفي وجه قوافلهم منذ ثلاثة اشهر ، وجندوا ، على اثر ذلك ، حملاتهم على القدس نفسها ، على مرأى ومسمع من الجيوش العربية التي كانت تراقب وراء النجوم في انتظار انتهاء اجل الانتداب .

وتعاقبت النكبات بعد معركة القسطل خصوصاً منذ حقق الصهيونيون اهدافهم العسكرية في معارك مشمار هايمك والنكبة ، وتغلبوا على جيش الانقاذ ، الذي كان يقوده فوزي باشا القاوقجي ، واستولوا ، في الجبهات الاخرى ، على طبريا فحيفا ويافا فصفد وعكا ، وما حول هذه المدن من مئات القرى ، وشتتوا سكانها على حال يفتت الاكباد ، لا عهد لنا به الا في أواخر ايام الاندلس .

نكبات فوق نكبات كنا نتساءل خلالها : أين جيوش الدول العربية السبعة ؟ أين ذلك الجيش الثاوي الذي كان يلهب آذاننا ، قبل القلوب ؟ فيقال لنا ، اصبروا ان الله مع الصابرين ، . والواقع انهم ، كانوا ينتظرون كلمة السر ، ينتظرون يوم ١٥ ايار ١٩٤٨ ، يوم انتهاء اجل الانتداب ، بينما كانت بريطانيا تستعجل ، في قرارة نفسها ، انقاذ التقسيم بالقوة قبل ذلك اليوم الذي يقتلع مصاريع ابواب فلسطين في وجه الجيوش العربية المحتشدة . « فإنا لله وانا اليه راجعون » (١) .

امارة شرق الاردن

ان شرق وادي الاردن وغربه تحد منطقة زراعية كانت في عهد مضى كثيفة الزرع والاحراج ، واصبحت على عهد آل عثمان غير صالحة إلا للزراعي . اما عمان ، عاصمة الامارة ، فلم تكن سوى قرية لا صلة بينها وبين مجدها التالد إلا بما شخص من آثارها ، ولا وسيلة لها لتأمين الحياة الا بتوسطها بين قبائل بني صخر وبني حسن وعباد والعدوان .

---

(١) تتمة هذا البحث يأتي في الكلام على عهد الاستقلال آملين ان يكون عهد الاستقلال لمدة لفلسطين العربية .

ولما اكتسح الجيش الفرنسي سورية ، وخلع الملك فيصل (تموز ١٩٢٠) انفصلت رقعة شرق الاردن عن حكومة دمشق العربية ، وتولى ادارتها المندوب السامي البريطاني في فلسطين ، وألف فيها بعض المجالس المحلية لادارة شؤونها . ولكن موجة من الفوضى طغت على ادارته لما بين ذلك التنظيم وبين تقاليد البداوة من التنافر ، فاستقر في ذهن الانكليز ان لا بد من اللجوء الى اسلوب خاص في حكم هذه البلاد .

والواقع أن شرق الاردن التي تبلغ مساحتها نحو ٣٤ الف ميل مربع اي ما يكاد يعادل مساحة فلسطين مرتين ونصف ، والتي لم يكن فيها من السكان إلا ٢٥٠ الفاً ، السواد الاعظم منهم بدو ، كانت تحتاج الى ادارة خاصة تتناسب مع بيئتها وتقاليدها .

وبينما كانت هذه الفكرة تختمر في دماغ الانكليز تقدم الامير عبدالله بن الحسين ، ملك الحجاز وواقع غير الثورة الكبرى ، وتزل شرق الاردن مضمراً الثأر لأخيه الذي انفصل من الافرنسيين موعداً النية على استرجاع دمشق . فالتف حوله رجالات العرب الذين كانوا تشتتوا بعد واقعة ميسلون ، وعاهدوه على المؤازرة افراداً وجماعات . وكان العهيونيون نهبوا بجاورة البودية مباشرة فاوحى اليهم والى البريطانيين ايضاً وجوب الامير في عمان فكرة الاتفاق معه على امارة شرق الاردن . فجرت مفاوضات مبدئية بين الامير وبين المستر تشرشل في قصر السر هربرت صموئيل المندوب السامي بالقدس ، مفاوضات لم تكن — فرنسا — غريبة عنها لأن المسيو رويير دوكاي ، وكيل المندوب السامي في سوريه ولبنان ، رافق سمو الامير الى الاجتماع بالمستر تشرشل في بيت المقدس . اما خلاصة الاتفاق الذي تم في هذا الاجتماع فيتلخص بقيام حكومة يرأسها الامير عبدالله على قاعدة الاستقلال الاداري ، تسترشد برأي المفوض السامي في فلسطين ، وتتعهد بالمحافظة على حدود فلسطين وسورية من كل اعتداء . ولقاء ذلك تتعهد انكلترا بمساعدة هذه الحكومة بما يلزم من نفقات انشاء قوة لتطبيع توطيد الأمن .

وعلى هذا الاساس قامت امارة شرق الاردن منذ شهر نيسان ١٩٢١ ، وامدتها الخزينة البريطانية في تموز سنة ١٩٢١ بمبلغ ١٨٠ الف جنيه للنفقات التمهيدية ، ثم واصلت مساعدتها المالية ، فانفق سمو الامير عن سعة لتأليف القبائل ، وتجميل جهاز الحكومة . ولما وضع صك الانتداب على فلسطين جاء في المادة الخامسة

والعشرين منه نص يتعلق بشرق الاردن فحواه :

« انه يحق لدولة المنتدبة ، بموافقة مجلس عصبة الامم ، ان ترجىء او توقف تطبيق ما تراه من نصوص الواردة في صك الانتداب ، مما يكون عير قابل للتطبيق على شرق الاردن ، ولكن تتخذ ما تراه ملائماً من التدابير لادارة تلك المنطقة ووفاً لاحكام فالمقدسة . فعلى بذلك تدير على اساس صك الانتداب الا فواد المتعلقة بتأسيس الوطن القومي اليهودي ولا تسري عليها . »

وفي ١٦ ايلول ١٩٢٢ اقر مجلس عصبة الامم مذكرة رفعتها اليه الحكومة البريطانية تتضمن نص هذه المادة مع تعيين حدود شرق الاردن ، واعلن انكلترا فيها اضطلاعها بالمسؤولية التامة ، كدولة منتدبة على تلك المنطقة ، بمقتضى احكام صك الانتداب . فقام منذ ذلك التاريخ الى جانب سمو الامير ، ممثلاً بريطانياً على رأس كتلة من المستشارين انتشروا في دوائر الحكومة . وعهد بقيادة القوة الفعلية الى بيك باشا البريطاني ايضاً ، فتقرب من البدو ، واحتطبع بعبقتهم ، وحبس اسلاس قيادهم .

وكان المتفوذون حول سمو الامير من احرار العرب ، قد اطلقوا عليه لقب « منقذ سورية » ، اذ ما كانوا يترقبون منه المحافظة على استقلاله فحسب ، بل العمل على رفع الاغلال عن اعناق الاقطار العربية الأخرى ، فاذا بهم يرونه ، من بعد الاتفاق مع بريطانيا ، مضطراً لالتزام جانب السياسة في العلاقات التي تزادفت بينه وبينها ، وكذلك في المناسبات التي حدثت بينه وبين حكومات فلسطين . فوقعت الواقعة بينهم وبينه ، وتوترت العلاقات بين سموه ايضاً وبين اللجنة العربية العليا بفلسطين .

ولما تفاقم الخلاف بين سموه وبين اعوانه بالأمس اضطر بخراج بعض رجالات سورية وفلسطين من شرق الاردن ، ثم لجأ الى قوانين وضعت قصد تشديد الاحكام على المعارضين ، مثل قوانين منع الجرائم (١٩٢٧) ، والعقوبات المشتركة (١٩٢٨) والنفي والابعاد (١٩٢٨) . وتقدمها فاثار النفرس في الاوساط القومية ، ليس في شرقي الاردن فحسب ، بل في البلاد العربية الاخرى . على ان سموه شاء ، في نفس الوقت ، ان يتخذ من موقف المعارضة تجاهه حجة لاقناع انكلترا بوجوب مسايرة الأماني القومية ، وايجاد حكومة دستورية مستقلة وفقاً لتصريحات الوزارة البريطانية سنة ١٩٢٢ ، وطبقاً لتصريح المندوب السامي بفلسطين سنة ١٩٢٣ ؛ وقد قصد الى لندن خريف ١٩٢٢ على امل تحقيق هذه الامنية ، ولكنه لم ينل فيها الا التسويف .

وكان الانكليز ارادوا صرف اهل شرق الاردن عن الحجيم في طلب الاستقلال فقدموا مشروع معاهدة . ولما اجمعت البلاد على رفضه اتخذوا من هذا الرفض حجة لهم على اهمال المشروع .

وكان حمو الامير لا يبرح يطالب بالاستقلال معتمداً على الرغبات العامة ، فرأى البريطانيون وجوب مسايرته ، فاعلنوا تصريح ٢٥ مايس ١٩٢٣ ، وفيه بعض التطمين للافكار العامة . ولكن هذا التصريح لم يرق ، على ما يظهر للمندوب السامي بفلسطين ، ولذلك كان يعمل على معارضته . ولما آنس الامير ان ابواب الاتفاق مع الدوشنغ مستريت ، على اساس المطالب الشعبية ، قد سدت في وجهه ، جرب ان يقف موقفاً حازماً ، فوافق على تأليف لجنة منتخبة وضعت قانوناً لانتخاب المجلس النيابي ، كما انه وافق على تأليف لجنة اخرى لوضع القانون الاساسي . فاذا بالامارة تصبح ، بفضل ذلك ، على عتبة الحكم الدستوري . وقد دعيت دار الانتداب من هذا الموقف بقلق حمود ، وبدورت الى مد يدها بالضغط الثاني ، كما عملت على توثيق عرى الارتباط الاداري بين شرق الاردن وفلسطين ، واحكمت ارتباط القوات العسكرية بين البلدين . فلم يسع الامير تحت هذا الضغط الا ان يوجه مكرهاً تنفيذ قانون الانتخاب ، وان يعمل مشروع القانون الاساسي .

اما احرار شرق الاردن فهم يزدهم استئثار السلطة وعنادها الا حرصاً على المطالبة بالحياة الدستورية ، واعتبروا من التباث والتصال الوان ، فهم يسع دار الانتداب ، حيال ذلك ، الا ان تنزل عند طلبهم : فاوعزت للحكومة بأن تؤلف لجنة عهدت اليها باعادة النظر في قانون الانتخاب (١٩٢٦) ، واعدت مشروعاً جديداً للمعاهدة . ولما عرف الشعب فحوى هذا المشروع قامت قيامته ، واعلن استنكاره له على اعتبار انه يتنافى مع امانيه . وما ان عمد الامير الى انتخاب مجلس تشريعي في اواسط (١٩٢٨) قصد التصديق على هذه المعاهدة حتى قاومه طلاب الاستقلال ، ولم يعبأوا بسياسة العنف التي لجأ اليها ، بل تنادوا الى مؤتمر عقد في عمان (تموز ١٩٢٨) ، ووضع ميثاقاً وطنياً على قاعدة الاستقلال والحكم الدستوري ، معلناً ان الانتداب ليس سوى وسيلة لمساعدة فنية فحسب . غير ان الحكومة ادى بها اجتهادها الى المضي في اجراء انتخابات المجلس التشريعي ، وحملت هذا المجلس على تصديق المعاهدة . وبمقتضى هذه المعاهدة (المادة ٣) فان سلطتي التشريع والادارة عائدتان لجلالة ملك انكلترا يزاولهما حمو الامير بواسطة الحكومة الدستورية ! كما ان الامير (المادة ٥) يوافق

على ان يسترشد بنصيحة جلالته بواسطة المندوب السامي ، وبتقييد (بمقتضى نص مواد اخرى) بارادته في سن القوانين ، وانشاء القوات العسكرية .

ولقد قابل احرار شرق الاردن هذه المعاهدة ، ومثلهم القوميون في البلاد العربية الاخرى ، بالتذمر والألم . وانا لنحسب ان الامير نفسه لم يجاري لندن ، ولم يرض بهذه المعاهدة الا مكرهاً ، يؤيد ذلك انه ما فتىء منذ توقيعها ، يشير في كل مناسبة ، الى تأثيرها السيء ، مقترحاً على الحكومة البريطانية تعديلها بما يهدىء من روع الاهلين . ومن اجل ذلك سافر ثانية الى لندن ، حتى اذا استفحل شأن الاضراب في سورية استفاد سموه من هذه الفرصة لاقناع الدوائر المسؤولة بوجوب تعديل المعاهدة . واذا بنا نرى حكومة شرق الاردن تذيع نبأ هذا التعديل . (٢٧ - ١ - ١٩٣٦)

على ان المعاهدة ظلت مع ذلك بعد تعديلها فاقدة على اساس الانتداب ، وهو يحرم البلاد من سيادتها ، فضلا عن انها لم تؤمن لشرق الاردن استقلالها المالي ، ولم تطلق لها حرية التمثيل السياسي ، ولم تقض على عناصر قيمة الامن الداخلي . ولذلك لم تزل عن هذا التعديل الهيئة التنفيذية للمؤتمر الاردني ، ولسائر احرار الاردنيين ، فظل الموقف على ما هو عليه من الحراجة . ولم يتبدل الا حينما تطور موقف لندن من العالم العربي حيال خطر الحرب العالمية الثانية : فقد استطاع سمو الامير ، لهذه المناسبة ، ومن جراء ترجيح لندن لموقفه من ثورة فلسطين ١٩٣٧ ، ان يحصل على تعديل جديد في المعاهدة بمقتضى اتفاق خاص في شهر ايار ١٩٣٩ . ولكن هذا التعديل لم يخرج ، مع ذلك ، المعاهدة عن نطاق الانتداب .

وقد اذاعت الحكومة البريطانية وقتئذ بلاغاً في صدد هذا الاتفاق ختمته بقولها :

« وواضح على ضوء سمو هذه الاتفاقات التي كانت محطة الدوائر الاكبر والمساعدة الانكليزية لحضرة الدولة المنتدبة في المنطقة » .

والواقع ان بريطانيا العظمى قد جعلت من شرق الاردن خلال الحرب العالمية الثانية ، ولا سيما منذ توثرت العلاقات بينها وبين العراق سنة ١٩٤١ ، مركزاً استراتيجياً حربياً ، وعطلت كل سيادة لامارته ، واوغلت مع سموه اتفاقات ثلاثة اشرنا الى جريدة الرسمية لحكومة شرق الاردن وهذا ملخصها :

١ ـ يمكن لبريطانيا الاحتفاظ بقوات مسلحة في شرق الاردن ، وانشاء قوات مسلحة فيها لصيانة السلام والنظام .

٢ ـ يوافق سمو الامير ، بالاصالة عن نفسه ، وبالنيابة عن خلفائه وورثته ، على ان يتبع نصيحة صاحب الجلالة البريطانية حول الوقت الذي يجب فيه اعتبار الحالة الحربية طارئة .

٣ ـ يوافق سموه ، كذلك ، بالاصالة وبالنيابة عن خلفائه وورثته ، على ان يصون ذلك القسم من طريق حيفا ـ بغداد الذي يمر بشرق الاردن .

وليس عجيباً ان تفرض بريطانيا ارادتها باحتلال البلاد عسكرياً . وانما العجيب أن توجب على سموه مثل هذا الاتفاق ، بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن ورثته وخلفائه ، يحمل على الاعتقاد انها كانت تطمع بان يظل احتلالها العسكري قائماً الى الابد .

وبالفعل فقد اتخذت لندن شرق الاردن معسكراً للحملة التي سافتها على العراق برئاسة كلوب باشا (أبي حنيك) قائد جيش شرق الاردن . كما جعلت عمان مقراً للمؤتمرات المتواصلة في سبيل تأييد هذه الحملة والقضاء على حكومة رشيد عالي الكيلاني ، وقد طاردت شرطة عمان كل من اشتبه به انه من مؤيدي الحركة الكيلانية .

العراق

تمكنت الكلترا من اخماد الثورة العراقية التي نشبت صيف ١٩٢٠ ، ولكنها ، مع ذلك ، لم تستسلم للعاطفة ، بل اتخذت من هذه الثورة عظة وذكرى وفيما كان مجلس العموم البريطاني يحمل على الكلترة ما تنفقه في سبيل تأييد الحكم بالعراق شرعت هي تصغي الى النصائح التي ما زال بعض ساسة بريطانيا يدلون بها ، وتناهض بضرورة مراعاة شعور العراقيين الاستقلالي .

وبالفعل فقد عهد المندوب السامي السير برسي كوكس ، عملاً باحكام مؤتمر السلم ، الى تأليف حكومة وطنية عهد برئاستها الى السيد عبدالرحمن النقيب كبير الاسرة الكيلانية ببغداد ، على ان يقوم الى جانبها مجلس للشورى . ولما شعرت لندن بان العراقيين لم يرتاحوا لهذه الحكومة التي تحكم باسم المندوب السامي ، وينصرف مشيروها المستشارون ، عطفت على فكرة انشاء مملكة عراقية ، واستعرضت اسماء شخصيات عدة كمرشحين لرئاستها ، وكان بينهم اسم الامير فيصل ملك سورية سابقاً النازل في اوروبا . ولما استقر رأي حكومة جلالة الملك على تحقيق هذه الفكرة اوفد الامير فيصلاً نقيباً فتوجه الى العراق ، وما كادت قدماه تطآن ارض بغداد حتى دعاه مجلس الشورى بالاقتراع السري (١١ تموز ١٩٢١) بالموافقة على اقتراح السيد عبد الرحمن النقيب المتضمن مبايعة الامير فيصل بالملك على عرش العراق . ولما جرى الاقتراع على ذلك نال فيصل ٩٧ بالمئة من الاصوات ، فبويع ملكاً على العراق (٢٣ آب ١٩٢١) .

وكان الامير فيصل قد اقترح قبل اعتلائه العرش، وخلال مفاوضات لندن، ان يصاغ الانتداب على شكل اتفاق، واخذ وعداً من المستر تشرشل بتحقيق هذا الاقتراح. واستناداً الى هذا الوعد استأنف ملك العراق المفاوضة مع البريطانيين، واسفرت مساعيه عن عقد المعاهدة الاولى في ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢. وقد اعلن رسمياً بعد عقدها انها الخطوة الاولى لاجل الغاء الانتداب. وجلت القوات البريطانية عن العراق في غرة تشرين الاول ١٩٢٢، ما عدا قوة الطيران، والتي الجيش العراقي.

ولكن العراقيين لم يرتاحوا مع ذلك لمعاهدة تقوم على اساس الانتداب، وتقضي عليهم بالاشتراك على قبول الارشاد والاحتلال العسكري، وتسنمهم عشرين سنة اخرى لنيل الاستقلال، فثابروا اثرها على عقد المعاهدة وتحول المجلس التأسيسي الى بركان عند عرضها عليه (١٩٢٤)، ولكن المعاهدة خرجت، مع ذلك، مذللة بصادقته.

ولا بدع فقد كانت تحيط بالمجلس حين عرض المعاهدة عليه القوة العسكرية، وتغمره بنبذيات المفوض السامي ووعيده بواسطة المعتمد الحكم المباشر اذا لم يصادق المجلس على المعاهدة، فما كان بوسع المجلس الا ان يعترف بالامر الواقع.

غير ان لندن ارادت ان تتدارك النفور العام فوقعت في العام الثاني من عقد هذه المعاهدة، اي في سنة ١٩٢٣، بروتوكولاً عدلت مدتها فجعلها تنتهي بدخول العراق عضواً في جمعية الامم، على ان لا تتجاوز هذه المدة اربع سنين من تاريخ عقد الصلح مع تركيا. وفضلاً عن ذلك فانها جربت ان تجعل مندوبيها في العراق يظهرون بمظهر خفيف الظل، فكانوا يسلكون في الوظائف الموكولة اليهم مسلك المرؤوسين.

والواقع ان نفوذ الانكليز ظل يتجلى على رغم هذا المسلك، في حمل الغير على الانقياد لهم. وكان المجلس التأسيسي قد صادق ايضاً على القانون الاساسي، وقانون انتخاب مجلس الامة. وفي ١٦ تموز ١٩٢٥ عقد مجلس الامة جلسته الاولى وافتتحها جلالة الملك فيصل الاول.

ثم عرضت قضية الموصل، فاغتنم البريطانيون فرصة انعقاد مؤتمر انقرة، ومطالبة تركيا لهم بهذا الجزء من العراق، فحمل البريطانيون بغداد على ابرام المعاهدة الثانية (حزيران ١٩٢٦)، وبها تمدد اجل المعاهدة الاولى الى خمس وعشرين

سنة واعترف العراق بالانتداب صراحة ، واستكمال لانشاء ادارات ممتازة في بعض مناطقه الشمالية تحكم تحت اشراف المندوب السامي المباشر .

والواقع ان هذه المعاهدة ، التي عقدت تحت ضغط الخطر التركي ، كانت رجعة الى الوراء ، فكان من الطبيعي ان يتجلى الم العراقيين منها ، ولا سيما بعد ان تم ابرام معاهدة انقرة التي ايدت حق العراق بالموصل ، وزال الخوف على هذا الجزء العراقي المهدد .

ولما كان بروتوكول تيمان ١٩٢٣ ، الذي اشرنا اليه ، حدد مدة انتهاء المعاهدة الاولى بدخول العراق عضواً في جمعية الامم على ان لا تتجاوز هذه المدة اربع سنين ابتداء من توقيع ابرام الصلح مع تركيا ، وبما ان معاهدة لوزان عقدت سنة ١٩٢٤ ، اصبحت تلك المعاهدة العراقية ـ الانكليزية تنتهي في عام ١٩٢٨ . فسافر الملك فيصل الى لندن ، آب ١٩٢٧ ، للمفاوضة بشأن الاعتراف باستقلال العراق ، وادخاله في جمعية الامم ، وتحديد المصالح البريطانية فيه . وانضم اليه جعفر باشا العسكري رئيس الوزارة العراقية وقتئذ . وقد اعترضت الفريقين المتفاوضين صعوبات كانت وليدة اختلاف وجهتي النظر بينهما ادت الى انقطاع المفاوضات . وغادر جعفر باشا عاصمة انكلترا ، ولكنه ما ان وصل الى الاسكندرية حتى فقل عائداً الى بريطانيا بناء على الامر الوارد اليه من جلالة ملك العراق . واستؤنفت المفاوضات في ٢ كانون الاول ١٩٢٧ . وربما كان لاقتحام الوهابيين الحدود العراقية الاثر الشديد في تراجع المفاوض العراقي عن موقف التصلب ، وانتهت هذه المفاوضات بالتوقيع على المعاهدة الثالثة في ١١ كانون الاول ١٩٢٧ .

وما ان ذاع فحوى هذه المعاهدة في العراق حتى عم الاستياء كلا من الحكومة والشعب . وكيف لا والعراقيون ، الذين كانوا ينتظرون بفارغ صبر حلول عام ١٩٢٨ لبلوغ الاستقلال استناداً الى البروتوكول المذكور ، وللاشتراك في عصبة الامم ، رأوا في المعاهدة الجديدة استعماراً جديداً . وزاد في نقمتهم العامة تلك البنود المالية والعسكرية التي عرضتها انكلترا كتتمة للمعاهدة ، والتي من شأنها توثيق عرى الانتداب .

وازاء السخط العام ، واختلاف رأي الاحزاب المشتركة ، في الوزارة بصدد هذه المعاهدة ، استقالت وزارة جعفر باشا (١٨/١/٢٨) ، وخلفتها وزارة عبد المحسن بك السعدون التي حلت المجلس النيابي ، وعملت على انتخاب مجلس من

انصارها . ولكنها مع ذلك ، ورغم ان المجلس هو صنع يدها ، فقد تهيبته وارجأت عرض المعاهدة عليه وبقيت تنتهي المفاوضات على مستقبلها الثاني والعسكري . ولم يكن موسع الوزارة السعدونية الا الثأر بالشعور العام ، كما ان المجلس قبلها ، هو تساهل في المفاوضات التي جرت بشأن هذين الملحقين . وكما ان المفاوض الانكليزي لم يتراجع عن تصلبه ، فاصطرت الوزارة الى الاستقالة ، ٢٠ / ١ / ١٩٢٩ . وحلف السعدون في رئاسة الوزارة توفيق بك السويدي ، وصادف ان تعين وفتئذ مفوضاً سامياً في العراق السر جلبرت كلايتن ، فتوقعت الساسة بديلاً محسوساً من جراه وجوده . ورأت الوزارة الجديدة ان تتحول الى طريقة بستصلح بها الرأي لحكم المعاهدات بواسطة دخول العراق في عصبة الامم . واغرب السر كلايتن عن استعداده لتأييد الحكومة في هذا المسعى . وفعلا فقد شرع المفوض السامي المشار اليه يلح على وزارة النهال ، منذ تبوأت الحكم المرة الاولى ، في ارسال الخطاب فوراً عاجل فيما يتعلق بالاقتراحات العراقية . ومنا لوحظ ان الاوساط السياسية اوشكت ان تعمل بعهد الى عبدالمحسن بك السعدون بتأليف وزارة جديدة اشترك فيها حزب يرأسه ياسين باشا الهاشمي المعارض . وتألفت لجنة وزارية فوافق هذان الوزيران وناجي باشا السويدي المدعوة . ومع ذلك فقد اعترضت المفاوضات عقبات كأداء وتصلب من الفريقين مما حمل رئيس الوزارة العراقية على اليأس والانتحار .

ورغم ان خلفه ناجي باشا السويدي معروف باعتداله فقد كان شديد الثأر بالرأي العام فم يقدر له الوصول الى حل .

وما ان استلم الحكم نوري باشا السعيد (٢٣/٣/١٩٣٠) حتى اتى بما لم تستطعه الاوائل : فاقدم على توقيع معاهدة جديدة في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ . وعمد الى حل المجلس النيابي وانتخاب مجلس آخر من انصاره ، ثم لم يلبث ان صادق على هذه المعاهدة غير عابىء بالانتقادات الحادة التي كانت توجه اليه .

وفي الواقع فان المعاهدة ، وان احتفظت نحياً بالسيادة الانكليزية ، فيما عدا الشؤون الاقتصادية والتجارية ، الا انها جاءت مليئة بالتظاهر بمراعاة شعور العراقيين : فهي قد اعترفت باستقلال العراق ، ووعدت ببذل المساعدة لادخاله في عصبة الامم ، فضلا عن انها حلت بعض القضايا الاقتصادية والمالية .

وكأن الانكليز ارادوا ان يصرفوا الرأي العام العراقي عن دعايات المعارضين

الشديدة ضد المعاهدة ، فعملوا على اقناعهم بالثورات : ولم تكد الحكومة السعيدية تقضي على ثورة اكراد السليمانية في مهدها حتى برز للميدان الشيخ محمود الزعيم الكردي ، وبلغ من جرأته انه دخل العراق على رأس قوة مسلحة . وقدم طلباً ان المندوب السامي الانكليزي يكرر فيه نغمة انشاء حكومة كردية في كردستان تحت الانتداب الانكليزي . ولكن القوات العراقية انقضت عليه ، والجأته الى الاستسلام يوم ١٣ مايس ١٩٣١ .

ولعل جلالة الملك فيصل كان قد اطمأن الى ان العراق قطع بهذه المعاهدة العقبات الكأداء التي كانت في طريقه الى الاستقلال ، فتحول الى الخلف العربي يسعى لتحقيقه ، والى الاتصال بالدول المجاورة لتفاهم معها على حسن الجوار . فاذا بوفد عراقي يستقل طائرة برئاسة فخامة رئيس الوزارة متجهاً الى الاقطار العربية ، فيوقع اولاً على معاهدة صداقة وتعاون عراقية - اردنية (٢٩ آذار ١٩٣١) ، ثم يعززها بالتوقيع على معاهدة اخرى مع المملكة السعودية (٧ نيسان ١٩٣١) تنص على الصداقة وحسن الجوار .

ولما أراد الوفد مغادرة مكة انقسم هناك الى شطرين ، فقصد احدهما الى القاهرة حيث وقع على معاهدة بشأن تسليم المجرمين (٢٠ نيسان ١٩٣١) ، وأم الآخر صنعاء فوقع على معاهدة صداقة وولاء بين العراق واليمن .

وجاء دور جلالته فلبى دعوة رئيس جمهورية تركيا في تموز ١٩٣١ ، واكتسب فرصة وجوده في انقرة لاجراء المفاوضات في الشؤون التجارية وحسن الجوار . ثم واصل الرحلة الى ڤينا وفرسا . كما انه اجاب دعوة شاه ايران في السنة التالية وبحث في طهران الشؤون المتعلقة بين المملكتين .

وانتهى عهد الانتداب البريطاني يوم ٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٢ وذلك بدخول العراق عضواً في عصبة الامم . فبلغت مدة الانتداب فيه اثنتي عشرة سنة ، ابتداء من ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٠ ، تعاقب خلالها اربع عشرة وزارة في بغداد .

الفصل السادس

عصر الاستقلال في بلاد العرب

منطقة الهلال الخصيب

تجتاز الامم في طريق الحياة مراحل عدة ، ينحو بعضها صعداً نحو العلاء ، كما ينحدر بعضها الآخر شطر الهبوط . وهكذا كان شأن العالم العربي : فقد مرّ في تطوره بمراحل شتى ، وانحط بعد العلاء ، وقد وقف عهد انحطاطه ابان نهوض الغرب ، واختمار التمدن الحديث .

ثم دالت الأيام فاذا بالعرب يستيقظون ، واذا بهم ، وقد قوي الوعي القومي العالمي ، يتذكرون امجادهم وقوميتهم التي هي من المفاخر ما يجعلها في مستوى اسمى القوميات .

وقد انعقدت هذه التذكريات التاريخية على اماني ما لبثت ان خرجت خلال الحرب العالمية الاولى ، من حيز التفكير الى حيز العمل . وما انتهت الحرب حتى كان جلالة الملك حسين (شريف مكة) يشترك في مؤتمر السلام العالمي ، ويجلس ممثلوه باسم الامة العربية الى جانب مندوبي العالم لحل مشاكله ، ثم يحتلون ايضا مقاعدهم في عصبة الامم ، ولم يغادر مندوبوه هذه العصبة ، وذلك سنة ١٩٣٢ ، إلا احتجاجاً على حلفائه الذين نكثوا بعهودهم للامة العربية ، تلك العهود الرنانة التي قطعوها لها اثناء اشتعال نيران الحرب . على ان البلاد العربية ، التي منيت بعد الحرب بالنجزئة ، ومنيت بخيبات والانتدابات ، لم تيأس ، بل ظلت تناضل عن قوميتها ، وتجاهد في سبيل استقلالها حتى انجلى الموقف عن اعلان استقلال الواحدة منها تلو الواحدة . وهذا الفصل يتم بالخطوط الكبرى لتاريخ الدول العربية التي اتيح لها الاستقلال ، وذلك في المنطقة المعروفة بالهلال الخصيب ، وبمجمل احداث فلسطين بعد الانتداب ، واما بقية الدول العربية المستقلة فسيأتي الكلام عليها في الفصل التالي .

مملكة العراق

١ – العراق قبل الحرب العالمية الثانية : دخل العراق عضواً في عصبة الامم يوم ٣ تشرين الاول ١٩٣٢ ، فكان هذا الحدث بداية بداية عهد الاستقلال . وبمقتضى قانونه الاساسي الذي ينص على ان العراق دولة ذات سيادة حرة ، وحكومة ملكية وراثية نيابية ، اخذت حكومات العراق المتتالية تمارس تدريجاً الحكم المستقل ضمن نطاق معاهدة ١٩٣٠ مع بريطانيا العظمى . فألغيت الامتيازات الاجنبية ، ما عدا الاحوال الشخصية التي حددت بقانون خاص ، وبات الاجانب يخضعون لنظام قضائي يتساوون فيه مع سكان البلاد الوطنيين . كما ان حكومات بغداد شعرت بالتبعات تلقى عليها من بعد ، على عواتقها ، فازدادت اهتماماً بالاصلاح العام ، وخصوصاً في ناحية التربية والتعليم ، وتوجيهها وجهة قومية ، وفي ناحية مشاريع الري . ومع ان وزارة الدفاع كانت تستعين ببعثة عسكرية انجليزية للمشورة ، فقد سنت في أوائل سنة ١٩٣٤ قانوناً للخدمة العسكرية الاجبارية . هذا فضلاً عن اهتمام حكومات العراق ، منذ عهد الاستقلال ، اهتماماً فائقاً بالعروبة ، وبالعمل على التقريب بين الحكومات العربية بالمعاهدات والاتفاقات .

واما الاحداث الداخلية في العراق فتتلخص فيما يلي :

ودعت وزارة نوري باشا السعيد الحكم في ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩٣٢ على اعتبار ان مهمتها انتهت بدخول العراق في عهد جديد ، فانتدب جلالة الملك فيصل الاول السيد ناجي شوكة لتأليف الوزارة الاولى في هذا العهد .

وكان العراقيون غير قانعين بمعاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ ، ومستخفين بذلك الاستقلال الذي قام على أساسها ، ولم تستطع الوزارة ان تصد المعارضة . فخلفتها وزارة السيد رشيد عالي الكيلاني (٢٠ آذار ١٩٣٣) واعلنت في منهاجها الوزاري انها تسعى لتعديل المعاهدة . وأراد جلالة الملك ان يستمزج رأي السفير البريطاني بما ورد في المنهاج الوزاري قبل الموافقة على نشره فاعتزى السفير هزة ، وقال : « ليس من الصحيح ان توجه الانظار الى امثال هذه الاوهام ... ! » وآلم هذا الجواب الوزارة ، ولولا اصرار الملك لرفضت البقاء في الحكم .

على ان حكومة بغداد ، وقد شعرت بغايات الرأي العام وثقته على هذا

الاستقلال المنقوص ، شنت الاستقامة بمجلات تبدأ الافكار ، فكان وجهت دعوة الى الحكومة العراقية للاشتراك في المؤتمر الاقتصادي الدولي الذي عقد في لندن ١٩٣٣ ، كذلك وجه جلالة الملك جورج الخامس دعوة الى جلالة الملك فيصل لزيارة بريطانيا العظمى زيارة رسمية لمناسبة دخول العراق عضوا في عصبة الامم . ولما بلغ جلالته لندن ، ٢٠ حزيران ١٩٣٢) استقبل استقبالا منقطع النظير ، وقابلت له الحفلات الفخمة التي اقيمت في منزله في سفارة الدولة .

ولكن الدبلوماسية البريطانية ، لم تكتف بهذه المجاملات في مواجهة الرأي العام العراقي التائر ، بل لجأت الى وسائل اخرى ، واذا جلالة ملك العراق الذي غادر لندن مسرورا من زيارته بهذا الجو في ودّ ، الصيف الذي اعتاد قضاءه في سويسرا الاستشفاء) باياه فئة التياترين (١) ، وما تخابرت من الحكومة البريطانية الموالية على موقف العراق الشديد ازاء التأويل ، واذا بجلالته يصطدم بانتقادات الصحف العالمية المرة الموجهة للعراق على اثر استعراضه القوة في سبيل اخماد الثورة .

وكان الباعث على مذمة التياترين انهم اعزوا الى عصبة الامم عن علاقهم بالانتداب الانكليزي مذ جرى بحث استقلال العراق ، ولما ردت العصبة احتجاجهم بمقتضى قرار (١٤ - ١٢ - ١٩٣٢) مكتفية بالتوصية في امكان من لا ارض له منهم فاموا بفتنة قابلتها الحكومة بشدة ، وقد اثرت هذه المؤامرة على صحة الملك فيصل ، خصوصاً وان الحكومة البريطانية عمدت الى حمله على انتقاد موقف حكومته ازاء التياترين ، غير انه تأكد لديها ان بغداد مضية في سبيل تشييع جماع التائرين تحولت لاقناع جلالته بان يعود الى عاصمته لمعاودة الامر بشخصه . وقد فعل ، ولكنه ما كاد يبلغ دار السلام (٥ آب ١٩٣٢) حتى كان كل عصيان قد اصبح في خبر كان .

غير ان هذه الاحداث المؤلمة ، وما جرته من الخواتي ، لم تمض بسلام ، في الحقيقة ، بل افضت مضجع جلالته حتى ذهبت بحياته . اجل فان هذه الاحداث

---

(١) التياترون هم اكثر من بقية الآشوريين ، وكانوا من رعية السلطنة العثمانية فقدروا بها اثناء الحرب العالمية الاولى مضمين الى الجيش البريطاني في حملته على العراق ، ولما دخلت العراق في حظيرة نفوذ بريطانيا تولوا في الموصل ، فكانت نزعة وكانوا اعداء لـ . اشتركوا معها في محاربة الثورة العراقية ، ثم حاولوا معارضة استقلال العراق .

قد اثرت في جسم جلالته النحيل عناصر المرض فخلف الى يزن للاستشفاء والاستجمام ، وتوفي هناك ليلة ٨ ايلول ١٩٣٣ .

وبادر العراق لمبايعة وحيده بسم غازي الاول ، وذلك في نفس اليوم الذي مات فيه ابوه . وكان البريطانيون يتوقعون تبدلا في السياسة الخارجية بعد وفاة الملك فيصل . ولكن وزارة رشيد عالي بك الكيلاني اعلنت في بيانها الوزاري انها ستتابع نفس السياسة التي كانت عهد الملك الراحل . غير ان هذه الوزارة لم تلبث ان رفعت استقالتها في ٢٨ - ١٠ - ١٩٣٣ لان جلالته ابى عليها حل المجلس النيابي ، وخلفتها وزارة رأسها السيد جميل المدفعي . وخلال ذلك اوعز المجلس النيابي (٢١ نيسان ١٩٣٤) لائحة قانون الاموال العمرانية الرئيسية ، وهي تنص على ارصاد ثلاثة ملايين وتسعمائة وسبعة وثلاثين الف دينار تنفق على اقامة سد في الحبانية ، وآخر في كوت العمارة لاحياء اراضي العراق ، ولاقامة جسرين على نهر دجلة ، فضلا عن مشاريع اخرى ثانوية .

والواقع ان العراق شرع يعتقد فيضا الاول كلما مر يوم على وفاته ، فقد ساءت احوال الادارات العامة من بعده ، وكثرت الشكاوى في الالوية من بعض الموظفين ، وتردد صداها في البرلمان . ولم تستطع وزارة جميل بك المدفعي ، ولا وزارة السيد علي جودت الايوبي ، التي خلفتها (٢٧ آب ١٩٣٤) ، ان تقمعا روح التمرد على النظام الذي استفحل امره .

وكانت وزارة الايوبي قد استصدرت ارادة ملكية بحل المجلس النيابي ، وعملت على انتخاب مجلس آخر يؤيدها ، ولكن اتباعها استاليب حزبية اثناء الانتخابات كان باعثاً على تقوية المعارضة ، وقيام ثورات لاحقة . وان الوزارة الايوبية ، وان امنت جانب المجلس النيابي الجديد ، وهو صنيعها ، الا انها اصطدمت بمجلس الاعيان الذي شرع يتولى زمام المعارضة ، واثار اليه رؤساء القبائل المسلحة الذين عارضتهم الحكومة اثناء الانتخابات ، ولم يكن لهم حظ في النيابة . فكان نضال بين مجلس الاعيان ، ومن ورائه هؤلاء الرؤساء ، وبين الحكومة ومن ورائها قبائل اخرى ، نضال تفاقم شره تحت ستار الدفاع عن الدستور حتى كاد يؤدي الى الالتحام ، واراقة الدماء .

ولم يوفق السيد جميل المدفعي الذي خلف السيد الايوبي في رئاسة الوزارة (٢٣ شباط ١٩٣٥) في اقناع المعارضة للاشتراك في وزارته ، وخصوصاً

العناصر التي كانت موضع ثقة القبائل . ولما استأنفت هذه القبائل السعي لاسقاط الوزارة بالقوة ، وعلى رأسها الشيخ عبد الواحد سكر في لواء الديوانية ، وزحف الجيش لتأديبها معززاً بالقبائل الموالية خف جلالة الملك غازي واعلن رغبته في حقن الدماء ، فاستقالت الوزارة .

ورغم أن السيد ياسين الهاشمي الذي الف الوزارة التالية (١٧ آذار ١٩٣٥) بادر الى استعطاف المعارضين بحل المجلس النيابي مدار نقمتهم ، وقسام بانتخاب مجلس آخر على اساس حرية الانتخاب ، فضلاً عن انه حلّ حزب الحكومة بغية اظهاره حيادها ، ورغم كل ذلك ، كان عهده حافلاً بالقلق ، في شمال العراق وجنوبه ، ولا سيما في الفرات الاوسط . وذلك للاسباب التالية :

١ ـ دسائس المعارضة على الوزارة الهاشمية لصوغ غيرها .
٢ ـ سوء الادارة من قبل الموظفين في بعض الالوية .
٣ ـ اضطهاد الوزارة في تطبيق قانون التجنيد ، غير مبالية بالعراقيل التي كان يضعها خصومها في هذا السبيل .

هذا الى ان الوزارة الهاشمية كانت قد اخذت تحصد الاشواك التي القى بذورها حزب الاخاء الوطني المنسوب لرئيسها . فهو قد استعان بالقبائل من اجل معارضة وزارة السيد ياسين الاولى والمدفعي ، ولما استدت الوزارة للهاشمي نفخ المعارضون في نفس البوق ، فكانت مؤامرة المعارضة مع الجيش برئاسة الفريق بكر صدقي بما ادى الى استقالة الوزارة الهاشمية لتخلي مكانها الى زعيم المؤامرة السيد حكمت سليمان (٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦) .

على أن هذه الحقبة وان مليئة بفوضى السياسة إلا انها لم تخل من آثار محمودة في النواحي الاصلاحية . فيذكر لحكومة دولة الايوبي مسعاها وزارة المعارف لمخصصات اضافية لفتح ٨٢ مدرسة اولية جديدة ، علاوة على التخصيصات في ميزانية عام ١٩٣٤ ، وكذلك موافقتها على تنفيذ مشروعي جدول الاسحاقي وجدول الخويجة ، وهما من الاعمال المهمة في الري . اما مآثر وزارة دولة الهاشمي فأهمها :

١ ـ الاتفاق مع ايران على سعت العراق شكرية التي قبلتها وزارة الايوبي ان بعثة الامم على ان يقبل الخلاف بينها مباشرة . ٢ ـ عقد معاهدة اخوة وتحالف بين العراق والمملكة السعودية وعقد مفاوضات مع حكومة اليمن التي انضمت الى هذه المعاهدة سنة ١٩٣٧ . ٣ ـ التوقيع على معاهدة تجارية بين ايران والعراق تساعد على اساس معاملة اكثر الامم حظوة . ٤ ـ استقلال جزر المحمرة التي كانت محكومة بريطانية في المكث الحديدية الى العراق الغاء ارضاة الف جنيه استرليني . ٥ ـ المباشرة بفتح ترعة الخويجة قصد تسهيل جريان الري من مياه الزاب الاسفل .

٦ ـ تأسيس المصرف الزراعي الصناعي لتسليف الزراع واصحاب الحاصل . ٧ ـ زيادة المخصصات للمصارف سنة فسنة منذ عهد الاستقلال . فقد كانت لعام ١٩٣٦ ـ ٣٧ تبلغ ٢٨٨٠٧٢٥ ديناراً اي بنسبة ٧،٩٩ في المئة من الميزانية . وتزايدت على مر السنين حتى بلغت عام ١٩٤٦ ـ ٤٧ ٤٩٠٠٨٥٦ ديناراً ، اي بنسبة ١٠،٢٧ في المئة من الميزانية .

هذا وكان جعفر باشا العسكري قد قاد النساء المؤامرة على وزارة الهاشمي وخيف الفتك بسائر اركان الوزارة المتعاقبة ، فبادر السفير البريطاني الى تقديم مذكرة الى الحكومة العراقية يلقي عليها تبعة اي اعتداء يقع على الزعماء المذكورين وكما ان الحكومة بدأت فاتهمت من بعد المتورطين بالمؤامرة العراق . وربما كان الفريق بكر صدقي احرص من غيره على الخلاص من الهاشمي وسائر المعارضين فبدأ اغتيالهم كان يضمرها ، الا وهي الاستئثار بالحكم أسوة بمصطفى كمال وهتلر وغيرهما من الدكتاتوريين المعاصرين . على ان هذه الحكومة وان أعلنت انها ستتبع سنة فيصل في سياستها الخارجية ، ممسكة بمبادئ العروبة ، واورجت عن الصحف المعطلة ، وسمحت بدخول الكتب الممنوعة ومنها كتابي « الانتداب في العراق وسورية » ورغم انها اعتمدت على الاذاعة في الصحف العراقية وغيرها واعتمدت على الشباب ، الا ان الظنون ظلت تحوم حول شعوبيتها . على ان الفريق بكر صدقي وجماعته وان فاتهم الايقاع بالهاشمي والكيلاني والسعيد ورفاقهم الذين غادروا العراق الا انهم لم يوفروا بعض أنصاره ، فتآمروا على قتلهم ، واقصوا بعضاً آخر عن الوظائف ليضعوا فيها انصارهم .

والواقع ان ياسين باشا الهاشمي لم يسلم من اذاهم ايضاً . فقد اصيب من جراء هذه النكبات بنوبة قلبية لم تمهله غير لحظات ، وتوفي في بيروت يوم ٢١ كانون الثاني ١٩٣٧ .

على ان نجم هذه الوزارة بدأ يأفل منذ اوائل صيف ١٩٣٧ . فقد كانت الدعوة للتجنيد العام وسيلة هيجت حفيظة رؤساء القبائل المعارضين . وهم على أشد النقمة عليها لشعورها بالحماية وملاءمة الرؤساء الآخرين المناصرين لها . ومد اقلقت الحكومة القبض على بعضهم الا وانتشبت الثورة في السنوة بلواء الديوانية .

وبدأت المعركة تتنفس الصعداء ، على اثر ذلك ، فدعا السيد جميل المدفعي يقوم في مجلس الاعيان يوم ٢٦ حزيران ١٩٣٧ وينتقد بشدة تدخل الجيش في السياسة وهيمنته على الشؤون العامة . ثم لم يمض الا القليل حتى كان احد الجنود يتقض على الفريق بكر صدقي في ميدان الطيران بالموصل فيرديه (١١ آب ١٩٣٧) ؛

ثم يذيع السيد محمد امين العمري بياناً يعلن فيه انه قطع علاقته ببغداد ، وتولى السلطة في الموصل مستقلا مؤيداً من حكومتها .

اما السيد حكمت سليمان فقد يئس من إثناء العمري عن عزمه فرق الى السيد جميل المدفعي في دمشق يدعوه الحضور الى بغداد ، وكان يحاول ان يدعم وزارته به ، ولكنه لم يرد بغداً من الاستقالة والتخلي له عن المنصب . وهذه أهم الاحداث الخارجية التي حدثت في وزارته :

١ ـ انضمام العراق الى عصبة الامم وتوقيعه الانضمام الى قاعدة الدولة السعودية ، وقد وقع الانضمام نجي هذه العصبة يوم (١٧ صفر ١٣٥٦ ـ ٢٩ نيسان ١٩٣٧) ٢ ـ تعديد قاعدة المرافئ التركية ٣ ـ معاهدة حسن جوار بين العراق وسوريه ٤ ـ معاهدة صداقه بين العراق وايران ٥ ـ توقيع على ميثاق سعد آباد بين تركية وايران والعراق يوم ٨ تموز ١٩٣٧ ، وقد صدق مجلس الامة هذه المعاهدة بتاريخ كانون الاول ١٩٣٨ كما تقدم .

وتألف السيد جميل المدفعي يوم ١٧ آب ١٩٣٧ الوزارة وحضر جيش الموصل بالطيور ، واعلن عائده العام السيد العمري رجوع الحالة الى طبيعتها ، كما ان حكومة بغداد أصدرت قانوناً بالعفو عن جميع الاشخاص الذين اشتركوا الفريق بكر صدقي على اعتبار ان الدافع هو ايثار المصلحة العامة .

وظهر في المجلس النيابي الجديد تكتل الوحدة العربيـــة ، وعطف الحكومة والشعب على قضية فلسطين ، ولكن مرض ما الحوادث جلسات هذا المجلس منذ آذار ١٩٣٨ بسبب الاشكالات الداخلية ، وموقف الحكومة من الشيوعية ، ثم بسبب الشكاوى قضية مشروع بكر صدقي بك خلال الصيف ، واثارة الجدل حول معرفة المسؤول عن مشروعه ، ولكن حكومة دولة المدفعي مضت مع ذلك في تحقيق برنامج الاصلاحي ووضعت مشروع الخمس سنوات لانشاء الطرق والجسور والمواصلات البريـــدية والتلغرافية والموقية ، وذلك بدفق ثلاثة ملايين و٢٥٠ الف دينار . ومنها ستة ملايين استوفى من شركة النفط العراقية ، كما انها اوفدت ستة وسبعين طالباً الى الجامعات الاوروبية .

وفي تشرين الثاني الف الوزارة للمرة الرابعة السيد جميل المدفعي ، وكانت باكورة اعماله انشاء لجنة لدرس مشروع تأسيس مصرف وطني . غير ان المعارضة نقاوم امرها في المهد حتى انها صرفت الحكومة عن كل شيء آخر ، ولم يرالسيد المدفعي من جراء ذلك بداً من التجوء الى الشدة فابعد ستة وجاهه عن بغداد الى خارجها ، بينما ظل هو يذيع سياسة حسن الرأي العام على تسيان الانقلابات التي توالت . وعاد

نوري باشا السعيد الى وطنه ، ورجع ايضا السيد مولود مخلص ، وانتخب رئيسا لمجلس النواب . وفي غرة كانون الاول جرت الانتخابات النيابية ، فاحرزت فيها الحكومة الاكثرية الساحقة ، وتوج المجلس اعماله بقرار قضى بان تراقب الكتب التي تقرر بالقومية مراقبة شديدة . ولما سقطت حكومة المدفعي وتولى نوري باشا السعيد تأليف الوزارة احتفظ لنفسه بوزارة الخارجية ، بينما خصوم جميل بك المدفعي الحزب فرفع بعض النواب تقريرا مؤرخا في ٢٢ شباط ١٩٣٩ الى رئاسة المجلس يتهمون بسببه رئيس الوزارة السابق وحكومته تهما كثيرة . فاصدر جلالة الملك الامر على هذه الشكايات بمرسوم ملكي صدر في ٢٥ من الشهر المذكور يقضي بحل مجلس النواب . واحتفل في ذلك اليوم بوصول اول قطار من حلب الى الموصل .

على ان وزارة دولة السعيد اصبحت ، من بعد ، هدف المعارضين ، واذا بمؤامرة عليها تظهر بين بعض شيوخ القبائل من طريق الاتصال بضباط الجيش . فقضت عليها الحكومة بحزم وشدة ، وساقت الى المحكمة العسكرية مدبريها ، وفي طليعتهم السيد حكمت سليمان والكولونيل صالح حاتم . وبعد مضي يومين من الاحتفال بتدشين سدة الكوت المعروفة باسم مشروع الفرات الاعلى (١٩٣٩/٣/٢٦) ان الحكومة الجديدة التي الفها ايضا نوري باشا السعيد قررت اذاعة منهاجها الوزاري بالتذرع لعدم وجود مجلس نيابي . وقد تطرق المنهاج الى الحلف العربي والتزام الحكومة تحقيقه ، والعمل على استقلال البلاد العربية المجاورة . ثم جرت انتخابات المجلس النيابي وعرفت نتائجها في ٨ حزيران ١٩٣٩ . وهذا الحزب الاتحاد الوطني يحتل اكثر مقاعده ، وذلك باكثرية كبيرة .

. . . . .

٢ - العراق خلال الحرب العالمية الثانية : كان نوري باشا السعيد عند اشتعال هذه الحرب رئيسا للوزارة ، ووزيرا للخارجية فاستصدر في ٥ ايلول ١٩٣٩ قرارا من مجلس الوزراء يقضي بقطع العلاقات السياسية مع المانيا . ثم لما دخلت ايطاليا الحرب كانت رئاسة الوزارة قد صارت لرشيد عالي باشا الكيلاني ، وكان نوري باشا يتولى وزارة الخارجية ، وفي ١٠ حزيران ١٩٤٠ زار سفير انكلترا نوري باشا وابلغه اعتمادا على بحث سابق ، ان لندن تتوقع من العراق قطع علاقاته مع ايطاليا . ولما علم السفير بان مجلس الوزراء قرر التريث سارع لمقابلة سمو الوصي على العرش

شاكياً، وابلغه ان حكومة جلالة الملك الكسندر غير واثقة من دولة الكيلاني. ولكن رئيس الوزراء ابى ان يستقيل مما ادى الى اشتداد النزاع بينه وبين سمو الوصي ، ثم انتهى بالاستقالة في ٣٠ / ١ / ١٩٤١ وقيام وزارة الفريق طه باشك الهاشمي ، على ان السيد الكيلاني تمكن ، وهو خارج الحكم ، من اكتساب الجيش ، فاعاده هذا بعد شهرين تقريباً الى الرئاسة بالقوة ، باسم حكومة الدفاع الوطني ؛ وكانت باكورة عمله ان استأنف العلاقات بين العراق والمانيا .

ورأت بريطانيا العظمى ، فداركاً للخطر ، ان تقوم بامر حاسم فسافت بعض الفرق الى العراق . ورأى رئيس الوزراء بدوره ان احتلال قوات بريطانياً بعض اجزاء العراق لاينفق مع المعاهدة فاعلن الحرب عليها في ٢ ايار ١٩٤١ . وسرعان ما حاصر الجيش العراقي مطار الحبانية ، واحتل الرطبة ، وهاجم القوة البريطانية في البصرة . غير ان اعتماده على نجدات المانية كاملة لم يتحقق ، ولذلك لم يستطع ان يصمد للقوى الانكليزية اكثر من شهر واحد . وفي ٣٠ ايار غادر السيد الكيلاني ووزارته وفؤاده العراق ، واستطاع ان يصل الى برلين . واما الذين قبض عليهم من انصاره فقد احيلوا للمحاكمة ، ومنهم من نفذ فيهم حكم الاعدام ، ومنهم من نجا الى خارج البلاد ، او القي في غياهب السجن .

وقد عهد الى السيد جميل المدفعي بتأليف الوزارة ، فالفها في ١ حزيران ١٩٤١ . غير ان محاكمة وزارة الكيلاني وانصاره قد خلقت ازمة وزارية جديدة من جراء استعمال الصرامة معهم . واثبت هذه الازمة بسقوط الوزارة في ٢٩ ايلول ١٩٤١ ، واستدعاء نوري باشا السعيد ، وتكليفه تأليف الوزارة ، وقد ظل دولة نوري باشا قائماً على رئاسة الوزارة رغم سقوطها مراراً وتعديلها . واتخذت سياسة العراق في عهده اتجاهاً صريحاً نحو توثيق العلاقات مع حكومة لندن . ففي جلسة ١٩ / ١ / ١٩٤٣ اتخذ مجلس الوزراء قراراً باعلان الحرب على المحور ، والانضمام الى تصريح دول الامم المتحدة في واشنطن الموقع عليه في ١٥/١/١٩٤٢ ؛ وكانت العراق بذلك اول دولة عربية اعلنت الحرب على المحور .

وقابلت حكومة جلالة الملك بلندن هذا القرار باهداء تسع دبابات الى الجيش العراقي فسلمتها حكومة بغداد في حفلة رسمية يوم ٢٤ - ١ - ١٩٤٣ . ثم جاء عن لندن في ٢٨ ايار ١٩٤٣ ان مجلس العموم البريطاني تلقى رسالة من مجلس النواب العراقي يعرب فيها عن الابتهاج الذي ملأ الشعب للانتصارات التي

احرزتها الجيوش البريطانية في افريقية ، وان مجلس العموم الذي صفق طويلا عند تلاوة هذه التهنئة وجه الى مجلس النواب رسالة شكر حادة . وارادت مدينة لندن ان تساهم في اظهار هذه العواطف المتبادلة فقدم محافظها في مطلع ١٩٤٤ قلادة ذهبية هدية منه الى مدينة بغداد .

وفضلا عن ذلك فقد دعت حكومة لندن نجو الوصي على العرش الامير عبد الاله لزيارة بريطانيا العظمى حيث استقبل اعظم استقبال ، ونزل ايامـاً في قصر جلالته . وفي طريقه الى لندن صدرت الارادة الملكية العراقية ، يوم ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٣ بتعديل الدستور بحيث اصبح سنوه ، بدا التعديل ، وليا للعهد .

واما الخطوط الكبرى الاحداث التي وقعت في السياسة الداخلية من بعد فنلخص بما يلي :

١ ــ حصلت في اواخر ١٩٤٣ حركة كردية لتأليف الاحزاب السياسية اثر تأليف الوزارة الجديدة ، واستغلت الضعف ، بعد بأس ، بسبب حصار الفرنسيين على اعطاء الحق بتأسيس الاحزاب والجمعيات .

٢ ــ المباشرة [illegible] بغداد ، وارواء الماشي الزراعية الحديثة .

٣ ــ ثورة في كردستان قام بها الملا مصطفى البارزاني ، انتهت في شباط ١٩٤٤ بعودته الى بغداد مع بعض رجاله ، فاقاموا [illegible] .

٤ ــ اصدار المجلس العسكري العراقي حكمه على فريق آخر من الضباط بالاشتراك في حركة السيد رشيد عالي الكيلاني فحكم على البعض بالاعدام ، ولكن لم ينفذ فيه الحكم نهائياً ، كما حكم على غيره بالسجن مدداً متفاوتة مع غرامة كبيرة ، وذلك في شهر آب ١٩٤٤ .

٥ ــ اتجاه الرأي العام العراقي لطلب تعديل المعاهدة ، مما حمل دولة حمدي الباجه جي رئيس الوزارة العراقية على التصريح في مجلس الاعيان يوم ١٧ حزيران ١٩٤٥ ببدء المفاوضات مع بريطانيا لاجل تعديل المعاهدة سيجري عندما تنتهي الحرب مع اليابان .

. . . . . .

٣ ــ العراق بعد الحرب العالمية الثانية : استمع العراقيون ، اسوة بغيرهم من الشعوب العربية العظمى الاستقلال ، لوعود الدول التي انتهى اليها النصر ، وللعهود التي قطعتها على انفسها بضمان حريات الامم ، وتأمين رغباتها واستقلالها . فكانوا ، وهم في طليعة الناضلين عن سيادتهم ، اشد الناس ترقباً للبوم الموعود الذي تتحقق فيه هذه الاماني العزيزة .

ومع ذلك فالذي لاحظناه ان حركة التحرر التام في العراق كانت على وجه عام اضعف مما كان منتظراً ، ويرجع ذلك الى رد الفعل الذي حـــدث اثر فشل

محاولة السيد رشيد عالي الكيلاني في نيسان ١٩٤١. فقد عملت بريطانيا العظمى، منذ استتب الحال في العراق، على تقوية نفوذها وخمد صوت المعارضة. ووافق هذا هوى انصارها القابضين على الحكم. ولما استعصت الشدة في قضاء وجالات حركة الكيلاني استكان الشعب لزعمائه. وكان لسان حالهم: «عيون بصيرة ويد قصيرة».

وكان شيوعي العراق ارادوا ان يتبعوا المعارضة استنادا الى حماية الشيوعية العالمية لهم؛ ولكن الخوف من تدخل السوفيات في العراق بواسطتهم حمل حكومة السعيد على مطاردتهم واخفات اصواتهم.

بيد ان سكوت العراق لم يعد ممكناً، بعد ان اتبع لسورية ولبنان ان تبلغا استقلالهما. وكما انه لم يعد جائزاً بعد ان رأى العراق مصر تجهد في سبيل تعديل معاهدة ١٩٣٦ استنادا الى تطور العالم ومبادئه بعد الحرب الثانية. وذاك رأينا وكانه روتر نشرع منذ نيسان ١٩٤٦:

«ان وزارة الخارجية البريطانية تعد مذكرة مفصلة عن موقف العراق من معاهدة ١٩٣٠، وان الامر بمالجة هذه المذكرة مسألة المواعيد البريطانية وحرياتها والتعاون الاقتصادي، وحرية استخدام المطارين العراقيين، والطيران فوق العراق بموجب المعاهدة».

وعلى اثر ذلك استقبل وزير الخارجية البريطانية في لندن سفير العراق، وتحدث اليه بخصوص تعديل المعاهدة، والموعد المناسب لبدء المباحثات في هذا الشأن. على ان المعارضة في العراق قد استفادت من هذه الفرصة لاستئناف نشاطها، وذهبت المطالبة بجلاء. فخطب الاستاذ محمد رضا الشبيبي زعيم المعارضة في مجلس النواب في جلسة ٢١ نيسان ١٩٤٧ قائلا:

«ان كل مقاومة من اجل تعديل معاهدة العراقية بريطانية هي من الاحتلال القائم عديمة الجدوى، وانها لا تعدو ان تكون ان يبقى بقاوض يبقى». وقال: «لماذا لا يعتبر العراق عدو مصر في عرض عسكره على مجلس الامن ما دامت مطالب الدولتين واحدة».

وهذا حذو الاستاذ الشبيبي، الاستاذ مزاحم الباجه جي في مجلس الاعيان. ولم يطالب بتعديل المعاهدة فحسب، بل ذهب للمطالبة بتغييرها واستبدالها. هذا الى ان المعارضة حملت ايضاً على المعاهدة التي وقعت في بغداد في شهر نيسان ١٩٤٧ بين العراق وشرق الاردن، والتي تنص على القيام بعمل مشترك في حالة وقوع اعتداء دولي على احدى الدولتين؛ او في حالة وقوع فتن داخلية؛ كما تنص على تبادل البعثات العسكرية، وانشاء لجان دائمة يكون من اختصاصها تنفيذ التعاون الفعلي

بين المملكتين . وحجة المعارضة ان هذه المعاهدة ستكون وسيلة لازدياد نفوذ البريطانيين في بلاد الرافدين ، ولا سيما في الناحية العسكرية من جراء ما لهم من حقوق في شرق الاردن بمقتضى المعاهدة المعقودة بين لندن وعمان .

وبينما كانت لندن تتردد في اجابة طلب بغداد المتجه لتعديل المعاهدة ، وذلك ربما لتأثير المفاوضات مع مصر ، ولحل مشكلة السودان ، واذا بنا نفاجأ في آخر عام ١٩٤٧ بورود تلميح عن توجيه جديد في سياستها ، وذلك ان لندن شاءت ان تطبق مشروعاً جديداً في الشرق الغربي يقوم على قاعدة الدفاع المشترك ، وارادت ان تبدأ به في العراق ، واذا بوفد من العراق برئاسة رئيس الوزراء السيد صالح جبر يهبط لندن ، حاملاً في حقائبه التعديل الذي اتفق عليه في مصر الرحاب مساء ٣/١/١٩٤٨ . ونحن ننشر الخطوط الكبرى لهذا التعديل للاعراب عن مطالب القطر الشقيق

١ — المعاهدة المعقودة بين الحكومتين حول [illegible]

٢ — [illegible] المفاوضات في الامور العسكرية العالمية ، ولا سيما على ان [illegible] بين الدولتين سياسة موحدة [illegible]

٣ — [illegible] حول [illegible] عندما يراد اتخاذ [illegible] الصلح بين الدول التي تشترك في الحرب العامة .

٤ — [illegible] الصلح الى ابعد حدود ممكنة [illegible]

٥ — [illegible] المعاهدة للاعضاء في الحكومة العراقية .

٦ — [illegible] الاتفاقات الخاصة بالشركات البريطانية وبالرعايا البريطانيين في العراق حين نزعهن الغائين .

٧ — [illegible] بين حكومتي العراق وبريطانيا العظمى بالنسبة الى الاسلحة التي تملكها الوحدات البريطانية ، والتي تعمل الوحدات الذي تجري فيه [illegible] .

٨ — [illegible] في المعاهدة [illegible] .

وقد لقي الوفد العراقي ، لدى وصوله ، بعض الصعاب في لندن ، فقابلها المستر بيفن ، ووضعت الصورتان للمعاهدة الجديدة في ١٥/١/١٩٤٨ ، على اساس مطالب العراق . ولكن المعاهدة الجديدة كان من مساوئها انها جعلت ابواب هذا القطر في حالة الحرب مفتوحة لقوى البريطانية على مصاريعها ، فضلاً عن انها نصت على تأليف مجلس مشترك بين البريطانيين والعراقيين للدفاع .

فقابل العراقيون هذه المعاهدة بثورة عارمة ، ذهبت فيها الارواح الغالية ، وحملت دولة رئيس الوزارة على مغادرة البلاد ، وعلى تقديم استقالته .

ولم يقف ذلك الغليان في الاوساط الشعبية الا بعد ان آلف الوزارة السيد

عهد الصدر ، وجمع فيها رجالات الاحزاب ، وكبار الساسة . ولكن وزارة جاجته لم تستطع تأمين رغبات الشعب بصدد تعديل المعاهدة ، كما ان وزارة دولة السيد حمدي الباجه جي التي خلفتها قصرت ايضاً عن ادراك هذا الهدف بينما كانت مثل الدول العربية في فلسطين يزيد قلق الشعب العراقي حدة ، وتقيته شدة . وقد افضى هذا التوتر الى الرجوع للسيد نوري السعيد الذي سبق لدولته ان عمل على عقد معاهدات بالقوة غير مراع فيها الا اجتهاده الخاص . ولما ان تشكل الوزارة حتى غادر بغداد الى لندن (ايلول ١٩٤٩) ، ودرس معها امر تعديل المعاهدة ، وقضية الغرض الذي يتطلبه العراق في الازمة الشديدة التي تحيق به الآن ، كما درس معها التوجيه الجديد للشرق العربي في هذا الوقت العصيب . بيد ان وزارة السعيد التي اصطدمت بعقبات كأداء كان ينقصها الانسجام فلم تقدر هذا الجهاد الطويل ، وقبل ان ينتهي عام ١٩٤٩ خلفتها وزارة الملاعبة فلم تأبه بها دولة علي جودت الايوبي . وان لنرجو ما التوفيق في تذليل هذه الصعاب الداخلية والخارجية التي تواجه القطر الشقيق .

شرق الاردن

توجه سمو الامير عبد الله بن الحسين امير شرق الاردن بلاده في شباط ١٩٤٦ الى لندن بدعوة من الحكومة البريطانية ، وذلك لعقد مفاوضات نهيدية مبادئة لعقد معاهدة جديدة على اساس شبه استقلالي ، يعترف فيها بسموه ملكاً على المملكة الهاشمية في شرق الاردن . وقد وقع الفريقان هذه المعاهدة في آذار ١٩٤٦ ، ثم اقرها مجلس العموم ، كما اصدر المجلس التشريعي الاردني في ٢٥ ايار قراراً باعلان استقلال البلاد التام على الاساس الملكي النيابي مبايعاً جلالته ملكاً على شرق الاردن . وقد وصف جلالته هذه المعاهدة في اول دورة للمجلس التشريعي (١١ تشرين الثاني ١٩٤٦) بانها معاهدة صداقة وتحالف على قدم المساواة ، وفي حدود ميثاق الامم المتحدة ، وفي الواقع فهي وان اطلقت يد حكومة شرق الاردن في الشؤون الداخلية ، الا انها تقتضي ملحق انه هذه المعاهدة المتعلق بالقضايا

العسكرية(١) جعلت تلك البلاد منطقة استراتيجية حربية لبريطانيا ؛ فضلاً عن ان المادة الخامسة من المعاهدة نفسها وجعلت شرق الاردن ببريطانيا العظمى في الشؤون الحربية والدفاع .

وقد اعلن جلالته في الخطاب الذي القاه في تلك الدورة ما يلي :

« هذه آخر دورة من دورات مجلسكم التشريعي الموقر التي تودعه راضين عنه مستبشرين مجاساً نيابياً تؤمل من وراءه الخير العميم ؛ وسيعرض عليكم مشروع القانون الاساسي الجديد للنظر فيه واقراره . »

وقد اقر المجلس التشريعي في دورته هذه قانون المملكة الاساسي ، فكان « اسوة بالمعاهدة نفسها ، عرضة لحملات الحزب العروبي الاردني ، وغيره من المحافل السياسية العربية . وقد ازدادت شدة هذه الانتقادات حينما اتضح رسمياً ان جيش شرق الاردن نفسه يكاد يكون في حد ذاته فرقة من فرق الجيش البريطاني ، صرح بذلك وكيل وزارة الخارجية البريطانية في مجلس العموم (٢٠ نيسان ١٩٤٧) حيث قال :

« ان عدد الضباط البريطانيين في جيش شرق الاردن يقع على عواتق دافعي الضرائب البريطانيين ، وان هذه النفقات تعتبر كجزء من دفاعنا الشرقي . وتشمل هذه النفقات رواتب وعدد هذا الجيش الذي يعمل في فلسطين ؛ كما تشمل المساعدة المالية التي اضطلعت بها الحكومة البريطانية لتطوير حكومة شرق الاردن لتؤدي نفقات الوحدات العسكرية الموالية . »

وقال وكيل الوزارة ايضاً رداً على سؤال وجه الى الحكومة :

« ان هذا الجيش قوة عسكرية تابعة لنا . وقد « الاتفاق بين بريطانيا وبين حكومة شرق الاردن على ان يكون ثلاثة ارباع ضباطه بريطانيين ، وان تقوم بريطانيا بدفع رواتب ضباطها الذين هم في خدمته . »

ومن جراء ذلك اصبح هذا الجيش اردني الاسم انكليزي الجسم ، كما يستفاد ذلك من خطاب للقاه نوري باشا السعيد في مجلس الامة العراقي اواخر عام ١٩٤٨ حيث قال :

« واحب ان اعلم ان في هذا الجيش ضباطاً من الانكليز ، وهو جيش بريطاني ، كما وصرف عليه من الخزينة البريطانية ؛ والغرض منه بريطانيا التي لمساعدتنا . »

---

(١) المادة الاولى من الملحق العسكري : « يجوز لصاحب الجلالة الملك (البريطاني) اقامة قوات مسلحة في شرق الاردن في الاماكن التي يرى فيها عند توقيع هذه المعاهدة ، وفي اماكن اخرى يتفق عليها ، ويقدم صاحب السمو الامير جميع التسهيلات الضرورية لايواء هذه القوات وصيانتها وخزن ذخائرها ومعداتها بما في ذلك تأجير اي ارض تلزم ، ويتنازل عن اي حق خاص على ارض كهذه اذا وجد ذلك ضرورياً . »

وقد عقدت المعاهدة الجديدة لوحظ نجاح مرموق من قبل كل من [illegible] الامر في عمان وبغداد لمشروع اتحاد يشمل توحيد السياستين الخارجيتين، والقيادة في الجيشين وغيرهما. ففي اجتماعات منفصلة تحصل فيما بين جلالة الملك عبدالله وسمو الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق، وفي المفاوضات متصلة بين القطرين الى ان طرأت على الاجواء في نيسان ١٩٤٧ بند معاهدة من هذا القبيل قد وقعت فعلا لمدة عشر سنين، ثم صدق عليها مجلسا البلدين التشريعيان.

وقد عبر المعارضون في كل من بغداد وعمان عن هذه المعاهدة مذمومة لتمكين النفوذ البريطاني في العراق واستمراره، وبضرب شرق الاردن الذي لا يزال تحت الاحتلال من الناحية العسكرية، فجعلوا عليها اشد الحملات وخصوصا، وانها جاءت ابان سعي العراق للتحرر التام من الجيش البريطاني.

وها نحن نلخص فيما يلي بعض مواد المعاهدة الاردنية العراقية التي حاولت حولها الظنون:

(المادة الخامسة) : في حالة وقوع اعتداء من جانب دولة [illegible] يتشاورا لدفع ذلك الاعتداء، ولكل منهما حق التعاون [illegible] مشتركة معه الغاية.

(المادة السابعة) : يتعاون الفريقان على توحيد الاساليب العسكرية بقدر الامكان عسكرية،

(المادة الثامنة) : نص على جواز التعاون الخارجي بالمثل.

(المادة التاسعة) : تتعهد الفريقان بتعيين ممثلين دائمة سلطات تمثيلية يكون من اختصاصها تنفيذ التعاون العمل.

واما حكومتا بغداد وعمان فقد وافقتا عن هذه المعاهدة واعتبرتا انه لا تتعدى ان تكون معاهدة صداقة وحسن جوار.

هذا وقد مضت حكومة عمان منذ اعلان الاستقلال في سبيل استكمال مظاهره: فعينت سفيراً لها في لندن، ووزراء مفوضين وقناصل في بعض البلاد، وفي عواصم الدول العربية. واشتركت في بعض المؤتمرات الدولية اولها المؤتمر الصحي الدولي التابع لمنظمة الامم المتحدة الذي انعقد في نيويورك، ومؤتمر فلسطين بلندن؛ وساهمت في مؤتمرات واجتماعات الجامعة العربية. وتقدمت بطلب الانضمام الى هيئة الامم المتحدة، وذلك بالاتفاق مع لندن. ولكن طلبها ارجئ، فيتوله بالاكثرية، تحت اصرار موسكو.

وفي مطلع عام ١٩٤٧ رأت مملكة شرق الاردن في اتجاه سياسة الكتلتين الجديد فرصة سانحة للبحث معها بشأن تعديل المعاهدة الاخيرة. فتوجه الى لندن وفد يمثلها برئاسة رئيس الوزارة توفيق ابو الهدى باشا. ولم يلبث ان اعلن رغبة بلاده في ان لا يقتصر البحث على التعديل بل يشمل تغيير المعاهدة من اساسها.

ولكن هذه المفاوضات التي دامت منذ ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٨ الى ٦ شباط ١٩٤٨ لم تتفق حاسم ، فعاد الوفد الى غير جدوى ، ولكنه كان مثقلاً بالوعود .

وقد عرضت ، خلال ذلك ، ازمة فلسطين الحادة ، فصرفت الدول العربية ، مدة من الزمن ، عن كل امر آخر ، ولا سيما المملكة الهاشمية في عمان ، لانها تعتبر فلسطين جزءاً متمماً لها .

على ان موقف شرق الأردن من هذه القضية كان مدار تطور وتحول من جراء الارتباطات هذه المملكة ببريطانيا العظمى ، وخصوصاً في الناحية العسكرية . ففي بداية القتال اظهر جلالة الملك عبدالله تحمساً لانقاذ فلسطين يكاد لا يضاهيه تحمس اي من الدول العربية على الرغم من أن جلالته وعامة الاقليم ، وحتى الشعوب العربية على ان تنسى الحقد الذي لقيه المقدس ، بسببه وداخله ، من عدة جلالته ؛ ولو ادى ذلك الى فتحه الى شرق الأردن .

ولكن السياسة الدولية التي كانت تطلق للعرب مجال الحماس ، وتترك لهم ابواب الكلام مفتوحة على مصاريعها ، كانت ، في نفس الوقت ، تقف في وجه عملهم الجدي مصممة لاسرائيل المجال لتحقيق التقسيم قسراً .

ومهما ان م التقسيم بالقوة حتى اطلق سراح الجيوش العربية ، فدخلت بقل لهيب ، وخصصت شركة الصهيونيين ، فحربت بريطانيا العظمى بذلك عدوها : فهي من جهة قد عملت على تحقيق التقسيم المقرر ، ومن جهة اخرى جعلت اسرائيل تعترف حدودها ، دون ان لا مندوحة لها من الرجوع الى حدود مستجيرة .

وقد عرضت الاسباب ذلك لتطورات سياسية ، وأخصها اقناع الحكم على بريطانيا العظمى من جراء تكتل الاتحاد السوفياتي من اواسط اوروبا ، فتطورات ذلك فياد لندن لواشنطن ، واذا بالدولتين متحدتين ، الذي كان بالأمس لا يتورع عن تأييد العرب ، ولا يتردد عن شحن الأسلحة اليهم ، يتحول وجهة عن هذا الموقف ، فيتحول معه شرق الأردن .

على ان جلالة الملك عبدالله حرص ان يستمر على موقفه الحازم تجاه اسرائيل ؛ ولكن المدن التي لم تتورع عن انذار جلالته بقطع المخصصات السنوية ، ما ترددت ايضاً في ارسال الوعود ، ولا سيما من حيث خلع القسم الباقي للعرب بفلسطين الى شرق الأردن ، كنواة لسوريا الكبرى .

واذا بالكونت برنادوت يقترح ، في جملة ما اقترحه لحل القضية الفلسطينية ،

ان يلحق القسم العربي من فلسطين الى عمان ، واذا بعمان تستسيغ ، واذا بجيشها ، وهو بقيادة كلوب باشا واعوانه من الانكليز ، يتراجع تاركاً المهمة الى الدول العربية الاخرى . وقد اصبح همّ جلالة الملك عبد الله ينصرف من بعد الى تسوية القضية الفلسطينية تسوية عاجلة على أساس « الحكمة لا العواطف » ، والى احكام الخناق ما تبقى من فلسطين في حوزة العرب الى مملكته . فكان مؤتمر عمان فمؤتمر اريحا اللذان عقدهما انصاره من الفلسطينيين ، وقرروا هذا الالحاق ، وكان من بعد قيام جلالته بتنفيذ مقرراتهما ، غير آبه لاحتجاجات الجامعة العربية ، والدول العربية ، وملما وقى محاذه على هذا القسم من فلسطين ، فقد اشركه في الحكم إذ اختار بعض رجالاته لتولي بعض الوزارات ، ثم انتهى الامر باتخامه نهائياً الى عمان

وقد رأى جلالته في الخصام الذي استحكم بينه وبين بعض الدول العربية بسبب هذا الالحاق مجالاً للاعراب عن امانيه القديمة . أما وقد توترت العلاقات بين جلالته وبين هذه الدول ، فم تبق حاجة لتجنب ما يؤذيها ، فاذا بتصريحات تترى من قبل جلالته مدارها ان سوريا الكبرى لا بد من تحقيقها .

ويرى حسب جلالته ان الفرصة قد سنحت حينما وقع الانقلاب الأول في سوريا الذي قام به الزعيم حسني الزعيم . وقد سعى لايفاد بعثة عسكرية من عمان دمشق ، وراحت تتصل بالديكتاتور السوري الجديد ورجاله .

ولكن فرنسا التي عملت على التخلص من الحكم السابق بدمشق المعادي لها ، وساهمت في المال والعتاد والرأي ، لم يكن يروق لها ترك ثمرة جهودها هذه لبريطانيا العظمى فتتمتع بها ، وذلك بالحاق سوريا بشرق الاردن ، او باتحادها مع العراق .

وكان خلافاً من جراء تضارب المصالح الدولية الاجنبية ، استحكم ما بين دمشق وعمان وبغداد ، حتى امسى عداء ، وجرّ الى التهديد المتبادل بالحرب ، ناسين ان هذه الجنود التي سافروا كل منهم الى التخوم ، هي أجدر بان تتحد لوقف مطامع اسرائيل التي لا تزال تشهر السيف في وجوههم جميعاً .

وخلال ذلك ، وبينما كانت الدول العربية فلسطين تتفاوض ، كان الوحي البريطاني يدعو الى التكتل في الشرق الاوسط بين الدول الاسلامية قصد خلق اتحاد قوي يقف في وجه المطامع الشيوعية ، فاذا بجلالة الملك عبد الله يزور فارس ، ويتبادل مع جلالة الشاه محمد رضا بهلوي اواخر ايار ١٩٤٩ التوقيع على معاهدة صداقة وتحالف

على أن بريطانيا العظمى لم تستكن حيال تفاقم النفوذ الفرنسي في سوريا عهد الزعيم حسني الزعيم، بطل الانقلاب الأول، يوم ٣٠ آذار سنة ١٩٤٩، هذا النفوذ الذي كان عندها بمثابة رقعة ثوب في الشرق الأوسط. وكانت الغلبة في نهاية الامر للدونغ سترين على الكه دورسيه؛ وذلك بالانقلاب الثاني الذي وقع في دمشق، وكان يحمل لواءه الزعيم سامي الحناوي. (١٤ آب ١٩٤٩).

وعلى اثر هذا الانقلاب ولت الحكومة الائتلافية المؤقتة وجهها شطر بغداد وعمان، فكان ذلك مما شجع جلالة الملك عبد الله لأن يغادر شرق الاردن الى لندن وبطالب، فيما يطالب، بتحقيق سوريا الكبرى. ولعل الذي حمل جلالته على السرعة في السفر الى لندن، اثر نجاح الانقلاب السوري الثاني، وجود سمو الوصي على عرش العراق هناك منذ شهر تقريباً.

ولكن الموقف السياسي العام، جعل بريطانيا العظمى، بعد اجتماع مؤتمر لندن الذي عقده الدبلوماسيون ورجالات السلك السياسي في الشرق الاوسط، تتجه وجهة اخرى، في الوقت الحاضر، لا تتفق مع اثارة موضوع سوريا الكبرى او اهلال الخصيب الذي يباعد بين الكتلتين العربيتين، وعلى انها كانت، في الواقع، تنشط سراً هذا الموضوع الذي من شأنه توسيع مدى نفوذها في الشرق العربي. لذلك فان كلا من جلالته وسمو الوصي وفخامة نوري السعيد أخذ يشعر صراحة بأن الكتلتين، التي فرقت بين العرب بالأمس، اصبحتا، بعد قضاء مآربها في فلسطين، تريد الآن ان تجمع كلمتهم حول الجامعة العربية كالبنيان المرصوص في وجه الخطر الشيوعي، خصوصاً وان الوقت الحاضر يتمحض بحرب توشك ان تنشب، وهي تقوم على القنبلة الذرية، مهددة البشرية والمدنية.

وبعد، كما أن نوري باشا السعيد غادر لندن مولياً وجهه شطر القاهرة حيث اعلن تنصل العراق من الهلال الخصيب، فان جلالة الملك عبد الله ما ان وصل الى عاصمته عائداً من لندن بطريق اسبانيا حتى صرح لمراسل جريدة بيروت بعمان (٩ تشرين الاول ١٩٤٩) يقوله:

«لا داعي للبحث بعد الآن في اي مشروع كان يتعلق بسوريا سواء اكان هذا المشروع مشروع سوريا الكبرى او اهلال الخصيب او رأي السوريين انفسهم. فهو اصبح العلاقة الأولى في الوسط...»

غير ان جلالته لم يستطع مع ذلك إلا الاعراب عن حرصه على اجتناب الجهات

الاخرى التدخل في شؤون سوريا ، معلقا على هذا التصريح بقوله :

« ولكني اعتقد بأن سورية جهة مؤهلة لضمان و لاستقرار في الشرق الادنى ، وأن أي تدخل في شؤون هذه البلاد ، وسيأتي سير الأمور وتطوراتها خير دليل على ذلك ، وقد أعلنت دولة الجنرال كاترو عند بدء الانسحاب الفرنسي رسميا لحكومة سورية أن حق كل سوري ابقاء شؤون البلاد الداخلية . »

وكان سوريا بشكل عام قطع عليه من الذكاء ، بدليل ما تضمره حكومة المستر أتلي ، لذلك وفور تصريحه او وجهته من لندن الى أنقره يتصل ببغداد من مشروع الهلال الخصيب ، فقد حل يعمل لأجله في بغداد ودمشق .

غير أن الانقلاب الثالث الذي قام به العقيد حسني الزعيم الشركسي في سوريا (١٩٤٩/١٢/١٩) أبقى على قلق هذا الرجل ، وخصوصا حينما منحت اللجنة التأسيسية بدمشق ثقتها لوزارة خالد العظم على الرغم من بقاء ما كان على ما كان » .

سوريا ولبنان

في طريق الاستقلال (الدور الثالث من الانفصال بين فرنسا وبريطانيا العظمى)

بينما كانت سوريا ولبنان تؤمن التحرر من الانتداب الفرنسي بدراك ذلك اليوم الذي تعزز فيه فرنسا بوعدها ، وتوقيع معاهدتي عام ١٩٣٦ اللتين وافقت عليهما كل من دولتي سورية ولبنان ، واد تفجير الحرب العالمية الثانية يدوي في الفضاء فيخمد التفريق الحاصل الذي بدا فراوين في اواخر ايلول ١٩٣٩ ، احدهما بحق الجمهورية اللبنانية ، والآخر بحق الجمهورية السورية ، وكلاهما يقضي بوقف الدستور ، وحل المجلسين النيابيين ، واعلان الحكم العسكري العرفي .

وسعت بريطانيا العظمى بعد توفر النصر لها في العراق على الوزارة الكيلانية احتلال سورية ولبنان بحجة تطهيرهما من النفوذ الالماني ، فحملت عليهما في ٨ حزيران ١٩٤١ بقيادة الجنرال كاترو الأفرنسي لمعاونته قوة من فرنسا الديغولية . وقد امطرت هذه الحملة البلاد بنشرات مختلفة القت بها من الطائرات موجهة الى الجيش والاهلين تدعوهم فيه للانضمام الى صفوف الحلفاء .

وكان في جملة هذه المناشير رسالة من الجنرال كاترو مستهلة بهذه العبارة :

« في الوقت الذي تدخل فيه قوات فرنسيين الاحرار بالاتحاد مع قوات حليفتنا الامبراطورية

البريطانية بالاتكلم اصرح وبي قد اوات صفات مثل فرنسا الحرة ، فرنسا ذات التقاليد الجديدة ، فرنسا الحليفة . وانا رحيبا اخوال ده غول في هذه البيان صفة الانها عهد الاستقلال ، وأعلن حريتكم واستقلالكم . وانا على ذلك مستعدون من الآن وصاعداً اتخاذ اجراءات سيادة ، وستتمكنون من ان تؤلفوا الاتحاد دولاً مفرقة ، وان تتحدوا في دولة واحدة . ولكي الطالبين سيضمن استقلالكم ، وتكون سيادتكم [illegible] وهم تتكون معاهدة الآن بها ده اقدم وقت ساعة عضو في الاتحاد ، ان فرنسا ، ممثلة ابنائها الذين تحاربون من اجل حريتها ، ومن اجل حريتكم ، تعلن استقلالكم » .

وتأييداً لهذه الوعود والتصريحات الرسمية القت السلطات البريطانية ايضاً نشرة موقعة من السير هايلز بيلسون ، سفير صاحب الجلالة البريطانية في القاهرة ، جاء فيها :

« وقد توصلت حكومة صاحب الجلالة البريطانية ان تصرح بها تؤيد من الاستقلال التي اعطاه الجنرال كاترو بالنيابة عن فرنسا وقد حول سورية ولبنان وتتمتع بها [illegible] »

وبينما تسلى للحملة البريطانية ـ التي عولت الانتصار على قوة وشي الافرنسية في معاونك دامت منذ ٨ حزيران الى ١٤ تموز ١٩٤١ هبط الجنرال ده غول بنفسه واعلن سوريا ولبنان ، وجدد التصريحات التي اعلنت اولاً ، مؤيداً استقلالها ، كما ان السيد وتستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية ، اولى عقب ذلك ، بتصريح نفى فيه ان تكون لدولته مطامع في سورية ولبنان ، مؤيداً وعده بالاستقلال . غير ان تطوراً جديداً في جو فرنسا الخارجية لحق سورية ولبنان لحد يتراءى منذ وقوع الخلاف في احتلال شمالي افريقيا وما صار من بعده من الشأن لقوة الفرنسية . وقد بدأ هذا التحول في المذكرة التي وجهها الجنرال ده غول للاتفاق مع الجنرال جيرو برقياً الى السكرتير العامة لجامعة الامم بتاريخ ١٩ ايلول سنة ١٩٤٢ حيث قال :

« ان الحكومة الوطنية اعتبرت وانا ان فرنسا تعبر مرتبطة بمعاهداتها ، وتحافظ بكل ما لها وحقوقها كعضو في الجامعة . وبهذه الروح اطلعت كما على تصريحي الى الحدث بموجب الانتداب المعهود الى فرنسا في بلاد الكاميرون وعلى شرق (اي سورية ولبنان) »

وبينما كانت السلطة الفرنسية تحاول الاستمرار في حكم البلاد وفقاً لسياستها التقليدية الماضية على اساس الانتداب الاستعماري لوحظت رغبة ، في نفس الوقت ، من بعثة سبيرس التي كانت تمثل الحكومة البريطانية في سورية ولبنان ، في توجيه العلاقات التي تربطها بفرنسا وجهة تتفق مع مستوى علاقات مصر والعراق ببريطانيا العظمى . فكان من جراء ذلك شبه اصطدام بين ممثلي الدولتين الحليفتين ، وكان الجنرال سبيرس لا يفتأ يتصل تارة بالسيد جان هيمور مفوض فرنسا السامي ، وطوراً

بغيره لاقناعهم بوجوب اعلان الحياة الدستورية في سورية ولبنان. غير ان الجانب الفرنسي، ومن لف لفه، كانوا يدفعون هذا الاقتراح بحجج واهية «وهم» في الحقيقة، انما كانوا يخشون أن يكون للانكليز في المجلسين النيابيين بدمشق وبيروت، أنصار اوفر من انصارهم، ويخسرون بذلك ما لفرنسا من كفة راجحة في بلاد الشام. ولكن فرنسا كانت وقتئذ كالحائم في اصبع لندن، فاغتنمت وزارة الخارجية البريطانية فرصة مجيء الجنرال كاترو الى لندن، وذلك في مطلع عام ١٩٤٣، بحكم اليها في الخلاف الذي كان قد استحكم بين رئيسه الجنرال ده غول والجنرال جيرو، وأقنعته بما تتوخى تحقيقه في جمهوريتي سورية ولبنان. فاذا ببلاغ رسمي يطلع علينا يوم ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٣ صادر عن مندوب فرنسا في سورية ولبنان السيد هيلو يقول:

«ان الحكومة الوطنية الفرنسية حرصاً على تأكيدها مصممة العزم على تقوية استقلال سورية ولبنان الذي اعلنه الجنرال كاترو باسمها سنة ١٩٤١، وهيأت لها بعد التشاور مع الحكومة البريطانية، رأت ان تطور الحالة تستدعي في الحال ان يسمح بعودة النظام الدستوري. فقد قررت المندوب العام المطلق الصلاحية القائد الأعلى في الشرق ان يعقد فيسحة العاجلة اللازمة بعد التشاور مع الحكومتين السورية واللبنانية واهم الشخصيات السياسية المحلية، لاعادة عمودة الجنرال كاترو التذكارة في بدأ ان الفترة ستكون فرصة سانحة في حياة لبنان وسورية السياسية...»

وقد جرت الانتخابات النيابية فعلاً في لبنان، وكانت موضوع تنازع مكشوف بين انصار كل من فرنسا وبريطانيا العظمى. وهي وان أسفرت عن تقاسم المقاعد النيابية بين انصار الدولتين الا ان الفوز في انتخابات رياسة الجمهورية كان من نصيب الكتلة الدستورية الداعية الى لبنان مستقل في نطاق العروبة بما يتفق مع سياسة انكلترا والولايات المتحدة، كما بينا ذلك في الصفحة ١١٤.

واعتبرت فرنسا ما أصاب نفوذها في لبنان من الخسران، فعمدت الى محاولات كثيرة ترمي بها الى تأمين بقاء نفوذها في سورية قبل ان تسمح باجراء الانتخابات فيها، ولكنها منيت بالفشل ايضاً في هذه المحاولات، لأن السوريين لم يعبأوا بها، وقاموا بالانتخابات فسراً عنها، وانتخب المجلس السيد شكري القوتلي رئيساً للجمهورية، وعقد المجلس في يوم ٢٣ - ١ - ١٩٤٤ جلسة أقسم فيها رئيس الجمهورية والوزراء والنواب يمين الإخلاص لدستور لا أثر للانتداب فيه، مما حمل المندوب الفرنسي على الاعتراف باستقلالها. وهكذا كانت عودة الحياة النيابية في سورية ولبنان مرحلة حاسمة في حياتهما السياسية.

الجمهورية اللبنانية : بعد القضاء يومين على انتخاب رئيس الجمهورية ، أصدر فخامته مرسوماً بتعيين النائب رياض بك الصلح رئيساً للوزارة . وفي ٧ تشرين الاول ١٩٤٣ عقد المجلس النيابي جلسة لاستماع البيان الوزاري ، فاذا بدولته يتلو بياناً ليس كالبيانات الوزارية في عهد الانتداب ، بل هو ، في الواقع ، مشروع سياسي جديد للبنان يقوم على الاستقلال الصحيح في الداخل ، وعلى التعاون مع البلاد العربية في السياسة الخارجية . وقد احرزت الوزارة ثقة المجلس بالاجماع على اساس هذا البيان بين اهتاف التأييد المتواصل .

ولقد تسرب القلق الشديد الى الجانب الفرنسي منذ عرف مضمون البيان ، خصوصاً لما جاء فيه من رغبة في تعديل الدستور اللبناني . ولما لم تثمر محاولاته لحمل الحكومة على العدول عن المضي في التعديل اصدرت لجنة التحرير الوطني الفرنسي في الجزائر مذكرة في ٥ ت ٢ سنة ١٩٤٣ صرحت فيها

« بما انه ليس من الممكن تعويم بعض مواد من موجبات دولة تعهدت بها وراضا الا تواطئه مثل فرنسا لذلك فهي لا تعتبرها الاعتراف بصحة اي تعديل يجري بدون عقد تواطئة . »

واما حكومة الاستاذ الصلح فقد ندرت الى الرد على هذه المذكرة ، وتقدمت المجلس النيابي في ٨ منه بمشروع التعديل حاذفة من الدستور اللبناني كل ما ينافي مع الاستقلال ، فاقرها المجلس على هذا التعديل بالاجماع .

وحينئذ ثارت ثائرة الجانب الفرنسي ، ولجأ الى العنف من غير حساب ، فقابل السيد جان هيلو مندوب فرنسا هذا التعرف باصدار قرار مؤرخ في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٤٤ اعلن فيه :

« ان النص الذي قبله مجلس النواب اللبناني في تعديل الدستور هو خال من كل صبغة شرعية ، وهو ملغى . »

وزاد على ذلك بان اصدر مرسوماً بحل مجلس النواب اللبناني ، ووقف الدستور . وعزز هذا القرار بقرار آخر في اليوم نفسه ، يتضمن تعيين الاستاذ اميل اده رئيساً للحكومة والدولة . ثم انه لم يقف عند هذا الحد ، بل اوعز الى السلطة فاعتقلت في الليلة التالية رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشارة الخوري ، ورئيس الوزارة رياض بك الصلح ، ووزير التموين عادل بك عسيران ، ووزير الداخلية كميل بك شمعون ، ووزير الخارجية سليم بك تقلا . كما اعتقلت نائب طرابلس عبد الحميد افندي كرامي ، وساقتهم جميعاً الى قلعة راشيا . وحينئذ ظهر لبنان من اقصاه الى اقصاه بمظهر لا مثيل له في عهد الانتداب ، مظهر لا يتميز بشدة حماسه فحسب ، بل بوحدة

الكلمة حتى لا يستطيع الاستاذ امين اده ايجاد وزراء لوزارته . وانتخب الشعب صفاً واحداً رجالاً ونساء ، شيباً وصغاراً ، لا يبالي بالعقبات التي ستملأ الشوارع والاسواق ، ولا بغض الطرف الذي جاء اليه الجند الفرنسي ، وخصوصاً عيد الوجوه والقلوب . اما الاضراب فقد شمل الاسواق والمتاجر والمخابز والدوائر الحكومية والمدارس ، وتوقفت الصحف عن الصدور ، واما المظاهرات العامة فكانت مستمرة . وخلال ذلك كان المجلس النيابي يواصل اجتماعاته ، وكان الوزيران اللذان سلما من الاعتقال ، وهما الاستاذ حبيب ابو شهلا ، نائب رئيس الوزراء ، والامير مجيد ارسلان ، وزير الدفاع ، قد اتخذا تدبيراً قانونياً من شأنه اعتبارهما نيابة عن مجلس الوزراء يقوم باعمال رئيس الجمهورية فقرر المجلس النيابي يوم ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ الموافقة على هذا التدبير ، ومنح الثقة هذه الوزارة . ورأت هذه الحكومة ان توقع على قرارات تتضمن في الحال على بعد عشرين ميلاً تقريباً من بيروت . وقد بلغت بنادق الاشتباك حوله ، واذا بالمواجهة تسابق الزمن وزوبعة تلك الجماهير الحشدة في الشوارع للدفاع عن الاستقلال ، وتتبارى في توقيع الاسماء .

وكان الافرنسيون جاؤوا ، خلال ذلك ، اقناع العرب بأن القضية هي بحصر لبنانية افرنسية ، فضلاً عن انهم حاولوا التقدم الى شمون مقر الحكومة اللبنانية . ولكن الجنرال كاترو وأعوانه أدركوا الدعاية التي اتخذت لوناً اعلامياً جديداً أمام المجلس النيابي اللبناني ومبدأ الاستقلال ، على ان وقاحة سيبوس ظلت عقبة في وجه الفرنسيين ، وحالت بينهم وبين ما في نيتهم من استعمال العنف والشدة . وكان الاميركان يشاطرون البريطانيين العطف على الحركة اللبنانية وتأييدهم الى ذلك ما يشاهدون من حماس العرب في سائر الامصار ، وعطف المسلمين على قضية اللبنانيين . فلم يسع لجنة التحرير الفرنسية ، ازاء كل ذلك وازاء انذار الحلفاء ما بأن موقع سورية ولبنان ستراتيجي يؤثر في مصير الحرب ، الا ان تصغي لمطالع الجنرال كاترو ، الذي كان يتولى المفاوضة عنها ، تارة مع الجنرال سبيرس ، وطوراً مع مستر كاسي الوزير البريطاني في القاهرة ، فسعت بخلاء سبيل الموقوفين ، وعودة الامور الى ما كانت عليه ، وعاد رئيس الجمهورية الى سدة الرئاسة الاولى ، وعادت الوزارة الى كراسيها موقوفة الرأس ، وواظب المجلس النيابي على اعماله تاصع الجبين . وقد قوبل هذا الفوز العظيم بالفرح الشديد الشامل ليس مسيرة للعواطف

الثائرة فحسب ، بل لانه جاء مؤيداً الاستقلال من الناحية العملية . والقد كان في الواقع فوزاً حاسماً لسياسة الانكليزية على السياسة الفرنسية في هذه الناحية من الشرق الاوسط . وفشلا لفرنسيين شبه الجنرال كاترو بفشوة الذاتية Catroux (١) .

. . . . . .

الجمهورية السورية : ما زالت سورية تكافح في سبيل استقلالها منذ ان احتلها الجيش الفرنسي بالقوة ، وفرضت عليها جمعية الامم الانتداب . وما كانت الثورة الكبرى (١٩٢٥ – ١٩٢٧) الا مظهراً من مظاهر هذا الحرص على الاستقلال . ولما خانتهم القوة لجأ الدولة الفرنسية لجؤوا الى السلاح بطريقة شبه سلمية ، اعني بها طريقة الاضراب المنظم ، والاضطرابات ، وقد جروا من ورائهم هذا انهم جعلوا دولة الانتداب تقتنع ، تحت ضغط الاضراب عام ١٩٣٦ الذي طال امده ، بان الاوان قد حان من وضع عهد الانتداب ، وعقدت بين وبين الجمهورية السورية تلك المعاهدة (١٩٣٦) التي جاء الزعماء الوطنيون وعلى رأسهم دولة توفيق في باريس .

ونشبت الحرب العالمية الثانية وسورية لا تزال تناضل ضد الانتداب . فرأت بعض حرية وقف دستورها وتصريح نوابها ، واستقالة رئيس جمهوريتها هاشم بك الاتاسي ، واستلام السلطة الفرنسية الحكم المباشر من وراء مجلس المديرين الذي حل مقام المجلس الوزاري . ولكن لم يستطع توسع سوريا الا التزام الهدوء والتريث تحت ضغط الاحكام العرفية العسكرية ، خصوصاً وان « الكتلة الوطنية » كانت قد حلت قبل الحرب بالتفكك . غير ان في سوريا روحاً حرة ليس من الممكن كبتها ، واذا خفت صوتها فالى حين فقط . لذلك « ان الصاعقة الثانية التي وافت بداية الحرب ، والصاعقة البيضاء التي نعم بها سوريا وفشل الافرنسيون الحاكمون ، والاخلالات الكثيرة التي ارتكبوها كان هذا الاخير في خروج سوريا الى موقفها السلبي ، واستئناف طريقة الاضراب . فاذا بالاضراب يقع في دمشق منذ يوم ٢٨ شباط ١٩٤١ ، واذا به يعم سائر المدن حتى اذا ما تحولت السلطة الى القوة والعنف تحول الاضراب الى شبه ثورة عامة . وخلال هذه الازمة افتقد الناس

(١) ومن مدعاة الفخر انه هو جامعة الكتلة الاسلامية ، التي أشرف برياستها ، في هذا الجهاد ضد المستعمر ، وتحدير الحكومة جهودها وقتئذ بحثها وسعياً من الاوساط الثانية .

الزعيم فالتفوا حول شكري بك القوتلي الذي كان يرأس الكتلة الوطنية. وقد تولى المفاوضات مع الجنرال دانز المندوب الفرنسي والقائد العام. ولم يسع هذا المندوب الا النزول عند كلمة الشعب المجتمعة، فاعلن في اليوم الاول من نيسان ١٩٤١ حل مجلس النيابة، وتأليف مجلس وزاري، وتحويل ادارة الاعاشة الى حكومتي سورية ولبنان. وذلك في خطاب اذاعه من محطة راديو الشرق استهله بالتحدث عن الاستقلال، والوعود التي قطعت حوله. وقد عهد الجنرال الى خالد بك العظم برئاسة الحكومة والدولة. ولما اعتزمت الجيوش البريطانية الديغولية التقدم الى بلاد الشام، وطرد جيوش فيشي والمحور منها، بادر قادة هذا الجيش وغيرهم للضرب على الوتر الحساس الذي يعرفونه عند السوريين، فاقامت الطائرات المناشير عليهم؛ كما اذيعت الخطب في اندينهم معلنة الاستقلال ومؤكدة ضمانه. ولكن ما ان استتب الامر للافرنسيين، ونزلوا، كما ذكر سابقاً، مقدرات البلاد، واخذوا يطبقون العهود حتى بدت عناصر سياستهم التقليدية تبرز رأسها شيئاً فشيئاً. من ذلك انهم حينما ارادوا اختيار رئيس للجمهورية السورية في عيد الاستقلال لم يقع اختيارهم الا على الشيخ تاج الحسني، الذي نعته الجنرال كاترو في مرسوم التعيين بانه رجل الساعة. والواقع ان المرحوم الشيخ كان قد لجأ الى باريس سنوات عديدة هرباً من نقمة الشعب عليه من جراء موالاته للافرنسيين. ولم يكن قد عاد منها الا منذ امد قريب. وفي ٢٧ أيلول ١٩٤١ اقيم في دمشق مهرجان كبير بمناسبة احتفال الحكومة السورية بالاستقلال؛ وقد اشترك فيه ممثلو فرنسا وانكلترا واعلنوا بدورهم هذا الاستقلال، ورفعوا ايضاً محضر الاجتماع. وكانت البلاد ترقب عودة الحياة الدستورية، وهي موضوع البحث بين الحلفاء الانكليزي والفرنسي؛ فاذا بالسيد جان هيلو يصدر البلاغ الرسمي المؤرخ في ٢٣ - ١ - ١٩٤٣، الذي اعلن فيه عزم اللجنة الفرنسية، بعد التشاور مع الحكومة البريطانية، على اعادة النظام الدستوري. وكان من الطبيعي ان تؤثر احداث لبنان الاستقلالية، التي جرت في تشرين ١٩٤٣، اشد تأثير على سورية، وهي السباقة دائماً في هذا الميدان؛ وكان لجنة التحرير الفرنسية حاولت استدراك الأمر فبادرت الى التصريح بحسن نواياها مؤكدة عزمها:

« على فتح مفاوضات مع الحكومة السورية من اجل انجاز اتفاقيات تحدد علاقات فرنسا مع البلاد الاستقلالية الموعودة به دول الشرق وفقاً لتصريحات سنة ١٩٤١ ».

ولكن السوريين قابلوا هذا التصريح بوابل من التصريحات المعاكسة على ألسنة

الوزارة والنواب والصحف ، وكلها تعلن ان سورية لم تقبل الانتداب ، ولن تقبل ببقائه ، مشيرة الى ان المادة ١١٦ من الدستور السوري ، التي جاءت لتثبيت الانتداب ، انما وضعت من قبل الجانب الفرنسي وحده ، والحقت الحاقاً بالدستور دون ان يعترف بها السوريون . وقد عقد المجلس النيابي السوري جلسة يوم ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٤ اقسم فيه رئيس الجمهورية والوزراء والنواب يمين الاخلاص للدستور ، على اعتباره مؤلفاً من ١١٥ مادة لا اثر للانتداب فيها . وازاء هذا الاجماع لم يسع الجنرال كاترو إلا الاعتراف لسورية بالاستقلال دون تحفظ ، على ان يعهد اليها ، والى لبنان معاً ، الصلاحيات التي كانت تمارسها المفوضية الفرنسية .

. . . . . .

اعتراف الدول باستقلال سورية ولبنان - بادرت الدول العربية جميعها الاعتراف باستقلال كل من دولتي سورية ولبنان ، وتلتها الدول الاسلامية : الافغان وايران وتركيا ؛ ولم تتردد الصين في ان تكون في طليعة المعترفين بهذا الاستقلال .

وكانت الولايات المتحدة قد اعلنت تأييدها لسورية ولبنان في نضالها من اجل الاستقلال . كما ان بريطانيا العظمى عملت ، اثناء هذا النضال ، بالطرق الدبلوماسية ، لبلوغها هذه الامنية . فلما تحققت امنيتها حمل وزير اميركا المفوض الى تقديم مذكرة لوزير خارجية لبنان ، ومثلها لوزير خارجية سورية ، وذلك في ٧ ايلول ١٩٤٤ ، استهلها بقوله :

« ان حكومتي راقبت بعناية مفرونة بالود وتعطف المحادثات السريعة التي تم بها انتقال السلطات الحكومية الى الحكومتين اللبنانية والسورية منذ تشرين الثاني ١٩٤٣ ، واصبحت الآن ترى في الامكان اعتبار الحكومتين اللبنانية والسورية مستقلتين قائمتين ومستقلتين فعلاً . »

ولم ينته عام ١٩٤٤ الا وكان الاعتراف الدولي بهذا الاستقلال يكاد يكون عاماً . وبالاضافة للولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفياتي فقد اعترفت به ايضاً عامئذ بولونيا وبلجيكا والبرازيل ؛ ثم توالى مثل هذا الاعتراف من قبل سائر الدول . وتلاه تبادل التمثيل السياسي بينها وبين الدولتين المستقلتين . ولما تقرر في مؤتمر يالطا دعوة الدول المتحالفة لاجتماع يعقد في سان فرنسيسكو اعتباراً من ٢٥ نيسان ١٩٤٥ ، لتنظيم العالم القادم ، ولانشاء مؤسسة دولية تقوم مقام عصبة الامم ، دعيت حكومتا سورية ولبنان للاشتراك فيه اسوة بالدول التي أعلنت الحرب على المحور قبل آذار ١٩٤٥ .

وقد وضع هذا المؤتمر ميثاق الأمم الدولي، وبمساعي ممثلي سورية ولبنان وسائر الدول العربية تضمن هذا الميثاق، في جملة مواده، المادة ٧٨، التي تنص على ما يلي :

« لا تسري الوصاية أو الانتداب على الأمم المشتركة في المؤتمر لأن المؤتمر يعتبر جميع الأمم المشتركة فيه متساوية في السيادة » .

ولما صادق المؤتمرون بالاجماع على هذه المادة ، وفي عدادهم مندوبو فرنسا ، لم يبق للحكومة بدٌ من بعد أيه حجة مقبولة للتلويح بالانتداب على سورية ولبنان .

وإلى هذا فان دولتي سورية ولبنان انضمتا فيما بعد الى كل اجتماع دولي من بعد ، والى كل مؤتمر عالمي ، كما ليما كانتا في طليعة الدول التي قبلت في منظمة هيئة الأمم المتحدة .

. . . . . .

الصراع بين فرنسا وسورية ولبنان في سبيل « الصلاحيات » : منذ اندلعت فرنسا بعد الانتداب في بلاد الشام ، خلقت التطبيق قاعدة (فرّق تسد) : فصلت فيما بين الساحل والداخل ، وأقامت فيهما حكومتي سورية ولبنان . ولكنها احتفظت ، مع ذلك ، بوحدة بنائها في السياسة العليا ، على نحو ما كان عهد آل عثمان ، كان مرجعها المفوضية الفرنسية في بيروت بدلاً من الباب العالي بالآستانة .

وكان في جملة هذه المرجعية هذه منظمة تعرف « بالمصالح المشتركة » ، توحد بين سورية ولبنان تسع عشرة ادارة مشتركة ، وهي : الجمارك ، مراقبة الشركات الأجنبية ، سكة الحديد ، الكهرباء ببيروت ، الموانئ ، خط جوية بيروت ، الآثار ، تسجيل الشركات ، الشؤون الاجتماعية ، الجيش المشترك ، الرسوم المالية المشتركة ، الحجر الصحي ، الأمن العام ، البحرية التجارية ، البرق والبريد ، الطب البيطري ، المساحة ، حمل السلاح ، والمفرقعات .

وقد أعلن الجنرال كاترو استقلال لبنان في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤١ ، كما أعلن استقلال سورية ، وذلك بعد دخول البريطانيين بالاشتراك مع الديغوليين سورية ولبنان ، وعهد الى سامي بك الصلح تأليف الوزارة اللبنانية . فقدم دولته الى الجنرال مذكرة بتاريخ ١٢ ايلول ١٩٤٢ اعرب فيها عن رأي حكومته في بعض ادارات « المصالح المشتركة » التي يمكن تحويلها الى الحكومة ، فورد اليه الجواب من الجنرال بالرفض ، على اعتبار ان استقلال لبنان لم تعترف به الدول الأجنبية ، وان الانتداب لا يزال قائماً .

وقد أتيح لسورية ولبنان ان ينضما في العام الثاني باستقلال اعترفت به الدول

الاجنبية ، كما بينا ، فوجدا السبيل من ثم ، للاستيلاء على التبغ التي كانت دولة الانتداب تحرص على الاحتفاظ به . ومرة ثانية قامت الحكومتان مذكرة الى السفير الفرنسي السيد جان غيو تطلب فيها تسليمها المصالح المشتركة . وقد استجابت سلطة الانتداب الفرنسية لهذا الطلب ، فسلمت المذكرة الى الجزار حيث كانت تقيم كبير مراقبي الضرائب الذي كان يشرف على مديرية التبغ الفرنسية . وقد حاولت هذه الادارة تعويق سبيل التسوية ، فماطلت في تسليم هذه المصالح الى الحكومتين على عدة اشهر ، بحجة انها تحتاج الى مزيد من الوقت لتصفية حساباتها . ولكنها لم تجد سبيلا الى افشال سورية ولبنان في عقد اتفاق مماثل لما وقعته الا الرضوخ للأمر الواقع . وفي ١٩٣٣/١/٢٢ صدر بلاغ عن المفوضين السوريين واللبنانيين في دمشق يعلن الاتفاق الذي حصل بين الفريقين على تسليم فرنسا الحكومتين الصلاحيات التي كانت لها في ذلك الوقت ، ذات صلة بها ، وعلى نفس المصالح المشتركة وموظفيها مع حق التشريع والادارة ، وذلك على ان يكون ذلك في ١٩٤٤ .

وبناء على هذا الاتفاق اقيمت حفلة في ديوان رئاسة الجمهورية اللبنانية يوم ١٩٤٤/١/٣ وقام فيها السوريون واللبنانيون من جهة ، والفرنسيون من جهة ثانية ، بتبادل خطابات يتعلق بمضمون اتفاق الجمارك وادارة حصر الدخان ، وانتخبت الحكومتان لجنة مشتركة لادارتها .

ولم يكن الجانب الفرنسي في الواقع حسن النية ، وآية ذلك ان الجزار كان ما يزال يعود لفجائر الادخان ، ان الحالة الخطيرة لا تسمح بتجربة حل آخر في هذا الوقت قبل نهاية الحرب . وراء السوريون واللبنانيون ، لم يكونوا قد اقتنعوا بما سلفت له فرنسا ، بل استأنفوا السعي لتحديد الصلاحيات ما يبقى في حوزتها من سلطات وامتيازات . وفي مطلع عام ١٩٤٤ اثيرت قضية الجيش في مجلس النواب السوري بشكل دوري ، وفصلا عن الاخلال في المطالبة باستلام القوات التي تتسلم دولة الانتداب فقد اجمع خطباء المجلس على القول بوجوب تأليف جيش وطني . وتوالت على الزمان ، المظاهرات الزاحفة في اطراف البلاد تطالب بالجيش ، وبالتجنيد الاجباري .

واثيرت هذه القضية ايضا في مجلس النواب اللبناني ، وردد صدى الصحف اللبنانية في البلاد ، فاذا ببلاغ تصدره الحكومة بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٤٤ تعلن فيه

انه وضع تحت تصرفها طابور من القناصة اللبنانية ، ومفرزة من السيارات المجهزة بالرشاشات . واذا بسعد الله بك الجابري رئيس وزراء سورية يعلن في مجلس النواب يوم ١١ تشرين الاول ١٩٤٤ ، ان المباحثات انتهت الى تسليم نصف الجيش قبل عقد المعاهدة ، على ان يسلم النصف الآخر يوم عقد المعاهدة » .

وفي الواقع فقد كان كل ذلك تخديراً من قبل الفرنسيين ، بانتظار نهاية الحرب ، كما يستفاد ذلك من تصريح الجنرال كاترو الذي اوردناه . لذلك فان السوريين واللبنانيين ، الذين كانوا على عدم تام بما يضمر الفرنسيون ، لم يتوانوا لحظة في السعي لاستكمال عناصر الاستقلال ، وصيانة مظاهره : فقد اتخذت الدولتان قراران متتابعة بهذا المعنى تنص على وجوب جعل اللغة العربية لغة الدولة دون غيرها من اللغات ، وعلى الغاء وظائف المستشارين الفرنسيين ، كما تنص على الغاء المحاكم المختلطة . هذا الى ان الحكومتين احتجتا على تعيين مندوبين فرنسيين دون اخذ موافقتهما ، ومنعتا ، منذ عام ١٩٤٤ ، المهرجانات والاستعراضات التي كان الفرنسيون قد اعتادوا اقامتها سنوياً لمناسبة عيد الحرية في ١٤ تموز . كما منع لبنان ، فيما بعد ، اجراء القداس التقليدي ، وكانوا يقيمونه ، كل عام في بيروت ، لمناسبة عيد الفصح برئاسة مندوب فرنسا . وفضلاً عن ذلك فقد اعلنت الدولتان عام ١٩٤٤ انهما تعتبران كل المراسيم التي تصدر عن المندوب السامي الفرنسي امراً ، على اعتبار ان التشريع محصور فيهما .

* * *

فرنسا تستعين بالدرهم الابيض لليوم الاسود : كان الفرنسيون ينتظرون انتهاب امورهم بعد النصر لارتجاع انتدابهم على سورية ولبنان ، وذلك ما كان يحملهم على المماطلة في تسليم الجيش ، وما بقي من المصالح المشتركة ، وعلى التراجع والتعنت كلما برق امام اعينهم بارقة أمل في قرب انحسار المحور .

ولما حرر الحلفاء باريس نجلت سرائرهم ، اذ عقدت لجنة التحرير الفرنسية جلسة ترأسها الجنرال ديغول ، وقرروا جازمين ان يتوفقوا عن تسليم الجيش ومصلحة الامن العام الى حكومتي دمشق وبيروت .

وكان من اثر هذا القرار ان استعرض القادة الفرنسيون الجيش في سورية ، وتلوا على القباط والجند ، (كما اخبرني في حينه احد القباط) ، بلاغاً باللغة العربية

يعلنون فيه ان لا مرجع لهم الا فرنسا ؛ ويحذرونهم كل التحذير من الانصياع لأوامر أي كان سواها .

هذا الى انهم ازدادوا ، من ثم ، نشاطاً في تعميق التفريق بين العناصر والطوائف ، كما ازدادوا كرماً في انفاق الاموال في سبيل تأييد المعارضين من انصارهم كما نوجزه فيما يلي :

« - في لبنان : اصطدم الفرنسيون في لبنان ، ابان حوادث تشرين الثاني ١٩٤٣ ، باتحاد كلمة اللبنانيين اتحاداً لم يكونوا ينتظرونه ، فهالهم الأمر ، وخافوا ، من بعد هذه الصدمة ، الى العمل بنشاط عظيم للتفريق بين الصفوف على أمل خلق حوادث تمكنهم من استبقاء انتدابهم . والفرنسيون في لبنان قواعد ، غير القواعد الحربية ، يعتمدون عليها في تثبيت اقدامهم : فلهم ، عدا بعض رجال الدين الذين غرتهم فرنسا بمالها ، مؤسسات علمية ، ومنشئات وارساليات دينية ، يشي وراءها جيش جلب من خريجي هذه المعاهد ومن الرهبان والراهبات ومريديهم ، فضلا عن صحف كثيرة تنطق بلسانهم ، منها افرنسية اللسان ، ومنها افرنسية القلب . ومع ذلك كله كانت فرنسا لا تملك الا ذراعاً لا تملكه تدعى « ذراعة الشرق » ، وهي في الواقع غروبية اذ تدعو لفرنسا وتبشر بها .

وقد جندت فرنسا كل هذه القوى الداخلية لمحاربة العهد الاستقلالي في كل من سورية ولبنان بسطة يدها في توزيع المال تخفيفاً للاهوال . وكان من جراء ذلك ان نشط حزب المعارضة في المجلس النيابي اللبناني للعمل ، فألف جمعيات ومنظمات ، وانشأت صحف جديدة ، وكلها تعمل على لبنان في عهده الاستقلالي .

وفضلا عن ذلك فقد استطاعت فرنسا ان تستميل الاكليروس الكاثوليكي الى صفها بعد ان كان مؤيداً للحكومة في حوادث تشرين ١٩٤٣ ، وذلك بالقت في روعه من مخاوف مصادرها ان تعاون لبنان مع البلاد العربية سيفضي الى القضاء في احضان الاسلام . وهذا ما يفسر لنا تظاهر في تأييد كل مطلب من مطالب فرنسا ، من عقد معاهدة بينها وبين لبنان تحفظ لها فيه مركزاً ممتازاً ، الى مطلب حق بقائها لستة جنودها .

ولم تخل حكومة لبنان في مشاورات الوحدة العربية ، وفي وضع ميثاق الجامعة العربية ، وفي الدخول بمفاوضات مع حكومة سورية لتأليف لجنة مشتركة

لمصالح المشتركة ، وفي تأليف جيش وطني ، إلا وكانت العناصر المعارضة تحمل عليه وتنفر الرأي العام منه . ثم لا نقف عند هذا الحد ، بل نصور كل شيء قولاً يمكن أن يتهم لبنان : هذا تكلم الملك عبد الله بشرق الأردن في موضوع سورية الكبرى ، وإذا بحث نوري باشا السعيد في حلف مع تركيا ، وإذا أيد عبد الرحمن عزام بك عرب حلف أفريقيا ، ودوا بلون والنيودو ، وعظمة الأمور ، وانخدعوا من هذه المناسبات وأمثاله حملة على جامعة الدول العربية وسياسة التعاون العربي ، داعين ، كرة أخرى ، إلى الشك ، وإلى مسيحي في لبنان .

وفي وسط هذه الموضي المكهربة ، التي استطاعت فرنسا أن تخلقها في لبنان ، أرادت أيضاً القيام بانتخابات نيابية لعلها تكون حاسمة وتعيد على يوفرف فوق مرامه . وكان ذلك في نيسان ١٩٤٤ سنة انتخبت الكتلة مجلس النواب اللبناني ، فقد فاز في هذه الانتخابات السيد يوسف كرم من الشمال ، وهو أحد أفراد أسرة نعرف بولائها وصداقتها القديمة لفرنسا ، وربما كان له مساعدة في فوزه .

وكان يوم ٢٧ نيسان ١٩٤٤ موعداً لجلسة الندوة النيابية التي سيؤدي النواب الثلاثة الجدد ، وإذا بالسيد يوسف كرم يبعث من الشمال إلى بيروت تظاهرة تخدم منها المتآمرون على استقلال لبنان فرصة للاندساس فيها ، فحضروا على المجلس النيابي يوفرف فوق رؤوسهم الأعلام الفرنسية ، وتقدمهم العراقيل الذين يعملون لفرنسا ، وطائفات ثورية يطلقون معها حناجرهم بشتى الألقاب . ولما بلغ الموكب المجلس النيابي تقدم جندي من المتطوعة عند الفرنسيين محمولاً على الأكتاف ، وحاول رفع العلم الفرنسي على باب المجلس ، فإذا بعيد ، وهي يريده ، وإذا بمعركة تنشب بين المتظاهرين وبين الدرك لم يلبث أن اشترك فيها بعض الجنود الفرنسيين المرابطين في بناية الثلاثون المواجهة لدار الندوة ، فصوبوا منها بنادقهم على الدرك ، ثم لم يوفروا النواب في داخل المجلس . على أن مندوب فرنسا وان نبرأ من هذه المؤامرة ، التي استطاعت الحكومة أن تلقي عليها في مهدها ، إلا أن الرأي العام اللبناني ما كان في استطاعته أن يصدق أن فرنسا كانت غير مشتركة في تدبيرها .

٥ — في سورية : على أن سورية نفسها لم تسلم من مثل هذه المؤامرات ، والظاهر أن عملاء الفرنسيين كانوا قد فقدوا ثقتهم حتى لم يعد في طاقتهم امتلاك أعصابهم حيال تحول الرأي العام في سورية ولبنان عنهم ، وتظاهره بالعطف على البريطانيين . والواقع أن هذا العطف على بريطانيا كان وقتئذ طبيعياً من جراء

المساعدة التي قدمتها فرنسا خلال الحرب في سبيل الاستقلال .

اجل ان سوريا تتسم من هذه المؤامرات : وان حادثة « ملعب المرج الاخضر » التي وقعت بدمشق يوم ١٩ آذار ١٩٤٤ واحدة منها : فقد اعتدى افراد من الجند الفرنسيين المتطوعين على المشتركين في حفلة كانت تقيمها الحكومة في هذا الملعب ، واطلقوا عليهم النار ، بينما كانت طائرات انكليزية من نوع سبتفاير تقوم بعرض جوي ، وذلك بمناسبة النجدات التي كانت سوريا تجمعها لتقديم بعض الطائرات هدية الى جيش جلالة الملك في لندن . ولولا حكمة الحكومة لاستشرت الفتنة وفقاً لما يشتهيه عملاء فرنسا .

واذا لاحظنا ان حادثة اقتحام السفارة البريطانية ، التي ذكرناها ، وقعت ايضاً في مثل هذا الظرف : اي في غضون الهرج الكبير الذي كان يعقب الطيران البريطاني في بيروت لمناسبة استعداد لبنان لتقديم هديته من الطائرات للجيش الانكليزي . اذا لاحظنا ذلك علمنا ان الحادثتين مدبرتان ، ومصدرهما نورة الاعصاب وسوء النيات .

وقبل ان يبدأ روع الاهلين اذا بالنار وشة اخرى تقع في دمشق يومي ٢٠و٢١ ايار ١٩٤٤ فتهدم انفجارات في حلب وبعض المدن السورية . وهي وان ظهرت بمظهر المعارضة لبقاء السلطات ، الا انها ، في الواقع ، كانت مدبرة من وراء ستار للاخلال بالامن العام .

وكان الجيش الفرنسي يرحب الاقليات في جبال العلويين ، حيث كان هو العنصر من الافضاعيين . وكان على رأس هؤلاء رئيس في المجلس السوري اسمه سليمان المرشد لقي منهم كل عطف الى حد انه اوعز الأنوهية . فلما كان عهد الاستقلال فرضت عليه الحكومة الاقامة الجبرية في دمشق ، واستمع القضاء الى الشكايات الموجهة ضده . وحاول الفرنسيون لاستعادة نفوذ هذا الرجل وتدريبه على الحكم الخاطر بأن الثورة العشيرية ، وكل ما يهدم الدولة السوري الافتراضي هدفاً ، كان يجول الجيش الفرنسي بينه وبينها . وكانت هذه الحركة العشيرة المرشد مدعمة لادعاء البلغيان الى امد طويل ، وبالتالي الى بث القلق في سورية . ولكن لم يستتب الامر في سورية بعد جلاء الفرنسيين حتى حوكم سليمان المرشد ودوره وتقدم فيه حكم الاعدام .

. . . . .

المعركة الحاسمة بين فرنسا وبين سورية ولبنان : ما ان تقرر النصر النهائي للحلفاء

على المحور حتى كشف الجنرال ديغول القناع عما يضمره حيال سورية ولبنان: وقد استهل عمله باعلان اصراره على عقد معاهدة بين فرنسا وبين كل من الدولتين يكون لفرنسا فيها المركز الممتاز ، واخذ يسوق الجنود تباعاً اليها لتنفيذ ارادته بالقوة . وخلال ما كان كل من سورية ولبنان يقيم المهرجانات ايام ٨ و ٩ و ١٠ مايس ١٩٤٥ مساهمة في عيد النصر نجلت نوايا الفرنسيين ، الذين قوّى انهيار المحور معنوياتهم ، وأحيا وصول التجدات العسكرية لبلاد الشام اعتدادهم بانفسهم ، فتحدوا الاهلين بحديث افضت الى وقوع الاصطدام المتواتر في الساحل والداخل .

وكان الجنرال بيته المفوض الفرنسي في سورية ولبنان قد دعي لباريس وعاد منها مزوداً بتعليمات جديدة مشبعة بهذه الروح . وفي ١٨ مايس ١٩٤٥ سلم في دمشق وزير خارجية سورية بحضور وزير خارجية لبنان ، مذكرة تتضمن رغبة الحكومة الفرنسية في صيانة مصالحها الثقافية والاقتصادية والاستراتيجية ، وتعلق المذكرة قضية نقل القطعات الخاصة ، أي الجيش ، الى الدولتين على التفاهم على هذه النقاط . ولكن الجنرال لم يلبث ان اصطدم بموقف حازم تقفه سورية ولبنان في وجه هذه المطالب : فقد عقد مجلسهما في اليوم التالي اجتماعاً في شتورا قرروا فيه وقف المفاوضة ، وتوحيد الجهود للدفاع عن الاستقلال ، كما قرروا الالتجاء الى جامعة الدول العربية شاكين من تعنت فرنسا في موقفها .

وبينما كانت الدولتان تتداولان مع حكومة فرنسا المذكرات ، وبينما كانت الدول العربية ، وعلى رأسها الجامعة العربية ، تبرز بموقف قضية بلاد الشام ، كان الاصطدام في شوارع دمشق وبيروت وسائر المدن متصلاً بين المتظاهرين من جهة وفي طليعتهم الطلبة ، وبين القوى الفرنسية من جهة اخرى وكانت المناداة عامة بطلب الجلاء .

والتفتت فرنسا الى انصارها وعملائها في البلاد ، وأرادتهم ان يثيروا الفتنة بين المسيحي والمسلم ، ولكنها لم تفلح ، فتحولت الى اصدقائها تستنجدهم ، وخصوصاً في لبنان كما يطلبوا حمايتها ، ويحتجوا على جلاء جنودها ، فاذا بمؤتمر اكليركي يعقد في المقر البطريركي الماروني يوم ٢٩ ايار سنة ١٩٤٥ ، ويقرر تأييد فرنسا في طلبها عقد معاهدة مع لبنان ، واذا بالمطران اسطفان انطون عقل يغادر بيروت الى فرنسا ، ومنها الى امريكا ، حيث تتجمع الجالية اللبنانية ، فيتكلم باسم غبطة البطريرك الماروني ، طالباً حماية المسيحيين ، على ان تتولى فرنسا هذه الحماية .

على ان الافرنسيين كانوا قد اعتزموا اخضاع سورية عنوة ليتحولوا بعد ذلك

الى لبنان ، فقابلوا المظاهرات الشعبية فيه بالنيران ، وخطف بعض الافراد وتعذيبهم . وجعلوا الشوارع ساحة حرب تقوم فيها رشاشات منصوبة ، بينما كانت السماء تدور بالطائرات . حتى اذا كان ٢٩ ايار ١٩٤٥ بدأ اخلاء الجزيرة ، واشتركت جميع المراكز الفرنسية باطلاق القنابل والرصاص على دمشق ، وصوبوها نحو المجلس النيابي ومقر القيادة . وارتكبوا مثل ذلك في سائر المدن السورية الاخرى فكانت مجزرة بشرية واقتصادية اخرقت والتهدمت ، ولكنها لم تزد السوريين الا ثباتاً على احرارهم في طلب الجلاء .

ولم يكن في وسع القائد الذي يراقب هذا التعدي ، ان يبقى ساكتاً ، لا سيما وان العالم العربي كان قد ذهب لهول النصر لاحوا ، وبوذلك وفقاً للمادة الرابعة من ميثاق الجامعة ، فاذا بالسيد تشرشل رئيس الوزارة البريطانية وقتئذ يبرق في ٣١ ايار ١٩٤٥ الى الجنرال ديغول يطلب اليه الكف عن اطلاق النار ، ويعلمه انه صدر امره الى قائد جيوش الشرق الاوسط باتخاذ كل ما يلزم على حفظ النظام .

وبرغم ما وصل الجنرال ديغول الى دمشق ، وانجلت القوات البريطانية ، فسلم بعدها ان الحكومة السورية الاذاعات الرسمية ، مهما كانت قوانه تتولى حماية الجيوش الفرنسية ومؤسساتها الى ان تسحب قواتهم من جميع المدن السورية .

وكان هذا الموقف العادل الذي وقفه الديمقراطيون في بلاد الشام بمثابة الموعظة الحاسمة التي قضت عليهم ليس بالجلاء فحسب ، بل بإضاعة ما حاولوا غرسه خلال اجيال طوال . ففي دمشق اجتمع مجلس بلديتها وقرر :

١ ـ رفع الاعلام الفرنسية عن جميع الدوائر ، ٢ ـ ازالة كل نصب تذكاري فرنسي .
٣ ـ الطلاق بناء الطائرات الاسبانية » .

هذا الى ان الحكومة اصدرت قراراً يقضي بمنع نشر اي شيء باللغة الفرنسية . كما ان الطلبة نظموا حفلة احرقوا فيها كتبهم الفرنسية ، ثم غادروا المدارس الفرنسية التي ظلت مقفلة الى حين . وجرى مثل هذا في سائر مدن سورية .

وفي بيروت ولبنان ، اتخذ المجلس البلدي بعض القرارات المماثلة في هذا الشأن ، وتعاهم مع الحكومة لتهيب الشعب في اختيار النقمة على سياسة الاستعمار .

وعلى اثر اجتماع اشتركت فيه الحكومتان صدر عنهما بلاغ في ٣٠ حزيران ١٩٤٥ ينص على انه قرر على انتهاج سياسة مشتركة في تصريح الموظفين الفرنسيين ، والعمل على جلاء القوى الفرنسية ، واستلام القطعات الخاصة بالمنطقة . ويشير البلاغ الى عزمها على عدم منح اية دولة امتيازاً ، او مركزاً خاصاً . وكانت

الاحزاب الفرنسية قد سقطت في دوروها سياسة الجنرال ديغول فحاول هذا رتق الفتق ، ولكن دون جدوى ، ذلك ان المندوب الفرنسي الجنرال بيتو كان قد وجه الى باريس رئيس غرفة الكونت اوستروروغ على اثر انقطاع المفاوضات بينه وبين دمشق وبيروت ، فعاد هذا في ٢٧ حزيران ١٩٤٥ ، وقصد ، في اليوم التالي لعودته ، دار هنري بك فرعون وزير الخارجية اللبنانية سابقاً وصديقه لاستئناف المفاوضات وتم بشوهده على اثر ذلك ، هنري بك يزور دمشق مرتين حاملا العرض ، وتكتفي سورية باعلانها انه لا يمكن المفاوضة الا بعد جلاء القوات الفرنسية ، وتسليم ، القطعات الخاصة ، هذه ولبنان .

وكانت فرنسا تؤمل ، بعد ان سقطت بيده من سورية ، ان تحتفظ بمركزها في لبنان حيث تجمعت قواتها العسكرية ، فعمدت الى الاعتماد على الاقلية التي قام بها خاصة في الجبل ، واصدرت مفوضيتها في بيروت بلاغاً يؤذن بانتقال فرق الجيش الخاصة الى الحكومتين . وكانت تسعى ، في نفس الوقت ، لاكتساب الدول ، ولكن كل هذه المساعي ذهبت ادراج الرياح .

ولما عقد مؤتمر وزراء الخارجية الخمسة في لندن (ايلول ١٩٤٥) اتصل السيد بيدو بالسيد بيفن ، اتصالاً وثيقاً ، لايجاد الحلول ، وتتابعت منذ ذلك المفاوضات بينهما بالطرق الدبلوماسية الى ان صدر عنهما بلاغ مشترك نوه بان الخبراء العسكريين البريطانيين والفرنسيين سيجتمعون في بيروت منذ ٢١ — ١٢ — ١٩٤٥ لتحديد تاريخ قريب جداً للشروع في اولى عمليات الجلاء .

وعرضت فرصة مؤاتية لسورية ولبنان ، في الشهر التالي ، لاثارة موضوع الجلاء : فقد عقد مؤتمر الامم المتحدة في لندن ، وتمثلت فيه كل من سوريا ولبنان ، كما تمثلت فيه سائر الدول العربية ، واثار مندوبو سوريا ولبنان ، في هذا المؤتمر ، قضية جلاء الجيوش الاجنبية عن بلادهما فوراً ، وايدتهما في هذا المطلب الدول العربية وغيرها ، فلم يسع فرنسا إلا النزول عند رغبة شعبين متحدين في النضال .

وبعد اتفاق خاص جرى بباريس في آذار ١٩٤٦ انسحبت الجنود الفرنسية تباعاً اسوة بالجنود البريطانية في مهلة حددت ، وتنتهي بنهاية عام ١٩٤٦ ، وهكذا استلم البلدان مقدراتها وتبعاتها ، فأدركا حظها وأمنيتها في الاستقلال .

هذا ولما كان عهد الاستقلال في سوريا ولبنان حفل بأحداث خليقة بالتدوين ، وحرية بالتعليق فقد اخترنا الوقوف هنا عند مستهل هذا العهد لنوفي البحث حقه في الجزء الثالث من هذا الكتاب .

كيف ضاعت فلسطين عهد الاستقلال

في الساعة ١٢ من ليل ١٥ ايار ١٩٤٨ انتهى اجل الانتداب البريطاني على فلسطين ،فخف الصهيونيون ،في ذلك اليوم ،الى اعلان « دولة اسرائيل » ،وهم كانوا يفعلون ذلك حتى بدرت بعض الدول للاعتراف بها ،وفي مقدمتها الولايات المتحدة ،واتحاد الجمهوريات السوفياتية ،على حين ان واشنطن وموسكو ما اتفقتا يوماً على امر قط ،بل كان لسان حالهما « شتان بين مشرق ومغرب » .

وكانت الهيئة العربية العليا لفلسطين قد اعدت العدة لقيام دولة « فلسطين العربية » ،واعلنت في اواخر شباط ١٩٤٨ بشراجع العربية العليا قصد الحصول على موافقتها ،ولكن هذه المراجع كانت تخشى التعرض لأي عمل من شأنه ان يؤول الى تفكيك اواصر التفاهم بين الدول العربية . وقد قدرت الهيئة العربية العليا هذه المخاوف واقترحت ،بعد شهرين من ذلك ،انشاء ادارة مدنية لفلسطين . ثم لما انتهى أجل الانتداب استأذنت الهيئة بالدخول لفلسطين ،واعلن بعض الجهات العربية تأييد موافقتها على الأمرين ،وذلك حرصاً على بقاء التفاهم .

ثم كانت جامعة الجيوش العربية في تطوين قد اهابت مشجعاً للهيئة العربية العليا على استئناف المسعى من اجل قيام حكومة فلسطينية ،تكون مسؤولة لمجلس وطني . غير ان اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية لم تأخذ بهذا الرأي ايضاً حباً باستمرار التضامن .

ولكن هذا التضامن ،يلبث ان تلاشى بعد صدور اقتراحات الكونت برنادوت الوسيط الدولي ،تلك الاقتراحات التي جعلت مرة شرق الاردن جزءاً من فلسطين ،واعتبرت مرة اخرى فلسطين جزءاً من شرق الاردن. اجل ،وعلى اثر هذه الاقتراحات اخذت تصدر عن عمان تصريحات ،في بعضها تلميح ،وفي بعضها تصريح ،تتضمن الارتضاء بهذا الحل . فكانت هذه التصريحات حافزاً للجامعة العربية لأن تخرج عن نطاق المصانعة ،فأعلنت اللجنة السياسية في ٨ تموز ١٩٤٨ تشكيل ادارة مدنية موقتة لفلسطين مسؤولة امام الجامعة نفسها ،ثم تطرقت في اجتماع الاسكندرية الذي عقدته الجامعة (ايلول ١٩٤٨) الى موضوع اقامة حكومة بفلسطين مسؤولة امام مجلس تمثيلي . وبناء على ذلك اجتمعت الادارة المدنية الموقتة في مدينة غزة ،وقررت في ٢٢ ايلول ١٩٤٨ ،اعتبار نفسها حكومة

للبلاد باسم حكومة عموم فلسطين ، ووجه رئيسها احمد حلمي باشا دفاع الدعوة لتأليف المجلس الوطني .

ولكن الوقت كان قد فات ، ولم تحصل الفائدة المرجوة من هذه الحكومة ؛ خصوصاً وان الدول العربية أمست على حال من التنازع كان يجعلها تنصرف عن فلسطين الى مهامها الخاصة ، وتحجب عن هذه الحكومة معاونتها .

على أن اعلان حكومة فلسطين كان له رد فعل في عمان اخرجها من حيز الكلام الى حيز العمل المكشوف : فبعد مؤتمر عمان انعقد مؤتمر اريحا (كانون الأول ١٩٤٨) باسم المؤتمر الفلسطيني الثاني ، واتخذ قرارات تضم ما تبقى بيد العرب من فلسطين الى شرق الاردن .

ولما وافق المجلس النيابي في عمان على هذه القرارات لم تسكت الدول العربية الأخرى ، خصوصاً ولما كان قد اتفق ، في مؤتمر رؤساء الاساقفة ، على انقاذ فلسطين شريطة أن يترك الى اهلها تقرير مصيرهم . فأعلنت هذه الدول ، بعد يومين من هذا القرار ، احتجاجها عليه ، مما اضطر عمان للموافقة على تأجيل تنفيذه بيد ان حكومة شرق الأردن لم تلبث ان ضمت فعلاً القسم العربي من فلسطين ، ولم تستثن منه الا جزءاً ضيقاً عند سيف البحر في الجنوب الغربي وضع تحت اشراف الادارة العسكرية المصرية . وانتدبت من قبلها حكام المنطقة المسمى الحقتها بها كما انها ادخلت في وزارتها بعض ابناء هذه المنطقة . ثم لما زار جلالة الملك عبد الله لندن (آب ١٩٤٩) كان في جملة مساعيه حمل بريطانيا المعظمى على اعلان اعترافها بهذا الضم دون انتظار قرار هيئة الأمم المتحدة . على ان الكلفرا وان اختارت اوجه هذا الاعتراف الا ان حكومة عمان لم تلبث ان اعلنت ضم فلسطين العربية اليها ، ما عدا القسم المصري المذكور ، واتخذت التدابير اللازمة لاشراكها في الوزارة والمجلس النيابي .

وهكذا وان اختلاف الدول العربية على جلد الدب قبل صيده جعل الجلد كله يبقى في قبضة خصومهم ، ولو انهم كانوا على الاقل يرضون بالاتوبة الأعراض الذاتية لما توانوا في اعلان حكومة لفلسطين اسوة بما فعل الصهيونيون يوم انتهاء الانتداب ، يكلون اليها الدفاع عن وطنها بما لديها من خبرة وامكانيات محلية ، ويمدونها بالمال والسلاح بالاضافة الى الرجال اللازمين . هل الفن والتنظيم العسكري ، ثم هم يقفون من ورائها يؤزرون عند العزم ولا يخذلون . لو لكان حل هذه القضية أتى على غير مأتى ، ولكنا حفظنا الكثير مما في ايدينا من ثروة وثقة التي فقدناها .

كانت الدول العربية على اتفاقها في المثل الأعلى القومي ، وعلى ما تجلى من مظاهر الاتحاد بينها في كنف الجامعة العربية ، لا يزال كل منها يحتفظ بنزعات شخصية وسياسات شعوبية ، واهمها ما بين الهاشميين والسعوديين . وترجع تلك النزعات الى استيلاء آل سعود على الحجاز ، والقضاء على دولة الأشراف فيه .

والى هذا فان طمع عمان ، بتحقيق سوريا الكبرى ، وامتداد بغداد بشأن الهلال الخصيب كانا حافزين للدول العربية الأخرى على التكتل ضد هاتين الامتين . ومنهم من كان يفعل ذلك ، كسوريا ولبنان ، لان هذين المشروعين يهددان مباشرة بكيانها . ومنهم من كان يعارض ، كمصر والمملكة العربية السعودية لأن تحقيق سوريا الكبرى ، او الهلال الخصيب من شأنه ان يعطي الهاشميين قوة جديدة تخل بالتوازن الدولي العربي .

غير ان الخطر الجسيم على فلسطين وما وراءه من الخطار على الدول العربية في مستقبل قريب حملا هذه الدول على الاجتماع والاتحاد في سبيل انقاذ هذا البلد المقدس ، واجتمع رؤساؤها بدعوة من جلالة الملك فاروق في اواخر انشاص بمصر (١٩٤٦) ، وقرروا ، فيما قرروا ، ان يترك للفلسطينيين انفسهم اختيار مصيرهم ، وذلك بعد القضاء على الصهيونيين .

ولما وقعت الواقعة بين العرب والصهيونيين صدر عن جلالة الملك فاروق نطقاً سامياً في ١٢ نيسان ١٩٤٨ مفاده ، ان الدول العربية تعتبر فلسطين وديعة في ايديها ، وانها تترك مصيرها الى ما بعد النقود ، يقول لهم كلمته بشأنه ، وقد ايدت جميع الدول العربية هذا النطق السامي ، وكذلك الهيئة السياسية للجامعة العربية ، فكانت ، من ثم ، تلك المظاهرات السياسية المائية والخطب النارية التي اوهمت العالم ان العرب كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، وان لا سبيل الى فضية فلسطين على غير هواهم . وهذا ما كان حافزاً للولايات المتحدة الأميركية لان تعلن في مجلس الامن انها غير مستعدة لتنفيذ قرار التقسيم بالقوة .

غير ان الصهيونيين لم ييأسوا ، مع ذلك ، بل خفوا الى تحقيق التقسيم عملياً قبل انتهاء اجل الانتداب الذي حددته بريطانيا العظمى ، فاحتلوا بالقوة الاراضي التي جعلها مشروع التقسيم من نصيبهم ، ثم اجتازوه الى غيرها ، وذلك على مرأى ومسمع من دولة الانتداب والدول العربية التي كانت تحاذر دخول فلسطين قبل انسحاب الجيوش الانكليزية منها . ولما انتهى اجل الانتداب (منتصف ليل ١٥/٥/١٩٤٨) اجتاحت جيوش الدول العربية فلسطين من جميع الجهات حسب الخطة الموضوعة

من اللجنة السياسية العربية في اجتماعي دمشق وعمان . وعلى جبهة طولها ستون كيلو مترا اجتازت القوات المصرية حدود صحراء سيناء ، كما عبرت قوات الجيش الاردني والجيش العراقي جسر المنسي . واتخذت لها مقرا في مدينة اريحا، بينما كانت القوات السورية واللبنانية تتقدم في الناحية الجنوبية .

واثناء ما كانت القوات الاردنية تندفع نحو القدس ، ومنها الى اللد والرملة على بعد عشرين ميلا من تل ابيب ، وكانت القوات العراقية تحتل اواسط فلسطين متقدمة من ناحية الصهيونيين حتى صارت قذائفها تصب على مستعمرة ملبس ، كانت القوات المصرية تحتل غزة وبئر السبع وبيت لحم والخليل والمجدل ، فتصبح على مقربة من مستعمرة روحبوت ، وهي خط الدفاع الاول عن تل ابيب .

وقد دل هذا النجاح في الزحف على ان اللجنة العسكرية بدمشق ، المنبثقة عن الجامعة العربية ، قد تمكن بحملته في اعتمادها على القوى العربية ، واعتمادا جعل بعضهم يعتبر حرب فلسطين حربة عسكرية ، ولكن بعض هؤلاء القادة كانت تتقصهم الخبرة السياسية حينما لم يحسبوا حساب « المعدات » التي تربض وراء ستار اتحاد الدول العربية ، وهذه يتسربها الى الروابط التي تربط بعض هذه الدول بالدول الاجنبية ، وكانوا طيبي القلوب ايضا حينما اطمأنوا الى سياسة بريطانيا العظمى .

والواقع أن الاتحاد العربي الذي بدا لعيون كالبيان المرصوص ، كان سحابة صيف لم تلبث ان انقشعت عن لا شيء . فقد طير التباين في وجهات نظر الدول العربية منذ الاجتماع الاول الذي عقده الجامعة العربية (كانون الاول ١٩٤٧) لتحديد الموقف تجاه قرار منظمة الامم المتحدة في التقسيم ، فاختلفوا على القيادة العامة ، كما اختلفوا على تفسير مقررات بلودان السرية (أيار ١٩٤٦) . وقد حاول بعضهم تهربا من تنفيذها ، والتعلل حين بتفسيرها على غير مفهومها . ثم لما اجتمعوا صيف ١٩٤٨ في عمور عارض بعضهم اقتراحا يرمي الى اتخاذ قرار بمقاطعة كل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، ووقف اعمالها البترولية في الظهران والعراق ، وذلك في حال استمرارهما على مظاهرهما المؤيدة لليهود ، بينما كانت دول العراق نفسها لا تبالي بإبان جهاد فلسطين ، بتأييد هذا الاقتراح رغم مواردها البترولية . هذا فضلا عن أن الدول العربية ما كادت تحطم بتدخل الدول الاجنبية عقب ان طوق العرب تل ابيب ، وما كادت تقاوم اقتراح مجلس الامن بشأن الهدنة الأولى في ٢٩ أيار ١٩٤٨ إلا وازداد اختلاف وجهات النظر عندها ، ولا سيما بصدد قبول الهدنة ، وعلم

قبولها ، وذلك تبعاً لعلاقات كل منها بالدول الاجنبية . وقد جرّ هذا التباين في الرأي الى قبول تلك العدنة التي قضت على ثمرة انتصاراتهم ، وأفضت ، من بعد ، الى الشقاق بينهم . هذا فضلاً عن اعتراضهم المبدئي بالاعتراف لليهود باستعدادهم ، وللدول الاجنبية لاقرارها ، بدور الانقاذ في صفوفهم ، تحقيقاً للوعود المقطوعة منها لاسرائيل .

هذا وبالرغم مما يزعمه البعض ان التزام دول العرب الجوية على قبول العدنة الاولى انما هو حرمان جيوشهم من الاسلحة الكافية فتكون النتيجة أعظم ، خصوصاً اذا علمنا أنه لم يكن قد مضى نصف شهر على انكسارهم في فلسطين — وهذا بحال لمنازل ، كيف سوغ لهم ان يدخلوا الحرب دون سلاح كاف ؟ » . ثم « ماذا كانوا يفعلون في غضون الأشهر الستة التي انقضت قبل اشتراكهم في القتال ؟ »

. . . . . .

اشتبك العرب واليهود بالقتال الجدي عقب قرار منظمة الامم المتحدة في ٢٩/١١/١٩٤٧ القاضي بقسمة فلسطين ، وكانت الولايات المتحدة تظاهر الصهيونيين علناً ، ومعهم كل من فرنسة ، وجمهورية الاتحاد السوفياتي . وهذا ما حمل نوري باشا السعيد رئيس وفد العراق في اجتماع هيئة الامم المتحدة بلايك ساكسس (تموز ١٩٤٧) على القول : « لقد خيب هذا الاجتماع الآمال في العدالة الدولية . »

على ان بريطانيا العظمى ، وان كانت تحرص على تحقيق مشروع التقسيم ، الا انها كانت ، مع ذلك ، تتظاهر بمساعدة العرب لتؤلب هذا شخصية أهمها ما يلي :

١ — كان شعبها ضد الغالب من اليهود بسبب الجرائم التي يرتكبونها في فلسطين ضد رجالاتهم وجندهم ، فكانت آنذاك تميل لذلك لأن تترك الفرصة للعرب كيما يذلوا الصهيونيين ، الى حد يحمل هؤلاء على الالتجاء اليها .

٢ — كانت ، وهي قلعة البحار على مركزها في الشرق الاوسط المهدد من الولايات المتحدة الاميركية تعتبر اليهود من اعظم العوامل لتمكين اميركا دونها من ناحية هذا الشرق ، فتتوخى لذلك الاحتفاظ بصداقة العرب بغية الاحتفاظ بنفوذها بين اوساطهم .

وهذا ما كان يحمل بريطانيا العظمى ، اول الامر ، على التصويت الى جانب العرب جهاراً في المؤتمرات الدولية ، وعلى امدادهم بالعتاد . يؤيد ذلك ما ورد في كراس اصدره نوري باشا السعيد (آب ١٩٤٨) ، وأشار فيه الى اجتماع سري هام

بشأن فلسطين عقده بلندن ممثلو انكلترا والعراق المنتدبون لبحث تعديل المعاهدة (١٣/١/١٩٤٨) ، وكان على رأسهم المستر بيفن . وقد علق فخامته على هذا الاجتماع بقوله : « اكتفي بالقول انه خرجا من الاجتماع والاتفاق لم يبن وجهتي نظر الحكومتين حول تسيير قضية فلسطين في الاتجاه الذي يطمئن رغبات عرب فلسطين خاصة ، والأمة العربية عامة . »

وبعد ان أشار السعيد الى حصول الاتفاق ايضاً في هذا الاجتماع على تجهيز الجيش العراقي والقوة الجوية الملكية العراقية بأحدث الأسلحة والتجهيزات ومؤنات بالسرع ما يمكن بالنسبة الى التصريح بوصول بعثة عسكرية عراقية الى لندن قبل ان يغادرها ، منتدبة لاستلام هذه الأسلحة وشحنها . »

وكان هذا الموقف الذي وقفه لندن من القضية الفلسطينية مشجعاً بالنسبة لحكومتي عمان وبغداد على مواصلة عواطف شعبيهما في سبيل انقاذ فلسطين . ولا يخفى ما للشعب العراقي خاصة من الاندفاع المحض في هذا السبيل ، وما عنده من الغيرة على القضايا العربية .

فاذا بنا نرى حكومتي العراق وشرقي الأردن تتحسنان تحسناً لا يجاري منذ اعلان تقسيم فلسطين (٢٩/١١/١٩٤٧) ، ويبدي متبوعها الخاص الشديد لانقاذه ، وذلك منذ الاجتماع الاول الذي عقدته الجامعة العربية ، وحضره رؤساء ووزراء الدول العربية . فقال السيد نوري السعيد بمناسبة هذا الاجتماع في كلمته المذكور ما يلي :

« وقد اطلعتم على أثر اجتماعي بزملائي على تقرير سير [illegible] صفة قاد فيها جيش التحرير حول قضية فلسطين ، وحدث ان تقرير قد عالج بعض القضية معالجة صحيحة ، واتفقت مع نظامة رئيس الوزراء [illegible] على تأييده عند عرضه في اجتماع الجامعة ، وانني لا ازال اذكر ما عرفوني بحزن وحسارة من الأسف حينما وعدت بهذا التقرير الذي لم يلق التأييد الذي يستحقه من مندوبي دول الجامعة في اثناء المناقشات التي دارت حوله ، ما عدا مندوبه العراق ، حتى انها رئيس وزراء العراق على نهاية ان طلب تأييد التقرير العربية الشقيقة في بلوداث .

« وكانت مفاجأة مزعجة لنا ان نجد اكثرية تصوت ضد تلك التقريرات تقريباً مخالفاً فهومها الذي كان ناتجاً عن الاتفاق موجهة برئيس وزراء العراق . »

« وعند انتهاء اجتماعات الجامعة توجهنا الى عمان للتشرف بمقابلة صاحب الجلالة عبدالله المعظم وقد عرضنا على جلالته ما دار في اجتماعات القاهرة ، وأعربنا لجلالته عن عدم ارتياحنا لاهمال تقرير أمير اللواء اسماعيل صفوة ، وعن الشكوك والمخاوف التي تساورنا حول نجاح المساعي الجدية لانقاذ فلسطين . وقد تفضل جلالته بتشجيعنا ما كرراً انه لو أيد العراق شرق الأردن بجميع قواه

وموارده فان في استطاعة الملكين ان تقوما بتنفيذ ما جاء في التقرير . وقد عدنا الى العراق ونحن مزمعون على تنفيذ الخطة المرسومة في التقرير » .

والواقع ان جلالة الملك عبدالله وقف على اثر ذلك موقفاً جعل العالم العربي يتطلع اليه ، للمرة الثانية ، كأنه المنقـــذ ؛ وجعل الدول العربية تعقد له لواء الزعامة في هذه المهمة . واذا به ، وهو يشعر بهذه النيمة ، يوجه الشكر لمصر من جر ، حماسها لفلسطين مشجعاً له على هذا الموقف .

والى هذا فما ان اعلن الصهيونيون دولة اسرائيل يوم انتهاء الانتداب البريطاني حتى رأينا جلالته يقابل هذا الاعلان بالتنديد ، ويصرح قائلا :

١ ـ ان نهاية الانتداب البريطاني تعتبر زوالا لكل التعهدات التي قطعتها دولة
٢ ـ ليس لليهود اي حق في فلسطين .
٣ ـ ليس لليهود اي ادعاء للاستقلال الذاتي فيها ، لانهم لم يكونوا اصحاب البلاد .
٤ ـ انني اكرر وعدي من اجل فلسطين سيكون مصيره الحرب .

غير ان العرب ما كادوا يرحبون انشاء اسرائيل ، وذلك بتحالفهم بقبل أيلب حتى قامت فيهم الدول ، وفي عدادها بريطانيا العظمى ، وبدأت الى العمل لوقف الخطر العربي ، ومعالجة الموقف معالجة يتحقق بها مشروع التقسيم .

وكانت بريطانيا العظمى تتمنى لو ان الظروف تعطيها فرصة أوسع لمفاوضة مع اليهود ، ولكنها ما كانت تستطيع التردد ازاء ضغط الولايات المتحدة خصوصاً وان الخطر الشيوعي كان قد استفحل امره ، واصبح على مقربة من لندن باحتلال السوفيات سُطراً من برلين . هذا الى ان بريطانيا العظمى ، وقد وقعت في هوة الافلاس ، اصبحت تتطلع الى الدولار تطلع العليل الى الترياق .

وهذا ما يفسر الانقلاب العجيب الذي شهدناه في موقف لندن حيال العرب ، ذلك الانقلاب السريع الذي افضى بالتالي الى تبدل سياسة بعض الدول العربية بشأن فلسطين .

. . . . .

اتفقت الدول الكبرى على الوقوف في وجه العرب ، قبل ان يتم القضاء على دولة اسرائيل ؛ فاعلنت حجز الاسلحة عن الشرق الاوسط ، واتخذت الجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة قراراً يقضي بتعيين وسيط ما بين العرب واليهـــود (١٤ ـ ٥ ـ ٤٨) ، كما ان مجلس الامن بادر الى اتخاذ قرار آخر ، بعد نحو شهر من قرار الجمعية ، ينص على وجوب وقف القتال طوال اربعة اسابيع .

وقد وقع اختيار الجمعية العامة على الكونت برنادوت ، ليكون وسيطا بين المتقاتلين . بيد انه ما ان دخل في المفاوضات مع الفريقين حتى اصطدم بتنافر بين وجهتي نظرهما لا سبيل الى تذليله . وحينئذ جاء دور لندن ، فالتفتت الى عمان خاصة ، وألومأت اليها بالوقوف بمهدة بقطع المخصصات السنوية اذا لم تمتثل.

وقد اخذنا العجب ، ولم يكن ذلك لتراجع لندن وضغطها على عمان ، بعد ان كانت مصدر حمايتها ، فهذا ليس من شأنه ان يثير عجبنا ، وقد شهدنا بأنفسنا امثولات منه من قبل : أم نذر جلالة الملك فيصل بدمشق عند فرنسا ، حينما كنا اعضاء في المجلس السوري ، وعقده بالذل والعناد حتى اذا فقت المقاومة بينها وبين عرشه على الموصل تحولت الى عامل سوريا لنصحه بالتفاهم مع الكه دورسه ، وسدت الابواب في وجهه ؟

بلى ، ولكن عجبنا انما كان لتهديد عمان بقطع المخصصات عنها في حين ان شرقي الاردن لا يحتاج الى تهديد ، وال جبشه بأمر بوامر ضباط من عندها ، وسلاحه سلاحها ، ونفقاته من خزينتها .

واهلها كانت مذكورة العهد ، فما خلق جلالة الملك عبدالله ، وذلك في اضطراره لتراجع نسبيا امام الوسيط الكونت برنادوت . وما ادراه بصانع جلالته ، والقوة التنفيذية ليست في قبضة يده ، والمال لا يأتيه من مصدر آخر غيرها ؟ . ثم وسع العرب ، من بعده ، وقد جنح زعيمهم الى المفاوضة مضطرا ، وشاطرته مصر في وجوب الرضوخ لقرار مجلس الأمن إلا النزول عند ارادة هذا المجلس ، والتوقيع على الهدنة الأولى ، التي بدأت في صباح ١١ حزيران ١٩٤٨ لتنتهي في صباح ٩ تموز سنة ١٩٤٨ .

ولكن الوسيط الدولي لم يجد مع ذلك سبيلا للتقريب بين وجهتي نظر العرب واليهود في رودس . فوضع ثلاث مذكرات تقترحانه وجهها لكل منها في ٢٨ و ٢٩ حزيران ١٩٤٨ ، تتلخص بما يلي :

١ — قيام دولتين عربية ويهودية في فلسطين على أن تشمل شرقي الاردن .
٢ — اتحاد بين الدولتين يتوخى منه تنمية مصالحها الاقتصادية .
٣ — انشاء مجلس مركزي يتولى شؤون هذا الاتحاد .
٤ — ترك الهجرة حرة عامين ، ثم تتفق الدولتان ، من بعد ، عليها .
٥ — عودة اللاجئين العرب لديارهم .

على ان هذه المقترحات التي تقوم على اساس قسمة فلسطين لم يرض عنها الجانبان ، واغضبت العرب خاصة لأنها اعتبرت شرقي الاردن جزءاً من فلسطين. وقد قدمت الجامعة العربية مذكرة للوسيط استعرضت فيها اسباب الرفض ، واوردت فيها تصريح رئيس وزراء شرقي الاردن في اجتماعات اللجنة السياسية حيث قال : « قد تجاوز الوسيط الحدود ربط مملكة شرق الاردن الهاشمية بمشكلة فلسطين بحجة انها تقع داخل حدود الانتداب ، وهو زعم كاذب يتمسك به الصهيونيون على الرغم من ان بلاده اصبحت دولة مستقلة ».

ومثلما ان قومنا اوتكبوا غلطة بقبولهم الهدنة ، فقد وقعوا في غلط آخر حينما رفضوا تمديد الهدنة . ولعلهم كانوا لا يعرفون مدى الاستعدادات التي قامت بها اسرائيل خلال ، ولعلهم كانوا يعملون ايضاً عن التبدل الذي حدث الشعور في الجماهات بعض الدول العربية . وستؤتمر القتال ، ولكنه كان هذه المرة على غير ما كان عليه في المرة الاولى : اسرائيل كانت قد استوفت العدد ، واستعانت بما لديها من مال وجاء بعض الاخصائيين الاجانب في الحرب ، وبدا ان العرب كانوا قد فقدوا وحدة البيت ، وامست فلسطين التي جمعت كلمتهم مصدر التفاريق بينهم .

فإذا وضعت الدول الكبرى وعودها بتوجيه في التقرير الذي رفعه الى منظمة الامم المتحدة اقتراحاً جديداً مداره جعل القسم العربي بفلسطين الى شرق الاردن ، وما تزيد عدن اكثر من ذلك لا وهذه المدن حاجة الأمر والتي توحي اليها ان تضاع ، ولعلها فوق ذلك بسوء الكبرى وهي تزيدها الخصومات السنوية وبذه وقسمة ؟!

وقد شرع جلالة الملك عبد الله يتكلم ، منذ ذلك ، جانب الاعتدال ، فيوجه النداء الى زعماء العرب ، والى الجامعة العربية بوجوب بذ ثورة العواطف ، ودان بالافتراض على المقاومة على اساس مقترحات الوسيط الدولي .

ولكن الدول العربية الاخرى كانت تصر على رفض مقترحات الكونت برنادوت ، ليس لأنه تقوم على اساس التقسيم فقط ، بل لأنها تمت في مصير القسم العربي من فلسطين على غير ما تقرر بينهم في مؤتمر زهراء البشاص. فاقضى هذا الخلاف في الاتجاه الى تفكك رابطة التعاون في ميادين القتال ، واتاح افسح المجال لاسرائيل بالتالي لتحقيق تلك الانتصارات التي لم تكن تحلم بها من قبل .

وكانت منظمة هيئة الامم المتحدة تجتمع في قصر شايو بباريس حينما تقدم

السيد فارس الخوري [1] بمشروع جديد (٣٦/١١/٤٨) وقدمه الى اللجنة السياسية مقترحاً انشاء دولة موحدة في فلسطين على اساس الكانتونات او المقاطعات المتحدة تتمتع فيها المناطق التي تعيش فيها اغلبية عربية بحكم ذاتي واسع ، قائلا ان مشروع برنادوت ، القائم على مشروع التقسيم ، سيقابل بنفس الرفض الذي قوبل به التقسيم . ورغم ان هذا الاقتراح ايده مندوب مصر ، فقد سقط لمعارضة اسرائيل ، ولأن بعض مندوبي العرب كانوا على غير هذا الرأي .

وظل جلالة الملك عبد الله خلال ذلك يدعو الجميع الى الاعتدال . وقد التقى الاستاذ رمادن الصليح رئيس الوفد اللبناني لمنظمة الامم المتحدة في باريس برقية من جلالته مؤرخة في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٨ جاء فيها : « ولم يعد مجال للغلو ، وان الحكمة والوطنية الملتين تتحلى بهما تدعوانك الى العمل الروية وإمعان النظر ، دون اي اعتبار آخر ، في حالة اللاجئين الذين يجب ان يعودوا لأوطانهم . »

ويرتفع في نفس الوقت صوت السيد فوزي السعيد ، وكان رئيساً لمجلس الاعيان ، وينتقد سياسة الدول العربية ويذكر في جلسة سرية عقدها مجلس الأمة العراقي ما يلي :

« في عام ١٩٣٩ صدر كتاب بفرنسا ، وكان الكتاب للحكومة البريطانية ، وكان له في ذلك الوقت ، ورضاها بما كان يراد عمله ، وقد قابلت رئيس الوزارة المصرية آنذاك ، يقول عند الكتاب ، وكان خلاصة ما جاء به ، وقد وعدت منذ يومين ولا اعلم ، فلماذا دعوة السيد فوزي الغوري الى هيئة الامم المتحدة ، وانا اعتقد ان الرأي العام مرتاح في هذا الشروع ، ولكن هل تعلمون ان مضمون المشروع اقترح من الشرقيين وزير خارجية بريطانية في كانون الثاني سنة ١٩٤٧ ، ورفضناه ! ان هذه الوصية تدعونا لكل هذا ، وانا لا اخشى ان نصبح الا عربا كما كنا . »

هذا وكانت دولة اسرائيل تقدر للمعتدلين منا مواقفهم الحكيمة : فقد سجلت اذاعتها في ٢٠ آب ١٩٤٩ الثناء على جلالة الملك عبد الله ، ونسبي الى القول : « ليس من الحكمة ان يطلب المنصور المفاوضة مع المكسور حباً بالسلام . »

وكان من المحزن ايضاً ان اختلافات الدول العربية خرجت من نطاق الاجتهادات الى حيز النكايات وعلى اختلاف الشيء الذي كان يصيبهم في فلسطين ، ورغم الاخطار المحدقة بهم بعد فلسطين ، فبينما كان المصريون في ثورة من الثورة الروحية ضد الانكليز الذين احتلوا فرصة تكبتهم فلسطين فحولت نفس السودان عن القاهرة ، فلقي المجلس التشريعي السوداني ، وليد الثورة ، تهاني شرق الأردن بمناسبة التجربه (كانون الأول ١٩٤٨) . ولعل الذي حمل جلالته على هذا هو احتجاج حكومة

[1] رئيس الوفد السوري في منظمة الامم المتحدة

النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية على خبر التقسم العربي من فلسطين الى شرق الاردن.

واما اليهود فكانوا قد جمعوا جموعهم في أنحاء العالم حينما كادت احلامهم تطير في مهب الريح من جراء تفوق العرب عاطفتهم في فلسطين ، فتبارروا في ارسال الاموال والمعدات الحربية الثقيلة الى ساحة القتال خلال الهدنة الاولى ، وتنافسوا في استئجار المتطوعة من اوروبيين واميركيين ، والاخصائيين ، حتى اذا استؤنف القتال اوقعوا بالعرب المتخاذلين نكبات ، يكونوا يتوقعونها . فدخلوا بسهولة في الجبهة التي كان الجيش الاردني مسؤولاً عنها اللد والرملة وعشرات من القرى العربية القريبة من الجيش العراقي على مرأى ومسمع منه . ومع كان تخلف الجيش العراقي عن نجدة اخوانه هناك موجب من اخلاء جبهة اللد والرملة من الجيش الاردني عند تقدم اليهود اليها ، واحتلال اليهود ايضاً الناصرة وشفا عمرو وصفوريا ومع خوف حيث كان يواجه جيش الانقاذ بعد ان صدرت اليه الاوامر بالانسحاب ، كانت كارثة المجزرة إذ خلف مئة وخمسون الف فلسطيني لا يلوون على أحد الى مغادرة وطنهم ، علاوة على ما نشرت عنه من قبل في المناطق العربية المجاورة .

فهي الأمر وتخلفت ارادة الدول الاجنبية ، وثبت الغلبة لاسرائيل على العرب ، وكان الكونت برنادوت قد شخص بعد استئناف القتال الى ليك ساكسس ، فعاد الى رودس في ١٩ تموز ١٩٤٨ حاملاً معه قرار مجلس الامن الذي يتضمن دعوة الفريقين الى وقف الحركات العسكرية ، ومتابعة المفاوضات مع الوسيط . وإذا به يجد انقلاباً في الموقف : عدوه في أعصاب الدول العربية المتحادة الى حد انها لم تعد تثأر من الانكسار بل الانكسار ، وتعنت لا يوصف في الجانب الاسرائيلي حتى شعر الوسيط الدولي نفسه بان الوساطة لم تعد مقبولة عندهم .

. . . . . .

انتهى الامر وتبنت اسرائيل بعد ضغط الوسيط ، بالتوقيع على الهدنة الثانية في ١٨ تموز ١٩٤٨ امتثالاً لقرار مجلس الأمن ، ولكن توقيعهم هذا كان ، في الواقع ، حبراً على ورق . ذلك انهم ظلوا يثابرون على تنفيذ برنامجهم الحربي بغية اكتساب فرصة تخاذل الدول العربية وتنازعها . وقد بلغ من استخفافهم بالهدنة ومقترحيها وبالعرب ايضاً انهم أغاروا ، خلال اليوم الذي للهدنة ، على القاهرة بطائرات ، أثناء تقدمهم وحدانهم لقتال الجيش المصري .

هذا ولم تزل لاسرائيل مقترحات الكونت برنادوت التي وقعت في ايلول

١٩٤٨ الى منظمة الامم المتحدة معدلاً فيه اقتراحاته الاولى ، لم يتورعوا عن القتال به ، غير عابئين بالدول جميعاً التي تحبذه ، ولا حتى بالمدن التي يعسكرون اليها وضع مقترحاته . ومضوا في تحقيق حلمهم ، فهاجموا في ١٥ من تشرين الاول ١٩٤٨ الجيش المصري .

وفجأة وجدت الشعوب العربية نفسها من دون ان تختار لجدة مصيرها ، ولكنها كانت صرخات ، لا تقول شيئاً في واقع الامر ذلك ان للاوديسة أصداء . وكانت العاقبة ان تحقق لاسرائيل اهدافها في احتلال النقب ، والوصول الى البحر الاحمر .

واذا حدث ، لو تعلمون ، عظيم ... يزعم اليهود ان بعضهم من احتلال النقب لا تتعدى اطماعه خيراته المعدنية لمدنه ، وهم يبررون لهذا الاحتلال باضاعيف مدارسه ان الاثريين الاميركان اكتشفوا في ناحية العقبة آثار مدينة اسرائيلية ترجع الى عهد الملك سليمان ، وان هذا العامل انشأ في العقبة ، التي كان اسمها ازيون جبر ، اسطولاً تجارياً كان ينقل منتوجات الحديد والنحاس في جزيرة العرب . والواقع انهم يريدون من احتلال النقب الوصول الى البحر الاحمر لربط المواصلات مع الشرق الاقصى ومع اوربا دون المرور بالبلدان العربية ، لاسيما العراق وقناة السويس .

واما في الناحية الحربية ، فهم يتوخون بذلك اولاً فصل بين اجزاء العالم العربي وتجزئة العالم الاسلامي ، وثانياً جعل مكة والمدينة وسائر جزيرة العرب تحت رحمة اسطولهم وطيرانهم . وهم يريدون بذلك ان يتلوا الدور الذي مثلوه من قبل ، ريتو دي شاتيون صاحب الكرك ، احتلاله ايلة سنة ١١٨٢ م ، يوم حال بين اتصال مسلمي آسيا ومسلمي افريقية ، وكان العمارة التي انشأها هناك هيمنت على مواصل البحر الاحمر مدة شهرين ، ووجهت مطامع هذا الصليبي الى مكة والمدينة . ولولا ان بوز لهيدان السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وانتهى به الامر ريتو ، ويحتز رأسه لدخلت الكعبة وغير الوصول في حوزة الصليبيين ، اسوة ببيت المقدس .

ولا ريب بان مطامع اين غوريون باحتلال العقبة لا تقل عن مطامع ريتو صاحب الكرك ، خصوصاً وانه لا يجد بين العرب انوار صلاح الدين .

على ان بريطانيا العظمى التي ما برحت تحاول بلوغ هذه الأمنية ، اي احتلال العقبة ، عز عليها ان تستقل اسرائيل بالغنيمة . لذلك وخلال ما كانت جيوش اسرائيل تتقدم نحو العقبة ، وتصطدم ، في طريقها ، بشرق الاردن ، ولا تجد عمان بين الدون

العربية من تحريك ساكناً لنجدته ، ارتفع صوت واحد ، هو صوت المندوب البريطاني (٩ - ١٢ - ٤٨) الذي قدم لمجلس الأمن الدولي تحذيراً ايدته تعدت القوى اليهودية على حدود شرقي الاردن ، مشيراً الى الواجبات المترتبة على دولته بمقتضى المعاهدة التي تربطها بعمان

وقد حملت لندن عمان آنذاك على الاستنجاد بها ، وعلى طلب احتلال العقبة ليكون الاحتلال الانكليزي شوكة في عين اسرائيل ، وكانت القوة المسلحة ، التي ما زالت تتحين حكومات تكتلوا المتوالية ، تدخل جيشها للنزول في ذلك الموقع الاستراتيجي الخطير الذي هو نقطة اتصال بين كل من مصر وفلسطين وشرق الأردن والمملكة العربية السعودية .

واما اسرائيل فانها ما كادت تحتل ما احتلته في النقب وسائر الجهة الجنوبية من فلسطين حتى تحولت الى مهاجمة قطاع الجليل الأعلى . ومثل ان الدول العربية صمت آذانها عن الاصغاء لكل نداء من اجل نجدة مصر اولاً ، وثم في الأردن ثانياً ، فقد تخلت ايضاً عن جيش الانقاذ الموكول اليه الدفاع عن الجليل فاضطر الى الانسحاب دون كل امر الدفاع الى الأهلين ، وكان هؤلاء صيدة تخاذل العرب عاجزين امام عدوهم هذين .

وبينما كانت اسرائيل ماضية في سبيلها كانت منظمة الأمم المتحدة تعقد اجتماعاتها في قصر شايو بباريس في بداية ١٩٤٨ قصد ايجاد حل للقضية الفلسطينية ، وهي كانها لا تبالي باستخفاف العربيين بقراراتها وتعهداتها . ولا بدع خصوصاً وان الدول العربية كانت هي نفسها قد انصرفت عن فلسطين الى مشاغلها الخاصة ، كما ان مندوبيها في اجتماعات قصر شايو كانوا اذا حضروا الى الجلسات جاؤوها متأخرين ، واذا جاءوا كانوا على اختلاف في الرأي ، وتباين في القصد .

واخيراً ولد الجبل بعد طول المخاض فأرة : فقد وافق مجلس الأمن في باريس على مشروع قرار يدعو اصحاب العلاقات بمفاوضات مباشرة ، او بواسطة الوسيط الدولي ، لعقد هدنة بغية اقامة خطوط تخوم دائمة ، ولاتخاذ التدابير لانسحاب او تخفيض القوات المسلحة . على ان تكون هذه الهدنة مرحلة انتقال تؤدي الى سلم دائم في فلسطين . كما ان منظمة الامم المتحدة بباريس قررت تأليف لجنة اسمتها «لجنة التوفيق الثلاثية» وذلك في ١١ / ١٢ / ٤٨ . واما تعدي اسرائيل على العرب ، واحتلال اراضيهم ، وطرد ابنائهم ، وارتكاب الفظائع ، وقتلهم الكونت برنادوت

وسيط الدولي ، فكل ذلك ذهب ادراج الرياح ، ولم يقابله مجلس الامن ، ومنظمة الامم المتحدة بغير الأسف ... !

وكان هذا التراخي الذي بدر من جهة المنظمة والمجلس ، بالاضافة الى اللامبالاة التي تمرت الدول العربية ، كان لا يزال يشجع اسرائيل على غيها او ربما كانت تل ابيب تريد ان تضغط ، اكثر فاكثر ، على الدول العربية المعارضة قصد الاذعان الى مقررات بورنس ، فاعدت الكرة ، واواخر كانون الاول ١٩٤٨ ، على القوات المصرية المرابطة في جنوب فلسطين ، وذلك قبل ان ينتشف خبر هذه المقررات الدولية .

وقد وافق المصريون وفد الوسيط ، ولكن القاهرة لم تلبث ان غيرت موقف القائل غب التأثير السيء الذي تركه في نفوس حكومتها ، جمود العرب وتخليهم عن مجهوداتها ، وبدورت منفردة الى وفدس للتوقيع على الهدنة الدائمة مع اسرائيل ، تلك الهدنة التي افضت الى دخول نحو في المئة من النقب في حوزة الصهيونيين . وكالطير التي تقع في شبكة الصياد اذا ما سقطت واحدة منها ، فقد اسقطت بقية الدول العربية الواحدة برعيتها مصر ، ووقعت الى توقيع هذه الهدنة واحدة بعد واحدة وعلى انفراد مع المندوب اسرائيلي ، عدا العراق الذي سلم القسم الذي كان يشغله في فلسطين الى الجيش الاردني وانسحب ، ثم لم يدخل مع اسرائيل في مفاوضات ، ولم يوقع معهم تلك الهدنة .

وبعد ذلك الخلل الذريع في فلسطين ، اصبحت الدول العربية ترى السلامة غنيمة ، واصبح هم مندوبيها في لجنة التوفيق الثلاثية ، التي عقدت جلساتها في بيروت ثم انتقلت الى لوزان ، انما ينحصر في قضية اللاجئين ، وفي مصير القدس . وهم ، مع ذلك ، قد انقسموا على انفسهم ، فقد نقلت اذاعة دمشق تصريحا لجنرال وايلي كيبر مراقبي الهدنة ابان وجوده في دمشق اواخر آب ١٩٤٩ ، مفاده بتقسيم ، انحى فيه باللائمة على الدول العربية من اجل الخلافات وقودها بلوزان خلال اجتماعات لجنة التوفيق هناك وقال ان تلك الخلافات كانت سببا لتراجع اسرائيل عن قبول اللاجئين . هذا وبينما كانت تقول الكثرة منهم بتدويل القدس وقتئذ بحجة انها كانت ، بزعمهم ، تلو شرق الاردن التدويل اسوة باسرائيل ، وذلك بغية ضمها بينهما . ثم انتقلت هذه الخلافات الى صفوف مندوبي الدول العربية في اجتماعات ليك ساكسس التي عقدتها هيئة الامم المتحدة منذ ١٥ ايلول ١٩٤٩ حتى ان المندوبين انقسم

شعروا بسوء المصير ، وارسلوا الى حكوماتهم يطالبونها بسرعة عقد مجلس الجامعة العربية للاتفاق على سياسة موحدة . واما دولة اسرائيل التي ما ان ظهرت للوجود حتى اعترفت بها الدول الاجنبية ، فقد اصبحت بحكم المعترف بها من قبل الدول العربية ايضاً وذلك بعد توقيع كل منهم على انفراد ، اهدنة الدائمة . كما انها قبلت في ١٢ أيار ١٩٤٩ في منظمة الامم المتحدة، وتبادلت التمثيل السياسي مع الدول، ودعيت للمؤتمرات الدولية .

وما كان تخلف بريطانيا العظمى عن الاعتراف بها، مدة من الزمن، الا قصد المساومة ، حسب عادتها، حتى اذا أمنت مصالحها بادرت ايضاً الى الاعتراف باسرائيل، والى تبادل التمثيل السياسي معها ، وهي رافعة الرأس لانهـــا لا تبيع رخيصاً .

الفصل السابع

عصر الاستقلال في بلاد العرب

وادي النيل وجزيرة العرب

المملكة المصرية

فجر حياة جديدة بعد تحرر مصر من الاحتلال اصبحت مصر بعد تصريح ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٢٢ دولة تتمتع باستقلال داخلي و وبينما اخذت تفاوض بريطانيا العظمى لتحديد العلاقات بينهما صدر الدستور المصري (١٩٢٣) ، وافتتح البرلمان في السنة التالية ، على الاسس الواردة في هذا الدستور .

واستهل عهد جلالة الفاروق ، ملك مصر والسودان ، بأعظم حدث سياسي في تاريخها ، وذلك بتوقيع وثيقة صاحب الوزعة مصطفى النحاس وبين المعاهدة الانكليزية ـ المصرية في ٢٣ آب سنة ١٩٣٦ التي اعترفت باستقلال مصر استقلالاً تاماً ، وحلت القضايا الاربع المعلقة منذ تصريح شباط المذكور . وفي ٩ مايس ١٩٣٧ بشر جلالته بمطلع الدستورية ، وكان من التوفيق ايضاً ان وافق هذا الحدث ذلك الاتفاق الذي تم بين بريطانيا العظمى ومصر على عودة بعض قواتها الى السودان .

ولما عقدت معاهدة مونترو (مارس ١٩٣٧) ، التي نصت على الغاء الامتيازات الاجنبية ، استردت مصر بذلك سيادتها كاملة في التشريع والقضاء . كما ان اتفاقها المالي مع الدول ذلك الاتفاق الذي أفضى الى الغاء صندوق الدين ، جاء معززاً لكرامتها الوطنية . ثم كان دخولها عصبة الامم وقتئذ مما اضفى عليها مكانة دولية أبدت عنده الكرامة .

غير ان مصر وان تمتعت باستقلاله الداخلي ، لكنها لبثت ، مع ذلك ، قلقة

البالي من جراء وجود الجيش الانكليزي في البلاد واضعاً يده على المقادات ، ومخلا بعض الامكنة . هذا فضلا عن بقاء سياسة الخارجية مربوطة بلندن .

لذلك فان الحكومات المصرية المتعاقبة كانت لاتفتأ تواصل جهودها لتعديل المعاهدة ، والمطالبة بالسودان ، وهي في نفس الوقت ، ولاسيما ، مد توقيع معاهدة لوكارنو ، ما تزال تعنى بإقامة جيشها الدفاعي . كان الجيش قد هبط سنة ١٩٣٠ الى ١٢٠٣٧٠ جندياً ، وهيئت له وجبزخانه بافضل المعدات الميكانيكية وغيرها ، وبالطائرات والانوار الكاشفة . واذا به يصبح سنة ١٩٤٠ على زيادة محسوسة ، وقد بلغ عدده ٤١٩٠٦ جندياً . ولعل من أبرز مظاهر تقدم الجيش المصري تلك القواعد الراقية التي انشأتها الحكومة المصرية ، وعلى رأسها كلية اركان الحرب الملكية ، ومدرسة ضباط الصف ، ومدارس عسكرية للصحة ، والهندسة ، والصناعات الحربية ، والطيران والمدفعية . وكانت تستوفد في كل ذلك رجال البعثة العسكرية البريطانية ، ثم اخذت مصر تجري على النمط الذي اتبعه العرب في الحرب الفلسطينية ، وقدرت الخطر الاسرائيلي فاصدرت كل قانون لتجنيد الجيش ، وفضلا عن تعديلها قانون التجنيد فقد خصصت سنة ١٩٤٩ ربع ميزانية الدولة لاعداد جيش قوي . وألى هذا حين وزارات المعارف ، في عهد الاستقلال ، عنيت عناية موصولة بالمدارس والتعليم الشعبي . وعملا بالدستور المصري الذي نص على وجوب جعل التعليم الأولي الزامياً ، اهتمت اهتماماً شديداً بزيادة عدد المدارس الاولية بالاضافة الى اهتمامها ايضاً بالتعليمين الثانوي والعالي . فكان من نتيجة ذلك حصول زيادة محسوسة في عدد الطلبة : فقد كان عددهم سنة ١٩٣٤ لا يتجاوز ٧٠٢٠٠٧٩ تلميذاً وبلغ سنة ١٩٤١ ، ١٠٢٤٨٠٨٤٣ تلميذاً . ثم افتتحت وزارة المعارف في السنوات الاربع الأخيرة مدارس ابتدائية وثانوية اكثر عدداً مما انشيء فيما سبقها من سنوات : فقد كان عدد التلاميذ والتلميذات بالمدارس الابتدائية الأميرية في السنة الدراسية ١٩٤٣ - ١٩٤٤ نحواً من ٤١٠٠٠٠٠ وبلغ في عام ١٩٤٩ ، ٥٠٠٠٠٠٠ . وكان عدد التلاميذ والتلميذات في المدارس الثانوية الأميرية في السنة الدراسية المذكورة ٣٣٠٠٠٠ ، وبلغ في العام الحالي ٥٠٠٠٠٠٠ .

اضف الى ذلك أنه كان عدد التلاميذ والتلميذات في المدارس الحرة الخاضعة لتفتيش وزارة المعارف من ابتدائية وثانوية سنة (١٩٤٣ - ١٩٤٤) ٣٣٠٠٠٠ . وبلغ في العام الحالي ١٢٢٠٠٠٠ . هذا فضلا عن العناية الفائقة التي اظهرتها وزارات المعارف

المصرية ، عهـــد الاستقلال ، بالتعليم العالي : وهي منذ خصصت اخيراً في ميزانيتها نحو مليوني جنيه ونصف لتعليم الالزامي فقـــد خصّت التعليم العالي بقرابة ثلاثة ملايين ، كما انهـــا علاوة على تأييدها الجامعة المصرية والأزهر بالقاهرة تأييـــداً شديداً ، انشأت جامعـــة فاروق الأول بالاسكندرية ، واعدت منذ عام ١٩٤٥ العدة لمواجهة حاجات التعليم العام من المعلمين بانشاء معهد للتربية بالاسكندرية الى جانب معهد القاهرة بالاضافة الى خمس مدارس ثانوي ومعلمات المدارس الابتدائية ، وانشاء مدرسة المعلمين العليا بالقاهرة ، والاهتمام بتوسيع معاهد اعداد المعلمين والمعلمات القائمة .

على ان وان نوهنا بهذه العناية التي تبديها وزارة المعارف في الحقل التعليمي عهد الاستقلال الا اننا مع ذلك لا نستطيع الا ابداء الأسف لبقاء الامية منتشرة في القطر الشقيق على مدى واسع : فقد كانت نسبتها سنة ١٩٣٧ نحو ٨١ في المائة . ولا ينتظر ان تكون اقل بكثير من ٧٥ في المائة في احصاء سنة ١٩٤٧ ؛ كما صرح بذلك المستشار المالي لوزارة المعارف في محاضرة القاها من محطة الاذاعـــة المصرية صيف ١٩٤٨

واما في النواحي الاقتصادية فقد تكلمنا مفصلا ، في الفصل الحادي عشر من الجزء الاول ، على ما اصابته مصر من التقدم . وهي في الواقع اصابت منذ عهد الاستقلال حظاً اوفر ، ويكفي القول في الناحية الزراعية ان قيمة موارد الدخل الاهلي الزراعي قدرت بنحو ٣٢٠ مليون جنيه لسنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ ، وقيمة الدخل حوالي ١٧٨ مليون جنيه ، كما ان قيمة المنتجات الصناعية بلغت ٢٠٠ مليون جنيه في ذلك العام ، وقيمة الدخل الأهلي حوالي ٧٠ مليون جنيه

هذا والذي يصح التنويه به هنا دائماً الاهتمام الذي رافق عهد استقلال مصر في صعيد توثيق الروابط بينها وبين الاقطار الاسلامية والعربية ، وذلك بمعاهدات صداقات واتفاقات تجارية واقتصادية كانت القاهرة تعقدها مع هذه الاقطار الشقيقة ، بالاضافة الى المؤتمرات الثقـــافية والفنية والصحية التي كانت تدعو اليهـــا ، والمساعدات المالية والعينية التي كانت تبذلها في سبيل عمران الحجاز ، والتأييد الذي اعارته للجامعة العربية .

الاعتبارات السياسية هي الحرية العالمية الثانية : اتيح للوزارة النحاسية الثالثة الاعتزاز بنفسها من جراء مواقفها الاصلاحية والقومية ، وخصوصاً لأنها وفقت سنة ١٩٣٦ لعقد معاهدة هي بداية نواة الاستقلال ، هذا فضلاً عن انها كانت تمثل الكتلة

الساحقة ، وأقضى بها هذا الاعتزاز لأن تطمع بأن تشغل بطلاقة يد في الحكم تتناسب مع قوتها ، وشاءت أن تكون هذه منظمات من الشباب تحقق أمانيها .

ولكن طموحها هذا اصطدم بحذر رجالات البلاط الملكي فذهبوا النحاس باشا بميله الى اعتبار الحزب والدولة أمراً واحداً . وأنهم يعتبرون بحل منظمة القمصان الزرقاء المرتبطة بحزب الوفد ، وأنهم يصرون أيضاً على احتفاظ البلاط بحق تعيين ثلث أعضاء مجلس الشيوخ ، وأن يستشار في تعيين كبار موظفي الدولة ، علاوة على احتفاظه بحق اصدار المراسيم القانونية .

وكان من نتيجة هذا التوتر بين الوزارة والبلاط أن الدكتور أحمد ماهر باشا بادر للانسحاب من الوزارة ، وعهد الى تأليف الحزب السعدي بالاتفاق مع محمود فهمي النقراشي باشا . وعلى أثر ذلك عهد جلالة الملك الى أغلبية الوزارة الوفدية (١٢/٣٠/ ١٩٣٧) مكتفياً بعهد محمود باشا تأليف وزارة غيرها ، وقد استهلت هذه عملها بتأجيل عقد جلسات البرلمان لمدة شهر ، وبحل منظمات القمصان الزرقاء والحضراء والقاشستية . ثم استصدرت مرسوماً بحل مجلس النواب ، وقامت بالانتخابات للمجلس فكللت بنجاح الوزارة الجديدة . وقد أعاد محمد محمود باشا بعد الانتخابات تأليف الوزارة (٢٧ يناير ١٩٣٨) ، ثم القيام بكرة أخرى في تموز ، بينما ان الوفد المصري ظل بعيداً عن كل نشاط سياسي .

وكانت ايطاليا قد بدأت مشروع الحرب قد أحدثت انفجاراً ، نشاطاً كبيراً في ليبيا ، وتعمل على اكتساب عواطف المصريين (١) . فكان ذلك حافزاً للدولتين سترميت لأن يفاوض مصر لتوسيع نطاق الاتفاق الحربي الذي كان قد عقد بينهما ، ولأن يعمل على تعزيز القوى الحربية المصرية ، وتجهيزها بالاعتدة .

وعملا بنصيحة لندن زادت حكومة مصر المخصصات للدفاع الى مليون جنيه أخرى ، وأحدثت للطيران ٤١٨ ألف جنيه ، كما أنها أعدت مشروع خمس سنين للدفاع الوطني ، أرصدت بمقتضاه تسعة ملايين جنيه لانشاء أسطول ، وثانية وعشرين مليوناً للجيش . هذا علاوة على تبديل البعثات العسكرية بين لندن والقاهرة .

في الحرب العالمية الثانية : ظل محمد محمود باشا رئيساً للحكومة الى ١٠-٨-١٩٣٩ ، وهو وان ظل يعمل على تفريق شمل الوفديين ، إلا انه لم يتوان ، مع ذلك ،

---

(١) زار نائب الملك بالبو مصر في ايار ١٩٣٩ ، وتبادل مع نيكوت مانزوليني وزير ايطاليا المفوض فيها مشروع عقد ميثاق عدم اعتداء بين مصر وايطاليا ، فكان هذه الزيارة أسوأ وقع في أوساط لندن .

عن العناية بالشؤون الاقتصادية ، وبتعزيز القوى الحربية ، ولا سيما الطيران تأهبا للحرب .

ولما خلفه على ماهر باشا نهج نهجه ، ولا سيما في تأييد سياسة البلاط الملكي ملتزما لجانب الرأي الذي يحبذ الحرب . وكان ماهر حسين حيدري باشا الذي خلفه في رياسة الوزارة من ٢٣ / ٦ / ١٩٤٠ الى ١٤ / ١١ / ١٩٤٠ .

والواقع أن الوزارات المصرية المتعاقبة خلال الحرب كان لابد لها من الحيطة في تحديد مواقفها ازاء المتحاربين ، خصوصا وان الخطر كان يبدو حينا بعد حين ، على الباب والوادي النيل . ولكن ما ان اصبح خطر المحور بعيدا عن مصر خلال وزارة حسين سري باشا (١٥ / ١١ / ١٩٤٠ الى ٤ / ٢ / ١٩٤٢) حتى خرج دولته عن الحياد ، وألقى بيانا في مجلس النواب (١٨ / ٢ / ١٩٤١) جاء فيه : « أن مصر تعتقد اعتقادا راسخا بحسن الحلفاء ، وهي عازمة عزما أكيدا على مساعدتهم ، ولا يخامرها ريب في ان النصر لهم في سيكون نصيب قضية الحق والعدالة » .

غير ان خطر المحور ما لبث أن اقترب بمصر مرة أخرى ، فشاء الحلف البريطاني بشراكه في الحرب معتمدا على النفوذ الذي يتمتع به رئيس الوزراء ، ولكن حسين سري باشا لم يجرؤ على مجابهة جانب الانكليز ، ازاء المعارضة الشديدة التي كان يبديها الوفد المصري بشأن النزول الى ميدان القتال .

هذا الى ان رئيس الوفد النحاس باشا كان قد وفد سنة ١٩٤٠ مذكرة الى سفير بريطانيا العظمى ، تعهد فيها بعدم جانب مصر والسودان ، وعلى رأسها جيش الاحتلال الانكليزي عندها .

وكان لهذا كان غير مطمئنة الى موقف البلاط منها ، فعادت الى مصالحة الوفد ، وهو ما يقرأ ان النحاس باشا يشرف بمقابلة جلالته ، ويعرب له عن استعداده لمساهمة في تأليف وزارة ائتلافية على اساس تحيد مصر . وقد الف وفقه الوزارة (٤ – ٢ – ١٩٤٢) محتفظا لنفسه وزارتي الداخلية والخارجية ، كما اعلن الاحكام العرفية منحذا لقب الحاكم العسكري . ولما جدد الانتخابات النيابية فاز حزبه بالكثرة المطلقة .

وفي السياسة الخارجية أعلن وفقه في الجلسة التي عقدها المجلس النيابي للاقتراع على الثقة ان سياسة مصر تقوم على المحافظة على معاهدة ١٩٣٦ ، وهي وان كانت ترتكز على اساس اجتناب مصر خوض الحرب فانها تعنى بحماية جيوش الحليفة في وادي النيل

دون ان يكون له تدخل فيه .

واما في السياسة الداخلية ، فان العلاقات بين وزارة النحاس باشا وبين رجال البلاط الملكي توترت الى حد انها صارت خصاماً ، وافضت الى ازمات ، ومنها تلك التي حدثت في نيسان ١٩٤٤ حيث لزم رئيس الوزارة منزله اسبوعين ، وانتهت ببقائه في سدة الحكم .

هذا وكانت الحرب سجالاً في تلك السنين الخطيرة والامور : وفي ٢٣ تموز ١٩٤٢ بلغت جيوش المحور العلمين ، على بعد ١٠٠ كيلومتر من الاسكندرية . ومع ذلك فقد ظلت مصر على حيادها ، ولم تجنح الى مسيرة الاتراك . فما شرع روميل بالتقهقر منذ ٣ — ١١ — ١٩٤٢ من حدود مصر بفعل السرعة التي تقدم بها ، قدر البريطانيون للوزارة موقفها الحازم .

هذا وكان في عداد مهام الوزارة الوفدية استصدارها قانون اللغة العربية الذي يطبق على جميع الافراد والهيئات الحكومية ، واصدارها مشروع القرض الوطني لتحويل الدين الاجنبي الى دين مصري ، فضلاً عن سعيها لتعديل المعاهدة على اساس مذكرة الوفد المؤرخة في نيسان ١٩٤٠ .

واما في الناحية العربية فكان موقف هذه الوزارة مرموقاً ومشكوراً . فعدا انها قدمت بشأن وحدة العربية التي انتهت بقيام الجامعة العربية ، فانها بذلت المساعدة الفعلية لتحرير البلاد العربية ، وان سوريا ولبنان لا ينسيان جلاء مصر عليهما وقتئذ اثناء كفاحهما في سبيل الاستقلال ، كما ان فلسطين لا تنسى ذاكرة عطفها ومعونتها .

على ان الاحزاب الاخرى كانت تؤاخذ هذه الوزارة من اجل المحافظة بالاحكام العرفية ، ولا سيما موقفها من كل من علي ماهر باشا ، ومن مكرم عبيد باشا واعتقالهما ، زاعمة انها تتحدى البلاط . وكان ذلك حافزاً لهذه الاحزاب على جمع شملها ، وتأليف جبهة معروفة قوية استطاعت ازحزحة الوزارة الوفدية عن منصة الحكم . وقد الف الوزارة في ٨ — ١٠ — ١٩٤٤ الدكتور احمد ماهر باشا متمتعاً بلقب حاكم عسكري عام .

ولدى اجراء الانتخابات للمجلس النيابي الجديد لم يشترك الوفد فيها ، فالف الوزارة ثانية ، الدكتور احمد ماهر باشا ، واعلن في ٢٤ شباط ١٩٤٥ الحرب على المانيا واليابان ، بينما كان الوفد المصري يختار البقاء على الحياد .

ولما غادر دولة رئيس الوزراء المجلس النيابي عقب اعلانه الحرب ، وسلك

سبيله الى مجلس الشيوخ انقض عليه شاب مصري وأرداه وميتاً بالرصاص . وقد آلف الوزارة بعده محمود فهمي النقراشي باشا مع محافظته سلطة حاكم عسكري ، فافرج عما تبقى من المعتقلين السياسيين ، وشرع يفاوض لتعديل المعاهدة .

بعد الحرب العالمية الثانية : خلال قصف القذائف الحربية تعالت وعود الحلفاء مبشرة بعصر جديد يتلو الظفر ، وهذه الوعود المعسولة كانت تشيع في الشعوب المغلوب على امرها شهوة التشبع بالانصاف والاستقلال .

لذلك لما ان انبرى النحاس باشا ان يتولى الوزارة حتى دخل مع البريطانيين ، منذ حزيران ١٩٤٢ ، في مفاوضة لاجل تمثيل مصر في المباحثات لتقرير شؤون السلام العالمي ، وتلقت وزارة رعفته جواباً من السير لمبسون سفير لندن في القاهرة يتضمن وعد بريطانيا بان تبذل معاونتها لتشترك مصر في جميع مفاوضات الصلح التي تمس مصالحها مباشرة .

وعلى اثر تراجع المحور عن حدود مصر اتخذت هذه الوزارة تدرس ثلاثة مشاريع : (١) تعديل المعاهدة الانكليزية المصرية (٢) اعادة النظر في اتفاقية السودان (٣) تحديد النغوم الغربية .

واما قضية السودان ، التي كانت الوزارة الوفدية لا تفتأ تثيرها ، فقد كانت تقابل من البريطانيين بالاعراض حتى ان الفورد كيلرن ، السفير البريطاني ، قدم الى مصر بلاغاً في صيف ١٩٤٤ انذرها فيه بان اية محاولة لاثارة الرأي العام في هذا الشأن ستضطر الحكومة البريطانية الى اعلان فصل السودان عن مصر . ولكن لما انتهت الحرب دخلت المفاوضات في شكل جازم : فقدمت حكومة دولة النقراشي باشا (ايلول ١٩٤٥) مذكرة الى الحكومة البريطانية تطلب فيها فتح المفاوضات على اساس الجلاء ، وتعديل اتفاق السودان . كما ان الوفد المصري استمر وهو خارج الحكم ، على المطالبة بما كان يطالب به لندن اثناء وجوده في دست الحكم .

هذا وكان المصريون يعقدون كثيراً من الآمال على حزب العمال في لندن ، ولكن الآمال المعقودة عليه خابت منذ استأثر بالسلطة حتى ان اسماعيل صدقي باشا ، رئيس الوزارة المصرية ، لم يسعه الا ان يشير الى هذه الخيبة في بيانه بمجلس الشيوخ ليلة ٢٨ ايار ١٩٤٦ حيث استعرض اسباب وقف المفاوضات التي كانت تجري لتعديل المعاهدة . ولكنه ، مع ذلك ، اشار الى رغبة مصر في الجلاء دون انتظار

ما يقوم حول التنفيذ من جدل .

وكان العالم العربي ، الذي اسلفته مصر عطفها خصوصاً عهد الوزارات الوفدية ، يعرب ، في كل مناسبة ، عن تأييده مطالبها ، وقد برهن على هذا التأييد ليس بلسان الجامعة العربية فحسب ، بل بجزاءاته الدولية ، ومقررات مجالسه النيابية : ففي مؤتمر ملوك العرب وأمرائه الذي عقد في زهراء الشرق بمصر (٢٨ أيار ١٩٤٦) ، وكذلك في الجلسة الاستثنائية التي عقدها مجلس الجامعة العربية في بلودان (حزيران ١٩٤٦) كان تأييد قضية مصر على رأس المقررات . وكان المجلس النيابي في لبنان اعلن تأييده لها ايضاً في جلسة ١٩٤٧/١٢/٢٣ مستنكراً قطع المفاوضات فان سائر المجالس العليا الرسمية في العالم العربي أعربت عن مثل هذا التأييد تشاركها الصحف والجمعيات .

على ان مصر اظهرت اعتدالاً ساعدها كثيراً في تعبيد الطريق بالسودان وتعديل المعاهدة . وقد منع مجلس نوابها نقاء لوزارة في مطلع عام ١٩٤٧ العصي في عزمها على تقديم الدعوى الى مجلس الامن الدولي .

ثم استأنفت وزارة النقراشي باشا مفاوضات مقعد الحكم والمفاوضات مع لندن لأجل تعديل المعاهدة ، ولكن قضية السودان كانت تقف العقبة الكأداء في سبيل الاتفاق .

وعلى انتظار الفرصة الثانية لتعديل هذه العقبات اتجهت وزارة النقراشي باشا مع الدول العربية الأخرى ، كل الاتجاه الى فلسطين ، ثم كان ما كان ، فبقي الجيش المصري وحده يصد جحافل متدفقة جنباً الصهيونيون على الجبهة المصرية .

ولا أدري اذا كان من الصدف ، او كان أمراً مفتعلاً ذلك الطغيان الشعبي الذي نبد في مصر ابان الخلاف على قضية السودان ، وأثناء القتال في وجه الصهيونيين . وأعني به زج الطلبة في الشؤون السياسية حتى لم يكن ينقضي يوم على غير مظاهرة . يوم لأجل فلسطين ، ويوم لأجل اندونوسيا ، ويوم لتصريح سياسي ، ويوم للسودان ، فضلاً عن مظاهرات لتأييد أو لاسقاط هذا وذاك .

واعني به ايضاً قيام جماعة اخرى بالقاء القنابل المتفجرة ، وبارسال التهديد والوعيد ، ثم لا يقتصرون على هذا الحد بل يعمدون الى القتل بموظف كبير ، والتعدي على سياسي خطير . وكان النقراشي باشا في جملة ضحايا هذه الفوضى (٢٨/ ١٢/ ١٩٤٨) . وقد اتهم الاخوان المسلمون بقتل دولته من جراء وقوفه الحازم

تتدعم وحدتهم ، وحجتهم في ذلك انه كان يجري الانكليز ويقع عليه تبعة حمل الدول العربية على الرضوخ لمشيئة الأولى التي اغتصبت فلسطين .

والواقع انه رغم اشتغال وزارة النقراشي بقضية السودان والمعاهدة وفلسطين ، ورغم اهتمامها بمشاكل مختلف الحلل التي تسلطت على الطلبة وبعض الجماعات ، فانها لم تنس واجب الحكومي فعينت موضع أساسي سياسة تصدير المرافق الثقافية والاقتصادية والنشاط الواسع منذ ١٩٤٧ ، وذلك بعد صدور قانون الشركات الذي ينظم العلاقات بين الشركات وبين الحكومة ، هيئة مراقبة تتولى الاشراف على تنفيذ احكام هذا القانون .

وقد درجت وزارة الدكتور عبد الهادي باشا على سنة الشهيد النقراشي باشا ، فصاحب الدكتور هذا التصدير ، وقد كان اهم معاهدة مونتريه التي عقدت سنة ١٩٣٧ ينتهي في ١٤ تشرين الأول ١٩٤٩ ، وانتهى معه ايضاً مجلسات نظام الامتيازات الاجنبية وانشاء المحاكم المختلطة فقد اقترحت هذه الوزارة على الدول عقد معاهدات اقامة لزايره في وادي النيل ، وسلف مشروعات هذه المعاهدات المقترحة الى السفارات والقنصليات في القاهرة . هذا فضلاً عن قيام هذه الوزارة بهمة استقبال الوفود الشعبية وضع فيه بيد حديدية .

وخلال هذه المشاغل والمشاكل الداخلية والخارجية كانت بريطانيا العظمى تعد العدة لقيام بأمر هام في قضية السودان ، فانها تدعو الى انتخاب مجلس تشريعي لحكومة سودانية توطئة للانفصال ثم عن الذهاب ، وانها بهذا المجلس ينتخب في آخر عام ١٩٤٨ ، واما احتجاجات مصر ، واحتجاجات السودانيين خصوم الانفصال فقد كانت تذهب هباء منثوراً .

هذا وما زال موعد انتخابات المجلس النيابي بمصر الجهت الافكار صيف ١٩٤٩ لتأليف وزارة النحاسية يشترك فيها الوفد المصري ، وتقوم مقام وزارة الهيئة السعدية قصد الاشراف على الانتخابات ، وقد شكل هذه الوزارة دولة حسين سري باشا فشرعت تعد العدة للانتخابات .

ورحبت صحف بريطانيا العظمى بهذه الوزارة ، واظهر بعضها الآمال بأن توفق لاستئناف اطيب العلاقات مع لندن . وصرح المتحدث بلسان مراسلي الصحف المصرية في واشنطن (٢٢ ايلول ١٩٤٩) بقوله : « ان بريطانيا العظمى ترحب بمفاوضات

جديدة لاعادة العلاقات بين البلدين الى سابق مجراها ، واعتقد بأن على القاهرة ان تخطو الخطوة الأولى في هذا السبيل . »

ولكن الأحداث الداخلية في كل من انكلترا ومصر لم تسمح المجال للاتفاق على القاعدة . هذا وقد جرت الانتخابات النيابية في مطلع عام ١٩٥٠ فطار حزب الوفد بأكثرية ساحقة ، وألف وزارة مصطفى النحاس رئيس الوفد الوزارة في كانون الثاني سنة ١٩٥٠ . ولم تجرؤ اي زعامة اخرى في مصر على تحدي المعاهدة ، فان الأمة العربية ، ومن ورائها العالم الاسلامي ، عقدت على الوزارة الوفدية كبير الآمال في تحقيق استرداد كرامة الأمة العربية وتلك الكرامة التي داستها في كارثة فلسطين ، وشرعت تترقب ان تعمل هذه الوزارة على جمع شتات الكلمة التي فرقتها الأهواء . ولا يدع هذا كان زعامة الأردن اليوم على قضية فلسطين ، كما فصلنا ذلك في كتابنا « فلسطين الدامي الشرق » ، وكان له افضل ايضاً في « المنشورات » التي دعا اليها ، وافضت الى قيام الجامعة العربية ، وهي رمز الوحدة العربية .

مملكة الهاشميين في الحجاز

لقد استعجل شأن مبدأ القوميات في القرن التاسع عشر والعشرين تركيا شيئاً كثيراً من جراء الثورات العديدة التي دمت معظمها في شرقي اوروبا لتهرب الخوف الى امتها وجوار الرعب الذي من دخول هذا المبدأ الى الحجاز وفي الحجاز مقدسات المسلمين ، وإليه يحج كل عام ، اصطراراً على ان يعيش وفي عهد شريف مكة في كنف السلطان عبد الحميد .

١ – انقاذ الثورات التي كانت كثيراً ما تنشب في الحجاز بين شريف مكة والمرشح للامارة بعده .

٢ – الغاء هذا المرشح عندما يتوجون بعده عند الحاجة تخويفاً للقائم على الامارة . وجرياً على هذه السنة كان الشريف حسين ، المرشح لمنصب شريف مكة ، يمثل نعمة تركيا حينما حدث الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ ، فاتيح له بذلك ان يشهد بنفسه المظاهرات الحاشدة للحرية ، وان يشرف على حركة القوميات العثمانية منذ اعلان الدستور ، وان يتأثر بالحركة العربية التي تركزت في اندية العاصمة ، واقتحمت منبر مجلس الأمة .

ولما قدر له ان يتبوأ امارة مكة سنة ١٩٠٩ حمل معه فكرة القومية ، وظل

يعني ان تطور الوعي القومي ويرافقه . ومع ذلك فان سيرته الاولى كانت تشير الى اخلاصه لنظام الخلافة اذ كان حريصاً على كل من واردته نفسه في الخروج على سلطة العثمانيين ، وهو يوفر الادريسي ، ولا لام يحيى . ثم انه حارب آل سعود زعماء الوهابيين ؛ فقد ساق على هؤلاء الجند ، وكان يتولى بنفسه بعض الحملات ، او يرتي عليها ابنه ...

وهذا الاخلاص للسلطنة قد عزز قوله الى حد انه اصبح ، عند العثمانيين ، يتمتع بنفوذ لا مثيل له بين عواهل العرب ، ولعله كان يريد بذلك توحيد الجزيرة تحت سلطته استعداداً للعمل على استقلالها .

وربما كان الشريف حسين يرى ان الوقت قد حان ليرفع الاستقلال جهاراً شاع في الاندية السياسية ان الرجل المريض (تركيا) اشرف على الموت ، خصوصاً عقب فشل تركيا في حرب البلقان ١٩١١ ، وخسارتها طرابلس الغرب ، ثم على اثر انكسارها في حرب البلقان . والواقع ان العناصر العثمانية من غير الترك ، وفي مقدمتها العرب ، كانت قد اخذت تفكر حينئذ في المصير .

واذا بالحرب العامة تنفجر (١٩١٤) فيحاول الشريف ، بدهاء ، ان يمسك العصا من وسطها ، فامام الباب العالي بدا يعلن استقلال الحجاز على ان يستمر هذا القطر تحت سيادة السلطنة . والكل الاتحاديين يأبون عليه ذلك ، ولا يقدرون على مقاومة هذه الفكرة بل يتحولون الى التظاهر بتقدير العداء لها وتعزيز ابعادها . وتفاعل فقد اخرج والي المدينة ، الشريف شجاعاً ، يشبه الفرد ، وهو المعتمد الاول فيها للشريف حسين ، ودبروا اغتيال الشريف حسين نفسه . ثم عقدوا في سورية ولبنان جمهرة من خيرة رجال القوميين على المشانق غير عابئين بشفاعة الامير فيصل بن الحسين المقيم بدمشق وكما سافروا آخرين الى النفي للاشتباه .

وكانت بريطانيا العظمى تعلق اهمية كبرى على انضمام العرب الى الحلفاء ، وتعقد الآمال على اشتراكهم معها في الحرب في جبهة الشرق الادنى ، فطفقت تغري شريف مكة بالثورة على تركيا ، وهو يتردد ، حتى اذا مثل جمال باشا قائد الجيش الرابع بولايات سورية وشردهم نهائياً افكر الشريف للانضمام الى المفاوضين البريطانيين ، فاعلن الثورة العربية بمكة يوم ١٠ حزيران ١٩١٦ ، واستولى على جدة والطائف . وفي يوم ٩ تشرين الثاني من السنة نفسها بويع ملكاً على العرب . وقد قاد اولاده الكرام الجيوش العربية في ميادين الحرب الى جانب الحلفاء .

ولما وضعت الحرب اوزارها حمد الملك حسين حموداً فولارياً في مطالبة حلفائه بالعهود التي قطعوها للعرب من قبل ، وبلغ من صلابته انه اعلن انسحابه من عصبة الامم احتجاجاً على دخول فرنسا سورية عنوة في تموز ١٩٢٠ ، ثم انه رفض بكل قبل ، التعاهد مع لندن على اساس الاعتراف بالوطن القومي اليهودي في فلسطين غير مبال بالعواقب .

وكان الكلترا أرادت ان تستلين عريكة جلالته ، فاتجهت الى عواهل الجزيرة الآخرين ، الذين كانوا جميعاً يفيئون على المقام الدوني الذي بلغه ، ويذكرون عليه ملكيته على العرب . وكان يقوم في نجد امير طامح حازم ، وفي ، خلال الحرب الكبرى الاولى ، ان ينضوي كبيراً تحت حماية بريطانيا العظمى بمقتضى معاهدة وقعها معها . فما آنس من بريطانيا غض الطرف عن الملك حسين اطلق لنفسه العنان فكانت خلافات بين الامير عبدالعزيز آل سعود وبين الملك حسين اثارتها قضية الحدود ، وانتهت بنشوب الحرب سنة ١٩١٩ بين المتعاهدين .

ومن الخطأ الذي ارتكبه جلالة الملك حسين انه ظل ، حتى بعد الحرب ، يثق بحماية انكلترا لملكه ، ويضع ثقة العرب الذين اطلقوا عنان حقد العرب ، الذي . ولذلك لم يبذل العناية الكافية بتجهيز جيش منظم وان اكتفى بان يكون عتاده على الحق الذي يحسبه صريحاً بجانبه . وهكذا فما أن اصطدم الجيش الشريفي والسعودي إلا وترجحت كفة الامام السعودي وقومه فتقدموا منتصرين ، حتى اذا كانت الغلبة لهم في قرابة ، ما وراء الطائف ، ترجحت كفتهم ، واصبح الحجاز في متناول يدهم .

وتدخلت انكلترا عندئذ ، فاوقفت السعوديين عن التقدم في الحجاز ، ثم حاولت ان تسوي مسألة الحدود بينهما .

واما الملك حسين فلم يزدد الا صلابة : فقد رفض الاشتراك في مؤتمر العمرة (١٩٢٢) الذي دعت اليه بريطانيا نجداً والعراق والحجاز وشرق الاردن لتعيين الحدود بينها ، وابى ان يصدق على مشروع معاهدة عرضته عليه لندن (١٩٢٣) لان هذا المشروع ، فضلاً عن كونه يختلف في مضمونه عن الاتفاق الذي جرى بينه وبينها اثناء الحرب ويلغيه بما فيه من عهود للعرب ، فانه يندرج عامل العرب الى الاعتراف بوعد بلفور .

وكانت صلابته اظهر ما تكون في مؤتمر الكويت الذي دعت اليه انكلترا

زاعمة انها تريد رفع الخصام الواقع بين الحجاز ونجد . وعلى رواية المؤرخ الفرنسي كيليت (Guillet) فان موقف الملك في هذا المؤتمر كان يدور حول الوان امارة نجد من الوجود ، واقناع الذين تشجعوا هذه الامرة بوجوب المسالمة معه في هذا الرأي ، فضلا عن انه كان يكرر المطالبة بالوعود المقطوعة للعرب على الرغم من ان ولده فيصلا ملك العراق كان يتوسل اليه ان يبدل هذه اللهجة .

واراد الملك بعد فشل مؤتمر الكويت ان يستعين بقوة اسلامية يتمنع بها عنايته فقصد عمان حيث كانت تنتظره وفود كثيرة جاءت من البلاد العربية ، التي تجل اخلاصه وتقدر خدماته ، ووبع خلافة يوم ٥ آذار ١٩٢٤ . وكان من اخلاصه للعروبة انه شاء ان يعرف في عمان شيئاً عن السر بعدد ووفى نجد الامير عبد الله دون مباحثة سورية بثأر لاخيه فيصل ، واستجابة لرجالات سورية وفلسطين . ولكن هذه الخطة التي لجأ اليها جلالته باعلان الخلافة كانت قد اهبت بالكفرا لان نقابه باستدراك من نوعها ويسر ان تناصل معه في الفوض ، ولا غرو فان الكفرا التي عملت على هدم الخلافة في بني عثمان حرصا على نفوذها في العالم الاسلامي ، كان يرعبها تقمص هذه الخلافة في شخص رجل عربي يزداد اجلالا عند المسلمين لانتسابه لبيت هو اعظم بيوت العرب ، وخصوصا وهو والمجاهدين سعوديين يخرجان من نجد ، وجهة احدهما شرقي الاردن حيث اقوم قوة الامير عبد الله ابن الحسين ، وجهة الثانية الحجاز . وقد توقف الانكليز الأولى عند ابواب عمان ، ولو شاءوا لاوقفوا الثانية . ولكن حملة السعوديين على الحجاز ظلت تذيع الخير حتى احتلت الطائف في اليوم العاشر من ايلول ١٩٢٤ ، وتقدمت شطر مكة .

وكان الاسرة الهاشمية المالكة قدرت ان مصيري الخمسة اذا كانوا يستهدفون شخص الملك . فسرعان ما تنازل جلالته عن الملك الى ابنه الامير علي المعروف بدماثة اخلاقه ومرونته ، ولكن هذا التدبير جاء بعد فوات الوقت ، اذ كانت جيوش الامام عبد العزيز قد واصلت تقدمها ، واحتلت مكة (١٥ تشرين الاول ١٩٢٤) ثم جدة (١٧ كانون الاول) مما حمل الملك علياً بضطر للانسحاب الى بغداد حيث قضى فيها بقية ايامه مكرماً .

واما الملك حسين فقد ألقته بوجة انكليزية الى جزيرة قبرص حيث عاش فيها عيشة متواضعة . وقد اتيح لي شرف زيارته في نيكوزيا عاصمة الجزيرة تأدية للواجب ، فشغلني جلالته بعطفه الوارف ، وشاء ان يحدثني عن المفاوضات

التي جرت بينه وبين الكلترا بشأن القضية العربية ، وما هي على منتهى الأهمية والخطورة . وقد أسفت ان اخلال هذه الوثائق العظيمة محكمة في كيس عنده ، فعرضت على جلالته ان اتولى ترجمتها تحت اشرافه ، والخراجها على شكل مذكرات خدمة للقضية العربية ، فأجابني ، اتوكلنا على بركات الله » .

وقد لاحظت ، اثناء حديثي مع جلالته ، انه أصيب في تلك الجزيرة غربياً عن تطورات السياسة . ولعل الجالة الكرام كانوا ايضا يكتمون عنه اخبارهم السياسية ، اذ بينما كان جلالته يعرب لي عن رأيه في الوسائل التي يم استقرار احوال الجزيرة ، ويتمنى ، هذا العرض ، اعادة امارة آل الرشيد لحائل ، كان ابنه جلالة الملك فيصل قد سبق له ان اعاد قبل شهر من هذا الحديث (أي في ٢٢ شباط ١٩٣٠) مع جلالة الملك عبد العزيز بن سعود ، واقصاه على شمر الامارة ، دون ، الانكليزية ، منتهى على شؤون الجزيرة وحدودها . وانك حسبي لا يعير شيئاً من ذلك ، بل كان لا يزال يفكر في الشرف من آل سعود ، وينتظر عودة خصومهم .

هذا وكان الناس يرتابون في نجاح فيصل ويتحدثون عن الكنوز العظيمة التي نقلها معه . فصارحني بعض المقربين اليه ان جلالته كان يعيش خلال عزلته هذه عيشة اقتصاد وتقتير ، حتى انه اضطر لترك الفندق الذي ينزل به حين هبط بيكاديلي ، والانتقال الى مسكن ارخص ، اجرة . ولم يكن يعلم ذلك قصد الاقتصاد ، وانما مراعاة لحالته المالية السيئة .

على ان الكلترا لم تسمح بعد لأمير شمر العرب ، الاجنبي الشرف على الموت ، وبعد أشهر قلائل في لندن بجوار ابنه سمو الامير عبدالله امير شرق الاردن جوه الاجل ، فتوفي مسموماً عنه في حزيران ١٩٣١ .

ولقد مات الشريف حسين ولكن ذكراه ما تزال ماثلة امام كل قومي عربي ، أفلم يجعل جلالته من القضية العربية قضية شخصية عاجل مؤتمر السلام ، وكان له في هذا المؤتمر مندوبان ؟

ثم أفلم تظفر العروبة بفضل جهوده بحق السنيين في عصبة الامم ، وصارت هذا الحق في شخص مندوبه عدة من الزمن ؟

بلى ! ولكن الحظ لم يخدم العرب حتى النهاية . فلو قدر لجلالته ان يتصف بمرونة ولده جلالة فيصل الاول لبلغ بالعروبة ما بلغه ابو خزعي بالعراق واكثر .

المملكة العربية السعودية في نجد والحجاز

نشأتها وتكوينها : اشرنا ، عند الكلام على الدولة السعودية الثالثة ، الى ان الامام عبد العزيز آل سعود ، امير نجد ، قد التزم الحياد في بداية الحرب العالمية الاولى . ولكن ويلسن العظمى ظلت تتدرجه وتؤمله حتى اقنعته اخيراً بالتوقيع على معاهدة القطيف (١٩١٥) ، وهي كسائر المعاهدات التي فرضتها لندن على امراء الخليج درس لتجهل امارة نجد داخلة في حمايتها وخاضعة لسياسة بريطانيا الخارجية . ولما انتهت الحرب المذكورة بانتصار بريطانيا حليفة آل سعود على تركيا حليفة آل الرشيد ، اصبحت نجد في نظر العالم السعودي لا تتسع لامارتين متنافرتين ، فانقض على حائل والجوف ، واخضعها بامارته سنة ١٩٢١ .

ولما توترت العلاقات بين الملك حسين وبين الكلتوا ، اكثر الامر سوءاً ، حمل همة امير نجد الى المطالبة بتعديل الحدود بينه وبين الحجاز ، وقد اقدم جلاله بحملات على اطراف الحجاز ، ولما استفحل التناحر مع الملك حسين حمل عليه واحتل مكة (١٩٢٤) . ومن ثم توج ملكا على الحجاز (١٣٤٣ هـ ١٩٢٥م) . وبذلك رفع الامر عن مؤتمر الكويت عن حل معضلاته ، فالى مؤتمر بغداد وتحريره (١٩٢٥) تسويته النهائية بعد ان تم خلال ابن سعود الانتصار الميداني .

ولما استفحلت الظروف الامام السعودي ، ودخلت عسير ، تحالفي معاهدة ١١ آب ١٩٢٦ ، في حوزته ، وبسط حمايته على تهامة ، أصبحت مملكته تمتد من خليج فارس الى البحر الاحمر ، ومن حدود شرق الاردن الى اليمن .

واتجه جلالته في سياسته الخارجية الى السعي لتعديل معاهدة القطيف فانتهت المفاوضات بينه وبين الكلتوا الى عقد معاهدة جدة (١٩٢٧) ، التي اعترفت فيها حليفته باستقلاله الكامل . وبهذه المناسبة يقول عبد الله فيلبي ، لقد كان ابن سعود حكيماً في جميع خطواته لانه لم يثر أية خصومة مع الدول الكبرى ، ورغم ما ابداه شعبه من مظاهر القلق والتبرم المتعددة فقد احترم انظمة الانتداب في فلسطين وشرق الاردن وسورية والعراق ، والوضع الخاص بامارات الخليج الفارسي . ولم يقف عند هذا الحد ، بل انه قد استخدم فعلا في احدى المناسبات (١٩٢٩ – ١٩٣٠) القوة المسلحة لقمع ثورة قام بها رعاياه ضد سياسته الرامية الى تفادي تصادم غير مجد مع الدول الكبرى . »

على ان هذا الموقف الذي وقفه العاهل السعودي كان مدعاة لتوثيق العلاقات بينه وبين العالم العربي، ولا سيما مع لندن، ولازدياد معتنقيه لزيارة عواصم اوروبا.

وما ان اعترفت انكلترا وفرنسا وغيرهما بمكة حتى بدر لابناء ابنه الامير فيصل الى عواصم القدح التكريم بكل ما نصب ممثلين سياسيين له في لندن وباريس، وكذلك في انقرة ومصر وبغداد ودمشق وغيرها. وهو في ذلك لايتردد في الاعتماد على ابناء العروبة من اي قطر كانوا. وفي سنة ١٩٣٨ قصد الامير سعود ولي العهد واخوه محمد الى لندن لمفاوضة في بعض الشؤون السياسية. ثم زارا بعد ذلك امريكا. وكانت هاتين الزيارتين ذكرى وبدوات كثيرة عجيبة، شرع يقوم بها اصحاب السمو الملكي جلالة اوروبا واميركا، ولا سيما بعد الانفاق السعودي الاميركي على البترول.

وله في السياسة الاسلامية والعربية فقد اصطدم جلالة الملك، بدءي، ذي بدء، بعقبات حول نيابا بالسياسة في بدايتها. ثم واجهه بعقبة عظيمة عندما طالب بالحزم والعمل من ذلك ان المسلمين كانوا يخشون نعمي الوهابيين على مقدساتهم في مكة والمدينة وما حولهما فيأخذ على جلالته هذه سابقة ويتشددون على تقليدهم، التي لا تتفق مع المذهب الذي يدين به الوهابيون. وكان العرب، ما عدا المتشددين بتقاليدهم التركية، يقدسون الملك حسين لما قام في سبيل قضيتهم القومية، ويعتبرون ان كان خسارة وفاته هذه القضية وفلسطين. لذلك رأينا المسلمين، والعرب منهم خاصة، غير مرتاحين، اول الامر، لتعصب الوهابيين على الحجاز. وكان جلالته يدرك كل ذلك، ويراد ان يزيل الشك من النفوس التي دبت فيها الريب والاطمئنان. فدعا في ١٣ حزيران ١٩٢٦ العالم الاسلامي الى مؤتمر يعقد في مكة، على ان يكون مؤتمراً دائماً يشرف على الشؤون الاسلامية في الحجاز، ويعالج القضايا الاسلامية عامة. ولقد يقدر النجاح هذا المؤتمر اعلن رئيسه وقت انعقاده يوم ٢٦ ايار ١٩٢٧، وعلى الملك في حينه يعقد بمكة اسلامي عربي مذهب من نتاج افكاره الناضجة. وما هي الا سنوات قلائل حتى كانت النفوس المضطربة تطمئن، والنفوس المطمئنة تزداد اعجاباً واخلاصاً لجلالته.

والى سنة ١٩٢٨ كان جلالة الملك الحجاز الجديد لا يزال يحمل لقب امام نجد. ومنذ ذلك التاريخ الصحيح يدعى ملك نجد والحجاز، وصار يتنقل بين الرياض

ومكة حسب الحاجة والمواسم. وقد أعلن في ٢٢ ايلول ١٩٣٢ توحيد الممالك الخاضعة له باسم « المملكة العربية السعودية » . واذ ظهر بمظهر القوي المؤثر تهافتت الدول الاسلامية والعربية على توثيق روابطها معه : فوقعت العراق بينها وبينه معاهدة اخوة عربية وتحالف سنة ١٩٣٦ ، وانضمت اليها اليمن في العام التالي .

ويتحدث المتحدثون عن الأمن الذي انتشر في هذه المملكة الشاسعة بفضل حزمه وهيبته . على ان الامن وان كان يعتبر الشرط الاساسي الاول للعمران فان عناية جلالة الملك لم تقتصر عليه وحده وبل تعدته الى سائر الشؤون العامة على قدر ما كانت تسمح به خزينة المملكة ، وتقاليد البلاد . وفضلا عما بذل سنة ١٩٣٨ من الاهتمام بانشاء خطوط النقل فقد نقلت البلاغ الذي اذاعه الدعوة بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٣٩ ان صاحب السمو الامير فيصل آل سعود وقع مع ورير خارجية مصر على مشروع اصلاح طرقات الحجاز الرئيسية ذلك المشروع الذي قدرت نفقاته بـ ٢٤٠ الفاً من الجنيهات ، وتقرر ان تدفع وزارة الاوقاف المصرية من هذا المبلغ مئة الف جنيه ، اما البقية فتدفعها الحكومة السعودية على سبعة اقساط سنوية .

فان الشيخ حافظ وهبه (اغلال عدة مناز - العرب والاسلام) ، وقد يكون من حق التاريخ علينا ان نذكر ان النهضة العلمية والاصلاح الديني والنهضة الصحية الحديثة في البلاد العربية السعودية مدين بخيره صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود . وهو الذي انشأها في بعض النواحي ، ورباها ورعاها في بعض النواحي الاخرى كالحجاز . نعم لقد كانت هناك بضع مدارس أو مستشفيات عسكرية او مدنية ايام الاتراك ، ولكن ما عدا المؤسسات العسكرية ، او ما له صلة بالجيش ، لم يكن هناك شيء يصح ان يطلق عليه مدرسة او مستشفى بالمعنى الصحيح . اما اليوم فالمدارس في الحواضر والقرى الحجازية والنجدية والبعثات ترسل الى مصر وسواها من الممالك العربية للتزود من منابع العلم والنور بين جميع الطبقات . ولولا ان موارد الدولة محدودة لسارت النهضة العلمية بخطوات اوسع ، ولسدت الرغبة العامة والحاجة التي يشعر بها المثقفون . »

وفي الواقع فان عام ١٩٣٨ قد سجل نشاطاً محسوساً في المملكة العربية السعودية من حيث العمران والاصلاح ، وزيادة على ما اشرنا اليه من الاهتمام بخطوط النقل ، فقد انصرفت الجهود لجعل جدة مرفأ عصرياً ، ولتعمير مكة وتجديدها ، وللعناية بالشؤون الصحية فيها : اذ بوشر بتدمير منازلها القديمة ، وعني

بتجميلها وتوسيع طرقها ، ومكافحة البرغش فيها ، وانشاء فيها مستشفى كبيراً . وعلاوة على ذلك فقد اهتمت الحكومة السعودية بتجهيز المملكة بالأجهزة التلفونية ، وتجديد ما بلي منها ، وحفر الآبار الارتوازية في الرياض وغيرها ، كما عنيت بمكافحة العادات القديمة في حفلات الزواج وغيرها .

هذا ويذكر جلالة الملك فاروق الاول عاهل مصر انه امر بانشاء صيدلية ومستشفى فيها لمعالجة الفقراء مجاناً ، وتشمل بذلك مصر الى انشاء فندق كبير للحجاج في مكة والى القيام بتلك وبمشاريع اخرى .

اضف الى ذلك ان جلالة الملك عبدالعزيز قد وجه عناية خاصة ، منذ تبوأ عرش الحجاز ، الى اعداد الجيش وتجهيزه بالمعدات . وقد بلغت قوات هذا الجيش سنة ١٩٣٨ عشرين الف جندي وخصص العدد الاحتياطي من الاحوان بجهزين بشيء من المعدات الحديثة ، بينها بعض الطائرات والدبابات . ومع ذلك فقد تقرر في المؤتمر ، الذي عقده خلال السنة المذكورة في الرياض ، انشاء مجلس اعلى لدرس الشؤون الوطنية واصلاح الجيش .

المملكة العربية السعودية منذ الحرب العالمية الثانية : اوردنا في القسم الاول من هذا البحث كلمة السيد عبد الله فيلبي ، التي نوه فيها بحكمة جلالة الملك ابن سعود في موقفه الدبلوماسي خلال الدور الكبير ، وجاءت الحرب العالمية الثانية مؤيدة ما اراد ان يشير اليه المستر فيلبي من حيث حمود جلالته على الوفاء بالعهود المقطوعة لحكومات جلالة ملك بريطانيا العظمى المتعاقبة . وان تطورات الحرب ، وما استتبعت بسببه من التحديات لم تزحزح جلالته عن صداقته للحلفاء ، وخصوصاً لبريطانيا العظمى .

وقد كانت المانيا عينت قبل الحرب الدكتور كروب ، وزيرها المفوض في بغداد ، وزيراً مفوضاً لها في جدة . فاشرف الدكتور المذكور ، خلال الحرب ، على الدعاية التي كان يقوم بها المحور في سورية والعراق ، ولما دخل المملكة العربية السعودية ، بوصفه وزيراً مفوضاً لدولته ، رفض جلالة الملك ابن سعود السماح له بالبقاء فيها ، وأمره ، في صيف ١٩٤١ ، ان يغادرها حالاً . كما انه امر باعتقال الجنود الايطاليين الذين لجأوا الى بلاده من البحر الاحمر على اثر اغراق سفنهم في شرق افريقيا .

هذا الى ان لندن قد توقعت في مطلع ١٩٤٢ الى اقناع جلالة الملك عبد العزيز بان يقطع علاقاته السياسية بالمحور ، ويعني هذا عملياً قطع العلاقات السياسية مع

ايطاليا وحدها . وذلك لانها كانت هي الدولة الوحيدة من دول المحور التي ظلت تمثل تمثيلا سياسيا في جدة . ثم أقفلت القنصلية السعودية في فيشي في ربيع السنة التالية .

وعند اول آذار ١٩٤٥ اصبحت المملكة العربية السعودية في حالة حرب مع دولتي المانيا واليابان بمقتضى الاعلان المشترك في جزيرة العرب التي بقيت على حيادها . واعلان ايطاليا . فم تشهر الدولة السعودية عليها الحرب لأنها كانت محتلة من قبل الحلفاء . على ان العلاقات بين المملكة العربية السعودية وبين الولايات المتحدة قد اخذت تتوثق يوماً بعد يوم . فقد بين الدولتين من صلة اقتصادية عقلية معاهدة البترول . والخير من جراء ذلك النفوذ البريطاني عن الجزيرة على قدم المساواة للعلاقات الاميركية عربيا . وفي اواخر كانون الاول ١٩٤٣ هبط جدة الجنرال رويس القائد الاعلى لقوات الاميركية في الشرق الاوسط مع هيئة من اركان حربه ، فاستقبلهم جلالة الملك احسن استقبال . وعلى اثر ذلك اذيع ان الحكومة السعودية تسلمت سبعة ملايين وخمسمائة الف دولار من الحكومة الاميركية ، وذلك بعد ان صدق الحكومتين على مشروع استغلال الاميركيين لبعض الموانئ الجوية .

وكتب الرئيس روزفلت في ٥ آذار ١٩٤٣ الى السيد هاملتون مدير مصلحة الاغاثة والتجهيز يقول : « ان حق الاستفادة من هذه المؤسسة الاميركية قد صار الآن الى المملكة السعودية العربية ، وان الدفاع عنها اصبح حيوياً بالنسبة للدفاع عن الولايات المتحدة » .

وكان من مظاهر العلاقات الطيبة بين الدولتين ، تلك الدعوات التي صارت توجه ، حينما يعقد مؤتمر دولي او اجتماع الى حكومة جدة والرياض ، والحاولات البارعة التي تبذل لتمثيل هذه الحكومة العربية السعودية ، وخصوصاً ابناء جلالة الملك العربي المعظم ، كما رأينا في امريكا ، فضلا عن اعمالها المتبادلة بين الدولتين الصديقتين ، ولوحة التصوير .

والواقع ان وجود البترول على هذه الكثرة في المملكة العربية السعودية ، والاعتقاد بوجوده على مدى واسع في المناطق المتاخمة لحقل الشركة الاميركية التي نالت الامتياز سنة ١٩٣٣ ، كان احد حدثين وقع في جزيرة العرب في العصر الحاضر . ذلك أن هذا الكنز المدفون فضلا عن انه جعل الجزيرة ومياهها عامة ، والمملكة العربية السعودية خاصة موضع اهتمام الدول ، ولا سيما امريكا التي اتخذت قد انابيب البترول الى البحر المتوسط ، وتعتبر عدة خطة جيدة بحيث تجعلها

مستودعاً للمصنوعات الأميركية ، وهذا سيؤدي حتماً الى تطور خطير في حياة تلك البلاد بفعل القوة التي ستتدفق على حكومة الرياض .

والآن وآبار البترول لا تزال شبه مغلقة فان دخل جلالته منها يقدر بقرابة اثنين وستين الف دولار كل يوم . وهي ثروة من شأنها ان تؤمن اهدافه الاصلاحية .

ومما من شك في ان حكومة جلالته باشرت بعض الاصلاحات الداخلية التي تتفق مع الموارد الطارئة ، واهمها ذلك الخط الحديدي الذي سيصل مدينة الرياض بخليج العجم ، واعداد العدد لجيش قوي ، ومشروع الطريق ما بين مكة والمدينة ، ولكن ما تسري الحكومة تحققه ، على وجه الكمال ، لم يبرز حتى الآن الى حيز العيان .

ومن مدعاة السرور ان هذه جلالة ابن سعود تحسب حساباً للاسرة الزراعية ، لتجعل من تلك الأراضي التي يحسبها الناس فاحلة جنات خضراء تسر الناظرين ، وتدر الخيرات على العاملين . فقد استخدم عدداً كبيراً من المكننين لدور الأميركي ورفقائه لحراثة الحقول في الشؤون الزراعية . وقد عاد في الآونة الاخيرة المستر كنيت الى اميركا لحضور احد المؤتمرات ، وصرح هناك بان السنوات الأولى التي يقضيها في حضن جلالة الملك على تعويده استخدام خمسة عشر فدانا آخرين من اميركا ، واعداد برنامج أوسع لتحسين الزراعي . وقد امتدح المستر الله رغبة صاحب الجلالة في رفع مستوى المعيشة ، وتقدم الزراعة ، لكونه يساعد ذات القيمة التي تقدم له كل من صاحب السمو الملكي الأمير سعود ولي العهد ، وصاحب السمو الشيخ عبدالله بن سليمان وزير المالية ، ولا سيما في تأسيس انشاء وزارة للزراعة خاصة .

دولة اليمن

كانت اليمن احرص البلاد العربية على الاستقلال ، وقد سبق لنا ان ألمعنا ، في الجزء الاول ، بجهودها في هذا السبيل . ويعتبر جلالة الملك الامام يحيى حميدالدين محرر اليمن في التاريخ الحديث ، فهو رحمه الله قد خلف ابه في الحكم سنة ١٣٢٢هـ = ١٩٠٤ م اعلن الثورة على الترك ، واستمر يناضلهم بين كر وفر الى ان استطاع ان ينتزع منهم سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١م معاهدة تنص على استقلال بلاده . وبمقتضى هذه المعاهدة كانت حكومة السلطان تؤدي له جعلاً شهرياً ينيف الالفي والخمسمائة

جنبه من المذهب الانكليزي على ان يعترف به مذهباً سائداً. وظل الأمر كذلك حتى دارت الدائرة على الترك في الحرب العالمية الأولى، وعقدت معاهدة لوزان، التي عقدت بينهم وبين الحلفاء عام ١٩٢٣م، باستقلال اليمن.

وقد كان الامام وفياً بعهده للعثمانيين، رغم كل اغراء واغراء بذلتها بريطانيا في سبيل كسب اليمن لسوء سياسة الحكومات التركية، ولا سيما في الحرب العالمية الاولى. وبالرغم من منع ايصال فقد التزم جلالته الحياد خلال الحروب التي اشتبكت فيها السعودية [illegible] مع ايطاليا ودول البلقان، خلف، في الحرب العامة.

وكان جلالته، الى ذلك، يطمح الى اعادة كيان اليمن لحدوده الطبيعية، ويتأهب لاحتلال وطنيه بعض اعماله في الجنوب. وهو يتردد عن احتلال منطقتين من هذه المناطق الجنوبية: الدمغلي والكثيري.

تم بذلك محاولات بريطانيا لتسوية الخلاف حيناً بين اليمن، وعدن الوعدان، وقد بمقتضى ١٩٢٣ ووعد كانون ١٩٢٥ "السلام الرسمي الى صنعاء"، دون جدوى لجأت الى التهديد، ولكن القتال، الى القتال على معسكر الامام، والى قصفت بالقنابل الجوية [illegible] لم تجدها نفعاً.

ثم توترت العلاقات بين اليمن ونجد على اثر احتلال مقاطعة عسير الى حكومة نجد (١٣٣٨ هـ ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ - ١٩٢٢ م). والزيدية بعد سقوط الدولة، مكة بين جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود وبين السيد الحسن الادريسي (١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م). وكان سبب ذلك ان هذا الاتفاق أدخل القسم الذي كان يحكمه الأدارسة في تهامة اليمن بجانب آل سعود، في حين ان جلالة الامام يرى في هذه البلاد جزءاً متمماً لليمن.

ولم يستطع الفريقان حل الخلاف، عن طريق تبادل الوفود، حكمتها السيف بينهما، وكانت تهامة ميدان القتال، فترجح فيها كفة الجيش السعودي (١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣م)، ولكنه وقف عندها عجزاً عن متابعة التقدم في الجبال. وذلك لان جلالة الامام يتمتع فيه بمناعة لم تستطع الامبراطورية العثمانية ان تذللها.

وما اشد ما كان هذه الحرب بين الدولتين من وقع على انصار القومية الذين يجاهدون في سبيل الوحدة العربية. فبادر بعض الزعماء منهم للاتصال شخصياً بالعاهلين. وقد وفقوا الوقف القتال على ان يبقى جزء من تهامة في حوزة حكومة الحجاز ونجد.

وكان جلالة الملك فيصل الأول ملك العراق يتوخى في سياسته تحقيق الوحدة

العربية مبتدئاً بتوثيق عرى الاتحاد بين عواهل العرب . فوفد السيد نوري السعيد ، وهو ساعده الايمن في هذه السياسة ، الى الحكومات العربية للتوقيع على معاهدات صداقة وتعاون . ففادر الوفد بغداد يوم ٢٨ آذار ١٩٣١ . وبعد التوقيع في عمان ومكة على المعاهدتين اعد دولته لمثلها فوقع على معاهدة صداقة بين العراق وجلالة الامام يحيى يوم ٢٣ ذي الحجة ١٣٤٩هـ ١١ أيار ١٩٣١م .

ثم اوفد في بغداد والحجاز (٢ نيسان ١٩٣٦) بلاغ يتضمن توقيع معاهدة اخوة عربية وتحالف بين العراق والمملكة السعودية . وبدلت الحكومتان الجهد لانضمام اليمن اليها ، فوصل الى بغداد يوم ٦ حزيران ١٩٣٦ السيد محمد زبارة مندوباً عن اليمن لمذاكرة في امر هذا الانضمام ، وقد تم ذلك بتوقيع الامام على هذه المعاهدة يوم ٢٧ صفر ١٣٥٦ هـ ٢٩ نيسان ١٩٣٧ م .

على ان الحرب التي وقعت بين جلالتي الامام يحيى والملك ابن السعود لم تزل دون ان تترك اثراً فعالاً في نفس كل منهما . فقد كانت له فيها عبرة حملته على ان يقدر ما في تنظيم الجيش على النمط الحديث من فوائد ، فصح الى الاصلاح العسكري والاستعداد الحربي ، وازداد تمسكاً بمالك عند استفحال خطر ايطاليا في البحر الاحمر ، ولا سيما بعد ان بسطت استيلاءها على الحبشة . فاستعدم بعض القادة السوريين ، ثم استدعى من العراق ، فوصلت اليه (١ آذار ١٩٤٠) بعثة عراقية عسكرية عملت على ادخال نظم التعليم والتدريب العراقية الى الجيش اليماني على قسميه الدفاعي والمظفر ، كما عملت على ابتياع المعدات الحربية ، وفي جملتها المدفعية الميكانيكية الثقيلة .

واقتضى الاهتمام بالجيش اهتماماً بالفروع الاخرى التي تعتبر اساساً للاصلاح العسكري . هذا فضلاً عن توجيه جلالة الامام اهتمامه للمعارف وبعض الصنائع والعمران واصلاح شؤون الادارة ، وارساله بعثات الطلبة الى كل من مصر والعراق وايطاليا . وهو في كل ذلك انما يلزم جانب الشريعة الاسلامية ، ويبتعد عن الشبهات . ولا ادل على ذلك من كتاب لطف وارسله الي مؤرخاً في ٦ ربيع الاول ١٣٥٠ يعلمني فيه بوصول مؤلفين كنت قد رفعتهما لجلالته ، ويتصحني فيه قائلاً : « وليت انكم تكلمتم واشرتم الى الآداب الشرعية التي بها خير الدارين وعزهما . »

هذا الى ان جلالته لم يهمل جانب العلاقات الدولية ، ولا سيما في النواحي

الاقتصادية : فقد عقد بينه وبين بريطانيا العظمى (١٩٤٣) معاهدة صداقة وتجارة لمدة اربعين عاما ، ومثلها مع كل من فرنسا وايطاليا وبلجكا وهولندا ، كما وقع اتفاقاً بينه وبين روسيا السوفياتية لمدة عشر سنين ، جدد بعد انقضاء مدته . وقبيل حرب ١٩٣٩ ١٩٤٥ بذلت حكومة صنعاء جهوداً كبيرة في سبيل توسيع نطاق علاقاتها الاقتصادية مع سائر الدول الاوروبية ، فعقدت في النصف الاول من عام ١٩٣٩ عدة اتفاقات تجارية مع بلجكا وسويسرا وغيرها .

هذا الى ان جلالة الامام يحيى شخصياً كان يتصل مباشرة بالخارج : وفضلا عن الوفود التي كان يوجهها جلالته الى الدول العربية قبل الحرب ، او قد تجد سمو الامير سيف الاسلام محمد الى ايطاليا بزيارة رسمية ، ثم ارسل ولده سمو الامير سيف الاسلام الحسين الى لندن لحضور حفلة التتويج ، كما انتدبه ، من بعد ، لحضور حفلة افتتاح المسجد في جنيف ١٩٣٨ ، وتمثيل دولة اليمن في مؤتمر الاغاثة المنعقد في لندن ١٩٣٨ لبحث قضية فلسطين .

هذا ولما نشبت الحرب العالمية الثانية ، كانت اليمن الدولة العربية الوحيدة التي احتفظت بحيادها دون ان يمس الحلفاء حيادها على اعلان العداء حد المحور .

ثم لما تألفت الجامعة العربية عهد جلالته الى ولده سمو الامير سيف الاسلام عبدالله بان يمثل بلاده في مجلسها ، وفي عام ١٩٤٦ منح الامير جائزة التحقيق الانكليزية الاميركية في القاهرة ، وقدم اليها بياناً استعرض فيه وجهة نظر الدول العربية في قضية فلسطين ، اقره عليه ممثلو هذه الدول . وكان في الحفل بان اكون واحداً من موظفي هذا البيان ، وصعبي ممثلا لجمهورية اليمن امام هذه اللجنة .

وتقديراً لما كان لسمو الامير عبدالله من المواقف الحميدة في كل المجالس ، فقد استمر جلالة والده على انتدابه للمؤتمرات الدولية : فشارك في دورتي مؤتمر لندن (١٩٤٧) الذي عقد لحل مشكلة فلسطين ، ثم مثل اليمن ، عند عودته الموقفة ، في عضوية هيئة الامم المتحدة ، وذلك في صيف ١٩٤٨ ، كان سمو يرأس وفود اليمن الى اجتماعاتها طيلة حياة والده العظيم .

هذا الى ان جلالة الامام يحيى ما ان اطمأن الى زوال الخطر الايطالي منذ الحرب العالمية الثانية ، ورأى في وجود الجامعة العربية والاتحاد الامة العربية حارساً لبلاده من المطامع الاجنبية ، حتى شرع يتطلع الى العالم الخارجي ، ويسعى لتوثيق العلاقات الدولية ، بالاضافة الى شروعه في الاخذ ببعض الاصلاحات الداخلية ،

ولا سيما في النواحي الثقافية والصحية. وأنشأ المدارس واستعان بالحكومة المصرية على تأمين بعض المدرسين. وكما أني ساهمت في إرسال بعض الأطبـــاء والأساتذة ورجال الفن من سوريا وليبيا لذلك اليمن. وآخر ما وصلنا من أنباء اليمن جعل التعليم الابتدائي اجباريا في المدن، وفي القرى، التي تملك فيها مدارس ابتدائية.

ورغم ذلك فقد أوفد جلالته بعثات من أطفاء لمدارس مصر، كما استقبل لسنين عدة مؤلفة من أربعين طالبا، كان لي حظ الاشراف عليهم مدة وجودهم في هذا البلد.

ولكن جلالته لم يتردد في تبديل التمثيل السياسي، حتى لو كان من شأنه بينه وبين الدول العربية. ويرجع ذلك الى ان المعاهدة المعقودة بين اليمن وبريطانيا العظمى ١٩٤٢ تضمنت نصا صريحا يعطي هذه الاسبقية عندما تقرر اليمن تبادل التمثيل السياسي بينه وبين الدول الاخرى. ورغم وجود اتفاقات تجارية عقدت بين اليمن والولايات المتحدة سنة ١٩٤٦، وبحاولة امريكا التقارب مع اليمن في مدته، فان السفير الامريكي لم يقم في جدة، وتمثل هذه بقنصل عن سفيرها في واشنطن.

. . . . . .

استطاعت اليمن بفضل الخطة التي كان يتبعها جلالة الامام يحيى أن تحتفظ باستقلالها السياسي، وان تقف وقفة الند بين الند والند، ولكن من المؤسف انها لم تستطع الاحتفاظ باستقلالها الاقتصادي، بل وخلت، في هذه الناحية، فريسة لنطاق النفوذ البريطاني. ذلك ان اليمن التي لا غنى لها عن التعامل مع سائر العالم اسوة بكل قطر آخر، وقد اعتمدت هذا مرفأ واحدا، هو الميناء المصرية، مفتاحا لاستقبال البواخر الكبرى وتحميلها وتفريغها، كما انها لم تسمح بقيام مصرف واحد على عاتقها تحويل الربان المتداول في اليمن الى نقد اجنبي، واعطاء الحوالات. هذا فضلا عن انها لم تضع تعرفة خاصة بها سوى ريالات من الفضة سكت بصنعاء، فكان عليها من جراء هذا النقص الذي منيت به في المرافق التجارية ان تبقى في صادراتها وواردتها، الى عدن، في حين ان بريطانيا العظمى اعدت هـــذا الثغر ليكون مرفأ لليمن، وذلك باعفاء البضائع التي تمر به من الرسوم الجمركية، وبإقامة المصارف المالية، وبإيجاد فروع لشركاتها التجارية الكبرى على نسق الفروع المنتشرة في مستعمراتها. وقد اصبحت اليمن بذلك مضطرة للاعتماد على عدن فحسب في اعمالها التجارية والمالية، وفي تحويل قدر كبير من وارداتها الى روبيات هندية، لاسيما ان تجار

٦٠ في المائة من وارداتها تجلب من الهند .

على ان بريطانيا العظمى لم تكن ، مع ذلك ، تتمتع بهذه السيطرة على اقتصاديات اليمن ، بل كانت تعد ابتداءها الى خيرات تلك البلاد المدفونة تحت الثرى ، وتواصل الطلب من اجل التنقيب عن البترول وغيره . غير ان حذر جلالة الامام يحيى كان يحمله على الوقوف في وجه هذه المطامع ، وكان ان حرصه على استرداد الاجزاء اليمنية التي كانت قد دخلت في حوزة عدن كان يقض مضجعه . لذلك كان يحرم الامير سيف الاسلام عبد الله من ان يتنقل في نواحيه الى والمنطقة والمدنة ، وعوده منها خلال سنتي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، يطالب بالجلاء عن المحميات على اعتبارها جزءا لا يتجزأ من اليمن .

هذا وكانت القوات البريطانية قد احتلت اثناء الحرب العالمية الثانية ، منطقة تقع غربي عدن تطل على البوغاز الذي ينصب عنده البحر الاحمر بالمحيط الهندي ، وذلك لمواجهة الخطر الايطالي عبر البحر الاحمر . ولما وضعت الحرب اوزارها شرع جلالة الامام يطالب ايضاً بالجلاء عن هذه المنطقة ، ولكنها لم تفعل ، وانتهت المفاوضات الى الاتفاق بين الفريقين على جعلها منطقة حرام .

وربما ان هذا الحرم الذي اشهره جلالته في وجه المطامع الاجنبية ، ولاسيما بعد المطالبة في الجلاء عن المحميات ، كان في لندن فكرة التخلص منه ، فصدر قيام هيئة حاكمة في صنعاء فتكون صنيعتها وتتحرك بتحريكها . واخذ المبعوث سيجر في عدن يضع الخطط عند نحو اربعة اعوام ، ووجه يرحب بالعائدين الى عدن من الشباب اليمني المتحمس الناقم ، واذا بجمعية تحريرية تتألف هناك تلقى التشجيع منهم والتنشيط ، واذا بسيف الاسلام ابراهيم يخرج على جلالة ابيه ويقيم بعدن ويتزعم هذه الجمعية . وهكذا فقد دبرت بعدن الحركة الانقلابية التي عرفت بحركة ابن الوزير ، ومنها استمدت كل المساعدات .

وفي يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الثاني ١٣٦٧ = ١٩٤٨ اوقف المتآمرون سيارة جلالة الامام يحيى خلال عودته من احدى مزارعه ، ووجهوا الى جلالته ، والى من معه رصاص الرشاش ، فقتلوهم جميعاً ، وكان بينهم رئيس الوزراء القاضي عبدالله العمري . ولما خف سيوف الاسلام في صنعاء الى دار المملكة اعترضهم الرئيس جمال جميل ، الضابط العراقي الموظف في اليمن ، وقتل سيف الاسلام الحسين والمحسن عند باب الدار .

وخلال ذلك امر الامير السيد عبدالله بن احمد الوزير الى قصر غمدان ، وفيض على من بقي حياً من اولاد الامام بصنعاء ، وكاتب بعض القبائل اليمنية واستمالهم .

في الحفلة التي اقيمت اخيراً بالقاهرة بمناسبة زواج الشاب الثري حسين عاشة ابن الكاتب الامام يحيى حميد الدين ، ويبدو في الرسم صاحب السمو الملكي سيف الاسلام عبدالله يتكلم مع سعادة الدكتور حسين بك سري موجد حلاة الثلث فروق ابن الحفلة ، وعلى جانبه سعادة محمد صالح حرب باشا وعلى اليمين صاحب السمو مؤلف هذا الكتاب

وفي اليوم التالي بايعه الناس باسم الامام الهادي ، فابرق الى امين الجامعة العربية وبعض رؤساء الحكومات العربية معلناً هذا الانقلاب ، واذا به يتلقى من حاكم عدن تهنئته الخالصة اشعاراً للعالم باعتراف بريطانيا بالأمر الواقع .

وكان سمو الأمير سيف الاسلام أحمد اكبر ابناء الامام الراحل ، وولي عهده موجوداً في منطقة تعز يومئذ يلعب الجولف فذهب السيد الى معقل حجة في الشمال الغربي من صنعاء ، وكاتب من هنالك القبائل الشمالية وغيرها ، فهرعوا اليه ، ولم تمض ايام قلائل الا وهم على ابواب صنعاء .

اما بريطانيا العظمى فانها لم تقف مكتوفة اليدين ازاء هذا التحول الداخلي ، بل ما ان اقتربت قوات سيف الاسلام احمد من صنعاء الا وكانت بوارجها ترسو امام الحديدة ، الثغر اليمني ، معلنة تأييدها لابن الوزير الثائر .

على ان الحصار المضروب على صنعاء لم يثن أمده ، لان سكان العاصمة انقلبوا على ابن الوزير ، وتخلص ابناء جلالة الامام يحيى من السجن ، فتولوا قيادة الحركة . وسرعان ما ألقوا القبض عليه ، وعلى رجال حكومته والموالين له ، وأودعوهم السجن . وفتحوا الابواب لسيف الاسلام احمد الذي دخل صنعاء ، وبايع بالامام الناصر احمد بن المتوكل . وسرعان ما اعترفت به الجامعة العربية ، والدول العربية . كما ان بريطانيا العظمى ، بالرغم من تعاطفها مع ابناء جلالته الحاكم ، سعت للاعتراف به ، والتصغير بأيديها . ولكن ملف المدن كان لغير قليل حساباً هدت واشتغلت به اعصاب الناس في عدن ، وبقية اساتير جزيرة العرب . فما ان علم عدن السير وليم لد سامبيون بقصد ابن اليمن في خريف ١٩٤٨ ، على رأس بعثة لوضع حد للنزاع ، وقد حاولت هذه البعثة اقناع جلالة الامام يحيى بالعدول عن مطالبته بعدن والمحميات ، على ان يجعل اليمن بقصر في وارداته على موانىء بريطانيا العظمى ، وان تدخل في طائفة الجزية الاسترلينية ، الا ان محاولات البعثة لم تجد اذ اصر جلالته على المطالبة بالمناطق البترولية وغيرها ، وان يدفع جلالته بقبول معاهدة حكومة المدن في ميدان الاصلاحات الداخلية ، ولا سيما العسكرية .

غير ان البعثة ، ما لبث ان وجدت عند جلالة الامام الجديد حذراً من دول الاستعمار لا يقل عن حذر المرحوم والده ، وانه يرى ان اليمن في نهضته الحاضرة ، انما تريد الاستعانة بالدول العربية ، حسب مواردها الاختصاصية ، وتراث اليمن من الماضي .

ولما يئست المدن من تحقيق برنامجها الاشتراكي ، ومن اقناع جلالته في ميدان التحليل السياسي ، عمدت لمهاجمة المدينة من حيث الضغط على حكومة اليمن بسلسلة من المناورات السياسية ، وفضلاً عن الاشاعات التي كانت تصدر عن عدن وغيرها ، ومما زاد وجود الخطرات في اليمن ، والخلافات بين الاسرة المالكة ، فان السلطة البريطانية في عدن رفضت حتى ١٩٤٩ ان تبدل لليمن نحو مليون ريال الا بريالات هندية لا بقيود ...

ولكن جلالة الامام لم يثنه هذا الضغط عن مثله الأعلى ، واعني به تحرير وطنه اقتصادياً ، كما حرره سياسياً : فسمح لبنك افرنسي ، كان في الهند الصينية ، بانشاء

فرع له بالحديدة يعمل دون ربح ، ويتم بواسطته تحويل الريالات الى عملات اجنبية ، لقاء اقساط الجمل هذا البنك الذي يصدر ما يقابل قيمتها بضائع يمنية . وفضلا عن ذلك فقد انشئ جلالته بنك مصر فأوجد فرع له في تعز ، ولانشاء عملة يمنية موحدة لجنيه المصري ، كما دخل في مفاوضات مالية مع حكومة الهند لموازنة التجارة بين البلدين كل ذلك بالاضافة الى القيام باصلاحات غير قليلة .

وهذا الموقف الحازم ، تقفه اليمن ، كانت له اصداء تأثير على الدوائر السياسية في لندن ، فاذا لخصام يقع في التحوم بين قبائل حرب اليمنية وبين محمية ابيحان ، واذا بالسلطات البريطانية تذكر جلالة الامام بوجوب الجلاء عن القنفذة التي شيدتها القوى المسلحة اليمنية على بعد ميل من ثغرها في الناحية الغربية من عسير ، وحينما في ذلك ان القنفذة بيت في اراض عدنية ، معللة انه اذا لم يسحب منها الجيش اليمني حتى الثاني من ايلول ١٩٤٩ فان سلاح الطيران الملكي سيدمر القلعة .

ولما ان جلالته الامام هذا الانذار على اعتبار ان مكان القنفذة هو ضمن الحدود اليمنية اغارت ١٤ طائرة حربية بريطانية على مدينة حرب ودمرت القلعة ، ويعتقد ان اثنتا عشرة طائرة هناك على البلاد والقرى الآمنة ، فاعقبت هذه الغارة حربية فوق كل من صنعاء وتعز ، حيث حلقت عدة مرات على شكل استعراض جوي ، ثم عادت الى قواعدها في عدن .

امارة عسير

عند نشوب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) كانت منطقة عسير تضم سياسيا الى قسمين : قسم لآل عايض الذين انتزع الشريف حسين ، وآخر للادارسة . وآل عايض دخلوا في حكم آل سعود سنة ١٩٢٠ ، واما الادارسة فقد خرجوا على آل سعود ، وقاوموا معتقدهم في الحجاز الشريف حسيناً ، وعانوا ما يعانون من استقلالهم . وذلك ما يجعلنا على ايراد موجز ملخصا في هذا الفصل . فقد اشرنا من قبل ، خلال الكلام على البلاد العربية عهد آل عايض ، الى تمكن السيد محمد علي الادريسي ، في اوائل عهد القرن ، من بلوغ الاستقلال في عسير . وقد رأت بريطانيا العظمى استثمار خصومته للاتراك فعقدت معه معاهدة سنة ١٩١٤ ، فاصبح بمقتضاها تحت لوائها في تلك الحرب الطاحنة ، وبجلي الترك عن عسير ، ويستولي

على ثغر القنفذة، غير ان السيد الادريسي لم يلبث ان تخلى، في العام التالي، عن هذا الثغر لجلالة الملك حسين على ان تصبح كل منهما حليفاً للانكليز. وقد جددت انكلترا المعاهدة مع الادريسي في كانون الثاني ١٩١٧، وتخلت له بمقتضاها عن ثغر الحديدة الذي دخل في حوزتها اثناء الحرب.

وكان لكل من عاهل الحجاز وعاهل صنعاء مطامع قديمة في بلاد الادريسي، فما ان انتهت الحرب حتى وجد الادريسي نفسه بين نارين. فاضطر، ازاء ذلك، ان يلجأ الى خصم ثالث كان قد طهر حديثاً في الميدان، خصم كان يمز عليه ان يسبقه الملك حسين او الامام يحيى الى بسط سلطته على عسير. ذلك هو الملك عبد العزيز آل سعود. فعقد السيد الادريسي مع جلالته (١٥ تشرين الاول ١٩٢٠) معاهدة ضمنت له سلامة بلاده. وبعد وفاته خلفه على الامارة ابنه علي (١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م)، وكان صغير السن لا يتجاوز عمره الثامنة عشرة، فاستخف به الطامعون بالامارة، وخلع بعد ٤ م، ثم استطاع ان يستعيد امارته. فكانت فوضى واقعة. تلك الأحداث مهدت السبيل للامام يحيى لان يحتل الحديدة ويحتلها ويواصل الزحف شمالاً حتى ميدي. وقد حمل هذا الأمر الادارسة على خلع السيد علي ثانية ليولوا عليهم عمه السيد حسناً.

وكان الملك عبدالعزيز آل سعود قد احتل الحجاز، فسارع السيد احمد الشريف السنوسي الكبير، المقيم بطرابلس الغرب، الى التوسط بين هذا العاهل وبين نسيبه السيد حسن الادريسي لعقد معاهدة من شأنها انقاذ البقية الباقية من امارته. وكان من عقبى هذا التوسط ان بعث السيد الادريسي مندوبا الى مكة لتوقيع معاهدة تحالف سنة ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م مع مملكة الحجاز ونجد.

غير ان ضغط المطامع عليه اضطره في النهاية لان يطلب سنة ١٩٣٠ ضم بلاده الى مملكة حليفه جلالة ابن سعود. وبذلك طويت صفحة الادارسة، كما طويت من قبل صفحة جيرانهم الامراء آل عايض.

الفصل الثامن
عصر الجامعة العربية والتعاون

الدور الاول : قبل الحرب العالمية الثانية

فلسطين تجمع الكلمة : وافق البعث القومي عند العرب اتجاهاً عاماً نحو العمل لوحدة شاملة ، والأمل لاستعادة مجد سابق . وبينما كانت الأمة العربية تتسرب اليوم تقوم فيه امبراطورية عربية تحتل مكانتها الى جانب امبراطوريات العالم الكبرى ، كانت تعطف ، في نفس الوقت ، على كل ثورة يقوم بها عربي ، سواء اكان هذا العربي ابن سعود او الامام يحيى في جزيرة العرب ، او الامير عبد الكريم الخطابي في الريف المراكشي . وكانت تشترك في الحزن على كل شهيد يذهب في سبيل الاستقلال العربي .

وكان الخاصة من العرب ، يناقشون ، في الشرق وفي المغرب ، في اختيار الطريقة المثلى لجمع الكلمة ، سواء اتجه ذلك الى طريق الوحدة او الاتحاد .

ولما ظهرت مشكلة فلسطين ، ظهر على اثرها اول تعاون اجتماعي عملي بين العرب في العهد الحديث . فتسابقوا الى العمل متحدين لانقاذ قطر عزيز من اقطارهم . واستطاعوا بهذا الاتحاد المكين ان ينتزعوا من الدولة البريطانية اعترافاً رسمياً بوحدة قضيتهم في الناحية السياسية ، وبتلك الدعوات التي وجهت لكل دولة من دولهم لمؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد بلندن سنة ١٩٣٩ لبحث قضية فلسطين . هذا الى ان مشكلة فلسطين لم تقدم الدليل على وحدة اهداف العرب فحسب ، بل برهنت على ترابط قلوبهم ، ووثاق شعورهم : فما ان تكشفت بريطانيا العظمى العهد الذي قطعته لهم بواسطة شريف مكة ، الملك حسين ، وتآمرت على فلسطين مع الصهيونيين ، حتى امتلأت قلوبهم حقداً عليها ، لا فرق بين ان يكونوا في ساحل المحيط الهندي ، او على شاطىء الاوقيانوس الاطلنطيكي .

وحاولت حكومة جلالة الملك ، قبل الحرب العالمية الثانية ، استدراك الأمر ، والحد من نقمة العالم العربي عليها ، خصوصاً وان الهر هتلر كان لا يفتأ ينفخ في

كبير هذه النقمة، وهي لا تريد ان تستقبل الحرب على عداوة من شأنها ان تضاعف من كربها. ولكنها لم تكن تستطيع ان تتخلى عن ذلك سبيلا لاحتمال نقود اليهود، وازاء ما تتوخاه من الحصول على مساعدتهم لان الحرب. ولما انفجر بركان الحرب، ونشط المحور الى دعايات شديدة كان يذيعها في العالم العربي، والى وعود معسولة كانت يتذرع بها، شعرت بريطانيا بوجه خاص، كيف ان موقفها من العرب في قضية فلسطين لم يدع حلفاءها التقليديين فحسب بل جرّ عليها شديد النقمة، الى حد ان العرب، وان كانوا لا يريدون من مصالحهم فوز المحور، الا انهم مع ذلك، صاروا ينظرون النقمة من بريطانيا على ان حكومة لندن كانت، في صدر الحرب، لا تبالي الا بنفسها، ثم لا يسعها الحق عندما آلت الدفة الى تشرشل الذي لا يزال عاريا في وجهه، وان لم تتوقف على الدب الابيض وانفه مكشر، الا بسبب يتوثب لافتراس العالم. فشرعت تفكر بالمصير، والذي يهيج التفكير، هو مشروع يضع المعامل في وجه الخيرية، ويحول دون التقدم.

رأت العرب العربي، الذي يكاد يجمع بوروبه الدولار بقدره، هو المعقل الاول الذي يجب ان يقوم في وجه موسكو والشرق، وبدا رأت ان الخطر الاشد هو في سريان هذا العالم الذي لم يبق على حد، بحيث ينقل معه كل ما عدة الكابيتاليزم، ولو كان هذه الاسعدة سلفتي الى ان الحرب في احضان البلشفية، وان اليهود سم.

تحول سياسة بريطانيا - وقد تحول لتنمية بريطانية حكومات صاحب الجلالة، وذلك ان بريطانيا درجت على درس اسباب كل ثورة تقوم ضدها وذلك بعد اقتناء بالرأي والعمل على منع وقوعها، خلافا لحكومات الاخرى التي لا توجه اليها الثورة في المستعمرات الا التقيه والتأثر دون شفقة، ثم لا تجد منها ابة عبرة.

فعند انكلترا ان ثورة العراق الكبرى سنة ١٩٢٠ فألفت الانتداب. وعلمت ان تفعل ذلك ايضا اثر الاضطرابات مع حكومة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١، حيث ثارت نفس البلاد، تعاطف الامة العربية بعضها على البعض، حتى كانها كانت ترمي في استقلال العراق تأمينا لاستقلال العرب كافة. وفضلا عن المساعدات المالية، فقد كان العرب يتمنون لو يتأتى لهم ان يطيروا جميعا ليناضلوا مع اخوانهم، سواء كان رشيد عالي يملك وجهه على صواب في هذه الحرب التي شنوها ام لا. ومع ذلك فقد خلف منهم من خلف، وشاء عزيز علي باشا المصري، الذي كان وليا لاركان حرب الحكومة المصرية، ان ينتقل طائرة الى العراق،

ليساهم في الواجب اسوة بزميله اللبناني القائد فوزي بك القاوقجي ، غير انه اعتقل وهو يهم بمغادرة المطار .

رأت بريطانيا كل ذلك ، فكان عليها ان تتساءل

١ — بأي شيء يمكن رفع نقمة العرب ؟

٢ — وكيف يمكن استجلاب قلوبهم ؟

الجواب على ذلك كان يدور على ألسنة خطباء العرب وصحفهم . انهم يريدون الوحدة العربية ويعملون لاجلها . وهـذا مصطفى النحاس باشا ، رئيس وزارة مصر ، وهي اكبر دولة عربية ، كان منذ عام ١٩٤١ ، لا يزال ينوه بمصالح العرب ، ويدافع عن الدول العربية ، واجباً ان تمثل جميعها في مؤتمر السلام ، وآملاً ان تبلغ بالتعاون هدفها الاسمى .

واذا بالانباء تنقل الينا تصريحاً للسيد أنطوني ايدن وزير خارجية بريطانيا العظمى في ٢٩ آذار ١٩٤١ يقول فيه :

« ان كثيرين من مفكري العرب يرغبون في ان تتمتع الشعوب العربية بنصيب من الوحدة اكبر من النصيب الذي تتمتع به الآن . ونحن نأمل معا المساعدة في بلوغ هذه الوحدة . ولا يجوز لنا ان نغفل اي نداء يوجه الينا اصدقاؤنا بهذا الصدد . ويبدو لي ان من الطبيعي ومن الحق ان تتوثق الروابط الثقافية والاقتصادية ، والروابط السياسية ايضاً ، بين الاقطار العربية . وستساعد حكومة جلالته مساعدة تامة ، اي مشروع يكون الموافقة العامة . »

ولكن هذا التصريح وان لقي ارتياحاً شديداً في الاوساط العربية الا انه ، مع ذلك ، لم يوح بالاطمئنان الكافي بالنظر لثقة ثقة العرب ببريطانيا العظمى . واذا بنبأ آخر ينقل الينا في غرة تشرين الاول ١٩٤١ هذا نصه :

« ان الكاتبة نتلتون وزير الدولة البريطانية في الشرقين الادنى والاوسط عاد من لندن الى مصر ، وذلك بعد ان حادث اعضاء الوزارة البريطانية في شأن القضية العربية على ضوء الدراسات التي قام بها شخصياً خلال تنقلاته ما بين القاهرة والقدس ودمشق . »

والى ذلك فقد اشتد نشاط الاذاعات الانكليزية باللغة العربية ، وخصوصاً في لندن وفلسطين حول مشروع الاتحاد العربي ، بينما كان العرب انفسهم يتناقشون ، جبهة واحدة ، في الصحف والمجالس حول خير الطرق المباشرة في هذا المشروع .

وكانت بلاد الشام قد اصبحت ، بعد اجلاء حكومة فيشي ، تتمتع بجو اكثر طلاقة مستوحى من الروح البريطانية التي كانت تشع من وراء حجاب ، رغم بقاء الاحتلال الفرنسي . فتعالت فيها اصوات العروبة ، وتجاوبت اصداؤها في بغداد

والقاهرة . وكانت مصر تتأهب لقيادة الحركة العربية ، فيؤلف بعض الاعيان فيها سنة ١٩٤٢ « نادي الاتحاد العربي » . كما يؤلف طلاب الحقوق بجامعة فؤاد الاول جمعية « رابطة العروبة » .

هذا فضلا عن ان الشعور العربي كان قد اصبح شاملا . وقد وصفه سمو الشيخ عبد الله سالم آل الصباح ، رئيس مجلس الشورى في الكويت ، في تصريح له بدمشق ، صيف ١٩٤١ ، بقوله :

« ان العالم العربي اشبه شيء بجسم واحد يشعر كل عضو فيه شعور الآخرين . »

ولكن العرب على وجه عام كانوا ، من جراء تجزئتهم سياسيا ، وارتباط كل قطر من اقطارهم ، ارتباطا منفردا ، بدولة من الدول الاجنبية ، حيارى في امرهم لا يستطيعون البت في الخير واصلح السبل لتحقيد الوحدة المرجوة . فاذا بالسيد ايدن الممثل البريطاني يفتح امامهم باب العمل ، ويمدهم بالمساعدة وذلك بتصريح كان ادلى به في مجلس العموم يوم ٢٤ شباط ١٩٤٣ . قال :

« ان الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف الى كل حركة بين العرب لتحقيق الوحدة الاقتصادية ، او الثقافية ، او السياسية بينهم . ولكن من الحق ان الخطوة الاولى لتحقيق اي مشروع من هذا النوع يجب ان تأتي من جانب العرب انفسهم . »

الخطوة الاولى لتحقيق الوحدة . لقد بحث الباحثون في كيف يجب ان تكون الخطوة الاولى . ولما عقد مجلس الشيوخ المصري جلسته في ٣١ مايس ١٩٤٣ ، استوضح بعض الشيوخ الحكومة عما اعتزمت القيام به في هذا الموضوع ، فوقف صبري ابو العلم باشا وزير العدلية يومئذ ، وادلى ببيان ، نيابة عن مصطفى النحاس باشا رئيس الوزارة ، جاء فيه :

« وقد اعلن المغفور له جلالة الملك فاروق منذ تصريحه الذي ادلى به مؤخرا ، ولقد رأيت ان الطريقة المثلى التي يمكن ان توصل الى غاية مرضية هي ان يتناول هذا الموضوع الحكومات العربية الرسمية . وانتهيت من دراستي الى انه يحسن بالحكومة المصرية ان تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل ، فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة في ترمي اليه من آمال كل على حدتها ، ثم تبذل جهودها للتوفيق والتعريب بين آرائها ما استطاعت الى ذلك سبيلا . ثم تدعوهم بعد ذلك الى مصر في اجتماع ودي لهذا الغرض حتى يبدأ السعي للوحدة العربية بوجهة محددة بالفعل . فاذا تم التفاهم ، او كاد ، وجب ان يعقد في مصر مؤتمر برئاسة رئيس الحكومة المصرية لاكمال بحث الموضوع واتخاذ ما يراه من القرارات محققا الاغراض التي تنشدها الامم العربية . »

المشاورات للوحدة العربية . رأى النحاس باشا ان يبدأ بنوري باشا السعيد رئيس وزارة العراق ، وذلك لوضع الأسس التمهيدية للوحدة العربية ، فوجه الى فخامته ، في ٣٠ نيسان ١٩٤٣ ، الدعوة للحضور الى القاهرة .

وبدأت المشاورات معه يوم ٣١ تموز ، في جلسات خرج منها الفريقان على أتم اتفاق . وعلى اثر ذلك وجه رفعة النحاس باشا برقياً الدعوة ، نيابة عن الدعوة ، الى سائر الحكومات : العربية السعودية ، اليمن ، شرق الاردن ، سورية ، لبنان . فلبت الدعوة واحدة بعد واحدة ، وتمت المشاورات مع كل منها في قصر انطونيادس بالاسكندرية .

وكانت هذه المشاورات تفتتح ، كما تختتم ، ببيان رسمي موقع من الفريقين المتشاورين . وقد انهى النحاس باشا المشاورات في اوائل شهر شباط ١٩٤٤ .

ولم توجه الدعوة الى حكومات بلاد افريقية الشمالية ، ولا الى امارات الجزيرة العربية ، وذلك مراعاة لوضعها السياسي الخاص ، كما ان فلسطين لم توفق للاشتراك في هذه المشاورات لانها ، لتفق على اختيار ممثليها خلال غياب رئيسها الحاج امين الحسيني . بيد ان النحاس باشا اعلن في خطاب القاه في مجلس الشيوخ يوم ٢٩ شباط ١٩٤٤ ، بصدد المشاورات ، ما يلي :

« ان حكومته تحرص كل الحرص على ان تجيء ثمار الوحدة ثمرة للدعوة في مصلحة جميع البلاد العربية دون استثناء . »

ولقد اطلق على هذه الاجتماعات « مشاورات الوحدة العربية » . وكان هذا الاسم يتكرر في البيانات الرسمية وفي الصحف . ولكنه اتضح انه لا يتفق وهذا الامر . ويرجع ذلك الى ان المتشاورين ، وعلى رأسهم النحاس باشا ، اتفقوا على هذه المشاورات الامر الذي يتفق مع امانيهم ومع ممثل امتهم الاعلى ، ولكن عندما جاء دور العمل وجدوا انفسهم حيال اوضاع سياسية لا تسمح ، في رأيهم الامر ، بالحصول على اكثر من جامعة دول عربية تعمل بالاتفاق فيما بينها لتبادل التعاون في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي : وكان النحاس باشا قد اتفق ، اثناء هذه المشاورات ، مع زملائه ممثلي الدول العربية على ان يدعوهم لتأليف لجنة تحضيرية تمهد لعقد مؤتمر عربي دوري . وعملاً ببدأ الاتفاق وجه رفعته الدعوات للحكومات التي اشتركت في المؤتمر ، واجتمعت اللجنة بالاسكندرية ، منذ ٢٥ ايلول ١٩٤٤ الى ٧ تشرين الاول ، وقررت قبول السيد موسى العلمي مندوب الاحزاب الفلسطينية عضواً فيها ، واصدرت صكاً عرف ببروتوكول الاسكندرية . وهو يتلخص بما يلي :

١ ـ تأليف جامعة الدول العربية ـ يعقد مجلسها الدائم اجتماعات دورية لتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية .
٢ ـ التعاون في الشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .
٣ ـ تدعيم الروابط العربية ، خصوصاً انها اسفرت الأوضاع الحالية ، بعد الحرب القائمة ، عن نظم تربط الدول بروابط اعمق واوثق بعضها مع البعض الآخر .
٤ ـ قرار خاص بتأييد استقلال لبنان وسيادته بحدوده الحاضرة .
٥ ـ قرار خاص بفلسطين على اساس تأييد المطالب العربية المعروفة .

وقد قابل الرأي العام العربي بروتوكول الاسكندرية بحماس واغتباط، ولكن الألم صاور كثيراً من القلوب ، مع ذلك،الان مضمون هذا البروتوكول جاء دون ما تصبو اليه النفوس. وقد ادلى كل من ممثلي الدول المشتركة في اللجنة معاذيره. من ذلك ما صرح به المرحوم سعد الله بك الجابري ، رئيس وزارة سورية وقتئذ ، ورئيس الوفد السوري في اللجنة ، إذ قال :

« ان الوحدة في مبناها الصحيح لا يمكن ان تتحقق دفعة واحدة ، انما تطلب عدة مراحل . وقد حطونا خطوات عدة في الماضي تسمح لنا القول بانا انما الباب الى تحقيق الوحدة المنشودة. »

اللجنة الفرعية السياسية : كانت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي قررت تأليف لجنة فرعية سياسية مهمتها وضع نظام لجامعة الدول العربية . وقد اجتمعت هذه اللجنة الفرعية من ١٤ شباط ١٩٤٥ حتى ٣ آذار . ووضعت مشروع دستور الجامعة . وكانت مؤلفة من وزراء خارجيات الدول الموقعة على بروتوكول الاسكندرية .

المؤتمر الدولي العربي : وفي ١٧ آذار ١٩٤٥ اجتمعت ثانية اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي في القاهرة ، ودرست ، في عدة جلسات ، مشروع الدستور الذي وضعته اللجنة الفرعية ، واقرت صيغته النهائية .

ثم في ٢٢ آذار استحالت اللجنة التحضيرية هذه الى مؤتمر دولي عربي وافق نهائياً على ميثاق الجامعة العربية . وقد الحقت بهذا الميثاق ثلاثة ملاحق : احدها لفلسطين ، وثانيها للبلاد العربية غير المشتركة في مجلس الجامعة ، وثالثها يقضي بتعيين عبد الرحمن عزام باشا اميناً لجامعة الدول العربية .

هذا ولم يأت منتصف نيسان الا وكانت الدولات البرلمانية في العراق وسورية ومصر ولبنان قد اقرت الميثاق بالاجماع ، كما ان سمو الامير عبدالله،وجلالة الملك عبد العزيز بن سعود ، وجلالة الملك الامام يحيى ، قد وافقوا عليه .

وبين تهليل صحف العالم العربي لهذا الدستور،وانتقاد بعضها له ،كان انصار الوحدة

العربية يشعرون بخيبة امل ، لا لان الوحدة لم تتحقق، وهم يعلمون حق العلم بان تحقيق ذلك انما يتوقف على الزمن وفرصه ، بل لان ميثاق الجامعة جاء دون بروتوكول الاسكندرية في ناحية العلاقات السياسية ، وخلا من بعض فقرات وردت في البروتوكول . وهو في جملته لا يؤمن وحدة ، ولا يحقق اتحاداً ، بل يقتصر على وضع اسس للتعاون بين الدول المشتركة في الجامعة ، ومساعدة سائر العالم العربي على التحرر والاتحاد .

والى هذا فان الميثاق ترك الباب مفتوحاً امام كل دولة من الدول المشتركة في الجامعة لان تكون غير مقيدة في القرارات التي تتخذها الجامعة ، ولا تخطر بموافقة ممثليها . اللهم الا في القرارات المتخذة للفصل في ما يقع من خلاف بين دولة ودولة من الدول العربية .

ولكن المتدلين من العرب قد ارتاحوا للميثاق ، وعدوه خطوة مباركة في سبيل الهدف الاسمى . خصوصاً بعد ان قامت امانة الجامعة العربية في اعمالها ، وعلى رأسها رجل وطني يتحلى بالمرونة ، ووثقت الروابط الداخلية بين العرب ، واخذت على عاتقها الدفاع عن مصالح كل قطر من اقطارهم . هذا فضلاً عن انها اجتذبت قلوبهم الى نقطة واحدة هي القاهرة التي اصبحت مدار حركة العروبة ، ورمز اماليها .

مركز الجامعة العربية من الوجهة الدولية : ومر مجلس الجامعة العربية اثناء انعقاده في بلودان (سورية) منذ ١٢ حزيران ١٩٤٦ ، توصية الحكومات المشتركة في الجامعة ان تطالب ان تكلفوا بالاعتراف بالجامعة ، واعتبار ما يصدر عن الامانة العامة ، في حدود ميثاقها ، صادراً عنها .

وقد تلقت الحكومة المصرية رداً على ذلك من لدن الحكومة البريطانية يتضمن انها ، بناء على ما وصلها من دول الجامعة ، ستعتبر ما يرد اليها من مكاتبات سياسية من الأمين العام كأنه صادر من اعضاء الجامعة ، ما دام ذلك في حدود نصوص ميثاقها . وفي مثل هذه الحالة ترسل الحكومة البريطانية صورة عما تبعث به للامانة العامة الى كل حكومة من حكومات دول الجامعة بالطريق الدبلوماسي . ويضيف رد الحكومة البريطانية الى ذلك ما يلي :

« ان وزير الخارجية البريطانية لا يعتزم في هذه المرحلة المبادأة بالتخاطب مع جامعة الدول العربية في المسائل السياسية ؛ ولكنه اذا اقتضى الحال ان توجه حكومة صاحب الجلالة البريطانية

مذكرة مشتركة في مسألة سياسية الى جميع حكومات الدول العربية المشتركة فان الوزير سيرسل جميعاً نسخة عنها طبق الاصل الى الامين العام ليحيط علماً بها . »

تقدم العالم العربي في الناحية الدولية : تقرر في مؤتمر بالطا دعوة الدول الحليفة الى اجتماع يعقد في سان فرنسيسكو لتنظيم العالم القادم على اساس مقترحات مؤتمر « دمبرتون اكس » . وقد جرى افتتاح هذا المؤتمر في ٢٥ نيسان ١٩٤٥ وكان اشتراك الدول العربية فيه خطوة واسعة بالنسبة لهم في ناحية المساواة الدولية . ثم بدرت فرصة ثانية جاءت مؤيدة لمكانهم الدولية بشكل بارز : ذلك انه لما عقد في لندن مؤتمر هيئة الامم المتحدة منذ ١٧ / ١ / ١٩٤٦ ، وكان للعرب فيه خمسة مقاعد من أصل ٥٣ اصبح لهم عشر الاصوات في تنظيم شؤون العالم . وقد لوحظ انه كان لهم نصيب كبير في ترجيح كفة مناقشات هذا المؤتمر .

هذا الى انهم مثلوا في كل لجنة من لجانه ، وفضلا عن ذلك فقد انتخب عبد الحميد بدوي باشا رئيس وفد مصر ، عضواً في لجنة الاعضاء الستة غير الدائمين في مجلس الامن الدولي ، وعضواً في محكمة العدل الدولية . كما ان الاستاذ فارس الخوري ، رئيس الوفد السوري ، انتخب رئيساً للجنة الادارية ، واصبح بالتالي ، كسائر رؤساء اللجان ، عضواً في مكتب هيئة الجمعية العمومية للامم المتحدة ، وهي الهيئة التي ترشد الجمعية في مباحثها . كما ان دولته انتخب ايضاً عضواً في مجلس الامن ، ورئيس احدى دوراته . ثم وفق بعض ممثلي الدول العربية ، في دورات تالية لهيئة الامم المتحدة ولمجلس الامن ولجانها ، بانتخابهم في اللجان المختلفة ، وبرئاسة بعضها احياناً . فانتخب الاستاذ شارل مالك ، وزير لبنان المفوض في واشنطن وممثله في هيئة الامم المتحدة ، عضواً في المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، ثم رئيساً لهذا المجلس (شباط ١٩٤٨) في دورته الثالثة ، كما انتخب ممثل العراق عضواً في مجلس الوصاية . ولما اراد مجلس الامن انتخاب خلف لسوريا فيه ، على اعتباراته لا يجوز ان يعاد انتخاب الدولة نفسها للمنصب ذاته ، فاز رئيس وفد مصر بدوي باشا فاز بعضوية المجلس المذكور (تشرين الاول ١٩٤٨) .

يضاف الى ذلك ان الدول العربية اصبحت تتلقى الدعوات لكل المؤتمرات الدولية والعامة فتساهم مساهمة فعلية ، ليس في تنظيم العالم فحسب ، بل في خدمة الانسانية ، رافعة الرأس بكثير من ممثليها الأكفاء في هذه الاجتماعات .

هذا في الناحية الدولية ، واما في الناحية الشعبية الكونية فان العالم العربي قد احتل

فكرته، بعض الشيء، بصدد مستوى الشرق العربي في الناحية الاجتماعية، وذلك حينما تأتى للعرب الاختلاط بممثلي الدول العربية في المنظمات والمؤتمرات، واتيح له التعامل مع رجاله في السلك السياسي. ولكن كان لا يزال يعلق في أذهان هؤلاء الغربيين الاعتقاد بأن هؤلاء الممثلين العرب والمندوبين هم طبقة خاصة، وان الشعوب العربية هي، في الواقع، دون هؤلاء الممثلين ولا تزال في انحطاطها، على ما يصفه بعض السياح، وعلى ما ينقلونه اليهم من الرسوم المزرية، ولا سيما الصهيانة. غير ان الجمهورية اللبنانية كان لها اياد بيضاء في تبديد هذه الاوهام، وفي اظهار وجه العالم العربي المتمدن.

فقد دعت مؤتمر الاونسكو لعقد دورته الثالثة في بيروت (١٧ - ١١ - ٤٨) فألفى مندوبو العالم صرحاً عظيماً أعد لاستقبالهم، وخبرة محكومة، وحسن سلوك في معاملتهم وتلقين وفاهيتهم؛ ووجدوا شعباً فتح قصوره لاستقبالهم. فاذا بهذه القصور واهل القصور، على غير ما كانوا يتصورون.

وزاروا بهذه المناسبة، سوريا بدعوة من حكومتها، وكان لي الحظ ان اكون مع زوجتي في جملة المدعوين، وان تتاح لي مرافقتهم. ان الثلوج ارهقت القافلة، بعض الوقت، عند ظهر البيدر، ولكنها كانت وقفة اتاحت لهؤلاء الضيوف الاشراف، من عل، على لبنان، فاظهروا اعجابهم ليس بمناظره الخلابة فحسب، بل بهذه القرى الكثيرة العامرة المنتشرة في ارجائه.

هذا وقد رحبت حكومة دمشق بهم في الجامعة السورية، واطلعتهم على اقسامها، ثم طافت بهم على المصانع والمعامل الحديثة الكثيرة، فعادوا منها معجبين بنهضة تقوم بسرعة على اكتاف بنيها. ثم كان المؤتمرون، يزورون في جيئتهم وايبتهم، بعض البلاد العربية الاخرى، ولا سيما مصر، والقاهرة مفخرة العرب، فيأخذون عنها فكرة جديدة غير تلك التي كان يختلقها المغرضون.

حقاً ان التعارف بين الغرب والشرق، اصبح موفوراً بعد الحرب العالمية الثانية من جراء سهولة الانتقال والسرعة؛ ولكن من الانصاف التنويه بما كان للبنان، بهذا الصدد من اياد بيضاء. فقد فتح قصر الاونسكو من بعد الى مؤتمرات كثيرة عالمية وعربية، فظل بذلك يخدم الشرق العربي باعطاء فكرة حسنة عن هذا الشرق للمؤتمرين الأباعد والاقارب.

الدور الثاني : خلال الحرب في فلسطين

فلسطين تفرق الكلمة : كانت فلسطين ، خلال المدة التي توسطت الحربين العالميتين ، العنصر الأهم الذي جمع شتات الدول العربية ، على شكل من التضامن ، حمل لندن على دعوة هذه الدول رسمياً الى اجتماعات متوالية لحل هذه القضية .

وظل الاتحاد العربي يبدو متكيناً ، ولا سيما بعد قيام الجامعة العربية ، حتى وقعت الواقعة في فلسطين . ومنذ ذلك الحـــين بدت مواضع الضعف في هذا الاتحاد ، خصوصاً من جراء ارتباط بعض الدول العربية ، على مراتب ، بمعاهدات وبروتوكولات مع بريطانيا العظمى .

وما إن رضخت هذه الدولة لمشيئة اليهود المطلقة تحت ضغط واشنطن ، ومضت في سبيل منح الفرس غزلاء لتأمين قسمة فلسطين عملياً ، والطغيان عليها ، حتى اتخذت تسعين ، على تحقيق هذه الأمنية ، بتفريق صفوف العرب ، تارة بالوعد ، وطوراً بالوعيد . وإذ ذاك ما ما اوادت أمست فلسطين من ثم مدعاة للتفرقة ، كما كانت من قبل وسيلة للجمع والاتحاد .

لقد استعرضنا ، في الفصل السابق ، اتوام الهوان الذي اصاب الدول العربية عقب تبدل نياتهم ، فحاربوا بعد الهدنـــة الأولى متفرقين ، وذهبوا فرادى لعقد الهدنة الدائمة الى رودس مهزومين . وبينا كيف أنهم حملوا معهم الى المؤتمرات الدولية اختلافاتهم ، حتى أنهم لم يتفقوا فيمـــا على قضية انسانية ، وهي قضية اخوانهم اللاجئين ، كما أنهم لم يقولوا قولاً واحداً في مصير القدس وهي أولى القبلتين . وقد حملت البرقيات في ٤ تشرين الاول ١٩٤٩ تصريحاً للاستاذ شارل مالك لوكالة الانباء العربية في ليك ساكـــس تناول فيه المصاعب الناشئة لدى الحكومات العربية من جراء افتقارها الى سياسة عربية موحدة تجاه القضايا الدولية ، وذلك في اجتماع هيئة الامم المتحدة الأخير ، وقال :

« كيف يمكن ان تتحد الوفود العربية في المؤتمرات ما دامت حكوماتها على غير اتحاد ؟ — ان المندوبين العرب يتعاونون على اساس شخصي محض ! بينما انهم يتلقون بـــين وقت وآخر ، من حكوماتهم معلومات متضاربة لا تمكنهم من توحيد سياستهم » وضرب الاستاذ مالك مثلاً على ذلك انتخابات مجلس الوصاية الدولية . وقال « لا تزال ثلاث دول عربية ترشح كل منها لعضويته مندوباً عنها . » وختم تصريحه بقوله : « ولو انعقد مجلس الجامعة العربية قبل الشام الخميسة العمومية لأمكن اجتناب هذا التضارب . »

أن ضرر هـذا الاختلاف لم يقف عند هذا الحد ، بل جاء بالاضافة الى فشل الدول السبع تجاه « العصابات الصهيونية » ضغثاً على ابالة ، فاسقط منزلة الامة العربية في انظار العالم ، وحط ، في نفس الوقت ، من مكانة مندوبيهم في المؤتمرات الدولية . ولا ادل على ذلك من الفشل الذي مني به هؤلاء في انتخابات وظائف هيئة الامم المتحدة وفروعها في الدورة الرابعة بليكسكس منذ ايلول ١٩٤٩ . فلما رشح الاستاذ شارل مالك مندوب لبنان نفسه لرئاسة هذه الدورة فازعليه ممثل الفيليبين . ولما تقدم ايضاً الاستاذ كامل عبد الرحيم مندوب مصر لترشيح نفسه الى رياسة اللجنة الخاصة تغلب عليه مندوب الباكستان . ثم لم ينتخب احد من ممثلي الدول العربية في رياسة لجنة من لجان هيئة الامم المتحدة في دورتها الاخيرة ، فكان ذلك سبباً لخسرانهم مقعدهم في اللجنة التوجيهية التي تتألف من رؤساء اللجان.

والى هذا فان الجامعة العربية ، التي هي رمز الوحدة ، والتي ناضل العرب عشرات السنين في سبيلها اصابها ، فسط كبير من عاقبة الاختلاف كاد يهد أركانها .

كتبت جريدة نيويورك تايمس ، والجمهور يشع من اقوالها ، ما يلي :

« في الدقيقة التي تهاجم فيها قوات اسرائيل الجيش المصري دون ان تتدخل قوات عربية اخرى ، في هذه الدقيقة احتضرت جامعة الدول العربية . »

وفي الواقع فان دولة النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية رفض ، اول الامر ، الاشتراك في اجتماع مجلس الجامعة بالقاهرة (تشرين الثاني ١٩٤٨) بتأثير الالم من جراء جمود الجيشين الاردني والعراقي في مكانيهما حينما كانت اسرائيل تقتحم الجيش المصري في النقب .

هذا الى ان عمان كان قد كبر عليها ان تكون الجامعة اداة تأييد لغير الجانب الهاشمي ، وخصوصاً في ناحيـة الحاق القسم العربي من فلسطين لشرق الاردن ، وعز عليها سماح الجامعة بقيام حكومة فلسطين العربية في غزة ، فعملت عمان على الجامعة حملات شديدة . وشاركتها بغداد في هـذه الحملات من جراء معارضة الجامعة مشروع الهلال الخصيب قائلة « ان الجامعة خرقت ميثاقهـا حين لم تأذن لبعض الدول العربية ان توثق علاقاتها فيما بينها ، كما تنص المادة ٩ من ميثاقها . »

وانتقل النقاش من الدوائر الرسمية الى الصحف ، وكان مداره ، اول الامر ، انتقاداً موجهاً لامين الجامعة العام ، ثم تطرق اليها مباشرة . وكان نقاشاً قاسياً ذلك الذي جرى بين كل من الدكتور فاضل الجمالي وزير خارجية العراق والاستاذ

عبد الرحمن عزام باشا ، بتهمة ان امين الجامعة خول نفسه سلطات واسعة خرجت عن نطاق مقررات اللجنة السياسية .

وقد اصدر العراق كتاباً أخضر في هذا الشأن ، كما انه قدم الى الدول العربية (٨ آب ١٩٤٨) مشروع نظام داخلي للامانة العامة لجامعة الدول العربية وللجنة الدائمة طلب بحثه في اجتماع اللجنة السياسية المقبل . على ان هذا الجدل البيزنطي كان يجري خلال ما كانت اسرائيل تتوسع في فلسطين ، وتهدد ما وراء فلسطين ، بل كان يجري بينما كانت اوروبا نفسها تسعى لتحقيق مشروع دول اوروبا المتحدة ، وتستعد لعقد البرلمان الاوروبي في ستراسبورغ .

وظل هذا الجفاء قائماً حتى عودة السيد نوري السعيد من لندن ، (آب ١٩٤٩) ، فعاد مزوداً بنصائح المستر بيفن بصدد رفع الخلاف ما بين العراق ومصر ، وبقوبعة اوكان الجامعة تجاه الخطر الشيوعي المقبل ، كما ان جلالة الملك عبد الله رجع الى عمان من لندن ، بعيد ذلك ، على غير موقفه الاول من الجامعة : فاعلن تأييده لها ، ولكنه ، مع ذلك ، لم يستطع الاحجام عن التنديد بها فقال : « عذرها انها مؤلفة من شعوب وطوائف لا تعرف ما ينبغي عليها ان تفعله »

هذا وكان الواجب يقضي ان يتم اجتماع مجلس الجامعة في آخر آب ١٩٤٩ بغية الاتفاق على خطة موحدة قبل سفر مندوبي الدول العربية الى ليكسكس ؛ ولكن الخلاف القائم بين هذه الدول كان يؤول الى تأجيل مواعيد الاجتماع ، من وقت إلى آخر ، مما يجعل مندوبي الدول العربية في اجتماع منظمة الامم المتحدة ، يظهرون في مظهر التفسخ ، على غير عادتهم . وأخيراً حينما اتفق الرأي على تعيين يوم ١٧ تشرين الاول ١٩٤٩ موعداً لاجتماع مجلس الجامعة العربية في الاسكندرية ، قدمت بغداد بعض الملحوظات على مذكرة الامانة العامة بصدد جدول الاعمال ، وايدتها حكومة شرق الاردن . ثم لما اذن الله باجتماع المجلس فضى هذا الوقت يبحث مشاريع مختلفة تقدمت بها اعضاؤه ، وذلك في موضوع الضمان الجماعي ، ثم انفض ، في اواخر تشرين الثاني ١٩٤٩ ، على غير اتفاق ابان ما كانت اسرائيل تخطو خطوة جديدة الى الامام ، وتنقل عاصمتها لبيت المقدس !!!

الدور الثالث : بعد حرب فلسطين

حققت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى النهية التي اخذتها على عاتقهما بصدد اصباح المجال لقيام دولة اسرائيل ، وكان من نتيجة ذلك تفسخ رابطة الدول العربية ، وتوزع اركان جامعتها ، وفقاً لما يسطنه من قبل .

ولكن مصلحة هاتين الدولتين لا تتفق مع هذا التفسخ ، خصوصاً وان نذير الحرب مع دولة الاتحاد السوفياتي ما زال يثير المخاوف ، ويحمل العالم على التأهب . وقد ذهب وزير الخارجية البريطانية في صيف ١٩٤٩ وجاها المتنسين للسلك السياسي ، من الموظفين في الشرق الاوسط ، لاجتماع عقد في لندن وهاذا ماستر بيفن وزير الخارجية يتحول من بعد ، الى رئيس الفتق ، وذلك بالتشي في السياسة العربية على خطة مستر انتوني ايدن ، وجعله بالأمس في حكومة المحافظين ، من حيث جمع شتات الدول العربية ، وتأييد اتحادهم حول الجامعة العربية . فضلا عن إعدادهم اعداداً عسكرياً لمجابهة الحرب المقبلة .

وكانت بكورة هذه السياسة الجديدة ذلك التقرير الذي رفعه الى مجلس الامن الدكتور رالف بانش الذي باشر الوسيط الدولي حل مشكلة فلسطين (٢ - ٨ - ١٩٤٩) . وقد طلب فيه رفع الحظر عن ارسال الاسلحة الى دول الشرق الاوسط ، ووافق المجلس فوراً على هذا الاقتراح ، رغم الاحتجاجات الشديدة التي ابدتها جماعة اسرائيل .

على ان بريطانيا العظمى رأت ، في نفس الوقت ، ان تستثمر الموقف فتجعل من هذا الاتحاد العربي وسيلة لتوسيع منطقة نفوذها في جبهة الشرق الاوسط ، وذلك بخلق اتحاد بين سوريا وجيرانها .

انها تعرف جيداً (العنصات) الموجودة في لبنان ، وتعرف ايضاً ، الدعايات الشديدة التي جعلت السوريين يعيدون عن جلالة الملك عبدالله من جراء الانصياع لسياستها . اذن فلتكن الخطوة الاولى الاتحاد فيما بين سوريا والعراق . ولتعد السوريين ، بالطرق المعلومة ، بتعديل المعاهدة مع بغداد على اساس يرفع من افئدتهم كل خوف على استقلالهم . وعلى نسق تصريح المستر انطوني ايدن سنة ١٩٤٥ ، ذلك التصريح الذي قامت على اثره الجامعة العربية ، نقلت الانباء ، في المدة الاخيرة ، تصريحات معزوة لوزارة الخارجية البريطانية مؤداها :

« ترحب بأية محاولة ترمي الى تحقيق هذه الوحدة ، وهي اذ لا تريد ان تقوم بأي دور فعلي في تحقيقها ، تفضل ان تكون على مبادىء اتحاد فدرالي شبيه بالاتحاد الذي يربط بلجيكا وهولندة ولوكسمبورج المعروف باسم « اتحاد دول البيلوكس » . »

ولكن هذه المحاولة لا تخلو من عواقب : فهي من جهة لا تتمتع بارتياح واشنطن التي شرعت تنافس لندن في صعيد النفوذ على الشرق العربي ، ومن جهة اخرى تبدو غير منسقة مع خطة لندن نفسها : الخطة الجديدة القائمة على استئناف المسعى لتدعيم الاتحاد العربي على وجه عام ، ذلك لان قسماً من الدول العربية يعارض بقوة مشروع الاتحاد ما بين سوريا والعراق ، وهي معارضة تؤدي بالتالي الى التفسخ .

لا بأس ، فعند الدونتج ستريت قدرة على الجمع بين النقيضين ، وصبر على معالجتها حتى تستخرج من هذا المزيج المتعارض مصلحتها . واذا بنا نسمع تصريحات تصدر عن الناطقين بلسان وزارة الخارجية بلندن مؤداها :

« ان الوقت الذي تحدد فيه الوزارة اي اتجاه يؤدي الى احياء روح التعاون ، والى بعث نشاط جديد في كيان الدول العربية ، هو ما تصر على ان اية خطة تهدف الى توثيق اواصر العلاقات الاقتصادية او العسكرية بين الدول العربية يجب ان تجيء عن طريق الجامعة العربية . »

واذا بصاحب السمو الوصي على عرش العراق ، الأمير عبد الأله يطير الى لندن (صيف ١٩٤٩) ، مصرحاً بان الغرض من هذه الزيارة قضاء اجازته ، ويليه السيد نوري السعيد . واذا بجلالة الملك عبدالله يهبط لندن ايضاً ويبقى في بريطانيا العظمى حتى آخر ايلول .

وان هذه الزيارات للندن التي جاءت عقب اجتماع رجال السلك السياسي المذكورين لم تكن ، في الواقع ، صدفة غير مرتقبة ، فكان على الدونتج ستريت أن تذيع ما يبررها ، فوافتنا الأنباء تقول :

« ويتضح من المعلومات التي امكن الحصول عليها على اثر المحادثات التي دارت بين السياسيين ومعاونيه من جانب ، وبين ممثلي الاسرة الهاشمية في العراق وشرق الاردن من جانب آخر ، ان وزارة الخارجية استمعت للمشروعات التي يعتنقها الملك عبدالله ، ولكنها ابدت نصحها لجلالته بضرورة السعي الى ايجاد حل لمشاكله السياسية عن طريق الجامعة العربية . »

ولعل فخامة نوري السعيد الذي تلقى كلمة السر بلندن قبل شهر من ذلك ، انما قصد الى القاهرة فوراً ، في عودته ، لتهيئة جو من العلاقات الطيبة بين الحكومات العربية تجابه المستقبل المظلم ، هذا فضلاً عن درس التبعات في مصر بشأن مشروع الاتحاد العراقي السوري .

ورغم ما كان بين القاهرة وبغداد من توتر فقد جرت المفاوضات بين حسين سري باشا رئيس الوزارة المصرية وبين السعيد باشا رئيس الوزارة العراقية على اساس التغاضي عن اخطاء الماضي ، والعمل للمستقبل . وقبل ان يغادر السعيد القاهرة اذاع بياناً نفى فيه مشروعي اغلال الخصيب وسوريا الكبرى معرباً عن تعلق العراق بالجامعة العربية ، وعن امله بان تعدل ميثاقها على ضوء التجارب السود التي مرت بها ؛ ولكنه لم يغفل ، مع ذلك ، عن الاشارة الى المادة التاسعة من هذ الميثاق ، التي تشجع كل واحدة من الدول العربية لعقد معاهدات ثنائية بينها ، واكثر من من ثنائية دون اكراه ولا ضغط . » كما ان جلالة الملك عبدالله ؛ ما ان عاد من لندن حتى شعرنا بان لهجته الحادة في المطالبة بسوريا الكبرى اصابها شيء كثير من التطور ؛ ولعل طغيان فكرة الاتحاد بين سوريا والعراق على مشروع سوريا الكبرى اخذ يحمل جلالته على الرجوع الى الشعب السوري ، ويجعل امر البت في مصيره يعود اليه وحده . فقد ادلى الى مراسل « بيروت » (١ - ١٠ - ١٩٤٩) بالتصريح التالي :

« انني اتمنى لسوريا العزيزة كل خير وفلاح ويهمني ان يقرر اشقاؤها مصيرهم بأنفسهم ويضعوا الدستور الذي يلائمهم ، ويختاروا نظام الحكم الذي يتفق ومصالحهم . فلا داعي للبحث بعد الآن في اي مشروع كان يتعلق بسوريا ، كان هذا المشروع سوريا الكبرى ، او اغلال الخصيب ، الا برأي السوريين انفسهم . فهم اصحاب العلاقة الاول في الموضوع . » الى ان قال :

« ولن اتغاضى عن اي عهد قد يقطعه اية جهة من الجهات للتدخل في شؤون هذه البلاد ، الخ »

الرهول الخصيب : الاتحاد بين سوريا والعراق مشروع قديم يرجع الى سنة ١٩٣١ يوم اجتمع بعض احرار سوريا في باريس بالملك فيصل الاول ملك العراق ، وقد اتفقوا مع جلالته على الجمع بين القطرين الشقيقين ؛ وتناول بعضهم قسطاً غير قليل من المال لاجل الدعاية للمشروع . ولكن فريقاً آخر من زعماء سوريا ، وعلى رأسهم فخامة شكري بك القوتلي ، وقفوا في وجهه موقف المعارضة على اعتبار انه يفقد سوريا بعض خصائصها وسيادتها . ولم تكن « الكه دورسه » غريبة عن هذه المعارضة ؛ بدليل ان المفوضية الفرنسية سرعان ما منعت اجتماعاً في بيروت كان قد أعد لاستماع محاضرة في موضوعها « الاتحاد بين سوريا والعراق » ؛ ولكن المحاضرة لم تلبث ان ظهرت في اليوم الثاني بجريدة النداء (١٤ - ١١ - ١٩٣١) وغيرها من الصحف ؛ واقبل الجمهور ، اي اقبال ، على تلاوتها ، لان المنع كان دعاية لها .

على ان هذا المشروع وان لم يقدر له الخروج ، في ذلك الحين ، من حيز الفكر الى حيز التحقيق ، ولكنه ظل ، مع ذلك ، حياً يكمن وراء طموح العرب للوحدة ، وظل السيد نوري السعيد يهيء الاسباب لادراكه (١) فاخذ بالدعوة الى الوحدة الاقتصادية ، كخطوة اولى للاتحاد السياسي . غير ان السعيد لم يجد في وزارة المرحوم سعدالله بك الجابري أي تجاوب لقبول هذا المبدأ . ثم أتى على ذلك حين من الزمن ، حتى اذا امسى الخطر الصهيوني جاثماً على الابواب ، وتعدى ذلك الى اتهاء الطائرات الصهيونية القنابل على دمشق تطلع السوريون ، من جديد ، الى اتحاد يقيهم الخطر الاسرائيلي المداهم . وقد رفع حزب الشعب (٢٣ تشرين الثاني ١٩٤٨) مذكرة الى السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية تتضمن المطالبة بالاسراع في تحقيق اتحاد مع دولة عربية تتوفر فيها شرائط الحرية والاستقلال . ولم يعين الحزب الدولة التي يعنيها . وعلق الحزب في هذه المذكرة صراحة ان لا حول لأية حكومة سورية ، ولا قوة الا بهذا الاتحاد لدفع الخطر الداهم .

بيد ان هذا المشروع ، الذي كان غير مرضي عنه عند فخامة القوتلي ، دار بعيد الاحتلال عهد الزعيم حسني الزعيم ، صاحب الانقلاب الأول بدمشق الذي وقف موقف العداء والخصومة لكل من بغداد وعمان .

ولكن ما ان تم الانقلاب الثاني في سوريا ، وكانت للعراق اصابع في تحقيقه ، وما ان تألفت الوزارة الائتلافية والانتقالية ، وبينهم شخصان من اقوى شخصيات حزب الشعب ، وهما رئيسه السيد وشدي الكيخيا ، وزير الداخلية ، والدكتور عظم القدسي وزير الخارجية ، ما ان تم ذلك حتى خرج مشروع الاتحاد من حيز النسيان الى حيز الدرس الجدي ، خصوصاً وان تهديدات اسرائيل واستعداداتها لم تكن تقف عند حد ، وان الاوساط التجارية ، التي تعاني أزمة اقتصادية حادة ، ما كانت تجد منفذاً لها من الضيق الا باتحاد يفسح المجال الواسع لصادراتها ووارداتها .

التفت السوريون الى عمان فألفوها مكبلة بمعاهدة وبروتوكولات ، تجعلها في مصاف المستعمرات ، والتفتوا الى بغداد ، فوجدوها احسن حالاً ، ولكنها ، مع ذلك ، لا تزال مرتبطة بمعاهدة تقضي عليها بالمشاورات في الأمور السياسية ،

---

(١) ضمت المذكرة التي قدمها نوري باشا السعيد الى مستر كايسي ، وزير الدولة البريطانية بمصر اثناء الحرب العالمية الثانية ، على اساس مشروع اقليم الخصيب بما فيه سوريا الكبرى .

وباستخدام الاخصائيين من البريطانيين دون غيرهم ، وبالسماح لقوات مسلحة بريطانية ان تبقى زمن السلم في العراق ، وفا قاعدتان جويتان . هذا فضلاً عن وجود بعض القيود في التمثيل السياسي . فتردد السوريون في تحقيق ما تطمح اليه نفوسهم ، وتساءلوا عما اذا كانت لندن ، وهي الخريصة مثلهم على تحقيق هـذا الاتحاد ، ستبدد تخوفهم هذه ، وذلك بتبديل المعاهدة العراقية عاجلاً على اساس يشعر فيه السوريون بانهم لم يضيعوا الاستقلال الذي اشتروه بدمهم .

وقد تبنى الحزب الوطني ، وهو خارج الحكم ، رأي حزب الشعب حينما كان معارضاً ، هادا به وقد اصبح قريباً ، من موعـد الانتخابات النيابية (٥ ت ٢ ١٩٤٩) يعلن رأيه تحبذاً مشروع الاتحاد بين سوريا والعراق على اساس الوحدة في رئاسة الدولة والشؤون العسكرية والخارجية والأمور الاقتصادية على اعتبار « ان سورية ليس بمقدورها ان تقف وحدها في وجه الزعزع التي تتهددها . »

وقرر ايضاً الحزب في مؤتمره المعقود في ٢٨ ايلول ١٩٤٨ تعديـل الفقرة الاخيرة من المادة السابعة من نظـام الحزب التي كانت تنص على ان الشكل الجمهوري هو النظام الذي يلائم روح الشعب ، وعدلها بالعبارة التاليـة : « ويرى الحزب ان شكل الحكم يتوقف لاختيار الأمة . »

على ان أمر البت بهذا المشروع مرهون برأي مجلس نواب سوريا بعد انتخاب المجلس التأسيسي ، الا ان الجانب العربي الآخر ، يتعاقب عنه ، كانت مفاوضات بين كل من القاهرة ، والرياض ، وعمان من جهة ، وبين دمشق من جهة اخرى ، قام بها ممثلو هذه الدول احياناً ، وبعض الوسط أحياناً ، بغية ارجاء تحقيق هذا المشروع . وهم كذلك وإذا بفاجعة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية السابق يغادر سويسرا ، ويهبط مصر ، حاملاً عبء المعارضة لمشروع الاتحاد السوري العراقي ، رغم ان الحزب الوطني الذي كان يرئسه اصبح صاحب الدعوة لهذا الاتحاد .

ولما انعقد مجلس الجامعة اجتماعه في تشرين الثاني ١٩٤٩ تقدمت مصر اليه بمشروع « الضمان الجماعي » وقيل ان القصد من ذلك تحويل الاتجاه الفكري عن الاتحاد السوري العراقي ، بينما ان العراق وسوريا اعلنتا في ذلك الاجتماع ، رغبتهما في اجتناب المجلس التعرض لموضوع هذا الاتحاد على اعتبار انه من القضايا الداخلية بالنسبة اليهما .

ثم جرت انتخابات الجمعية التأسيسية في سوريا ، وعلى التطـر مصادقة الجمعية على الدستور الجديد انتخب السيد هاشم الاتاسي رئيساً للدولة ، ووضعت صيغة اليمين

الذي يترتب على فخامته ان يقسمها أمام المجلس في ١٩/١٢/١٩٤٩، وهي تنتهي بالعبارة التالية : « والعمل في تحقيق وحدة الاقطار العربية . »

وكانت هذه الجملة في نظر الناس بمثابة توطئة لتحقيق الوحدة بين القطرين ؛ فاذا بخصوم هذه الوحدة يقومون في اليوم السابق لموعد القسم بانقلاب عسكري ثالث ، اقتصر على اسقاط اللواء سامي الحناوي بطل الانقلاب الثاني وانصاره ، وقيام غيرهم من رجال الجيش ؛ مما افضى الى وقف المشروع .

وقد عزي الانقلاب الثالث الى مصر والمملكة السعودية ، ومن ورائهما اميركا وفرنسا ، كما عزي الانقلاب الثاني الى العراق ومن خلفها بريطانيا العظمى . ومما اكد هذا ان القاهرة ومكة سرعان ما بوركتا للسيدان ، حينما شاع ، على اثر الانقلاب الاخير ، ان العراق تنوي التدخل في سوريا . وقالتا بلسان واحد : « اذا وقع عدوان على احد الاقطار العربية فان حكومتنا لن تقف مكتوفة الايدي » .

وهذا ان دل على شيء يدل على ان التناحر بين الدول العربية قام مقام عهد التعاون ؛ وانها إذ تتنابذ وتهدد بعضها بعضاً ، فانما هي تراعي بذلك المصالح الذاتية المحضة ؛ بينما ان يهود العالم تضافروا حول دولة اسرائيل ، يشرعوا ، خلال فرحهم المستطير وآمالهم الجبارة ، يتشطونها للتقدم بها وراء القدس ، وما بعد فلسطين . ويحدوهم الى التمادي في طغيانهم هذا جهلهم المستمر في صعيد جهل الدول تجاه والأمر الواقع ، واستمرار هيئة الأمم المتحدة على التغاضي عن امتهان مقرراتها .

وبعد فلقد تنبأنا قبل سنين ثلاث ، استناداً الى تأهب اليهود وتواكل العرب ، بأن فلسطين توشك ان تكون والاندلس الشرق » . ومن المؤسف واللؤم ان لا تكون حالة الدول العربية بعد الكارثة خيراً من قبل ، مما يحملنا على التشاؤم اكثر من أي وقت آخر ، وعلى الاعتقاد بأن قومنا لم يفيقوا على ما هم عليه ، فالمصاب المداهم سيكون اشد من نكبة الاندلس . ذلك لان العرب جلوا بالأمس البعيد عن اسبانيا ، وهي بلاد استعمروها ، اما الآن فهم مهددون بالجلاء عن مواطنهم ، ومواطن جدادهم . أو يعيشون اذلاء عبيداً في ديارهم .

لله الله . أما من يازجي آخر يصرخ في وجوهنا قائلا :

« فتنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب » .

الفصل التاسع

الدولة العربية المتحدة في طريق التحقيق

كلمة الختام

لقد كان اغتباطي عظيما بالوثبة العربية المعاصرة ، ولا سيما اثر تأليف الجامعة العربية ، وما رافقها ، اول الامر ، من اجتماع شمل الامة العربية ، واتجاهها شطر الاتحاد الاقتصادي والتعاون السياسي . وكان سروري شديداً لتلك العواطف المشتبهة التي كانت تشع عن الدول العربية كافة في سبيل انقاذ فلسطين .

وكنت ، وانا مغمور بالفرح ، اسائل نفسي : ، كيف تمت لقومي هذه الوثبة المجاوزة ؟ وكيف اتيح لهم هذا الاتحاد المتكون ، في مثل هذه السرعة ، حتى كانت لهم الكلمة السائدة في مؤتمر سان فرنسيسكو الدولي ، والكفة الراجحة في الدورة الاولى لاجتماع منظمة هيئة الامم المتحدة في لندن ؟ ، اما اسباب التساؤل فلان قومي قضوا اجيالاً تحت الحكم الاجنبي ، ثم لم يمض على ذلك وقت كاف لزوال مخلفات ذلك الحكم وحيثه ، ولا كتسابهم مهنة السياسة والرياسة .

كنت اسائل نفسي هذا ، وأتوخى الجواب فاتسلا تحت تأثير العواطف : « ولكل حالة استثناءات » . ثم وجدت ، والسرور يشع من بين اسطري ، اسهل الجزء الاول من هذا الكتاب بقولي :

« تضفي الوقائع على العالم العربي صبغة عجيبة من الاتحاد القومي تكاد تعادل درجة الوحدة ، وهي لم تقتصر على الاهداف العليا فحسب ، بل تعدتها الى السياسة العامة . وقد توفقت هذه الاتحاد في قضية الساعة : قضية فلسطين ، حتى بلغت مستوى الوحدة ، سواء في القيادة العسكرية ، او في مباحثات مجلس الامن ، وهيئة الامم المتحدة . »

ولكن ما كاد الكتاب يصدر ويصبح بين ايدي الناس حتى تبدل حال العرب : فامسى اتحادهم تفسخاً ، واتفاقهم تخاذلاً ، سواء أكان ذلك في ساحات القتال ، ام في المؤتمرات الدولية . لذلك صرت أخجل من تلاوة الناس ما استهللت به

كتابي ، فيقرأون ما لا يطابق الواقع ، ولا يتفق مع الحقيقة .

والواقع ان الفترة من المستحيلات ، وان آتي ، وقد مضى عليها اجيال كانت ترزح فيها تحت حكم الاستعباد ، تحتاج الى مرحلة أخرى ليعبروها سالمة في الخلاص على التزام الاتحاد في سبيل بلوغ المثل الاعلى .

. . . . .

وقعت الواقعة ، وانتصرت ، كانوا يسمونها المنحدقات ، العصابات اليهودية ، انتصرت على الدول السبع ، وكانت مصيبة كبرى على العالم العربي ، وتقدير على ضياع فلسطين فحسب ، بل اودت ايضاً بسمعتهم وكرامتهم .

كانت مصيبة جعلت العالم يتساءل حائراً مذهولاً متلهفاً : كيف وقع هذا الفشل ؟ او كيف حدث ذلك الانكسار ؟ وجعلت العرب في انفسهم يتساءلون ليروا انفسهم وقفتهم في الجامعة العربية التزام تجمع ، وعلى رجالات الحكم الذين لم يكونوا رجالاً .

وقد قدر المسؤولون من فداحة النتيجة مراجع كل منهم تحاول ان يبرر ساحته ، ويرد الفشل الى قصور غيره ، وهم في ذلك قد هبطوا ، من عل ، الى مستوى الناقمين ، وتساووا مع المتهمين .

ففي شتاء ١٩٤٩ وقف السيد نوري السعيد في مجلس الامة العراقي ، للتعليق على اقتراح ادلى به السيد عبدالهادي وزير الدفاع ، وحقق بنقد طرق الدفاع عن فلسطين ، وبهاجم حالات الاهمال التي جرى ، من قبل العرب ، في عدم توحيد القيادة ، وتسليح المجاهدين الفلسطينيين ، وتحصين المدن والقرى بالاسلحة المناسبة ، كما فعل اليهود .

فيالبؤس شعوري لمن كان يوجه السعيد هذا الانتقاد ؟

أليس مخاطبه من اركان العرب الذين تلاحقهم تبعة هذا القصور ؟

أليس هو صاحب الصوت الاعلى في البلاط العراقي ودواوين حكومة العراق ؟

ألم يكن كل من امير اللواء السيد اسماعيل صفوة ، ورئيس اللجنة العسكرية لفلسطين ، والجنرال صبحي العمري ، مفتش الجيش العام ، عراقيين ؟

بلى وحق العروبة ، وعلاوة على ذلك كان السعيد قد عقد العزم مع جلالة الملك عبدالله على اتحاد فلسطين بقرى العراق وشرقي الاردن وحدهما ، وكان ذلك عندما بسط فوهته جلالته في عمان ما لاحظه من ميوعة بعض الدول العربية اثناء اجتماع الجامعة بالقاهرة شهر كانون الاول ١٩٤٧ ، وتجريدهم من المسؤولية .

فما جد من بعد حتى » قال بالنار كوفي بردا وسلاما على ابراهيم » ؟

وما عدا مما بدا حتى حمد الجيشان : الاردني والعراقي ، ثم انسحب الجيش العراقي الباسل وادمع الاعين من جراء منعه عن القتال ؟ انسحب على مرأى من بعض مراقبي الهدنة بفلسطين الذين اذهلتهم استعداداته ، واعجبتهم بطولته ، وقالوا : « ماذا كان يصنع هذا الجيش هنا ؟ » وقالوا « ما ذا يعود ويترك فلسطين لليهود ؟ »

ولعل السيد رياض الصلح رئيس مجلس الوزراء في لبنان ، ورئيس الوفد اللبناني في اجتماع منظمة الامم المتحدة بباريس ، لعله كان يقصد الى ذلك حينما وضع علامة الاستفهام في خطاب القاه امام الصحفيين في اوتيل جورج بنتول بباريس مساء تشرين الثاني ١٩٤٨ حيث قال :

« وانا يدهشني ان هذه الجيوش على اتساعها من بينها لا يزال صغيرة ، لم تشترك في الدفاع عن فلسطين حين خرق اليهود الهدنة ، وحين هاجم اليهود عربيه هدنة ، فاغتنم العمل واستئناف القتال . ولست ادري لحد الآن ، أهو عدم استعداد لها ، أم عدم رغبة في الارتباط باحترام الهدنة ؟ »

وهذا السؤال العارف لا يدري ، وهو من غلاة المعركة ، لا يجيز اسباب الفشل . اما التنويه بموقف لبنان ، في البيان الذي القاه باسم حكومته الجديدة في المجلس النيابي ، يوم ١٥ تشرين الاول ١٩٤٩ ، وذلك لنيل الثقة ، والذي قال فيه : « يطيب لي ان اعلن من على هذا المنبر ان توريط الكفاح في سبيل فلسطين سيعود للبنان صفحة مشرقة » اما هذا التنويه فقد رد عليه وزير المالية الاسبق كميل شمعون بقوله : « اني اعتبر الحكومة تحمل نفسها من مسؤولية تأليف الدولة الصهيونية » .

بلى ، وان التاريخ قد سجل على العرب كافة هذا القصور ، والحق يقال كل واحد من زعمائهم نبعة ورده على قدر تقصيره ، بل أحق بقولنا عارة ليس كمثله عار ، حينما اتهم بعض وزرائهم بخيانة القضية ، ومنهم من تناوله القضاء ، ومنهم من تناولته الصحف .

. . . . .

اما الآن وقد وضعت الواقعة ، فلم يعد الرجوع الى الماضي يجدي ، اللهم إلا في ناحية الاعتبار بخصوصاً وان المعركة دخلت في المرحلة الثانية ، والعدو لا يزال يتأهب ليس للمحافظة على الغنم فحسب ، وانما لتحقيق اماني له واسعة . وهو في ذلك قد بلغ منه الكبر حد الصراحة ، ولم يعد يداهن ويصانع في ظهار هذه المطامع ، بل هو يعلنها جهاراً غير حاسب حساب احد . وعن الصحف اليهودية

وما نقول ، وأصغوا الى بن غوريون رئيس الوزارة الاسرائيلية ، انه يصرح علناً في جلسة البرلمان ، (ايلول ١٩٤٩) ، عند بحث مشروع التجنيد الاجباري ، تصريحات رسمية لا يشرع عن القول فيها :

« انا سنتبع سياسة من شأنها الحاق بالمتدين حتى داخل حدودها واجباً من المجلس الوافقة على مقترحاتي هذه ، انشاء جيش قوي كامل العدة لينتظم القيام بمثل هذه المهمة على الوجه الأكمل . »

« هذا كلام فارغ ، قد يقول بعضنا حينما يسمع تصريحات بن غوريون ، وهذا رأيه ، خصوصاً وقد صمتت آذان الناس من سماع مثل هذه التهديدات قبل نحو عام فقط يدلي بها رجالات العرب ، وكانت ، في الواقع ، كلاماً فارغاً .

اما أنا فلا اشرع عن القول « لا قياس مع الفارق » . نحن قلنا ولم نعمل ، وهم عملوا ولم يقولوا ، ولا يزالون يعملون لتحقيق اهدافهم التي نوه بها بن غوريون.

ان دولة اسرائيل ما كان لها ان تبرز للوجود حتى أخذت تجد في سبيل توطيد اركان الدولة ، وتأمين منعتها العليا . وقد فرضت ، في هذا السبيل ، الجندية على كل فتى وفتاة ، وارصدت خمسين مليون جنيه ، عام ١٩٤٩ ، لتسليح الجيش ، ووضعت نواة الاسطول ، وعززت الطيران . وهي الى ذلك قد نقلت عاصمتها الى القدس ، وها في هذا الانتقال مآرب عسكرية وروحية . (١) وان اسرائيل معتمدة في كل ذلك ، على غيرة ابنائها وبناتها في اقطار العالم ، فضلاً عن اعتمادها على عطف الولايات الاميركية المتحدة التي تسمى ، بعد الكارثة ، تربط العالم العربي بعاهدات صداقة . وعلى رواية سكرتير المؤتمر الدولي البرلماني الذي عقد في آب ١٩٤٩ بستوكهلم ، فقد وضع البنك الاميركي للصادرات والواردات رهن تصرف اسرائيل ما لا يقل عن مئة مليون دولار .

هذا الى أن اسرائيل ما برحت تتعهد قومها بما يثير فيهم الحماس والنشاط لتحقيق الاهداف العليا بحيث تصور في عيونهم الكبائر ، فعيدوا ، عند انقضاء مئة على تأسيس دولتهم ، عيداً اسمى كالاعياد كان يوماً مشهوداً في تل ابيب يقصر القلم عن وصف ، جنونهم ، فيه . ثم عيدوا في ٢٢ ايار ١٩٤٩ عيد انتصارهم البحري ، ومشى فيه ثلاثة آلاف فتى وفتاة يمثلون بحرة للاسطول ، ومشوا بين هتاف ، كاد يبلغ السماء . وسلمت بمناسبة هذا العيد راية الاسطول لثلاثة بحارة كانوا اشتركوا في الاستيلاء على ثغر يقع الى جانب العقبة حيث كان الصليبيون ، من قبلهم ، اقاموا هنالك ، عند البحر الاحمر ، نقطة انطلاق شطر مكة والمدينة .

---

(١) قال امير عربي : « ان اليهود يعملون للحرب ولا تي ، غير الحرب حتى أصبحت فلسطين بريئة جارية صارت فيها صناعة الرشاشات والبنادق الاوتوماتيكية والقاذفات صناعة محلية.

اما نحن فكأننا غرباء عما يجري على مقربة أميال منا . غرباء عما يقع في قلب العالم العربي ، غرباء حتى كأنا نعتقد ان هذه الاستعدادات الدموية مصوبة الى افئدة سوانا . وليس ذلك فقط ، بل الحالة أدهى وأمر ، اذ أصبحت خلافاتنا الداخلية مشغلة لنا عن كل خطر خارجي ، كما انتقل الخلاف بين اولياء الامر منا من نطاق وجهات النظر ، الى حيز الخصام . وكالنعامة تطوي عنقها تحت جناحها الخفاق رأسها على أمل أن لا يراها الصياد إذا رآه ، فقد أشحنا بوجوهنا عن فلسطين ، وما يجري فيها ، منصرفين إلى حاضرنا عن مستقبلنا : مصر بالسودان والمعاهدة ، والعراق بالمعاهدة والقرش ، وسوريا بالانقلابات والملالات الخصيب ، ولبنان بالوزارات وتحمي الدولار ، والسعودية بالذهبيين : الاسود المائع والاصفر الرنان ، واليمن بتأمين الصيد وتصحيح الحدود ، وشرقي الأردن بتوسيع النخوم . وما بيت الامر وقت عند هذا الحد .

ألم تسوء الحالة بين الزعيم حسني الزعيم وبين شرقي الاردن والعراق حتى بلغ الخلاف درجة حشد الجيوش على النخوم ؟

ألم تحسب مصر والمملكة العربية السعودية مدة من الزمن ممثل الحكومة السورية اعترافها بها حين وجه الانقلاب الثاني سوريا شطر العراق ؟

ألم يفض الخلاف بين الكتلتين العربيتين الى التردد في تعيين موعد اجتماع الجامعة العربية قبل اجتماع منظمة الامم المتحدة في نيويورك (١٥ ايلول ١٩٤٩) مع الحاجة الماسة لتوحيد وجهات النظر قبل السفر ؟

ألم تفشل اجتماعات الجامعة العربية من جراء الاختلاف على مشروع الفيلق الجيشي ، ذلك الاختلاف الذي يقوم على المصالح الذاتية ؟

بلى وحق العروبة وفوق كل ذلك وأكثر ، ابان ما كانت اسرائيل ، التي تستعد للمستقبل ، لا تزال تتجاوز حدود الهدنة الدائمة ، ولا تستثني في هذا التعدي شرقي الاردن . وقد كان جلالة الملك عبدالله لا يزال في لندن يتوخى الاعتراف منها بضم فلسطين العربية لشرق الاردن حينما رفع وزير خارجيته الاحتجاج الصارخ الى منظمة الامم المتحدة في نيويورك من جراء اقتحام اسرائيل بعض القرى العربية ، وآخرها « وادي فوقين » .

. . . . .

ان دولة بن غوريون تهدد (المعتدين) بالتحاق بهم حتى داخل حدودهم ، وما

ذلك حباً باشباع النفس من لذة النصر والتغلب وبين هي مضطرة للقيام بهذه الخطة في اقرب وقت ممكن ومخصوصاً وان الازمة الاقتصادية المستفحلة في بلادها ستظل موجودة ما دامت تحوم محصورة بين حدود فلسطين .

١ — لقد اتت عليها الاموال في سبيل تحقيق حلمها القديم ولا سيما خلال الحرب حتى صح فيها حقيقة واقعة . ولكن ما ان انتهت وتربعوا في اورشليم حتى بدا لهم ان المال جبا في اوساط اليهود في العالم وقد وقعت اسرائيل ازمة مالية حادة وهي لا موارد لها تقوم بتوفير كل ما ولا معين في فلسطين يؤمن لها الدفع عن هذه الكيان فضلاً عن تحقيق المطامع البعيدة .

اذن لا مخرج لها من هذه الأزمة الخانقة الا بخلق سبب من شأنه ان يثير حماس يهود العالم وتبرعاتهم وليستغلوا حلف انصارهم هم وراء البحار وذلك بغزو مساحات جديدة وتوطين اليهود فيها لتوفير الزراعة والصناعة وتسديد حاجات معيشتهم وتجعلهم ينتجون في شتى ميادين الاعمال الخارجية .

٢ — انهم في ازمتهم الحالية يتوجسون خيفة من حرب اقتصادية تشنها عليهم الدول العربية وبخاصة الف حساب لمقاطعة البضائع التي تهددهم بها هذه الدول .

لذلك كانوا يرون انفسهم مضطرين للتوسع وراء فلسطين وبناءهم على ذلك تجري مصر اعدادها لمواجهة الخطوة التي خطوها الى في الحرب ضد العرب وما بعد لتصفية وجودهم العام الأمر الواقع وتأخرها على ذلك احتلالهم القدس وتقل عاصمتهم اليها . هذا وان لا بد من تصرفهم من جراء اوضاعهم في الأردن بريطانيا المقصى وتحتجزه على مشروع الكتلة العراق وسوريا ان هذا الا نتيجة لا يكون في اكثرهم من التطلع بعد هذه الاقطار المجاورة .

وورد ان بعض الأوساط الاميركية تروج لفكرة جديدة تقوم على اسرائيل بسوريا ولبنان ، وذلك لان تعتبر اليهود عاملاً هاماً في الشرق الاوسط وكما تعتبر توسعهم وسعاً لحصة نفوذها في تلك الاوساط . هذا فضلاً عن ان واشنطن تحرص على ان لا يكون بترول الجزيرة في سوريا من نصيب الدول التي تقف موقف المناوئ لها في هذا الشرق .

وبعد فهل تكون الخطوة الأولى شطر دمشق للالتفاف حول لبنان؟ أم تكون

---

(٤) يبلغ ما جمع في غضون الشهور الاخيرة من عام ١٩٤٩ في الولايات المتحدة مساعدة لليهود ٨٤٠١٨٩٦٩٩٨ دولاراً ، وقد بلغها ١٢٢ مليون دولار في ثلثة عشر يوماً من نهاية الذي سلف .

موجهة مباشرة ليهود اوربة لوضع الخطر على الشرق الأوسط قبل ان تبادر الدول العربية تحقيق مشروع اتحادها ؟

. . . . . .

« فلسطين اندلس الشرق » عنوان كتاب اصدرته سنة ١٩٤٦ والدوث فيه فومي من سوء المصير ، لكنه لم يوفقه ، ولكنه وقع في وقت اقرب مما قدرت ، ويؤلمني ان اخطر مرة اخرى الاعراب عن حرقي الشديد من ان تمسي بلاد الشام كلها ، اندلس الشرق ، ايضاً ، وذلك ان دون فومي على هذا الحال من التخاذل والتواكل ، والتسليم الى الامر الواقع بالمصير .

لقد اوصل الاستاذ ثابت ، المشورجي ابن القوصر ، والمحامي اتى وزارة الخارجية اللبنانية برقياً نص الخطاب الذي القاه المغفور لهنري مارتن رئيس اللجنة التحالية في مجلس النواب الاميركي ، ومما جاء فيه :

« ان روح معظم من زرت الاقطار العربية من [illegible] الاف من العرب ان هذه البلاد [illegible] ولا تقف اسرائيل لاعطاء العرب درساً آخر [illegible] العرب لا تقهر [illegible] .

« ولكن [illegible] اني موقف الامم المتحدة لا تؤخر الامر الذي من شأنه [illegible] ان يجوب وعمان والاسكندرية والقاهرة الرياض [illegible] .

وهذا تصريح يدلي به صهيوني كبير ، وسياسي اميركي خطير ، وقد اعددنا نحن العرب انفسنا ومن اوطاننا قبل ان يضطر حضرة الرئيس مستر لاعطاء هذا الدرس القاسي لا ولا نقول اننا اعددنا للحق بين عوربون وخليج البقر الذي نحن كنا حواله ؟

هل هو بجرم تجديد العهد لجامعة العربية بعد ان حال بعضنا المماول تبديلها ؟

هل هو اتفاق الرأي بعد جدل ، على تعيين موعد اجتماع مجلسها ، ثم ما ان عقد المجلس حتى ذهب يجادل حول ، الجدول الجمعي ، ، وعدنا على غير اتفاق ، ثم لانزال غير متفقين على تعيين موعد آخر للاجتماع ؟

لقد بلي بهذا قبلنا البيزنطيون : وبينما كان السلطان محمد الفاتح يحاصر عاصمتهم ، ويهددهم ، منذ يهددنا مستر وين شرشل ، كانوا هم منصرفين الى التقاش في موضوع ماهية السيد المسيح ومشيئته ، فدخلها السلطان فاتحاً ، واصبح الحكم بينهم فيما كانوا يختلفون .

فهل نحن سنتهي بالاجتماعات ، ونستمر على تبديد بعضنا بعضاً كلما آنسنا

اختلالاً في التوازن بيننا حتى يكون مصيرنا مصير البيزنطيين ؟

لقد دعونا قومنا الى المحافظة على الجامعة العربية والالتفاف حولها ، ولا زلنا ندعوهم الى ذلك بكل قوانا ، خصوصا ونحن نحيا في عصر التكتل ، ونرى بأم أعيننا الدول الاوروبية تمشي باقدام ثابتة نحو الاتحاد الدولي . ونقرأ انباء المجلس الدولي الاستشاري الذي عقد في مدينة استراسبورغ في ايلول ١٩٤٩ وهي تقول :

« خطا اليوم المجلس خطوة كبرى نحو تحويله الى برلمان لولايات القمة الاوروبية ، وذلك عندما درست اللجان السياسية والاقتصادية ، امام اعضاء مؤتمر المجلس في شهر القادم من

ولكن الذي استنتجناه من مأساة فلسطين حتما على الاعتقاد ان الوقت لم يحن للاستفادة من الجامعة العربية في نطاق التعاون العسكري ، مهما وضع فيه من ضمانات ، بل جعلنا نؤمن بأن الساعة لم تأت الاعتماد على اتحاد عربي مكين شامل

نحن لا نزعم أن الامة العربية ليست نواقة الى الوحدة القومية التي تؤمن لها العز والكرامة . ولكن الذي نقوله : ان كل خطوة تمشيها دونها في هذا السبيل تعترضها عقبات محلية تجعل ارادة الامة تتعثر عندها .

عودة الى الماضي القريب ، والماضي مصباح المستقبل : فقد ذهب بعض الدول العربية سنة ١٩٤٣ الى مصر لاجتماعات اطلقوا عليها رسميا ومشورات الوحدة العربية ، ولكنهم ما ان التقوا حول مائدة فخمة بالاسكندرية حتى اخذ كل منهم يجتمع لتحفظ . فكانت النتيجة ان ووتوكول الاسكندرية ورد الى العالم العربي على غير هوى الأمة . وعلاوة على ذلك فان هذا البروتوكول لم يستطع الوقوف على رجليه الى النهاية ، بل ما ان شرع بعض الدول يضعون ميثاق الجامعة العربية حتى تبخر البروتوكول بتأثير التحفظات المختلفة ، وصدر الميثاق وليس فيه أي اثر للوحدة ، وانما هو يقتصر على وضع أسس للتعاون فحسب . على ان التعاون هذا كان حبرا على ورق ايضا ، خصوصا حينما حك الركاب بالركاب وبرزت قضية فلسطين !

لذلك فاني ان يحين الحين ، ونصبح الأمة العربية أمة ، والجامعة جامعة ، ويصير اتحادنا اتحاداً بمعنى ان أوجه الدعوة الى كل واحدة من الدول العربية كيما تعتبر ان تهديدات اسرائيل العلنية المتواصلة انما هي معصوبة اليها مباشرة ، فتعتمد من ثم الى الاتكال على نفسها وعلى نفس فحسب ، في دفع هذا الخطر ورد هذه الاعتداءات . ثم اذا جاءتها النجدة من لدن الحواشي فذلك خير ، ولا تعتمي

النافلة شيئاً عن الواجب العربي. وأخص بالذكر مصر ، اعظم دول العرب واغناها ، فهي مسؤولة ، استناداً الى مواردها ووفرة عدد شعبها ، قبل كل دولة اخرى عربية ، ليس عن المحافظة على نحومها فحسب ، وانما هي مسؤولة عن الكرامة التي امتهنت بضياع فلسطين ، وعن العار الذي لحقنا بسبب الطرق المشينة التي ادت الى ضياع فلسطين .

. . . . . .

لقد اعربنا ، في هذا ، عن الشك الذي يخامرنا بصدد استطاعة قومنا تحقيق الاتحاد العسكري فيما بينهم ، الاتحاد الذي يظل قائماً اثناء الشدة ، وذلك لما هم عليه من التمسك بالنزعات الشعوبية ، والارتباطات الخاصة الدولية ، ووجهنا الدعوة الى دولة كبيرة تعتمد كل منها على نفسها فقط في دفع الاخطار ، واسترداد الكرامة ...

واذا كان معتقد بأن مصر تستطيع منفردة الدفاع عن كيانها ، بما لديها من وفرة في عدد الأنفس ، وغزارة في المال ، فهل ترى يمكننا الاعتماد ، كذلك ، على كل واحدة من الدول الاخرى المتاخمة لاسرائيل ؟

لا أدري . واذا كان الجواب دلالا ، فما الذي يمنع بكتل بعضها لكتلا واثقاً يدفع الخطر عنه ، مع بقائها في الجامعة العربية ؟

ما الذي يؤخر سوريا والعراق الاردن ولبنان عن ان تقيم فيما بينها وبين العراق اتحاداً ، فيدرالياً (١) يجمع بينها عسكرياً واقتصادياً ، وفي السياسة الخارجية ؟

ولعل هذا الاتحاد يكون نواة للولايات العربية المتحدة بانضمام الدول الشقيقة الاخرى اليه تدريجياً ، مثلما ان اوروبا الغربية تؤمل ان يكون مجلسها الاستشاري البرلماني نواة للولايات الاوروبية المتحدة .

وكأني ببعض مواطني يتخذهم الذعر لرأيي ثائرين في هذا الاتحاد ! مهلاً يا قومي انما هو اقتراح ما اردت فيه الا الخير لوطني والسلامة .

امامنا امران لا ثالث لهما :

١ ـ اما ان نعيش ، بين ليلة وضحاها ، عبيداً لاسرائيل ؟

٢ ـ واما ان نعيش في بلادنا احراراً مستقلين نحمي كتلة قوية مع اخواننا المجاورين ؟

---

(١) الفيدراسيون Fédération معناها اتحاد يكون على اساس احتفاظ كل دولة باستقلالها مع خضوعها لبعض الشرائع العامة التي يضعها الاتحاد بالاتفاق بين اعضائه لمصلحة المجموع ، وتوحيد التمثيل الخارجي .

اجل . ويؤسفني ان اعلن ان لبنان معرض لخطر اسرائيل قبل سواه . وقد اطلعنا على خرائط شبه رسمية وضعها الصهيونيون ، اعتبروا فيها جبل عامل حتى نهر بيروت ، جزءاً لا يتجزأ من فلسطين . ولذلك فهم قد ادعوا منذ بضع سنين مضت ، لاحتلال هذه الاراضي في نوء معلوم استنادا الى مزاعمهم التاريخية ، وبقوة تصكون الشر ، التي اصبحت في حوزتهم بعد معركة سواء أكان ذلك في بلاد عاملة او في غيرها .

وهم الى ذلك لا يطمعون بلبنان قبل غيره قصد الاستيلاء على المواصلات استيلاء كاملا يمكنهم من تطبيق الخنق على كل من سوريا وشرقي الاردن والعراق ، وجعلهم تحت رحمة نفوذهم الاقتصادي . ولا ادل على ذلك مما ورد في هذا الجزء (الصفحة ١٢٦) من ان الدكتور وايزمن تقدم من الكونت برنادوت حين اصبح القائم على وشك الحرب العالمية الثانية ، وعرض عليه مساعدة الوكالة اليهودية اذا هي قطعت له عهداً بالتخلي عن فلسطين بالاضافة الى قسم من جنوبي لبنان .

هذا ويصعب علينا ان نرى ان المودة بين بعض الدول وبين اسرائيل يمكن ان تحول دون ما هو هدف صداقة من شأنه ان يكون ضمان للبنان على استقلاله . والواقع ان لا اثر لهذه المودة في معجم السياسة ، وخصوصاً في معجم اسرائيل ، كما تشهد على ذلك التواريخ .

ويذهب آخرون الى ان لبنان يستطيع ان يطمئن على مصيره بالالتجاء الى دولة عربية كبيرة . وان اقول لهؤلاء ان عصر المواثيق مضى وانقضى ، كما مضى عصر المعجزات والدينية . ونحن الآن في عهد تبرز فيه المصالح الذاتية . وان الدول التي خضعت وركعاً سجداً امام الذهب الوهاج الذي يكنزه اليهود ، وفي طليعتها الولايات المتحدة ، واستسلمت لرغباتهم حتى البعيد منها ، سيرت معهم على اخراج اهل فلسطين من ديارهم ، وديار آبائهم الاولين ، ان هذه الدول ، ولا استثني منها فرنسا الكاثوليكية ، والاتحاد السوفياتي الشيوعي ، لا تتورع في يوم آت ، عن تسليم لبنان ايضاً ، وغير لبنان لاسرائيل اذا رجحت عندها كفة الميزان .

اجل وان فرنسا التي مشت مع انكلترا في الامس ابان حرب القرم الى جانب تركيا المسلمة ضد روسيا المسيحية ، وذلك من جراء اختلافهما على حق كنسي احدى لوافد كنيسة القيامة بالقدس ، ان فرنسا هذه حامية الكثلكة لم تعد موجودة ، وانا نحن نعتبر فرنسا التي لا تهمها الا المحافظة على كيانها المجدد ، ولو

اوى ذلك لانتقامها من احضان الولايات المتحدة الى احضان اسرائيل .

هـــذا الى ان واشنطن اقتبسة على باريس وغير باريس في الوقت الحاضر ، واشنطن التي يستوي عـــلى عروشها اليهود فوق كل دار بيضـــاء او سوداء ، واشنطن التي ما زالت تعالج لندن خلال السنين الاخيرة وابان فتنة فلسطين ، حتى ذللتها لاوامرها ، وحملتها على التسليم بكثير مطالب اسرائيل ، ان هذه العاصمة لن تجد من بعده في باريس ما اصطدمت به في لندن من المقاومة اذا شاءت يوما ما مجاراة اسرائيل بصدد التوسع في لبنان .

أضف الى كل ذلك ان الخطر الأشد على وطنك العزيز انما يرجع الى بعض ابنائه انفسهم (١) ، وبينهم زعماء وروحيون ، وبينهم زعماء اقطاعيون . لقد باع بعض هؤلاء الأمس فلسطين لاسرائيل ، وان من يبيع نفسه رخيصا لسهل عليه ان يبيع وطنه ، وعندما وجد هؤلاء حجتهم تقول بأن فلسطين للصهيونيين ، فلن يعجزهم حتى حجج أخرى لتدعوه الى تسليم لبنان كله او بعضه لاسرائيل (٢) . فلا تعجب ولا تستكثر ، وما كان قبل ان يوقع أحد من القرطاس شيئا في الصحف خبرا ، وان كنا لا نريد ان نصدقه في الظروف الحاضرة ، الا انه ورد في معتدلة باريس الصادرة في المستقبل من أخبار ، ورود الصحف (٣١/١٢/١٩٤٩) ان ناطقا اسرائيليا سابقا يدعى ايفي فرقعة من الوطن اليهودي في اسرائيل معلنا كذا ان بين يديه مذكرة في هذا الخطاب تحمل خمسة آلاف توقيع ! !!

أجل فلا تعجب من التوقيع ، ولا تستكثر ما يقبل الباك ، وان تعبر مقدار انفسخ الأخلاق عند بعض الزعماء ، وأعرف مبلغ الجبن الذي يتفشى بين ابنائه حتى يكون من السهولة الى حد بعيد جمع التواقيع ، الا أن مواقفه في ليلة وضحاها ، ولكن يحقق لي في الصراحة ولا التردد : هل انت مطمئن الليل ، بعد ذلك كله ، على وطنك العزيز ان يقي بذمام العزلة ويؤثر الانحراف ؟

---

(١) لعل القارئ يذكر ان ما يجري في هذا الوقت مشروح في الصفحة ٨٠ من هذا الجزء .

(٢) اصدرت وزارة الاستعمار البريطاني كتابا ابيض عن موقف الحكومة من الحرب القومي الاجتماعي ، ورد فيه تقرير صادر عن مندوبية عكا (برقية ١٧٣) جاء فيه : ان منظمة القلانج اليمينية والقطرين الفاشيين مشتركة في النضال ومقاومة مع اسرائيل لقلب الحكم واقامة الوطن المسيحي واضطهاد المسلمين والعرب الاخرين . وقد صدر مع مواطنين على كتب توصية من القطرين مباركة لاسرائيل مع تمنين لواجب وطني تجاه المسلمين بوجه ، والمسلمين العرب بوجه خاص . اذ كانوا في احد الاحزاب العربية المتعاونة مع الصهيونية ، التي كافحت سنين طويلة ، وكان في شرف وناصبها ، مثل الثورة على فلسطين .

اما والجواب — لا — كان الأجدى لنا ، نحن اهل لبنان ، ان نشفع حرصنا على سلامة وطننا واعتمادنا على انفسنا ، بالاتحاد مع جيراننا الذين تجمعنا بهم العصبية المشتركة ، وتضمنا الى صفوفهم الآمال والآلام ، خصوصاً ان لبنان في هذا الاتحاد مع الجيران من فوائد ايجابية من شأنها وحدها أن تحملنا على اختيار هذا الاتحاد : ان لبنان الرابض عند سيف البحر على طول شاطئه ، اهلاً للخصب ، حيث تتمتع عاصمته وبعض قراه مواهب تجارية ورؤوس اموال كافية ، ومنشآت اقتصادية لا مثيل لها في هذا الساحل ، سوف يحظى بحصة الاسد من هذا الاتحاد الاقتصادي فهو ، ولا ريب ، سيتقبض على ناصية تجارته ، صادرة كانت او واردة ، هذا فضلاً عما سيؤمنه هذا الاتحاد لأبناء لبنان وبناته ، ولا سيما المتفوقين منهم والاختصاصيين ، من مجالات فسيحة في الأعمال الحرة والوظائف في ارجائه .

. . . . .

يغبط كاتب هذه السطور نفسه ، بخلاص بعض ، الى الدول العربية العزيزة التي كانت تقف موقف المعارضة في وجه اتحاد الشمال الخصيب ، وذلك خشية اختلال التوازن الدولي بين العرب .

الآن وقد تسرب الداء الى صميم الفؤاد ، وذلك بقيام دولة اسرائيل في قلب العالم العربي ، وشرعت هذه الدولة تذهب ، في البر والبحر والفضاء ، لتحقيق برنامج واسع المدى لا تتورع عن التصريح به ، وذلك اعتماداً على نفسها ، واستهتاراً بالعرب .

الآن ، وقد اصبحنا نواجه قاطبة خطراً شديداً مداهمًا لا فرق بين ان يكون مناجمه فلسطين او بعيدين عنها ، ذلك لأن اسرائيل ما ان بلغت البحر الأحمر حيال العقبة حتى تطلعت ايضاً لاحتلال جزيرة العرب ، واعتزمت بسط سيادتها على مكة والمدينة قصد تذليل المسلمين ، والوثوب من هاتين المدينتين المقدستين الى منابع البترول ، كما بينا ذلك في هذا الجزء ، صفحة ١٩٠ .

الآن والحالة هذه ، ونحن نعاصر القنبلة الذرية ، وتطاير الرؤوس كالسالحات في الاجواء ، كان علينا جميعاً ، أن نشعر ، على السواء ، وحيث كنا ، بالخطر الداهم ، وأن نرى ، من ثم ، أوجب الواجبات تشجيع كل تكتل يقوم بيننا ، سواء أكان شاملاً أم جزئياً ، وذلك ضمن نطاق الجامعة العربية .

اما « العنعنات » الشخصية القائمة على « كريات الذرات القديمة » ، أو على مخيلات التوسع في العصر الحاضر ، فهذه قد جعلت الخطر الصهيوني هباء منثوراً ، كما جعل انقسام الدول العربية ، امراً غير طبيعي ينافي مع الحكمة .

هذا ولعل من الخير لمصر والمملكة العربية السعودية قيام كتلة عربية قوية الى جانب كل منهما، كتلة اذا انفردت في الدفاع عن نفسها كفتها مؤونة القتال ؛ وان تعاونت معهما في الحرب كانت عونا على تحقيق الآمال .

اما اذا بقيت سوريا الطبيعية عزاة الاطراف على ما اراد المستعمرون ، وعلى ما تشاء اسرائيل ، وظل الجزء العربي رمزيا ، كما هو اليوم ، فما يدرينا ان تكون هذه الاجزاء لقمات سائغات تلتهمها اسرائيل واحدة بعد واحدة ؛ وكلما التهمت جزءا منها اكتسبت منه قوة جديدة لابتلاع البقية الباقية حتى تأتي على الجميع ؛ ثم لا تتوقف عندها ؟

ان هذا الخطر جسيم على مصر، وعلى المملكة العربية السعودية ايضا ، وذلك على اعتبار ان كل قوة جديدة يكسبها الخصوم هي بمثابة خطر ي يصيب سائر اجزاء الوطن العربي . انه خطر شديد واجه ، من قبل ، اجدادنا في اسبانيا فلم يحفلوا به ، فاودى بهم الى الجلاء والفناء . وهل نحن احفادهم الذين نلقن الأولين سوء تكتب نفس حفيداتهم فتلعنهم الذرية ؟ أم نعتبر بالتاريخ ونسترشد به لحفظ كيان العرب ، وكرامة العرب . ؟

وبعد ، فلي ثقة ان عالم عقلية كبيرة تقف سداً منيعاً في وجه هذا الاتحاد . وأعني بها تلك المعاهدات التي يربط بها كلا من تركيا والاردن والعراق بدولة اجنبية . ان هذه المعاهدات ، وما يتبعها من بروتوكولات تجعل السوري واللبناني المعاديين ، والمستقلين استقلالا تاما ، يترددان في قبول هذا الاتحاد الذي يجعل النير ، وذلك خوفاً على استقلالهما .

هذا حق لا ريب فيه ، خصوصاً اذا ضربنا صفحاً عن المقابلة بين مساوئ هذا الاتحاد من حيث وجود الارتباطات مع بريطانيا العظمى ، وبين مساوئ التجزئة والانفراد على ما فيهما من الخطر الاسرائيلي .

ولكن هناك طرقاً أخرى للتكتل يرجى رفع هذه العقبة الكأداء . وانتشال طلاب الاتحاد من حالة التردد ؛ خصوصاً ، وانها تنوخي من هذا الاتحاد قيام كتلة قوية في وجه الشيوعيين ، على أمل ان تكون تواة لتكتل أعم .

وانها لفرصة سانحة لعمان وبغداد للسعي الى تعديل معاهدتيهما على نحو هذا المشروع .

على اني وان كنت أعلم ان بحث تحقيق الاتحاد بلاد احلال الخصيب مصاعب أخرى ، ولا سيما ما كان منها من تضارب مصالح الزعماء الشخصية ؛ ولكن المصاعب كالثلوج ، وان تراكمت ، فلا بد من ذوبانها ، ولا بد من تركها المجال الى الخلائق .

فهرست الاقطار العربية في جزئي الكتاب بمقتضى العناوين

●

	الجزء الاول	الجزء الثاني
العراق	٩ - ٦١	٨-٤٦-١٣٩-١٤٥-٢٣٧
سورية	١٠-١٦ ١٩-٥٢	٣٦-٨١-٨٢-١٦٢-١٦٧-٢٣٧
مصر	١٢ - ٦٦ - ٨١ ١٣٦-١٣٧-٢٠٤	١٠-٤٦-١٩٤-٢٤١
جزيرة العرب	١٣-٢٨-٣١-٢١٥	١١
اليمن	٢٤	٢١٣-٢٤١
الحجاز	٣٦	٢٠٣-٢٠٨
تونس	٩٤-١٨٦	٥٣
مراكش	٩٥ ١٩١	٦٨
اسبانيا - الاندلس	٩٧-١٤٤	٥٥
المغرب العربي	١٣٩-١٤٣	٥١
الجزائر	١٧٦	٦٢
الريف المراكشي	١٩٨	٧٣
ليبيا	١٩٩	٧٥
فلسطين		٣٥-١١٦-١٧٩-٢٢٣-٣٣٢
لبنان		٨١-٩٥-١٦٢ ١٦٥
شرقي الاردن		١٣٤ ١٥٦ ٢٤١
الهلال الخصيب		١٤٤ ٢٣٧-٢٤١
عسير		١٢١
نجد		٢٠٨

فهرست الاعلام (١)

— أ —

ابراهيم الويلحي (صحافي) ١٩
ابراهيم اليازجي (الشيخ) ١٥-٢٤٠
ابراهيم عبد القادر ، خال رئيس وزارة مصر ٢٠٢
ابراهيم باشا بن محمد علي الكبير ١٠
ابراهيم هنانو (زعيم سوري) ٨٤
احمد الأول (السلطان العثماني) ٦
احمد الثاني (السلطان العثماني) ٩٢
احمد باشا اخرير (عادل عثماني) ٨
احمد بك الداعوق (رئيس وزارة لبنان) ٢٩٠
احمد الشرف السيوفي الكبير ١٢٢
احمد ابو طاقية (الشيخ الفاسي) ٩٤
احمد حلمي باشا (رئيس حكومة غزة) ١٨٠
احمد جلال باشا (الجنرال العثماني) ٢٠،٢٦،٢١٠
٢٠٥،٢٠٩،٢١٠،٢١٣،٢٢٧
احمد شكري بك (سياسي عثماني) ٢١
احمد عرابي باشا (زعيم ثورة مصر) ١١
احمد عاصم باشا الدكتور (رئيس وزارة مصر)
١٩٦،١٩٧
احمد محمد الخالدي (مؤرخ) ٧
احمد مختار بك يوم (من اعيان بيروت) ٢٤
احمد مصالي الحاج (زعيم جزائري) ٥٤،٥٥،
٦٩
احمد نامي بك (القائد ، رئيس وزارة) ٨٦
احمد بن يحيى (جلالة الامام الناصر ابن الوكيل)
٢٠٠،٢٢٩
ادور الدكتور (رئيس صهيوني) ١٢١،١٢٢
أديب بك الشيشكلي (العقيد السوري) ١٦٢

ارسانيوس الخانجوري (دير الاشقف) ١٠٢
اسعد الطبيش (عضو لبناني) ٣٩
اسماعيل بك (خديوي) ١٥،١٢،١٣
اسماعيل بك حيدر (مصور لبناني) ٩٢
اسماعيل صدقي باشا (رئيس وزارة مصر) ٢٠٢
اسماعيل صفوة ، باشا ، امير (العراق) ١٣٠،١٣١
اسطفانوس ، بطريرك الروم في بيروت) ٢٤١
الأمين باشا (بكي ، سوري) ٥٩
الشيخ صفر (وطني تونسي) ٥٣
الطيب ثامر (الكاتب الوطني التونسي) ٥٨
الطيب ابو رقيبة (زعيم تونسي) ٥٦،٥٧،
٦٠،٦١

الطيب الادريسي (امير عسير) ٢٩١
الطيب بن الامام يحيى (سيف الاسلام) ١٢١١،
٢١٨
العاذل شيخاوة (وطني تونسي) ٥٢
العزيز بك عثمان (رئيس حكومة لبنان) ١٨٠
العربي (الجنرال البريطاني) ٣٥
القاسم بن الامام يحيى (سيف الاسلام) ٢١٨
القدسي ابو الهدى اليعقوبي (الشيخ) ٩٧
الياس بك اده (رئيس جمهورية لبنان) ٩٠٥
٩١٦،٩١٧،٩١٨،٩١٩،٩٢٠،٩٢١،٩٢٢
امين الحسيني ، الحاج (المفتي الأكبر) ١١٩،
٢٢٧،١٣٠،١٣١
انطون عربيد (البطريرك الماروني) ١٠٠١،
١٧٦،١١٣،١٠٥،١٠٤
انطون عمل (الخوراسقف) ١٧٦
انطوني ايدن (وزير خارجية لندن) ٧٢٩،
٧٣٠،٧٣١،٧٣٢

(١) جرينا في ترتيب الاسماء على حسب ما وردت في الكتاب دون التقيد بتقديم الاسم او الكنية ، وعلى هذا الترتيب لا عبرة كتبي ابن وابنة ، بل وردنا قبل الاسم . هذا وان المؤرخين والعلماء الذين ورد ذكرهم في هذا الفهرست ، هم في جملة من اعتمدنا عليهم في مصادر الكتاب .

ابور رشا (وزير الحرب العثماني) ٢٢
ا. ي. ابرري (مؤلف) ٢٩
ايفون دلبوس (وزير فرنسي) ١٠٦
أيوب بك رشا (رئيس دولة لبنان) ١١٢،١١٤

— ب —

باجيت (جنرال بريطاني) ١٧٦
بالمر (مارشال انكليزي) ١٩٧
بارتون (مقيم عام بتونس) ٥٧
بترو بك طراد (رئيس حكومة لبنان) ١١٤
برسي كوكس (السر برسي مندوب سام بالعراق) ١٣٩
برنادوت (الكونت — الوسيط الدولي) ١٧٩،
١٨٦،١٨٩،١٩٨،١٩١
برياو دي رجيرا (الجنرال البرتغالي) ٧٣
بريان (رئيس وزارة فرنسا) ٣٠
بشاره الخوري (الشيخ — رئيس الجمهورية
اللبنانية) ١١٤،١١٥،١١٦
بكر صدقي بك (قائد الجيش العراقي) ١٢٨،١٢٩،
١٥٠
بكر سامي بك (والي بيروت) ٩١
بلفور (اللورد — وزير بريطاني) ٣٣،٣٤،
٨١،١١٦،١١٧،١١٨،١١٩،
١٢٠،١٢٦،١٨٥
بن غوريون ٢٤،٢٤٤
بهيج بك الخطيب (رئيس مجلس النواب السوري)
٩٢
بولز (قائد بريطاني) ٣٦
بولس مسعد (مؤلف لبناني) ٨٤
بوانكاره (رئيس وزارة فرنسا) ٢٢
بونسو (مندوب سام فرنسي) ١٠٤، ١٠٥
بياباف (الكولونيل — فرنسي) ٣٤
بيتان (مارشال فرنسي) ٦٤
بيدو (وزير فرنسي) ١٧٨
بيفن (وزير بريطاني) ١٢٩،١٧٧،١٧٨،
١٨٤،١٨٨،٢٣٤
بينه (جنرال فرنسي) ١٢٦،١٧٨،٢٣٤
بيشون (وزير فرنسي) ٢٤
بيك باشا (قائد الكتيبي بشرق الاردن) ١٣٦

— ت —

تاج الدين الحسني (الشيخ — رئيس حكومة سوريا)
٨٦،٨٩،٩٥،١٦٨
تبوني (كردينال السريان) ٩١
ترابو (موسيقار — حاكم لبنان) ٩٦،٩٩
ترومن (الرئيس الاميركي) ١٢٧
تشارلس كرين (لجنة كنج كرين) ٣٩،٨٤،٩٧
توفيق ابو الهدى باشا (رئيس وزارة عمان) ١٥٨
توفيق بك السويدي (رئيس وزارة العراق) ١٤٢
توفيق رشا (الخديوي) ١١
توفيق سلم (الشيخ — مفتي الجمهورية اللبنانية)
١١١،١١٣،١١٤،١١٦
تويني (شيخ الدفعت) ٩
تيطس (الامبراطور روما) ١٢٩
تيودوراك (الامبراطور البيزنطي) ٩١
تيودور هرزل (مؤسس الصهيونية) ٣٢

— ج —

جان هنلاو (مندوب سام فرنسي) ٩٥
جاويد رشا (ولي عهد) ٢٥
جبران مسعى (عالم لبناني — مؤلف) ٨٢
ج. دكيه لورد (مؤلف انكليزي) ٤٠
جمعه باشا العسكري (وزير عراقي) ١٤١،١٤٤
ابن جلون (الدكتور — وطني جزائري) ٦٤
جمال الدين الافغاني (من مؤسسي النهضة) ١٧
جمال بك جميل (رئيس بعثة عسكرية لبنان) ٢١٨
جميل بك الالشي (رئيس وزارة سوريا) ٣٤،
٨٩،٩٠،٩٢
جميل بك المدفعي (رئيس وزارة العراق) ١٤٧،
١٤٨،١٤٩،١٥٠،١٥٢
جنكيز خان (الامبراطور المغولي) ٢١
جوان (الجنرال — مقيم عام بمراكش) ٧٢
جودوري انوسون (مراسل صحف) ٧٢
جورج اطوبيوس (مؤلف فلسطيني) ١٥
جورج الخامس (ملك بريطانيا العظمى) ١٤٦

جورج بز (نصير الزلف) ٣٩
جورج بيكو ، سياسي فرنسي ٣٨
جويه الفرنسي في شعة سياسة ٩٦
جيو (الجنرال الفرنسي) ٦٥
جيون (معبر عام يونس) ٢٧

— ح —

حارث شهاب (الامير) ٢٩
حافظ باشا (والي سوريه) ٧
حافظ وهبي ، شيخ — وزير معارف سعودي ٢٦
حبيب بك ابو شهلا (وزير ومشاور) ١٦٩
حبيب باشا السعيد (رئيس حكومة لبنان) ١٠٠٠، ١٠٠٥
حسن الشلوي (امير عنيزة) ٢٢٩
حسين بن حسني (الاكسفورد — نجيب فاروق) ٢٢٩
حسن سلامه (شيخ ، قائد فلسطيني) ١٣٣
حسيني بك امير (زوجة مختش سوري) ٢٣٠، ٢٣٦
حسين (الشريف ونائب الفاضي) ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣،

رياض بك الصلح (رئيس وزراء لبنان) ١٠٦٥
٢٤٣،١٨٨
ريمو (رئيس وزراء فرنسا) ٣
ريمو دي شابون (صيدلي ـ صاحب مكرك) ١٩٠

— ز —

زعيم الحسين (الأمير الغاشي) ٥٩

— س —

ساواي (الخوري ـ معتمد سام) ٩٥،٨٤
ساطي ـ الحلاوي (الدكتور ـ مختص ـ سوري) ٢٤٠،١٦٦
سامي بك الصلح (رئيس وزراء لبنان) ١٧٠،١٩٠
سجرس (الخوري ـ معتمد فرنسي) ١٤١٩
١٦٥،١٦١
سعد (تاجر ـ نابلسي) ٥
سعد (شيخ ـ قرية الطيبة) ١٩
سعد الله بك الجابري (رئيس وزراء سوريا) ١٧٢
٢٣٨،٢٢٨،١٧٣
سعدون (شيخ المنتفك) ٥
سعود (الكبير ـ أمير الدرعية) ١٢
سعود بن عبد العزيز (الأمير ـ ولي عهد) ٩٠،٩٤
سعيد بن بيمور (سلطان مسقط) ١٩
سفوري (الكويت ـ سياسي بارز) ٧٩
سلطان باشا الأطرش (زعيم جبل الدروز) ٨٥
سليمان الشاوي (الحاج ـ زعيم عراقي) ٩
سليمان الفاروقي (السلطان العثماني) ٩
سليمان المرشد (زعيم عربي) ١٧٥،٩١
سمو (باشا ـ سلطان) ٥
سميح الأطرش (الأمير جبل الدروز) ٨٦
سنيو (بستاني ـ عالم لبناني) ١٥
سليم بك نقلا (وزير لبناني) ١٦٥
سنيو بك مظهر (سياسي ـ من عهد الحميدي) ١١٦
سوفوبياك (الدكتور ـ فرنسي) ٨٧
سيجر (النائب ـ سياسي هندي) ٢٦٨

— ش —

شارل دبس (الأستاذ ـ رئيس جمهورية لبنان) ١٠١،١٠٠
شارل مالك (الأستاذ ـ وزير لبنان المفوض في مصر) ٢٤٧،٢٤٢،٢٣٠
شفيق جبري (ضابط لبناني في العهد الحميدي) ١٧
شكري بك الأيوبي (السكرتير عبدالفيصل) ٣٤،٣٣،٢٩
شكري بك القوتلي (رئيس جمهورية سوريا) ٢٣٨،١٦٨،١٦٤،١٩٤،٩٣
شكري بك (الأستاذ ـ أديب كبير لبناني) ٢٤٤

— ص —

صادق بك (ضابط عراقي) ١٧
صالح علي (شيخ ـ زعيم علوي) ٨٣
صالح جبر (رئيس وزراء العراق) ١٨٥،١٨٤
صالح بك صالب (كولونيل عراقي) ١٥١
صبري بك (وزير مصري) ٢٢٦
صبحي بك بركات (رئيس حكومة سوريا) ٨٦،٨٥
صلاح الدين الأيوبي (السلطان) ١٩٠
صلاح الدين (الأستاذ ـ سياسي عماني) ٢١
صفوت (السياسي التركي) ١٢٣

— ط —

طالب بك سهيب (زعيم عراقي) ٢٣
طه باشا الهاشمي (رئيس وزراء العراق) ١٥٢

— ظ —

ظاهر العمر (الشيخ ـ أمير فلسطيني) ٦٠،٨٠،١٠

— ع —

عادل أرسلان (الأمير ـ زعيم وسياسي) ٩٢
عادل بك عسيران (وزير لبناني) ١٦٥
عارف بك النكدي (المجاهد الفلسطيني) ١٢٦
عباس الرحال (الدكتور ـ سياسي عراقي) ٦٧

عبد الاله بن الشريف ١١
عبد الاله (الامير ـ الوصي على عراق) ١٠٥٣
٢٣٦،١٦٦،١٥٨
عبد الحميد الزهراوي (الشيخ ـ علامة سياسي سوري) ٢٤
عبد الحميد الثاني (السلطان العثماني) ١٠٠،١٠٦،١٦٧
٢٠٣،٢٠٢،٢٠١،١٨٠
عبد الحميد الكركي (العلامة سوري ـ سياسي) ٢٠
عبد الحميد بدوي باشا (رئيس وزراء مصر الملكية الاسبق) ٢٣٠
عبد الحميد بك كرامي (رئيس وزارة لبنان) ١٦٠
عبد الحليم القرشي (الاديب الشاعر الكاتب) ٧١
عبد الرحمن العمر (رئيس حكومة عراقي) ٢٣٩
عبد الرحمن الشهبندر ـ الدكتور ـ زعيم سوري) ٩١
عبد الرحمن عزام باشا (الامين العامة لجامعة عربية) ٢٢٤،٢٢٨،١٧٢،١٢٨،٧٨
عبد الرحيم ابو شامة محمد (العلامة المحقق) ١٢٦
عبد العزيز الثعالبي (زعيم جزائري) ٥٧،٥٤
عبد العزيز (السلطان العثماني) ٢٢٩،١٦٠،١٣
عبد العزيز آل سعود (جلالة الملك) ١١٢
١٢٠،٩١٥،٨٠٢،٥٠٢،٤٠٢،١٢٣
١٢١،٢١٢،٢١٣،٢١٤،٢١١،٢٩٠
٢٢٩،٢٢٣،٢٢٢،٢٢٠
عبد القادر الحسيني (طالد الجهاد المقدس) ١٣٠
١٣٣،١٣٢،١٣١
عبد القادر الجزائري (الامير) ٦٨،٦٦،١١٥،١١٦
عبد الكريم الخطابي (الامير) ٥٤،٦٨،٧٣،٧٤
٢٢٣،٧٤
عبد الله احد الوزير (صاحب ثورة اليمن) ٢٢٩،٢٢٠
عبد الله بن الحسين (جلالة الملك) ٢٩،٧٥
١٦٩،١٦٦،١١٩،١١٦،١٣٥
١٨٦،١٨٥،١٨٤،١٧٩،١٧٦
٢٣٠،٢٠٦،١٨٩،١٨٨،١٨٧
٢٣٧،٢٣٦،٢٣٥،٢٣٤،٢٢٨
٢٤٠
عبد الله سالم آل صباح (الامير بالكويت) ٢٣٦
عبد الله سهيل (مجلس قومي لبناني) ١٠٩،١٠٥
عبد الله باشا صبري (عباسي ثاني) ٩٦
عبد الله اليافي (استاذ محامي لبناني) ٢١١،٢٠٨
عبد الله بن الامام يحيى (السلطان) ٢١٩،٢١٨
عبد المحسن بك السعدون (رئيس وزارة عراق) ١٤١،١٤٠
عبد المجيد (السلطان العثماني) ٢٩،١٥،١٣،١١١
عبد الوهاب عزام ١٠
عبد الوهاب الشيخ ـ زعيم عراقي ١٤٨
عزت باشا العابد (مستشار السلطان عبد الحميد) ١٧
عزيز علي (وجيه تركي) ٣٩
عزيز علي باشا المصري (رئيس اركان حرب مصر) ٢٢٥،٢١٠،٢٠٦،١٢٥
عصمت الاسدي (رئيس وزارة سورية) ٩٢
علاء الدين بك الدروبي (وزير سوري) ٨٤
علي بن الحسين (جلالة الملك المغفور) ٢٠٦
علي سعودي (امير عسير) ٢٣٢
علي بكير (اعانة مصر) ١٠٤٨
علي رشدي عنبه (زعيم توحي) ٥٤،٥٣
علي حيدر باشا (الشريف) ١٧
علي جودت بك الايوبي (رئيس وزارة العراق) ١٤٨،١٤٧
علي ماهر باشا (رئيس وزارة مصر) ١٩٩،١٩٨
علي يوسف (الشيخ ـ صحافي مصري) ١٧،٢٣
عمانوئيل سمرا (اديب لبناني) ٢٤٧
عمر بن الخطاب (الخليفة) ١٢١
عمر المختار (البطل الليبي) ٧٩
عمر بك بيهم (من اعيان بيروت) ١٠٦

— غ —

غازي الاول (جلالة الملك) ١٢٣،١٢٧،١٤٨
غبريل نبهه (الخوري ـ مندوب سامي) ٧٠،٩٠
١٦٢،١٠٩،٩٢
غريغوريوس حجار (المطران) ١٢٣
غرايبه (الجنرال الافرنسي) ٤٣

غورو (الجنرال - مندوب سام ٥٢،٥١
٩٥،٨٩،٨٧،٨٥،٨٤،٨٣،٨٢،٥٤

- ف -

فارس الخوري (رئيس المجلس النيابي السوري) ٩٢١
٢٣٠،١٨٨
فاروق الأول (جلالة الملك) ١٢٣،١٢٩،
٢١١،١٩٦،١٩٤،١٨١
فاضل الجلالي (الدكتور - وزير عراقي) ٢٣٣
فخر الدين الشهابي الثاني (الأمير الكبير) ٦١٣
فرنكو (الجنرال - حاكم مدينة) ٢٢٩
فريد كباب (الأستاذ) ٣٩
فصل الله (الشيخ - من اشراف طرابلس) ١٧٠
الفضيل (الجنرال - فرنسي) ٨٩
فواد بك (الأمير الجلالي) ١٥
فوزي الجاويش (العقيد - الجيش الاحمر) ١٣٥،
٢٢٥
فيصل الأول (جلالة الملك) ٢٩،٣٠،٩٧،٩٩،
٢٢٥،٢٣٨،٢٤٥،٢٦٠،٢٦٥،٢٧٣،
٢٨٢،٢٨٤،٢٨٥،٢٨٦،٢٩٤،٢٩٥،
٢٩٦،٢٩٧،٣٠٣،٣٠٤،٣٠٥،٣٠٦،
٣٠٧،٣٠٨،٣٠٩،٣١٠،٣١١،٣١٢،
٣١٣،٣١٤،٣١٥،٣١٦،٣١٧،٣١٨،
٣٢٠،٣٢١،٣٢٢،٣٢٣،٣٢٤،٣٢٥،
٣٢٦،٣٢٧،٣٢٨،٣٢٩،٣٣٠،٣٣١،
٣٣٢،٣٣٣،٣٣٤،٣٣٥،٣٣٦،٣٣٧،
٣٣٨،٣٣٩،٣٤٠،٣٤١،٣٤٢،٣٤٣،
٣٤٤،٣٤٥،٣٤٦،٣٤٧،٣٤٨،٣٤٩،
٣٥٠،٣٥١،٣٥٢،٣٥٣،٣٥٤،٣٥٥،
٣٥٦،٣٥٧،٣٥٨،٣٥٩،٣٦٠،٣٦١،
٣٦٢،٣٦٣،٣٦٤،٣٦٥،٣٦٦،٣٦٧،
٣٦٨،٣٦٩،٣٧٠،٣٧١،٣٧٢،٣٧٣،
٣٧٤،٣٧٥،٣٧٦،٣٧٧،٣٧٨،٣٧٩،
٣٨٠،٣٨١،٣٨٢،٣٨٣،٣٨٤،٣٨٥،
٣٨٦،٣٨٧،٣٨٨،٣٨٩،٣٩٠،٣٩١،
٣٩٢،٣٩٣،٣٩٤،٣٩٥،٣٩٦،٣٩٧،
٣٩٨،٣٩٩،٤٠٠،٤٠١،٤٠٢،٤٠٣،
٤٠٤،٤٠٥،٤٠٦،٤٠٧،٤٠٨،٤٠٩،
٤١٠،٤١١،٤١٢،٤١٣،٤١٤،٤١٥،
٤١٦،٤١٧،٤١٨،٤١٩،٤٢٠،٤٢١،
٤٢٢،٤٢٣،٤٢٤،٤٢٥،٤٢٦،٤٢٧،
٤٢٨،٤٢٩،٤٣٠،٤٣١،٤٣٢،٤٣٣،
٤٣٤،٤٣٥،٤٣٦،٤٣٧،٤٣٨،٤٣٩،
٤٤٠،٤٤١،٤٤٢،٤٤٣،٤٤٤،٤٤٥،
٤٤٦،٤٤٧،٤٤٨،٤٤٩،٤٥٠،٤٥١،
٤٥٢،٤٥٣،٤٥٤،٤٥٥،٤٥٦،٤٥٧،
٤٥٨،٤٥٩،٤٦٠،٤٦١،٤٦٢،٤٦٣،
٤٦٤،٤٦٥،٤٦٦،٤٦٧،٤٦٨،٤٦٩،
٤٧٠،٤٧١،٤٧٢،٤٧٣،٤٧٤،٤٧٥،
٤٧٦،٤٧٧،٤٧٨،٤٧٩،٤٨٠،٤٨١،
٤٨٢،٤٨٣،٤٨٤،٤٨٥،٤٨٦،٤٨٧،
٤٨٨،٤٨٩،٤٩٠،٤٩١،٤٩٢،٤٩٣،
٤٩٤،٤٩٥،٤٩٦،٤٩٧،٤٩٨،٤٩٩،
٥٠٠،٥٠١،٥٠٢،٥٠٣،٥٠٤،٥٠٥،
٥٠٦،٥٠٧،٥٠٨،٥٠٩،٥١٠،٥١١،
٥١٢،٥١٣،٥١٤،٥١٥،٥١٦،٥١٧،
٥١٨،٥١٩،٥٢٠،٥٢١،٥٢٢،٥٢٣،
٥٢٤،٥٢٥،٥٢٦،٥٢٧،٥٢٨،٥٢٩،
٥٣٠،٥٣١،٥٣٢،٥٣٣،٥٣٤،٥٣٥،
٥٣٦،٥٣٧،٥٣٨،٥٣٩،٥٤٠،٥٤١،
٥٤٢،٥٤٣،٥٤٤،٥٤٥،٥٤٦،٥٤٧،
٥٤٨،٥٤٩،٥٥٠،٥٥١،٥٥٢،٥٥٣،
٥٥٤،٥٥٥،٥٥٦،٥٥٧،٥٥٨،٥٥٩،
٥٦٠،٥٦١،٥٦٢،٥٦٣،٥٦٤،٥٦٥،
٥٦٦،٥٦٧،٥٦٨،٥٦٩،٥٧٠،٥٧١،
٥٧٢،٥٧٣،٥٧٤،٥٧٥،٥٧٦،٥٧٧،
٥٧٨،٥٧٩،٥٨٠،٥٨١،٥٨٢،٥٨٣،
٥٨٤،٥٨٥،٥٨٦،٥٨٧،٥٨٨،٥٨٩،
٥٩٠،٥٩١،٥٩٢،٥٩٣،٥٩٤،٥٩٥،
٥٩٦،٥٩٧،٥٩٨،٥٩٩،٦٠٠،٦٠١،
٦٠٢،٦٠٣،٦٠٤،٦٠٥،٦٠٦،٦٠٧،
٦٠٨،٦٠٩،٦١٠،٦١١،٦١٢،٦١٣،
٦١٤،٦١٥،٦١٦،٦١٧،٦١٨،٦١٩،
٦٢٠،٦٢١،٦٢٢،٦٢٣،٦٢٤،٦٢٥،
٦٢٦،٦٢٧،٦٢٨،٦٢٩،٦٣٠،٦٣١،
٦٣٢،٦٣٣،٦٣٤،٦٣٥،٦٣٦،٦٣٧،
٦٣٨،٦٣٩،٦٤٠،٦٤١،٦٤٢،٦٤٣،
٦٤٤،٦٤٥،٦٤٦،٦٤٧،٦٤٨،٦٤٩،
٦٥٠،٦٥١،٦٥٢،٦٥٣،٦٥٤،٦٥٥،
٦٥٦،٦٥٧،٦٥٨،٦٥٩،٦٦٠،٦٦١،
٦٦٢،٦٦٣،٦٦٤،٦٦٥،٦٦٦،٦٦٧،
٦٦٨،٦٦٩،٦٧٠،٦٧١،٦٧٢،٦٧٣،
٦٧٤،٦٧٥،٦٧٦،٦٧٧،٦٧٨،٦٧٩،
٦٨٠،٦٨١،٦٨٢،٦٨٣،٦٨٤،٦٨٥،
٦٨٦،٦٨٧،٦٨٨،٦٨٩،٦٩٠،٦٩١،
٦٩٢،٦٩٣،٦٩٤،٦٩٥،٦٩٦،٦٩٧،
٦٩٨،٦٩٩،٧٠٠،٧٠١،٧٠٢،٧٠٣،
٧٠٤،٧٠٥،٧٠٦،٧٠٧،٧٠٨،٧٠٩،
٧١٠،٧١١،٧١٢،٧١٣،٧١٤،٧١٥،
٧١٦،٧١٧،٧١٨،٧١٩،٧٢٠،٧٢١،
٧٢٢،٧٢٣،٧٢٤،٧٢٥،٧٢٦،٧٢٧،
٧٢٨،٧٢٩،٧٣٠،٧٣١،٧٣٢،٧٣٣،
٧٣٤،٧٣٥،٧٣٦،٧٣٧،٧٣٨،٧٣٩،
٧٤٠،٧٤١،٧٤٢،٧٤٣،٧٤٤،٧٤٥،
٧٤٦،٧٤٧،٧٤٨،٧٤٩،٧٥٠،٧٥١،
٧٥٢،٧٥٣،٧٥٤،٧٥٥،٧٥٦،٧٥٧،
٧٥٨،٧٥٩،٧٦٠،٧٦١،٧٦٢،٧٦٣،
٧٦٤،٧٦٥،٧٦٦،٧٦٧،٧٦٨،٧٦٩،
٧٧٠،٧٧١،٧٧٢،٧٧٣،٧٧٤،٧٧٥،
٧٧٦،٧٧٧،٧٧٨،٧٧٩،٧٨٠،٧٨١،
٧٨٢،٧٨٣،٧٨٤،٧٨٥،٧٨٦،٧٨٧،
٧٨٨،٧٨٩،٧٩٠،٧٩١،٧٩٢،٧٩٣،
٧٩٤،٧٩٥،٧٩٦،٧٩٧،٧٩٨،٧٩٩،
٨٠٠،٨٠١،٨٠٢،٨٠٣،٨٠٤،٨٠٥،
٨٠٦،٨٠٧،٨٠٨،٨٠٩،٨١٠،٨١١،
٨١٢،٨١٣،٨١٤،٨١٥،٨١٦،٨١٧،
٨١٨،٨١٩،٨٢٠،٨٢١،٨٢٢،٨٢٣،
٨٢٤،٨٢٥،٨٢٦،٨٢٧،٨٢٨،٨٢٩،
٨٣٠،٨٣١،٨٣٢،٨٣٣،٨٣٤،٨٣٥،
٨٣٦،٨٣٧،٨٣٨،٨٣٩،٨٤٠،٨٤١،
٨٤٢،٨٤٣،٨٤٤،٨٤٥،٨٤٦،٨٤٧،
٨٤٨،٨٤٩،٨٥٠،٨٥١،٨٥٢،٨٥٣،
٨٥٤،٨٥٥،٨٥٦،٨٥٧،٨٥٨،٨٥٩،
٨٦٠،٨٦١،٨٦٢،٨٦٣،٨٦٤،٨٦٥،
٨٦٦،٨٦٧،٨٦٨،٨٦٩،٨٧٠،٨٧١،
٨٧٢،٨٧٣،٨٧٤،٨٧٥،٨٧٦،٨٧٧،
٨٧٨،٨٧٩،٨٨٠،٨٨١،٨٨٢،٨٨٣،
٨٨٤،٨٨٥،٨٨٦،٨٨٧،٨٨٨،٨٨٩،
٨٩٠،٨٩١،٨٩٢،٨٩٣،٨٩٤،٨٩٥،
٨٩٦،٨٩٧،٨٩٨،٨٩٩،٩٠٠،٩٠١،
٩٠٢،٩٠٣،٩٠٤،٩٠٥،٩٠٦،٩٠٧،
٩٠٨،٩٠٩،٩١٠،٩١١،٩١٢،٩١٣،
٩١٤،٩١٥،٩١٦،٩١٧،٩١٨،٩١٩،
٩٢٠،٩٢١،٩٢٢،٩٢٣،٩٢٤،٩٢٥،
٩٢٦،٩٢٧،٩٢٨،٩٢٩،٩٣٠،٩٣١،
٩٣٢،٩٣٣،٩٣٤،٩٣٥،٩٣٦،٩٣٧،
٩٣٨،٩٣٩،٩٤٠،٩٤١،٩٤٢،٩٤٣،
٩٤٤،٩٤٥،٩٤٦،٩٤٧،٩٤٨،٩٤٩،
٩٥٠،٩٥١،٩٥٢،٩٥٣،٩٥٤،٩٥٥،
٩٥٦،٩٥٧،٩٥٨،٩٥٩،٩٦٠،٩٦١،
٩٦٢،٩٦٣،٩٦٤،٩٦٥،٩٦٦،٩٦٧،
٩٦٨،٩٦٩،٩٧٠،٩٧١،٩٧٢،٩٧٣،
٩٧٤،٩٧٥،٩٧٦،٩٧٧،٩٧٨،٩٧٩،
٩٨٠،٩٨١،٩٨٢،٩٨٣،٩٨٤،٩٨٥،
٩٨٦،٩٨٧،٩٨٨،٩٨٩،٩٩٠،٩٩١،
٩٩٢،٩٩٣،٩٩٤،٩٩٥،٩٩٦،٩٩٧،
٩٩٨،٩٩٩،١٠٠٠،١٠٠١،١٠٠٢،١٠٠٣،
١٠٠٤،١٠٠٥،١٠٠٦،١٠٠٧،١٠٠٨،١٠٠٩،
١٠١٠،١٠١١،١٠١٢،١٠١٣،١٠١٤،١٠١٥،
١٠١٦،١٠١٧،١٠١٨،١٠١٩،١٠٢٠،١٠٢١،
١٠٢٢،١٠٢٣،١٠٢٤،١٠٢٥،١٠٢٦،١٠٢٧،
١٠٢٨،١٠٢٩،١٠٣٠،١٠٣١،١٠٣٢،١٠٣٣،
١٠٣٤،١٠٣٥،١٠٣٦،١٠٣٧،١٠٣٨،١٠٣٩،
١٠٤٠،١٠٤١،١٠٤٢،١٠٤٣،١٠٤٤،١٠٤٥،
١٠٤٦،١٠٤٧،١٠٤٨،١٠٤٩،١٠٥٠،١٠٥١،
١٠٥٢،١٠٥٣،١٠٥٤،١٠٥٥،١٠٥٦،١٠٥٧،
١٠٥٨،١٠٥٩،١٠٦٠،١٠٦١،١٠٦٢،١٠٦٣،
١٠٦٤،١٠٦٥،١٠٦٦،١٠٦٧،١٠٦٨،١٠٦٩،
١٠٧٠،١٠٧١،١٠٧٢،١٠٧٣،١٠٧٤،١٠٧٥،
١٠٧٦،١٠٧٧،١٠٧٨،١٠٧٩،١٠٨٠،١٠٨١،
١٠٨٢،١٠٨٣،١٠٨٤،١٠٨٥،١٠٨٦،١٠٨٧،
١٠٨٨،١٠٨٩،١٠٩٠،١٠٩١،١٠٩٢،١٠٩٣،
١٠٩٤،١٠٩٥،١٠٩٦،١٠٩٧،١٠٩٨،١٠٩٩،
١١٠٠،١١٠١،١١٠٢،١١٠٣،١١٠٤،١١٠٥،
١١٠٦،١١٠٧،١١٠٨،١١٠٩،١١١٠،١١١١،
١١١٢،١١١٣،١١١٤،١١١٥،١١١٦،١١١٧،
١١١٨،١١١٩،١١٢٠،١١٢١،١١٢٢،١١٢٣،
١١٢٤،١١٢٥،١١٢٦،١١٢٧،١١٢٨،١١٢٩،
١١٣٠،١١٣١،١١٣٢،١١٣٣،١١٣٤،١١٣٥،
١١٣٦،١١٣٧،١١٣٨،١١٣٩،١١٤٠،١١٤١،
١١٤٢،١١٤٣،١١٤٤،١١٤٥،١١٤٦،١١٤٧،
١١٤٨،١١٤٩،١١٥٠،١١٥١،١١٥٢،١١٥٣،
١١٥٤،١١٥٥،١١٥٦،١١٥٧،١١٥٨،١١٥٩،
١١٦٠،١١٦١،١١٦٢،١١٦٣،١١٦٤،١١٦٥،
١١٦٦،١١٦٧،١١٦٨،١١٦٩،١١٧٠،١١٧١،
١١٧٢،١١٧٣،١١٧٤،١١٧٥،١١٧٦،١١٧٧،
١١٧٨،١١٧٩،١١٨٠،١١٨١،١١٨٢،١١٨٣،
١١٨٤،١١٨٥،١١٨٦،١١٨٧،١١٨٨،١١٨٩،
١١٩٠،١١٩١،١١٩٢،١١٩٣،١١٩٤،١١٩٥،
١١٩٦،١١٩٧،١١٩٨،١١٩٩،١٢٠٠،١٢٠١،
١٢٠٢،١٢٠٣،١٢٠٤،١٢٠٥،١٢٠٦،١٢٠٧،
١٢٠٨،١٢٠٩،١٢١٠،١٢١١،١٢١٢،١٢١٣،
١٢١٤،١٢١٥،١٢١٦،١٢١٧،١٢١٨،١٢١٩،
١٢٢٠،١٢٢١،١٢٢٢،١٢٢٣،١٢٢٤،١٢٢٥،
١٢٢٦،١٢٢٧،١٢٢٨،١٢٢٩،١٢٣٠،١٢٣١،
١٢٣٢،١٢٣٣،١٢٣٤،١٢٣٥،١٢٣٦،١٢٣٧،
١٢٣٨،١٢٣٩،١٢٤٠،١٢٤١،١٢٤٢،١٢٤٣،
١٢٤٤،١٢٤٥،١٢٤٦،١٢٤٧،١٢٤٨،١٢٤٩،
١٢٥٠،١٢٥١،١٢٥٢،١٢٥٣،١٢٥٤،١٢٥٥،
١٢٥٦،١٢٥٧،١٢٥٨،١٢٥٩،١٢٦٠،١٢٦١،
١٢٦٢،١٢٦٣،١٢٦٤،١٢٦٥،١٢٦٦،١٢٦٧،
١٢٦٨،١٢٦٩،١٢٧٠،١٢٧١،١٢٧٢،١٢٧٣،
١٢٧٤،١٢٧٥،١٢٧٦،١٢٧٧،١٢٧٨،١٢٧٩،
١٢٨٠،١٢٨١،١٢٨٢،١٢٨٣،١٢٨٤،١٢٨٥،
١٢٨٦،١٢٨٧،١٢٨٨،١٢٨٩،١٢٩٠،١٢٩١،
١٢٩٢،١٢٩٣،١٢٩٤،١٢٩٥،١٢٩٦،١٢٩٧،
١٢٩٨،١٢٩٩،١٣٠٠،١٣٠١،١٣٠٢،١٣٠٣،
١٣٠٤،١٣٠٥،١٣٠٦،١٣٠٧،١٣٠٨،١٣٠٩،
١٣١٠،١٣١١،١٣١٢،١٣١٣،١٣١٤،١٣١٥،
١٣١٦،١٣١٧،١٣١٨،١٣١٩،١٣٢٠،١٣٢١،
١٣٢٢،١٣٢٣،١٣٢٤،١٣٢٥،١٣٢٦،١٣٢٧،
١٣٢٨،١٣٢٩،١٣٣٠،١٣٣١،١٣٣٢،١٣٣٣،
١٣٣٤،١٣٣٥،١٣٣٦،١٣٣٧،١٣٣٨،١٣٣٩،
١٣٤٠،١٣٤١،١٣٤٢،١٣٤٣،١٣٤٤،١٣٤٥،
١٣٤٦،١٣٤٧،١٣٤٨،١٣٤٩،١٣٥٠،١٣٥١،
١٣٥٢،١٣٥٣،١٣٥٤،١٣٥٥،١٣٥٦،١٣٥٧،
١٣٥٨،١٣٥٩،١٣٦٠،١٣٦١،١٣٦٢،١٣٦٣،
١٣٦٤،١٣٦٥،١٣٦٦،١٣٦٧،١٣٦٨،١٣٦٩،
١٣٧٠،١٣٧١،١٣٧٢،١٣٧٣،١٣٧٤،١٣٧٥،
١٣٧٦،١٣٧٧،١٣٧٨،١٣٧٩،١٣٨٠،١٣٨١،
١٣٨٢،١٣٨٣،١٣٨٤،١٣٨٥،١٣٨٦،١٣٨٧،
١٣٨٨،١٣٨٩،١٣٩٠،١٣٩١،١٣٩٢،١٣٩٣،
١٣٩٤،١٣٩٥،١٣٩٦،١٣٩٧،١٣٩٨،١٣٩٩،
١٤٠٠،١٤٠١،١٤٠٢،١٤٠٣،١٤٠٤،١٤٠٥،
١٤٠٦،١٤٠٧،١٤٠٨،١٤٠٩،١٤١٠،١٤١١،
١٤١٢،١٤١٣،١٤١٤،١٤١٥،١٤١٦،١٤١٧،
١٤١٨،١٤١٩،١٤٢٠،١٤٢١،١٤٢٢،١٤٢٣،
١٤٢٤،١٤٢٥،١٤٢٦،١٤٢٧،١٤٢٨،١٤٢٩،
١٤٣٠،١٤٣١،١٤٣٢،١٤٣٣،١٤٣٤،١٤٣٥،
١٤٣٦،١٤٣٧،١٤٣٨،١٤٣٩،١٤٤٠،١٤٤١،
١٤٤٢،١٤٤٣،١٤٤٤،١٤٤٥،١٤٤٦،١٤٤٧،
١٤٤٨،١٤٤٩،١٤٥٠،١٤٥١،١٤٥٢،١٤٥٣،
١٤٥٤،١٤٥٥،١٤٥٦،١٤٥٧،١٤٥٨،١٤٥٩،
١٤٦٠،١٤٦١،١٤٦٢،١٤٦٣،١٤٦٤،١٤٦٥،
١٤٦٦،١٤٦٧،١٤٦٨،١٤٦٩،١٤٧٠،١٤٧١،
١٤٧٢،١٤٧٣،١٤٧٤،١٤٧٥،١٤٧٦،١٤٧٧،
١٤٧٨،١٤٧٩،١٤٨٠،١٤٨١،١٤٨٢،١٤٨٣،
١٤٨٤،١٤٨٥،١٤٨٦،١٤٨٧،١٤٨٨،١٤٨٩،
١٤٩٠،١٤٩١،١٤٩٢،١٤٩٣،١٤٩٤،١٤٩٥،
١٤٩٦،١٤٩٧،١٤٩٨،١٤٩٩،١٥٠٠،١٥٠١،
١٥٠٢،١٥٠٣،١٥٠٤،١٥٠٥،١٥٠٦،١٥٠٧،
١٥٠٨،١٥٠٩،١٥١٠،١٥١١،١٥١٢،١٥١٣،
١٥١٤،١٥١٥،١٥١٦،١٥١٧،١٥١٨،١٥١٩،
١٥٢٠،١٥٢١،١٥٢٢،١٥٢٣،١٥٢٤،١٥٢٥،
١٥٢٦،١٥٢٧،١٥٢٨،١٥٢٩،١٥٣٠،١٥٣١،
١٥٣٢،١٥٣٣،١٥٣٤،١٥٣٥،١٥٣٦،١٥٣٧،
١٥٣٨،١٥٣٩،١٥٤٠،١٥٤١،١٥٤٢،١٥٤٣،
١٥٤٤،١٥٤٥،١٥٤٦،١٥٤٧،١٥٤٨،١٥٤٩،
١٥٥٠،١٥٥١،١٥٥٢،١٥٥٣،١٥٥٤،١٥٥٥،
١٥٥٦،١٥٥٧،١٥٥٨،١٥٥٩،١٥٦٠،١٥٦١،
١٥٦٢،١٥٦٣،١٥٦٤،١٥٦٥،١٥٦٦،١٥٦٧،
١٥٦٨،١٥٦٩،١٥٧٠،١٥٧١،١٥٧٢،١٥٧٣،
١٥٧٤،١٥٧٥،١٥٧٦،١٥٧٧،١٥٧٨،١٥٧٩،
١٥٨٠،١٥٨١،١٥٨٢،١٥٨٣،١٥٨٤،١٥٨٥،
١٥٨٦،١٥٨٧،١٥٨٨،١٥٨٩،١٥٩٠،١٥٩١،
١٥٩٢،١٥٩٣،١٥٩٤،١٥٩٥،١٥٩٦،١٥٩٧،
١٥٩٨،١٥٩٩،١٦٠٠،١٦٠١،١٦٠٢،١٦٠٣،
١٦٠٤،١٦٠٥،١٦٠٦،١٦٠٧،١٦٠٨،١٦٠٩،
١٦١٠،١٦١١،١٦١٢،١٦١٣،١٦١٤،١٦١٥،
١٦١٦،١٦١٧،١٦١٨،١٦١٩،١٦٢٠،١٦٢١،
١٦٢٢،١٦٢٣،١٦٢٤،١٦٢٥،١٦٢٦،١٦٢٧،
١٦٢٨،١٦٢٩،١٦٣٠،١٦٣١،١٦٣٢،١٦٣٣،
١٦٣٤،١٦٣٥،١٦٣٦،١٦٣٧،١٦٣٨،١٦٣٩،
١٦٤٠،١٦٤١،١٦٤٢،١٦٤٣،١٦٤٤،١٦٤٥،
١٦٤٦،١٦٤٧،١٦٤٨،١٦٤٩،١٦٥٠،١٦٥١،
١٦٥٢،١٦٥٣،١٦٥٤،١٦٥٥،١٦٥٦،١٦٥٧،
١٦٥٨،١٦٥٩،١٦٦٠،١٦٦١،١٦٦٢،١٦٦٣،
١٦٦٤،١٦٦٥،١٦٦٦،١٦٦٧،١٦٦٨،١٦٦٩،
١٦٧٠،١٦٧١،١٦٧٢،١٦٧٣،١٦٧٤،١٦٧٥،
١٦٧٦،١٦٧٧،١٦٧٨،١٦٧٩،١٦٨٠،١٦٨١،
١٦٨٢،١٦٨٣،١٦٨٤،١٦٨٥،١٦٨٦،١٦٨٧،
١٦٨٨،١٦٨٩،١٦٩٠،١٦٩١،١٦٩٢،١٦٩٣،
١٦٩٤،١٦٩٥،١٦٩٦،١٦٩٧،١٦٩٨،١٦٩٩،
١٧٠٠،١٧٠١،١٧٠٢،١٧٠٣،١٧٠٤،١٧٠٥،
١٧٠٦،١٧٠٧،١٧٠٨،١٧٠٩،١٧١٠،١٧١١،
١٧١٢،١٧١٣،١٧١٤،١٧١٥،١٧١٦،١٧١٧،
١٧١٨،١٧١٩،١٧٢٠،١٧٢١،١٧٢٢،١٧٢٣،
١٧٢٤،١٧٢٥،١٧٢٦،١٧٢٧،١٧٢٨،١٧٢٩،
١٧٣٠،١٧٣١،١٧٣٢،١٧٣٣،١٧٣٤،١٧٣٥،
١٧٣٦،١٧٣٧،١٧٣٨،١٧٣٩،١٧٤٠،١٧٤١،
١٧٤٢،١٧٤٣،١٧٤٤،١٧٤٥،١٧٤٦،١٧٤٧،
١٧٤٨،١٧٤٩،١٧٥٠،١٧٥١،١٧٥٢،١٧٥٣،
١٧٥٤،١٧٥٥،١٧٥٦،١٧٥٧،١٧٥٨،١٧٥٩،
١٧٦٠،١٧٦١،١٧٦٢،١٧٦٣،١٧٦٤،١٧٦٥،
١٧٦٦،١٧٦٧،١٧٦٨،١٧٦٩،١٧٧٠،١٧٧١،
١٧٧٢،١٧٧٣،١٧٧٤،١٧٧٥،١٧٧٦،١٧٧٧،
١٧٧٨،١٧٧٩،١٧٨٠،١٧٨١،١٧٨٢،١٧٨٣،
١٧٨٤،١٧٨٥،١٧٨٦،١٧٨٧،١٧٨٨،١٧٨٩،
١٧٩٠،١٧٩١،١٧٩٢،١٧٩٣،١٧٩٤،١٧٩٥،
١٧٩٦،١٧٩٧،١٧٩٨،١٧٩٩،١٨٠٠،١٨٠١،
١٨٠٢،١٨٠٣،١٨٠٤،١٨٠٥،١٨٠٦،١٨٠٧،
١٨٠٨،١٨٠٩،١٨١٠،١٨١١،١٨١٢،١٨١٣،
١٨١٤،١٨١٥،١٨١٦،١٨١٧،١٨١٨،١٨١٩،
١٨٢٠،١٨٢١،١٨٢٢،١٨٢٣،١٨٢٤،١٨٢٥،
١٨٢٦،١٨٢٧،١٨٢٨،١٨٢٩،١٨٣٠،١٨٣١،
١٨٣٢،١٨٣٣،١٨٣٤،١٨٣٥،١٨٣٦،١٨٣٧،
١٨٣٨،١٨٣٩،١٨٤٠،١٨٤١،١٨٤٢،١٨٤٣،
١٨٤٤،١٨٤٥،١٨٤٦،١٨٤٧،١٨٤٨،١٨٤٩،
١٨٥٠،١٨٥١،١٨٥٢،١٨٥٣،١٨٥٤،١٨٥٥،
١٨٥٦،١٨٥٧،١٨٥٨،١٨٥٩،١٨٦٠،١٨٦١،
١٨٦٢،١٨٦٣،١٨٦٤،١٨٦٥،١٨٦٦،١٨٦٧،
١٨٦٨،١٨٦٩،١٨٧٠،١٨٧١،١٨٧٢،١٨٧٣،
١٨٧٤،١٨٧٥،١٨٧٦،١٨٧٧،١٨٧٨،١٨٧٩،
١٨٨٠،١٨٨١،١٨٨٢،١٨٨٣،١٨٨٤،١٨٨٥،
١٨٨٦،١٨٨٧،١٨٨٨،١٨٨٩،١٨٩٠،١٨٩١،
١٨٩٢،١٨٩٣،١٨٩٤،١٨٩٥،١٨٩٦،١٨٩٧،
١٨٩٨،١٨٩٩،١٩٠٠،١٩٠١،١٩٠٢،١٩٠٣،
١٩٠٤،١٩٠٥،١٩٠٦،١٩٠٧،١٩٠٨،١٩٠٩،
١٩١٠،١٩١١،١٩١٢،١٩١٣،١٩١٤،١٩١٥،
١٩١٦،١٩١٧،١٩١٨،١٩١٩،١٩٢٠،١٩٢١،
١٩٢٢،١٩٢٣،١٩٢٤،١٩٢٥،١٩٢٦،١٩٢٧،
١٩٢٨،١٩٢٩،١٩٣٠،١٩٣١،١٩٣٢،١٩٣٣،
١٩٣٤،١٩٣٥،١٩٣٦،١٩٣٧،١٩٣٨،١٩٣٩،
١٩٤٠،١٩٤١،١٩٤٢،١٩٤٣،١٩٤٤،١٩٤٥،
١٩٤٦،١٩٤٧،١٩٤٨،١٩٤٩،١٩٥٠،١٩٥١،
١٩٥٢،١٩٥٣،١٩٥٤،١٩٥٥،١٩٥٦،١٩٥٧،
١٩٥٨،١٩٥٩،١٩٦٠،١٩٦١،١٩٦٢،١٩٦٣،
١٩٦٤،١٩٦٥،١٩٦٦،١٩٦٧،١٩٦٨،١٩٦٩،
١٩٧٠،١٩٧١،١٩٧٢،١٩٧٣،١٩٧٤،١٩٧٥،
١٩٧٦،١٩٧٧،١٩٧٨،١٩٧٩،١٩٨٠،١٩٨١،
١٩٨٢،١٩٨٣،١٩٨٤،١٩٨٥،١٩٨٦،١٩٨٧،
١٩٨٨،١٩٨٩،١٩٩٠،١٩٩١،١٩٩٢،١٩٩٣،
١٩٩٤،١٩٩٥،١٩٩٦،١٩٩٧،١٩٩٨،١٩٩٩،
٢٠٠٠،٢٠٠١،٢٠٠٢،٢٠٠٣،٢٠٠٤،٢٠٠٥،
٢٠٠٦،٢٠٠٧،٢٠٠٨،٢٠٠٩،٢٠١٠،٢٠١١،
٢٠١٢،٢٠١٣،٢٠١٤،٢٠١٥،٢٠١٦،٢٠١٧،
٢٠١٨،٢٠١٩،٢٠٢٠،٢٠٢١،٢٠٢٢،٢٠٢٣،
٢٠٢٤،٢٠٢٥،٢٠٢٦،٢٠٢٧،٢٠٢٨،٢٠٢٩،
٢٠٣٠،٢٠٣١،٢٠٣٢،٢٠٣٣،٢٠٣٤،٢٠٣٥،
٢٠٣٦،٢٠٣٧،٢٠٣٨،٢٠٣٩،٢٠٤٠،٢٠٤١،
٢٠٤٢،٢٠٤٣،٢٠٤٤،٢٠٤٥،٢٠٤٦،٢٠٤٧،
٢٠٤٨،٢٠٤٩،٢٠٥٠،٢٠٥١،٢٠٥٢،٢٠٥٣،
٢٠٥٤،٢٠٥٥،٢٠٥٦،٢٠٥٧،٢٠٥٨،٢٠٥٩،
٢٠٦٠،٢٠٦١،٢٠٦٢،٢٠٦٣،٢٠٦٤،٢٠٦٥،
٢٠٦٦،٢٠٦٧،٢٠٦٨،٢٠٦٩،٢٠٧٠،٢٠٧١،
٢٠٧٢،٢٠٧٣،٢٠٧٤،٢٠٧٥،٢٠٧٦،٢٠٧٧،
٢٠٧٨،٢٠٧٩،٢٠٨٠،٢٠٨١،٢٠٨٢،٢٠٨٣،
٢٠٨٤،٢٠٨٥،٢٠٨٦،٢٠٨٧،٢٠٨٨،٢٠٨٩،
٢٠٩٠،٢٠٩١،٢٠٩٢،٢٠٩٣،٢٠٩٤،٢٠٩٥،
٢٠٩٦،٢٠٩٧،٢٠٩٨،٢٠٩٩،٢١٠٠،٢١٠١،
٢١٠٢،٢١٠٣،٢١٠٤،٢١٠٥،٢١٠٦،٢١٠٧،
٢١٠٨،٢١٠٩،٢١١٠،٢١١١،٢١١٢،٢١١٣،
٢١١٤،٢١١٥،٢١١٦،٢١١٧،٢١١٨،٢١١٩،
٢١٢٠،٢١٢١،٢١٢٢،٢١٢٣،٢١٢٤،٢١٢٥،
٢١٢٦،٢١٢٧،٢١٢٨،٢١٢٩،٢١٣٠،٢١٣١،
٢١٣٢،٢١٣٣،٢١٣٤،٢١٣٥،٢١٣٦،٢١٣٧،
٢١٣٨،٢١٣٩،٢١٤٠،٢١٤١،٢١٤٢،٢١٤٣،
٢١٤٤،٢١٤٥،٢١٤٦،٢١٤٧،٢١٤٨،٢١٤٩،
٢١٥٠،٢١٥١،٢١٥٢،٢١٥٣،٢١٥٤،٢١٥٥،
٢١٥٦،٢١٥٧،٢١٥٨،٢١٥٩،٢١٦٠،٢١٦١،
٢١٦٢،٢١٦٣،٢١٦٤،٢١٦٥،٢١٦٦،٢١٦٧،
٢١٦٨،٢١٦٩،٢١٧٠،٢١٧١،٢١٧٢،٢١٧٣،
٢١٧٤،٢١٧٥،٢١٧٦،٢١٧٧،٢١٧٨،٢١٧٩،
٢١٨٠،٢١٨١،٢١٨٢،٢١٨٣،٢١٨٤،٢١٨٥،
٢١٨٦،٢١٨٧،٢١٨٨،٢١٨٩،٢١٩٠،٢١٩١،
٢١٩٢،٢١٩٣،٢١٩٤،٢١٩٥،٢١٩٦،٢١٩٧،
٢١٩٨،٢١٩٩،٢٢٠٠،٢٢٠١،٢٢٠٢،٢٢٠٣،
٢٢٠٤،٢٢٠٥،٢٢٠٦،٢٢٠٧،٢٢٠٨،٢٢٠٩،
٢٢١٠،٢٢١١،٢٢١٢،٢٢١٣،٢٢١٤،٢٢١٥،
٢٢١٦،٢٢١٧،٢٢١٨،٢٢١٩،٢٢٢٠،٢٢٢١،
٢٢٢٢،٢٢٢٣،٢٢٢٤،٢٢٢٥،٢٢٢٦،٢٢٢٧،
٢٢٢٨،٢٢٢٩،٢٢٣٠،٢٢٣١،٢٢٣٢،٢٢٣٣،
٢٢٣٤،٢٢٣٥،٢٢٣٦،٢٢٣٧،٢٢٣٨،٢٢٣٩،
٢٢٤٠،٢٢٤١،٢٢٤٢،٢٢٤٣،٢٢٤٤،٢٢٤٥،
٢٢٤٦،٢٢٤٧،٢٢٤٨،٢٢٤٩،٢٢٥٠،٢٢٥١،
٢٢٥٢،٢٢٥٣،٢٢٥٤،٢٢٥٥،٢٢٥٦،٢٢٥٧،
٢٢٥٨،٢٢٥٩،٢٢٦٠،٢٢٦١،٢٢٦٢،٢٢٦٣،
٢٢٦٤،٢٢٦٥،٢٢٦٦،٢٢٦٧،٢٢٦٨،٢٢٦٩،
٢٢٧٠،٢٢٧١،٢٢٧٢،٢٢٧٣،٢٢٧٤،٢٢٧٥،
٢٢٧٦،٢٢٧٧،٢٢٧٨،٢٢٧٩،٢٢٨٠،٢٢٨١،
٢٢٨٢،٢٢٨٣،٢٢٨٤،٢٢٨٥،٢٢٨٦،٢٢٨٧،
٢٢٨٨،٢٢٨٩،٢٢٩٠،٢٢٩١،٢٢٩٢،٢٢٩٣،
٢٢٩٤،٢٢٩٥،٢٢٩٦،٢٢٩٧،٢٢٩٨،٢٢٩٩،
٢٣٠٠،٢٣٠١،٢٣٠٢،٢٣٠٣،٢٣٠٤،٢٣٠٥،
٢٣٠٦،٢٣٠٧،٢٣٠٨،٢٣٠

محمد باشا الجزائري (ابن الأمير عبد القادر) ٩٧
محمد الحبيب (شيخ تونس) ٥٥
محمد الطاهر بن عاشور (شيخ جامع الزيتونة بتونس) ٩٩
محمد أبو الشوارب (من قادة الزنوج) ٤٠
محمد السنوسي (وطني تونسي) ٥٣
محمد الخامس (جلالة سلطان مراكش) ٧٠
محمد الصالح بن مراد (شيخ الإسلام بتونس) ٥٠
محمد الفاتح (السلطان العثماني) ٢٥٧
محمد مكي الناصري (وطني ومؤرخ مراكشي) ٧٤
محمد ناصر (باي تونس) ٥٠
محمد المنصف (باي تونس) ٥٩
محمد نجل بن عمر بن (قائد توصل) ١٥٠
محمد الجنبي (الشيخ - رئيس مجلس نواب لبنان) ١٠٠
محمد الصدر (السيد - رئيس وزارة عراقي) ١٥٦
محمد حسن الوزاني (وطني مراكشي) ٦٩
محمد رضا الشبيبي (زعيم المعارضة العراقية) ١٥٤
محمد زغلول (السيد - مندوب مصر) ٢١٥
محمد بن سعود (الأمير الوهابي) ٩٢
محمد صالح حرب باشا (وزير مصري) ٢١٩
محمد طاهر (الشيخ الجزائري) ٩٧
محمد بن عبد العزيز (الأمير - ابن جلالة ملك) ٢٠٩
محمد علال الفاسي (زعيم مراكشي) ٦٩، ٧٠
محمد علي الإدريسي (الأمير عسير) ١١١، ١١٩
محمد علي بن عايد (رئيس الجمهورية السورية) ٨٨
محمد علي (الباشا - الوالي سابقاً بمصر) ٧٧
محمد علي الكبير (جد الأسرة العلوية) ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤
محمود باشا (رئيس وزارة مصر) ١٨٨، ١٩٧
محمد بن يحيى عبد الغني (سيف الإسلام) ٢١٦
محمود الثاني (السلطان العثماني) ١٠
محمود (الشيخ - زعيم كردي) ١٤٣
محمود فهمي النقراشي باشا (رئيس وزارة مصر) ١٨٩، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٣٣
محي الدين الجزائري باشا (ابن الأمير عبد القادر) ٩٧
محي الدين بيهم (الشيخ من أعيان بيروت) ١٥

مختار عبد المؤمن الجزائري (الأمير) ٦٥
مصطفى البارزاني (زعيم كردي) ١٥٣
مصطفى كمال (أتاتورك) ٨
مصطفى الثاني (السلطان العثماني) ٩٢
مصطفى النحاس باشا (رئيس وزارة مصر) ١٦٠، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧
مصطفى فاضل باشا (الأمير) ٩٦
مصطفى كامل (الزعيم) ٢١، ٢٣، ١٢٩
مكرم عبيد باشا (وزير مصري) ١٩٩
مكماهون (السير - مندوب مصطفى) ١٢٧
موسى بن عمران (رئيس المجلس النيابي بالعراق) ١٥١، ١٥٤
موسى العلمي (السياسي الفلسطيني) ٢٢٧
موين اللورد - وزير بريطاني بمصر ١٩٧
ميران (رئيس وزارة فرنسا) ٤٢

- ن -

نابليون الأول (الإمبراطور) ٩
ناجي باشا السويدي (رئيس وزارة العراق) ١٤٩
نازك العابد بنت (زوجة المؤلف) ٨٤
نصر الله الصهيوني (المؤرخ السوري) ٢٣٨
نجيب الأرموري (المؤلف اللبناني) ٢٠
نجيب بك مخلصه (السياسي اللبناني العثماني) ١٧
نجيه بك الطبال (السياسي اللبناني العثماني) ١٩
نصوحي بك البخاري (رئيس وزارة سوريا) ٩٢
نصيف بك الريس (السياسي اللبناني) ٣٩
نوري باشا السعيد (رئيس وزارة العراق) ١٤٢، ١١٧، ١٣١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٦، ١٧٤، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٨، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨
نوكيس (الجنرال - مفوض عام بالجزائر) ٧٧
نيل ثمبرلن (رئيس وزارة بريطانيا العظمى) ١٢٥

— هـ —

هاشم بك الاتاسي (رئيس جمهورية سورية) ٨٧، ٩٢، ٩٣، ١٠٠، ١٠١، ٢٣٩

هنتر (توهرز الأمريكي) ١٢٤

هربرت صموئيل (مندوب سام بفلسطين) ١١٥، ١٣٧

هنري بوسو (مندوب سام سوري ولبنان) ٨٧١

هنري فرعون (وزير لبناني ووجيه) ١٢٨

هنري مكماهون (السير — ممثل بريطانيا بمصر) ٢٧، ٣١، ٣٤، ١١٧

هوارد بلس (رئيس الجامعة بيروت) ٣٧

هوغارث (الدكتور بريطاني) ١١٢

هانو (مندوب سام فرنسي) ١١٢، ١١٤، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦

— و —

وهيب بك الامين (من اتباع السنوسي في عهد غيدي) ١٢١

وهيب بك الاتاسي — وداد الخطاب ٢١

وادرس (الدكتور — المبشر الاميركي) ١٢٩، ١٣٦

ونستون تشرشل (رئيس وزارة انكلترا) ٧٠، ١٢٦، ١٣٥، ١٧٦

ويلسن (الرئيس الاميركي) ٣٠، ٣٨، ٤٠، ٤٦، ٦٢، ٨١

ويلسون (السير هنري — وزير) ٧٧

— ي —

ياسين بك الهاشمي (رئيس وزارة العراق) ٢٩، ٩٢، ١١٨، ١٢٩

يحيى حميد الدين (خلال الملك) ١٢٣، ١٢٤

يوسف اسطفان (الخوري — خطيب لبناني) ٣٩١

يوسف كرم (وجيه لبناني) ١٣

يوسف بك كرم (حفيد الأول — الملك لبناني) ١٧٤

يوسف بك مرزا (سياسي لبناني) ٩٧

انتهى الجزء الثاني

وصدر في سنة ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م

فهرست الكتاب

صفحة

٣ المقدمة

- الفصل الأول

عصر النهضة

٥ القضية العربية خلال سلطنة آل عثمان :

٦ أ - خروج العرب على العثمانيين في الشام ، في العراق ، في مصر ، في جزيرة العرب

١٣ ب - القضية العربية في مظهرها الحديث

١٦ ج - الاتحاد الاسلامي خلال عصر القوميات

١٨ د - الحركة القومية ابان الاتحاد الاسلامي

٢٠ هـ - القومية العربية بعد الدستور العثماني

- الفصل الثاني -

القضية العربية في المشرق

٢٩ عصر الانفصال منذ الحرب العالمية الاولى - في ارجوحة السياسة - اعتداء القضية باتفاقات متعارضة - فلسطين - حكومة فيصل - لبنان

٤٦ نضال العراق في عهد الاحتلال

صفحة

٤٦ نضال مصر في عهد الاحتلال

٤٨ تحول السلطنات والحميات

- الفصل الثالث -

عصر الكفاح للاستقلال في المغرب

٥١ منذ الحرب العالمية الاولى

٥٣ تونس في نضالها

٦٢ البعث القومي في الجزائر

٦٨ يقظة مراكش وكفاحها

٧٣ كفاح الريف المراكشي

٧٥ نضال ليبيا ضد الاستعمار

- الفصل الرابع -

١ — عصر الانتدابات

٨١ الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان

٨٢ الانتداب على سورية

٩٣ سورية خلال الحرب العالمية الثانية

٩٥ الانتداب على لبنان

١٠٩ لبنان خلال الحرب العالمية الثانية

- الفصل الخامس -

٢ — عصر الانتدابات

١١٦ الانتداب البريطاني

١١٦ فلسطين قبل الحرب

١٢٦ فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية

صفحة

١٣٠ كيف فرطنا بفلسطين عهد الانتداب
١٣٤ امارة شرق الاردن عهد الانتداب
١٣٩ العراق عهد الانتداب

— الفصل السادس —

٩ عصر الاستقلال في بلاد العرب
١٤٤ منطقة احلال الخصيب
١٤٥ مملكة العراق
١٥١ العراق خلال الحرب العالمية الثانية
١٥٣ العراق بعد الحرب العالمية الثانية
١٥٦ شرق الاردن
١٦٢ سوريا ولبنان في طريق الاستقلال
١٦٢ الجمهورية اللبنانية
١٦٧ الجمهورية السورية
١٧٩ كيف ضاعت فلسطين عهد الاستقلال

— الفصل السابع —

٢ ـ عصر الاستقلال في بلاد العرب
١٩٤ وادي النيل وجزيرة العرب
١٩٤ المملكة المصرية
١٩٧ في الحرب العالمية الثانية
٢٠٣ المملكة الهاشمية في الحجاز
٢٠٨ المملكة العربية السعودية
٢١٣ المملكة المتوكلية اليمنية
٢٢١ امارة عسير

— الفصل الثامن —

عصر الجامعة العربية والمنازعات

٢٢٣ الدور الأول : اثناء الحرب العالمية الثانية .
٢٣٢ الدور الثاني . خلال حرب فلسطين .
٢٣٥ الدور الثالث : بعد حرب فلسطين

— الفصل التاسع —

الدول العربية الكبرى في طريق النهوض
٢٤١ كلمة الختام
حيفا أمل — تنتقل من التبعة — معركة فلسطين في المرحلة الثانية . بعد القدس تتطلع مكة والمدينة — أزمة اسرائيل تضطرها للتوسع — أتكون بلاد الشام الدولة الثالثة ؟ — أشد الخطر هو على لبنان — واة الولايات العربية المتحدة .

٢٥٤ فهرست الأقطار العربية على حسب ورودها في عناوين الجزئين
٢٥٥ فهرست الاعلام
٢٦٣ فهرست الكتاب : الجزء الثاني

MIDDLE EAST LIBRARY

MIDDLE EAST LIBRARY

OLIN
DS
37
.7
B35